

الألف كتاب (الثاني) ٣٠


الألف كتاب
فلسفته، فتونه، وسائطه

الأدب للأصفياء

فلسفته ، فتونه ، وسائطه

بقلم

هادي نعمان الهيتي

 الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة
بالاشتراك مع
دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد

مقدمة

مع اننا نحمل للطفولة حنانا ومودة لاحدود لهما ، ويحلو لنا ان نسبح عليها اجمل النعوت ، الا اننا لم نلب لها الا بعضا من حاجاتها . ولا يعود ذلك الى تلكنا منا بقدر ما يعود الى جهلنا بكثير من تلك الحاجات ، وخاصة ، تلك التي تتمثل في الجوانب النفسية والفنية والاجتماعية ، ويرافق ذلك جهل بأساليب وفنون اشباعها .

ويؤلف أدب الاطفال اداة فنية من ادوات تنشئة الطفولة ، التي نعتبر ركيزة المستقبل ، لانه يسهم في بناء شخصيتها التي تقوم عليها في الغد شخصية المجتمع الجديد .

ورغم الاهمية التي يحتلها ادب الاطفال في بناء الطفولة ، الا ان ادبا عربيا للاطفال لم يتبلور بعد . يضاف الى ذلك ان بحوثا في هذا الميدان لم تعجر حتى اليوم ، في الوقت الذي تتلاحق فيه البحوث والدراسات عن الاطفال وآدابهم في بلدان العالم المتقدمة ، بل ادخل ادب الاطفال ، كمادة منهجية في كثير من كليات الاعلام والاداب ومعاهد التربية واعداد المعلمين ، لا في البلدان المتقدمة وحدها ، بل في كثير من بلدان العالم النامية ايضا .

وهذه الدراسة التي اضعتها بين يدي القارئ ، هي ثمرة جهد طويل
مضن ، وممارسة فنية في ميدان الكتابة للأطفال بدأت منذ خمسة عشر عاما .
وقد قسمت هذه الدراسة الى اربعة ابواب ، وقسمت كل باب الى
عدد من الفصول :

تناولت في الباب الاول جمهور ادب الاطفال من حيث خصائصه
واستجاباته للاشكال والمضامين الادبية ، وتناولت في الباب الثاني ادب
الاطفال تعريفا ، ونشأة ، وتناولت في الباب الثالث فنون ادب الاطفال ،
وتناولت في الباب الأخير وسائل الاطفال الى ادبهم وخصائص كل وسيط .

ومع هذا لا بد لي ان اقول - مستعيرا عبارة العماد الاصفهاني : « انني
رأيت انه لا يكتب احد كتابا في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان
احسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من
اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

وهذه الدراسة لا تهم كتاب الاطفال وادباءهم فقط ، بل تهم - كما
يبدو لي - كل اب وكل ام وكل معلم ، وكل من يرتبط بالطفولة بأي رباط .
ورغم ما لاقيت من معاناة خلال سنوات وضع هذه الدراسة ، الا انني
سعيد بها اليوم ، لانني حملت مجذافا وضربت به المياه الراكدة .
عسى ان تفتح هذه الدراسة الباب على مصراعيه لمزيد من الدراسات
والبحوث في هذا المجال .

هادي نعمان الهيتي
١٩٧٧

البَابُ الْأَوَّلُ
جَمْعُورُ الْأَطْفَالِ

الفصل الاول

مَدُلُولُ جَمْعُورِ الْأَطْفَالِ

قد يكون من اليسير ان نتعرف الى شخصية انسان راشد ، ونقف عند كثير من ميوله واتجاهاته وعواطفه وآرائه ، من خلال لقاءاتنا معه ، او استماعنا الى احاديثه ، او قراءاتنا لما يكتب ، اذا لم يكن ذلك الراشد في مكره ، كالثعالب ولكننا نقف عاجزين عن التعرف الى شخصية الطفل، بصورة واضحة، بل حتى الاباء يقفون حيارى ازاء اطفالهم ، وكثيرا ما يخرجون باستنتاجات خاطئة كليا ، وفي موقع قريب من هؤلاء يقف علماء النفس احيانا *

تري ، ما الذي يجعل شخصيات الاطفال اسرارا مستغلقة أمام الكبار ؟! اننا نجد صعوبة بالغة في اقامة حوار مع الاطفال لانهم قليلو الصبر ، كثيرو القلب ، حيث تتغير كثير من ميولهم بتغير مشاهداتهم وملاحظاتهم • وحتى لو تهيأ لنا اقامة ذلك الحوار ، فان الاطفال يفهمون بعض كلماتنا بغير ما نعني بها ، فتأتي اجاباتهم من وحي مدلولات تلك الكلمات بالنسبة اليهم ، فنهز رؤوسنا وكأننا وقفنا عندما يعنون •

والاطفال ، رغم انهم نقاد لاذعون ، الا انهم لا يتمتعون بملكة النقد الموضوعي ، فهم يصدرن في ردودهم الاحكام المطلقة ، كأن ينسفون امرا من اعماقه او يتقبلونه حتى لو تضمن الف علة وعلة ، وهم حين يثقون بنا فأنهم يصدقون كل ما نقوله لهم ، وكأنا تأتي بكلام منزل •

ويلاحظ ان الاطفال يقصون وقائع وحوادث لم يسبق لهم ان سمعوا بها او شاهدوها ، لذا يقال عنهم : انهم كذابون • ولكن هذا الكذب لا يشكل انحرافا سلوكيا ؛ انه لون اخر من الكذب يسميه علما النفس الكذب الخيالي او الالتباسي حيث يتصور الاطفال الصغار حوادث ووقائع في يقظتهم على شكل احلام ، فيلتبس عليهم التفريق بين الحلم والحقيقة ، كما ان لخيالاتهم سعة تستوعب الافاضة في افتعال القصص ؛ انهم ادباء ، وهل نلوم الاديب حين يكتب قصة لم تقع حوادثها على مسرح الواقع !

والاطفال يحاولون دوما التشبه بالكبار وترديد كلماتهم وعباراتهم وحركاتهم ، وهم من جانب اخر يجاملون ، حين تحلو لهم المجاملة ، او يقاومون مقاومة عنيدة •

انهم بهذا كله ، يضيعون علينا فرصا كثيرة في اكتشافنا لهم ، حتى ذهب البعض - يائسين - الى القول : « ان الحصول على معلومات صحيحة من الاطفال هو امر مستحيل » • واستنادا الى ذلك رفضت المحاكم ان يقف الاطفال امامها شهودا ، مع انها ارتضت لهم ان يققوا في اقصا الاتهام !

يقول الكاتب الفرنسي فيليب بوشار :

يكاد يستحيل ، في الوقت الحاضر ، الحصول على اية معلومات حتى عن طبيعة المؤثرات التي تؤثر في الطفل ، وكيفية تأثيرها فيه • وقد درس الاطباء المختصون في علم الاجرام سلوك الاطفال السواذ والمجرمين من الاحداث ، ولكن دراساتهم هذه لا تنطبق على الطفل السوي الذي لم يكن موضوع فحص علمي منظم - باستثناء بعض الحالات النادرة - •

وقد بذلت بعض المحاولات لفهم سلوك الاطفال واستجاباتهم عن طريق فحص وتحليل الرسائل التي يكتبونها الى الصحف ومحطات الاذاعة ، في المسابقات ، او عندما يطلب اليهم ذلك مباشرة ، ولكن الاطفال لا يكرهون الكتابة فحسب ، بل هم يكرهون الأدلاء بآرائهم بصراحة اذا طلب اليهم ذلك . ولم يكن محررو صحف الاطفال باكثر حفا من مخرجي الافلام والبرامج الاذاعية في استخلاص اي درس نافع من تلك الرسائل في الحصول على ارشاد منها (١) .

والى عهد قريب ، كان اهتمام المشتغلين بعلم نفس الطفولة قائما - الى حد كبير - على دراسات وملاحظات فردية ، تخضع لعوامل التجريب المختلفة ، اما في المختبر ، واما في صفوف الدراسة ، واما في المنزل ، وكانت معظم التجارب تجري في جو صناعي بعيد عن المواقف الاجتماعية المختلفة التي يتفاعل فيها الطفل تفاعلا طبيعيا تلقائيا . ومعنى هذا ان امثال تلك الدراسات الاكاديمية الصرفة ، لم تكن مستمدة من حياة الطفل التي يمكن ملاحظتها في ميدان واسع ، هو ميدان الحياة ذاتها (٢) .

ومع كل هذه الحجب بيننا وبين الطفولة ، فان هناك دلالات اكيـدة تفصح عن كثير من أهواء الاطفال وميولهم العارمة نحو المعرفة واكتشاف العالم .

وفي بحر هذه الحجب وخضم هذا الضباب يغامر ادباء الاطفال من اجل الوصول الى : جمهور الاطفال .

وجمهور الاطفال ، ظاهرة حديثة ، نسبيا . لانه حتى وقت قصير لم يكن للاطفال ادب خاص بهم ، كما لم تكن لهم مدارس كافية ، ونواد ومكتبات ومعسكرات ، فكان ان ظلت قطاعات عريضة من الطفولة يتيممة الثقافة ، ووجدت قطاعات اخرى اذهانها وهي تقف على موائد الكبار ، وفي كلا الحالين طعن للطفولة في الخاصة .

وجمهور الاطفال ، بالتحديد ، هم اولئك الاطفال الذين لم يتجاوزوا السادسة عشرة من اعمارهم ، والذين يتهيأ لهم ان يلعبوا ويغنوا ويستمعوا الى الموسيقى والبرامج ، ويشاهدوا السينما والتلفزيون ، ويقرأوا الكتب والمجلات ، وتجمعهم المدارس والاندية والساحات والمكتبات والمعسكرات .

وظهور جمهور الاطفال ، باعتبارهم قطاعا يحمل ميولا واتجاهات وصفات متميزة ، هو حصيلة طبيعية لظهور هذه الوسائل الحديثة في الاتصال بهم .

ومثل هذا الجمهور ، لم يتبلور بعد ، في كثير من بلدان العالم النامية ، بسبب النقص المريع في وسائل ثقافة الطفل فيها . وهذه الظاهرة التي تعاني منها بلدان العالم الثالث - بشكل خاص - تشكل واحدة من المعالم الداكنة التي تزيد الهوة الثقافية والحضارية بينها وبين البلدان المتقدمة ، كما انها واحدة من المعوقات في سبيل نمو هذه البلدان ، حيث يعني ضعف الاطفال ضعفا في فاعلية المجتمع نفسه .

وبوجه عام فان جمهور الاطفال في تزايد مستمر ، ويقدر الخبراء نسبة الاطفال الذين تمكنهم ظروفهم من تتبع وسائل الثقافة بانتظام باقل من نصف مجموعهم حتى في اكثر الاقطار اهتماما بوسائل ثقافة الطفل .

ويشكل الاطفال نحو ثلث عدد السكان تقريبا ، وهي نسبة عالية ، بلا شك ، ولكن مصدر اهميتها لا تكمن في كثرتها العددية بقدر ما تكمن في اثرها في تعزيز مستقبل الحياة ، ذلك ان قوة الامة وامكانياتها تتوفر بقدر ما تهىء لكل طفل من مجالات وفرص من اجل تنمية قدراته ومهاراته ومواهبه ، وبالتالي ، تهئية للقيام بدوره فيما بعد . ان الطفولة طاقة كامنة ، لا يمكن لها ان تنطلق من عقالها كافيا الا اذا عملنا على تفتحها .

اختلاف الأطفال

حسب مراحل العمر

الطفولة البشرية اطول بكثير من مرحلة طفولة اي كائن حي اخر ، والرضيع البشري اكثر اعتمادا على الآخرين من صغار الحيوانات الاخرى جميعا والطفل لا يعتمد على غرائز فطرية في سلوكه كما هو الحال في بعض الحيوانات - بل هو قابل للتعليم *

ويمكن القول أن المؤشرات والدلالات والخصائص التي يتميز بها الأطفال ، هي ظواهر غير قاطعة الصحة ، ومع ان الطفولة تشكل عالما قائما بذاته ، الا ان ما يصدق على الأطفال في عمر معين لا يصدق على اطفال آخرين في عمر اخر ++ ومن هنا قسمت الطفولة البشرية الى مراحل ، واستتبع ذلك تقسيم ثقافة الطفل وفقا لذلك ، لأن ما يصح ان يقال للأطفال وهم في الرابعة لا يصح ان يقال لآخرين في التاسعة ، وسنجد - فيما بعد - ان للأطفال الصغار الذين لم يبلغوا السادسة صحفا وكتبا وبرامج وافلاما ومسرحيات خاصة بهم ، كما نجد لأولئك الذين تجاوزوا هذا العمل ألوانا اخرى من الثقافة *

ويعود ذلك الى ان للطفل حاجات بيولوجية ونفسية مختلفة ، وهذه الحاجات تختلف من عمر لآخر ، وان لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل خصائص معينة ، فما يعتبر سلوكا سويا لطفل في الثالثة قد يعد سلوكا شاذا لآخر في التاسعة ، وما يبعث الخوف والقلق في نفس طفل في الرابعة او الخامسة قد يثير السرور والسعادة في نفس اخر في العاشرة ، وهذا يعني ان هناك تباينا بين شخصيات الأطفال في مستويات العمر المختلفة ، مبعثه : تدرج النمو الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي واللغوي لدى الأطفال *

وعليه ، لابد ان يتوافق الغذاء الادبي المقدم للطفل مع مستوى النمو « وتنحصر المشكلة التربوية في ايجاد المعارف الملائمة لكل مرحلة ، وفي تقديمها بصورة قابلة للتمثيل » (٣) واية عملية تربوية لا تراعي الشروط

النمائية السائدة في مرحلة معينة وما تتطلبه هذه الشروط من عوامل تساعد الناشئة على اكتساب المهارات والعادات السلوكية بأنواعها المختلفة المناسبة لكل مرحلة ، لا تحقق الاهداف المرجوة منها • لذا تعتبر مناقشة مطالب النمو على درجة كبيرة من الاهمية بالنسبة الى دارسي علم النفس التربوي^(٤) والطفل ليس عجيبة نسويها كما نشاء وفي اي وقت نشاء •

يقول تشيخوف ان عمه حاول يوما ان يعلم هرة صغيرة ، في عمر مبكر ، صيد الفئران ، فاحضر فأرا الى الغرفة ، حيث تحيا الهرة ، ولكن الهرة الصغيرة لم تلتفت الى وجود الفأر ، وقد باءت كل محاولات العم بالفشل ، حيث تتقدم الهرة خطوة واحدة نحو الفأر • وحين كبرت الهرة كبر معها الخوف من الفأر » لقد اخفق عمي في تربية الهرة لانه دعاها الى الصيد قبل الاوان بأسلوب جبري ، قسري ، افقدها الشجاعة • • لقد كان لي شرف تعلم اللاتينية على يد عمي الجاهل ، وعلى صعيد تربيته الرعناء تخرجت كارها اللغة ، وكارها عمي ، وكارها الطرق الجبرية القسرية »^(٥)

وقد دلت الدراسات النفسية على ان الاطفال يحاولون التهرب من الاعمال التي تعلو عن مستواهم ، بينما نجدهم يثابرون على العمل اذا شعروا بقدرتهم على النجاح ، والمواد التعليمية التي تناسب الاطفال ، ويكون لها معنى في اذهانهم ، تساعد على تنمية معلوماتهم وزيادة خبراتهم ، وتحقق الكثير من الاهداف التي من اهمها : إحداث نمو وتطوير في شخصيات الاطفال في الاتجاه الاجتماعي المرغوب فيه^(٦)

وهذا يعني اننا لا نستطيع ان تتعجل الزمن ، او نجعل الطفل يخطو خطوة تالية في نموه قبل اوانها وقبل ان يكون مهياً لها ، اي اننا لا نستطيع ان نرغم الطفل على ان يتعدى حدود استطاعته في النمو ، ولكننا نستطيع معاونته للوصول الى اقصى حد تستطيعه قدراته ، وكل محاولة لاستباق الزمن

في النمو لا تؤدي الى وقف النمو حسب ، بل قد تؤدي الى تأخيرها وعرقلة (٧) * لذا ، من اكبر الاخطاء : التبكير بتوجيه الطفل قبل الموعد المناسب ، او تأخير توجيهه الى ما بعد فوات الفرصة الملائمة ، وخطأ آخر هو الخطأ في طريقة التوجيه نفسها (٨) *

وعليه فان الاطفال لا يشكلون جمهورا متجانسا في ميوله وعواطفه ورغباته وحاجاته وخواصه ، اذ هم يتفاوتون في ذلك تفاوتا كبيرا حسب مراحل النمو الجسمي والعقلي والنفسي واللغوي والاجتماعي ، وتغلب على كل مرحلة من مراحل النمو خصائص معينة ، وهذه الخصائص تحدد كثيرا من المؤشرات لادب الاطفال ، حيث يضعها اديب الاطفال في اعتباره عند التفكير فيما يقدم للاطفال من ألوان ادبية ، اذ لابد ان يتفق ما يقدم للاطفال من ألوان ادبية - شكلا ومضمونا واسلوبا - في كل مرحلة ، مع خصائص الاطفال فيها في كل مجال من مجالات النمو * ولكن ايجاد التوافق التام بين ما يقدم للاطفال وبين خصائص مراحل الطفولة واستعداداتها واحتياجاتها امر يكاد ان يكون عسيرا الى حد كبير بسبب تداخل مراحل النمو واختلاف الآراء بشأن تحديدها ولما بين الاطفال من فروق فردية ، كما ان الاجهزة التي تتولى تقديم الثقافة لجمهور الاطفال لا تستطيع ان تضمن وصول مادة معينة للطفولة المبكرة وحدها مثلا دون ان تستقبلها الطفولة المتأخرة ، وبالعكس *

يقول ونيفريد وارد في كتابه عن مسرح الاطفال :

« ان تفاوت السن بين المتفرجين في مسرح الاطفال - مثلا - يسبب اعظم المشاكل فيما يتعلق باختيار المسرحيات ، فما يقبله الاطفال في سن الخامسة يبدو نافعا بالنسبة الى الاطفال في سن الحادية عشرة ، وما يهز مشاعر هؤلاء الاطفال يثير فزع الاطفال في الخامسة ، واختيار مسرحية تناسب الفئتين يتطلب تعديلا في نص المسرحية وفي اخراجها * والتشويق - وهو عنصر مهم لدى لفل في العاشرة - غالبا ما لا تطيقه طفلة في السادسة *

فالاطفال الصغار في سن الواقعية (٣ - ٦ سنوات) تشغلهم
امور الحاضر عن الاهتمام باشياء مجهولة كالعفريتة الام ، والامراء الضفادع،
والعفريت الطيب ، في حين يحتقر الاطفال في السادسة والثامنة الامور المألوفة،
ويتطلعون الى كل ما هو غريب وخيالي ، بينما يعود الاطفال الكبار الى
الواقعية ويتعطشون الى الابطال اصحاب المغامرات المثيرة^(٩) .

الفصل الثاني

الأدب ومراحل الطفولة

بسبب اختلاف حاجات وميول ودوافع الاطفال في مراحل نموهم المختلفة ، اقتضى الامر تقنين الادب المقدم لهم ، بحيث يتواءم في شكله ومضمونه مع تلك الظواهر في كل مرحلة *
ولكي نصل الى تحديد ذلك ينبغي ان نحدد مواصفات تلك المراحل وخصائص الاطفال خلالها *

وسيلحظ القارئ ، اننا بدأنا تقسيمنا بالمرحلة المبندئة بالسنة الثالثة من اعمار الاطفال ، ويعود ذلك الى ان الاطفال قبل هذا العمر غير قادرين على تلقي ادب الاطفال من خلال الوسائط التي سوف تتناولها فيما بعد ، يضاف الى ذلك ان الطفل يمر في الثالثة بتحول مهم ، وهو ما يسمى بازمة الشخصية الاولى ، حيث يدرك فيها الطفل ، ان له ذاتا مستقلة عن ذوات الآخرين ؛ اي ان شخصيته تظهر الى الوجود بعد ان كان لا يحسب لذاته شخصية مستقلة

عن الآخرين وعن البيئة ، واساس سلوكه خلال السنوات الثلاث الاولى من حياته هو استكمال قدرات النضج الحركية وتطوير الوظائف العقلية .

وعلى هذا فان تقسيماتنا التالية لا تشكل تقسيما لحياة الطفولة بقدر ما تؤلف تصنيفا لاشكال ومضامين ادب الاطفال خلال كل مرحلة .

ورغم وجود حدود بين كل مرحلة من مراحل الطفولة ، الا ان هذه الحدود ليست فاصلة ، حيث تتداخل فيما بينها الى حد كبير . ولكن الاطفال جميعا يمرون فيها بتتابع .

اما هذه المراحل فهي :

١ - مرحلة الواقعية والخيال المحدود

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ثلاث الى خمس سنوات .

٢ - مرحلة الخيال المنطلق .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ست الى ثماني سنوات .

٣ - مرحلة البطولة .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ثماني او تسع سنوات الى

اثنتي عشرة سنة .

٤ - المرحلة المثالية .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين اثنتي عشرة سنة الى خمس

عشرة سنة .

المبحث الاول

مرحلة الواقعية والخيال المحدود

« ٣ - ٥ سنوات »

لكي نستطيع ان تقدم للاطفال في هذه المرحلة ادبا يعينهم على تعرفهم الى المحيط الذى يعيشون فيه ، ويساعدهم في نموهم العقلي والاجتماعي والعاطفي ، لابد ان يكون على بينة من السمات الاساسية التي يتميزون بها وهم في هذه المرحلة من اطوار حياتهم *

عالم الطفل ، في هذه المرحلة ، هو عالم ضيق ؛ انه الام والاب والاخوة وبعض معارفه من الجيران ، والاقارب ، والباعة الذين يتجولون في محيطه ، والدمى التي يلهو بها ، والملابس التي يرتديها ، والطعام الذى يأكله ، والبيت الذي يعيش فيه ، والحيوانات الاليفة التي تحيا قريبا منه ، اضافة الى ما يحيط به من مؤثرات جوية وظواهر طبيعية كالبرد والحر والضوء والظلام وما الى ذلك *

ويتأثر الطفل بعناصر عالمه هذا مستجيباً لتأثيراتها المختلفة ، وهو يحاول باستمرار اكتشاف موقعه من هذا العالم ، ويستخدم حواسه من أجل ذلك ؛ وشغله الشاغل هو الكشف عن البيئة المحدودة المحيطة به .

ولهذه المرحلة خطورتها الكبيرة ، فالسنوات التي تسبق السادسة من عمر الطفل من أهم مراحل تكوين شخصية الإنسان ، وهي أهم بكثير من المرحلة التي يمضيها الطفل في المدرسة الابتدائية ، إذ تتكون في هذه المرحلة الاتجاهات الرئيسية لشخصية الطفل ، فيتعلم العادات الخاصة بالتغذية والنظافة والعادات المرتبطة بالجنس ، كما يتعلم المهارات والاتجاهات العقلية والاجتماعية .

ومعروف أن حياة الطفل تبدأ بعلاقات بيولوجية أساسية تربطه بالأم التي هي أهم عناصر بيئته الأولى ، ولكن سرعان ما تتطور هذه العلاقات إلى علاقات نفسية ، تحقق للطفل حاجته إلى الشعور بالدفء العاطفي والشعور بالامن والطمأنينة ، والشعور بالتقدير ، فينمو شعوره بذاته . .

وتؤكد جميع الأبحاث العلمية أن الطفل يمر في طفولته هذه بعملية تربوية لها من الآثار ما يفوق أي عملية تربوية في أي فترة لاحقة من حياته . ويقول « وطسن » زعيم المدرسة السلوكية : أنه بعد دراسة مئات عديدة من الأطفال توصلنا إلى رأينا الذي يؤكد على أنه بإمكاننا أن نقوي شخصية الطفل أو نحطمها قبل أن يتجاوز السنة الخامسة من عمره (١١) .

أما التربوي السوفيتي أ . س . مكارينكو ، فيقول :

« أن السنوات الخمس الأولى في حياة الطفل هي الفترة التي تستقر فيها أسس التربية الأولى ، فكل ما يفعله الوالدان في هذه الفترة يمثل تسعين بالمئة من عملية التربية ، ولئن كانت عملية التربية وتكوين الشخصية تستمر بعد هذه الفترة فإن معظم ما يجنيه المربي فيما بعد هو ثمار لازهار تفتحت في تلك السنوات » (١٢)

ويميل الطفل ، في الغالب ، في هذه الفترة ، الى اللعب الانعزالي إذ يلعب مع الاطفال الآخرين في جماعات صغيرة دون تمييز واضح بين البنات والبنين . ويكون الاولاد اكثر ميلا للعدوان والحركة بينما تكون البنات اكثر هدوء . (١٣) الا ان الطفل بوجه عام يكون اميل الى التركيز على ذاته رغم ما يبذله من جهود لدعوة الآخرين لمشاركته في اللعب . وتركيزه على ذاته يعود الى انه اصبح اكثر وعيا بها .

ويلاحظ ان الطفل ، في هذه المرحلة ، كثيرا ما يدعو من هم اكبر منه عمرا للعب معه ، كأن يدعو امه او اباه او اخاه . بل هو يتعلق بالاشخاص الكبار ويرتبط معهم بروح من المودة المتبادلة وهو حتى وان انجذب نحو زملائه الصغار الا انه سرعان ما يعود الى الكبار ، بسبب اعتماده عليهم اجتماعيا وجسميا الى حد ما .

ولكنه ، من جانب اخر ، يبدأ بالاعتماد على نفسه في تدبير كثير من شؤونه الخاصة واصدار الاحكام المستقلة في بعض ما يقوم به من اعمال . فتطوره العقلي يفتح امام ناظره عوالم وافاقا جديدة ، ويتمثل النمو العقلي ايضا في اكتسابه مفردات لغوية جديدة ، وحصوله على معلومات كثيرة عن طريق اثارته الاسئلة المتزايدة ليغذي رغبته العارمة في الاستطلاع ، ولهذا السبب نجد الطفل بين الثالثة والسادسة من عمره يضيف حوالي ٥٠٠ - ٦٠٠ كلمة سنويا الى المفردات التي يعرفها ، وليس هذا بغريب على الطفل الذي لا يستقر له قرار دون التعبير عن خلجاته ، والذي يثير يوميا نحو ٣٠٠ سؤال على الاقل ، عن الشؤون المتعلقة بالبيئة التي يعيش فيها (١٤) .

ان الطفل ، شعورا منه بذاتيته ، يجد نفسه في دنيا ما يزال يجهل الكثير عنها ، فيبدأ بتساؤلاته . من هذا ؟ ما هذا ؟ ومن اين هذا ؟ وتتزايد اسئلة بمرور الايام ، وهي تعطي الدلالة على تعطشه في هذه المرحلة الى المعرفة ، وشدة فضوله ، وحيرته ، وحيويته ، وفاعليته في التجاوب مع كل ما يحيط به .

فتراه يتساءل عن اسماء الناس والاشياء ، واسباب الظواهر ، وقد تكون
تساؤلاته في كثير من الاحيان تعبيراً عن الخوف والقلق +

ان الطفل ، يبحث دائماً - في هذه الفترة - لاكتشاف عالمه ، والوقوف
على خفاياه + وحين يقع بين يديه شيء جديد ، يتطلع اليه ، ويهزه ، ويلويه ،
ويقلبه على وجهه وبقاه ، وهو بعد ذلك يحاول ان يفتحه ليتعرف على ما في
داخله

ان الاطفال في اسئلتهم واستطلاعاتهم يجرون تجارب على الاشياء
والكلمات والافكار في محاولة دائمة لاكتشاف معان جديدة +

وتشكل دوافع هذه الاسئلة المثلثة في حب الاستطلاع ، والتجارب مع
مختلف الظواهر ، وسائل قوية لتطويع خبرات الطفل وبلورة شخصيته
وتنميته عقليا واجتماعيا وعاطفيا +

والاجابة عن اسئلة الاطفال ذات تأثير كبير فيهم وعندما تكون اجاباتنا
متفقة مع اسس التربية ، يكون نموهم سويا ، ويكون تكييفهم
الاجتماعي سليما ، لاننا بذلك نشبع فضولهم الى المعرفة ، ونحد من حيرتهم
وسط هذا العالم الذي يحسون فيه بكثير من الغربة ، ونخفف من توترهم
وقلقهم +

وعلى هذا فمن الخطأ الكبير التهرب من الرد على اسئلة الاطفال او
التبرم منها ، او الاكتفاء باجابات مبهمه او بعيدة كل البعد عن الواقع اذ
لابد من تقديم الاجابات بصبر واثابة ورحابة صدر ، وببساطة ، تتناسب
ومدى نمو الاطفال عقليا ونفسيا ولغويا . والملاحظ ان جل الامهات والاباء
يعجزون عن ذلك +



في هذه المرحلة يكون خيال الطفل حادا ، ولكنه محدود في اطار البيئة
التي يحيا فيها ، كما يكون ايهاميا فالطفل يتصور العصا حصانا فيمسك بها

ويضعها بين ساقيه ويجري بسرعة متوهما انه فارس من الفرسان ، ويتصور غطاء القدر مقود سيارة يلف به ذات اليمين وذات الشمال متوهما انه سائق ، ويتصور الدمية كائنا حيا يحدثها برفق ونعومة او يغضب منها فيطلق عليها سهام السب والشتيمة * * ومثل هذه الممارسات التي يقوم بها الطفل تسمى باللعب الاليهامي * ويذهب علماء النفس الى القول : ان الاليهام وظيفة مهمة في نمو الطفل لانه وسيلته الى تنظيم الكثير من نشاطاته ، واساس لممارسته مهاراته الحركية ، وسيله الى اتصالاته الاجتماعية ومشروعاته الجماعية ، وطريقة الى تنشيط تفكيره وفعالياته بدلا من ان تظل خاملة *

ولدراسة المحتويات او العناصر التي يتكون منها خيال الاطفال في سن ما قبل المدرسة قامت ابحاث عديدة تناولت احلام الاطفال ورغباتهم * ومن هذه الابحاث ما قام به ف * ماركي ، حيث استدل منه على ان متوسط ما يقوم به الطفل في سن ٣٠ شهرا من مواقف خيالية هو بمعدل ستة مواقف ونصف في كل مئة وخمسين دقيقة ، وفي سن الثالثة والنصف تزداد هذه المواقف فتبلغ ستة وعشرين موقفا خياليا في مثل المدة المذكورة (١٥) *

وفي هذه المرحلة يشتد ميل الطفل الى المحاكاة والتقليد والتمثيل ، فيمثل القصص التي يسمعا ، والناس الذين يستغرب اعمالهم واشكالهم او يستملها ، يما يمثل في محاكاته كل ما يرى ويسمع (١٦) حتى قيل ان الاطفال في هذه الفترة يفكرون بايديهم وارجلهم اكثر مما يفكرون بعقولهم ، وان حواسهم دائما بين ايديهم ، وهذا يستدعي دفع الاطفال الى التمثيل والخطابة والرياضة واللعب وتنمية هوياتهم الحركية *

وتسمى هذه المرحلة من مراحل نمو الاطفال بمرحلة (اللعب) احيانا ، حيث يكون الطفل كثير الحركة والنشاط ، وهو يجري وراء كل شيء ، ويلعب بكل شيء * وقد عنيت التربية الحديثة بمسألة اللعب هذه فاستخدمتها وسيلة من وسائلها في تربية وتعليم الاطفال * *

وزيادة نشاط الطفل في هذه المرحلة يعود الى ازدياد امكانياته البدنية اذ ان مرحلة ما قبل المدرسة تتميز بالنمو البدني السريع ، وتكون عضلات الطفل قد بلغت مرحلة من النضج تساعد على القيام بالاعمال الحركية كالجري والقفز والتسلق اما عضلاته الدقيقة فانها لا تصل الى مستوى كاف من النضج ، لهذا نجد الطفل لا يجيد استخدام اصابعه مثلا في الاعمال الدقيقة كالكتابة والرسم ، بينما يستطيع محاكاة الكبار في كثير من الاعمال الحركية الاعتيادية . ولكن حركات الطفل تظل غير منظمة ، لذا لابد من معاونته على السيطرة عليها .



ويحتاج الطفل ، في هذه المرحلة ، لكي يفهم ما نقوله ، ان نتكلم معه ببطء ووضوح ، وان نكثر من الحديث معه ، وان تكون كلمات الحديث مرتبطة بمدلولاتها من الاشياء والاعمال ، متصلة بعالمه الذي يعيش فيه .

ويجب ان يكون واضحا ان مقدار ما يفهمه الطفل من الالفاظ والجمل والعبارات اكثر مما لديه من الحصيلة اللغوية التي يستخدمها في التعبير . لذا يقال ان لكل طفل قاموسا فهميا واخر كلاميا .

وقد دلت الملاحظات ان الطفل يتعلم الاسماء اولا ، وخاصة اسماء الاشياء المحيطة به ، وتأتي بعد ذلك الافعال ، فتساعده على التعبير مع الاسماء التي تعلمها ، ثم تأتي فترة يبطىء فيها نمو الاسماء ويزيد نمو الافعال وتظهر الصفات مع الافعال او بعدها ، والصفات المحسوسة ، تسبق في العادة ، الصفات المعنوية ، التي يجيء تعلمها في وقت متأخر ، ثم يتعلم الطفل الظروف المتصلة بحياته . وواضح انه يتعلم الصفات قبل الظروف ، لان الصفات تعبر عن خصائص يسهل ادراكها مثل أبيض واحمر وصغير وكبير ، وفي نهاية السنة الثانية يستعمل بعض الاطفال الضمائر : انا وانت ، ثم يبدأ باستخدام ادوات الربط والجر (١٧)

والملاحظ ان هناك فروقا كثيرة في حصائل الاطفال اللغوية ، وهذه الفروق تتمثل في القاموس اللغوي او الطلاقة او ترتيب الافكار ، او القدرة على التعبير او النطق واخراج الاصوات ، وما الى ذلك .

والطفل بطبيعته محب للاستطلاع ، ويدفعه هذا الحب الى الاتصال المباشر بكل ما يحيط به ، وبذلك تزداد ثروته اللغوية من الفاظ ومعان يوما بعد يوم ، فهو يلعب مع رفاقه ، ويراقب افراد أسرته وجيرانه اثناء احاديثهم والوان نشاطاتهم الاخرى وهو ينتقل مع ذويه من مكان الى مكان ، ويحمله ذويه رسائل شفوية الى معارفهم ، ويعود اليهم بمثل هذه الرسائل ، وهو يستمع الى القصص ويرويها وهو يمارس ألوان النشاط الحركي . . وهو في خلال كل هذا يضيف الى قاموسه اللغوي كلمات وتراكيب جديدة ويزداد تفهما بكلمات ورموز لغوية جديدة وقدرة على استخدامها كلا او بعضا ، حين يتحدث او يستمع . وحين يبلغ سن المدرسة يكون قد امتلك عدة الحديث والفهم ، ويستطيع استخدام اجزاء الحديث الاساسية من اسماء وافعال وحروف كما يستطيع صياغة الجمل والعبارات والتراكيب التي تحمل ما يريد ادائه من معان تتفق مع نضجه وخبراته . (١٨)

ويمكن القول ان لكل كلمة تاريخا شائعا في نفس الطفل ، فالكلمة تمر بالطفل في عديد من المواقف المختلفة ، وهو حين يستمع اليها في البداية قد تأخذ في ذهنه دلالة معينة ولكنها في معظم الاحوال غير دقيقة . ويتعدد المواقف وازدياد الخبرة يتعدل مفهومها شيئا فشيئا ، الى أن يأتي الوقت الذي يتحدد هذا المفهوم ويستقر طبقا للعرف السائد في البيئة التي يعيش فيها (١٩) .

وفي حلقة « بحث كتاب الطفل ومجلته » التي نظمتها لجنة ثقافة الطفل في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة بين السابع والعاشر من شباط عام ١٩٧٣ وشاركت فيها من العراق مع عدد اخر من المعنيين بشؤون ادب الاطفال في الوطن العربي ، تحدث الدكتور محمد محمود

رضوان عما خرج به من دراسته للغة الطفل العربي في مصر ، وأشار الى انه
اهتدى مع زملائه الى عدد من الظواهر التي تميز هذه اللغة في هذه المرحلة :

أولاً : يغلب على لغة الاطفال تناول المحسوسات لا المجردات •

فالاطفال عند بدء تعلمهم الكلام يتعرفون الى الاسماء المحسوسة ، اما
الافعال والحروف فتظهر بعد ذلك ويختلف ظهور المعنويات مثل « حب »
و « حنان » و « فن » و « نسيان » لانها تقتضي خبرات مستمرة في مواقف
معينة تهيب للطفل عملية « التعليم » ولما كانت قدرة الطفل على التعليم
لا تأتي الا متأخرة - بعض الوقت - لذا فان كلمات مثل (الحرية)
و (الشعور) و (الكرامة) لا تعني شيئاً بالنسبة الى الاطفال في هذه المرحلة
وهم حين يرددونها لا يحيطون بمعانيها •

ثانياً : يغلب على لغة الاطفال التركيز حول الذات •

وتعليل ذلك ان الطفل قبل سن المدرسة غير اجتماعي ، او تغلب عليه صفة
التمركز حول الذات بسبب البيئة المحددة التي يحيا فيها ، وقلة خبراته ، لذا
نراه حين يتحدث عن هذه الخبرات او حين يعبر عن موقف من المواقف يركز
حديثه غالباً حول نفسه ، وحتى اذا خاطب غيره او اشار في حديثه الى غيره
فالغلب الاعم ان يكون مقصده النهائي هو النفس •

ولعلك اذا راقبت حديث الطفل في هذه السن لفت نظرك تكراره للضمائر
التي تدل على المتكلم مثل (انا) (وتاء الفاعل) و (المفعول) • بل ان الطفل
يكرر الضمير (انا) حيث يمكنه الاستغناء عنه باستخدام حرف العطف
امعانا في احساسه وتأكيدا لذاته •

ثالثاً : يشوب كلمات قاموس الطفل الغموض ، ويعوزه التحديد، حيث
ان ثروة الطفل اللغوية تنمو رويدا رويدا خلال السنوات الاولى حتى تبلغ اكثر
من النفي كلمة في حوالي السنة السادسة من عمره ، ثم تأخذ في الزيادة في
المرحلة الابتدائية وتضاف اليها كلمات جديدة ونصيب كل كلمة من التكرار

والاستعمال والمواقف والخبرات التي ترد فيها تختلف عن نصيب غيرها رسوخا * وعليه ، ولما كانت قدرة الطفل في هذه الفترة على التعميم والتجريد قاصرة ، وخبراته محدودة ، لذا فمن المتوقع ان يشوب عددا ضخما من كلمات قاموسه اللغوي الغموض وان يعوزها التحديد * ومن ثم استخدام الطفل لها استخداما متشوشا غير دقيق *

رابعا : تكرار الكلمات والعبارات *

وغرام الطفل بتكرار المألوف نزعة طبيعية تتجلى في نواحي سلوكه المختلفة منذ الطفولة الاولى ، فهو يكرر ما ألفه من حركات واصوات *

وهذه النزعة اكثر وضوحا في التعبير اللغوي ، حيث ان اللغة من ايسر العمليات التي تبرز فيها قدرة الطفل على محاكاة الكبار * ويلاحظ ان الطفل يستمر في تكرار الكلمات والعبارات في مراحل نموه المختلفة ، وان كان ينجح الى الاقلال منه كلما كبر ، ونمت قدرته الفعلية ، واتسعت أمامه افاق الابتكار ، وازداد محصوله اللغوي من الكلمات والادوات التي تعينه على ربط الجمل والعبارات *

خامسا : تقديم المتحدث عنه في الجملة الخبرية :

وقد لوحظ ان الطفل يبدأ عبارته الاخبارية عادة بالاسم المتحدث عنه او ما يسميه البلاغيون المسند اليه ، ثم يذكر المسند بعد ذلك سواء كان اسما ام فعلا ، ولا يعكس الامر الا نادرا * فالطفل يقول (احمد راح الى المدرسة) ولا يقول « راح احمد الى المدرسة » الا نادرا ، ويقول « الشمس طلعت » ولا يقول « طلعت الشمس » الا في اجابة عن سؤال وهكذا ..

سادسا : اختلاف مفاهيم الاطفال لكثير من الكلمات والتراكيب اختلافا بينا عن مفاهيم الكبار لنفس الكلمات والتراكيب :

ذلك لاننا لا نستطيع الفصل بين النمو العقلي والنمو اللغوي ، فما

النمو اللغوي الا مظهر من مظاهر النمو العقلي حيث يخضع لعامل (الصبح)
من ناحية ثم لعامل (التعلم) او (التدريب) من ناحية أخرى *

وتتكون مفاهيم الطفل عن الاشياء تبعا للخبرات التي يتعرض لها في حياته،
وهو يربط في اثناء ذلك بين الاشياء ورموزها الصوتية التي اصطلح عليها في
العرف اللغوي ، وتكون مفاهيمه في اول الامر - كما اشرنا - مسوبة بالغموض
وقصور التحديد ، وكلما زادت خبراته زادت هذه المفاهيم دقة ووضوحا
وتحديدا *

وعلى هذا فليس من المتوقع ان نجد لدى الطفل في سن دخول المدرسة
او قبلها من مفاهيم الكلمات مثل ما نجد عند الكبار ، الناضجين ، وبالتالي تكون
لمعظم الالفاظ التي يستخدمها دلالات قد تختلف في كثير عن دلالات نفس
الالفاظ بالنسبة الى الكبار او بالنسبة الى ما جاء في معاجم اللغة *

لهذا نستطيع القول ان للاطفال في هذا السن مفاهيم معينة لكثير من
الكلمات والتراكيب التي يستخدمونها والتي لا بد ان ترد في المادة اللغوية التي
تقدم لهم في المدرسة أو في المجلة او الكتاب او على خشبة المسرح او في
الاذاعة او في التلفزيون *

وان هذه المفاهيم قد تختلف في كثير أو قليل عما اتفق عليه العرف في لغة
المعاجم ، وانه لكي يكون تعاملنا مع الاطفال ، لغويا ، قائما على اساس سليم
ولكي نستطيع ان نعدل بالتدريج من مفاهيمهم هذه حتى نصل بها الى ما
اصطلح عليه العرف اللغوي ينبغي ان ندرس لغة الاطفال ، وان تنتهي دراستنا
الى وضع معجم لهم يستعين به المعلمون وكتاب الاطفال *

هذا ، وللطفل فوق ما تقدم طرائقه في الاستفهام والتعجب والاستغاثة
والنهي والرجاء والعقاب والتهديد والاستنكار وغير ذلك *



وعلى هذا ، ومن وحي الخصائص التي يتصف بها الاطفال في هذه المرحلة،
يتحدد شكل ومضمون الادب المقدم لهم *

ان خيال الاطفال التوهيمي في هذه الفترة يستمرىء الاشكال القصصية
وانسب القصص للاطفال ، ما احتوى شخصيات مألوفة من الحيوانات
والنباتات ، وحوادث عنها ، او شخصيات بشرية مألوفة لهم كالام او الاب او
الاطفال الصغار على أن تكون لهذه الشخصيات صفات جسمية سهلة الادراك
كالدجاجة الحمراء ، والبنت ذات الشعر الاصفر ، والرجل الشيخ ذي اللحية
البيضاء * ويجدر ان تكون هذه الشخصيات - حتى الجماد منها - متكلمة
او ذات اصوات وحركات ، لان في اعطاء هذه الشخصيات صفات الحركة
والتكلم والالوان الزاهية اشباعا ليل الطفل الى الاليهام ، اذ هو يميل ، في هذه
المرحلة ، الى الاعتقاد الوهمي بان الجماد يتكلم (٢٠) *

ولا يستجيب الاطفال في هذه الفترة للقصص الخيالية ، ولكنهم يغرمون
بالقصص الواقعية الممزوجة بشيء من الخيال والتي تكون شخصياتها « من
الحيوان او الجماد » ناطقة متحركة *

ولما كان مدى انتباه الطفل قصير في هذه المرحلة كان ضروريا ان تكون
الالوان الادبية المقدمة له قصيرة سريعة الوقوع والعبور *

وفي منتصف هذه المرحلة يبدأ الخيال في النمو ، ويقوى بالتدريج ،
ولكن يجب ان نتذكر ان الخيال هنا محدود بالاشياء التي في بيئة الطفل،
كتخليه للعصا حصانا يمتطيه ، او سفينة يركبها ، والكراسي اطفالا مثله
يحاذنهم ، ويضربهم اذا غضب ، وهو لهذا يسر بانواع القصص الخيالية
ذات الشخصيات الخرافية التي يعرف عنها شيئا حقيقيا في حياته الواقعية *

ومن العيوب الشائعة في القصة ان تكون الفكرة مخيفة لما بها من
حوادث الغيلان ، وقتل الاطفال وسجنهم من غير شراب او طعام * (٢١)

وتشكل الاجابة عن اسئلة الاطفال حول بيئتهم جزء من مضامين ادب

الاطفال في هذه الفترة .. وهنا لابد ان ننسب الى انه ليس المهم ان نقدم للاطفال الحقائق كاملة حين يتساءلون .. لاننا في هذه الحالة نغدر الحقيقة التي قد يفهمها الاطفال مشوهة او مغلوطة ونفقد الهدف المبتغى من الاجابة ، وهو فهم الطفل لعالمه الذي يسعى لاكتشافه .. كما انه ليس من المهم ان نملا ذاكرة الطفل بالحقائق ، بل المهم ان نملا مخيلته بالافكار .

وتجذب اهتمام الاطفال في هذه المرحلة الحيوانات التي تتفحص شخصيات الادميين ، وتحاكي تصرفاتهم ، وتجذب اهتمامهم ايضا الاسماء المضحكة الغريبة .. واكثر الاشياء بعثا للسرور والضحك لديهم هم الاشخاص الذين يسقطون على الارض ويقعون فجأة ، والذين يتلطمخون بالطلاء او الوحل ، او الذين يقومون بمطاردات سريعة . ومما يبعث في اطفال هذه المرحلة خوفا قاسيا وجود شخصيات ضلت طريقها او شخصيات تركت وحيدة (٢٢) .

اما اللون والحركة والحجم والصوت ، فهي صفات تلازم المحيط الذي يحياه الطفل ، وتلازم موجوداته من حيوانات ونباتات وجمادات .. لذا يتأثر الطفل بها كثيرا ويستجيب لها ما دامت ضمن اطار واقعه وخياله . وعليه كان ضروريا ان ندخل ذلك في حسابنا ونحن نتوجه الى الطفل .. فأنت حين تحدث لطفل عن قطة في احدى القصص ينبغي أن تشير الى لونها الاسود الفاحم مثلا ، والى عينيها الحادتين ، والى موائها الشديد ، وركضها السريع وهي تطارد الفأر المدحور المهزوم .

والاطفال ، بوجه عام ، يكونون في اذهانهم صورا خيالية عن ابطال القصص ، ومن الضروري ان نعينهم في تكوين هذه الصورة كي لا تظل مشوشة في اذهانهم ، كما ان الصور الجميلة في كتبهم ومجلاتهم تساعد في تكون تلك الصور الذهنية ، اضافة الى انها تجذبهم وتشدهم .

وبوجه عام فان الايقاع والحركة السريعة واللون والصوت ادوات تغني مضامين ادب الاطفال وتزيد من ولع الاطفال به .

ويهتم الاطفال في هذه المرحلة بموسيقى الكلمات ، ويستمتعون بالجمل المنغومة ، وتهزهم العبارات الموزونة او المسجوعة ، وينتشون للاغنيات ذات الايقاع السريع وللاصوات المرحية التي تطلقها شخصيات قصصهم *
ولا يمل اطفال هذه المرحلة من تكرار القصص * ومن القصص المفضلة لديهم القصص التي تؤكد على الذات *

ولا يناسب الاطفال في هذه المرحلة ، كل ما ينطوي على اثاره مخاوفهم كقصص الجان والعفاريت والسحرة وقصص العنف والاجرام ، لان مثل هذه الخبرات بعيدة عن بيئتهم كما انها بعيدة عن آفاق خيالاتهم *
وتجسيد المواقف المحزنة او المفجعة تثير آلام الاطفال وتبعث القلق في نفوسهم ، وليس بالضرورة ان تنطوي كل قصصهم في - هذه المرحلة - على عقد او مشكلات ، لانهم كثيرا ما يستمتعون بقصص ذات اسلوب وصفي منغم العبارات *

والسنوات الاخيرة من هذه المرحلة توجب العمل على تهيئة الطفل للمرحلة القادمة من حياته ، عن طريق توسيع خيالاته ورقعة بيئته وتهيئته اجتماعيا لها وتشجيع اتجاهاته الاستقلالية ، وامداده بالخبرات *

المبحث الثاني

مرحلة الخيال المنطلق

٦ - ٨ سنوات

الطفل الذي كان يتخيل العصا حصانا فيمسك بها ويضعها تحته ساقيه ويشمر عن ساعديه مقلدا الفارس الشجاع ، ويتخيل غطاء القدر مقود سيارة يلف به ذات اليمين وذات الشمال ، ويتخيل الدمية كائنا حيا فيتحدث اليها وكأنه يتحدث الى رفيق من رفاقه ، ويتنصبه بالابطال وبأعمال البطولة .. هذا الطفل ينتقل الى مرحلة جديدة هي مرحلة الخيال المنطلق ؛ انه في هذه المرحلة يظهر رغبة حقيقية في ركوب الحصان ، وقيادة السيارة ، ومحادثة رفاق حقيقيين ، اي انه يتحول من ذلك الخيال المحدود ببيئته الى الواقعية في خيالاته غير المحدودة ، متجاوزا اللون الالهامي ، الى اللون الابداعي او التركيبي الموجه الى غاية عملية ، فهو بعد أن مر بتجارب عديدة في واقعه المحدود وتخطى ذلك الى عوالم اخرى فانه يرسم لها في ذهنه كثيرا من الصور.

في هذا الطور ، يكون الطفل قد قطع مرحلة التعرف الى بيئته المحدودة المحسوسة المحيطة به ، في المنزل والتسارع ، فهو يعرف ان الكلب يعض ، وان النحلة تلسع ، وان القط يخدش ، وان البقرة الحمراء تد رالبن الأبيض وان النار تحرق ، ولكنه يتوق الى تخيل شيء اخر وراء هذه الظواهر الطبيعية الواقعية التي خبرها بنفسه ، شيء غير مألوف عنده في بيئة غير بيئته هذه (٢٢) .

ويتسع في هذه المرحلة فضول الطفل ، ويكبر معه حبه لاستطلاع عوالم ارحب من تلك التي كان فيها في المرحلة السابقة ، فهو دائم التساؤل في موضوعات مختلفة . انه كالتائه الذي يريد من يرشده باستمرار ، ويجيبه عن اسئلته الحائرة بين خضم الحقائق العديدة التي يعرفها الكبار . ومن بين اسئلته ما يتعلق بالجنس والولادة ، وهو يسعى دائما للحصول على الاجابة المقنعة . وهنا يجدر ان يجاب على اسئلة الطفل المتعلقة بالجنس اجابة واضحة وبسيطة دون حرج ، لان ذلك يمنحه الثقة بان هذه المعلومات اعتيادية لا تختلف عن كثير من المعلومات الاخرى التي يتعلمها كل يوم عن الحيوانات والنباتات وما الى ذلك .

ويلاحظ ان نسبة كبيرة من اسئلة الاطفال في هذه الفترة سببها المخاوف ؛ المخاوف من اشياء لم يكن للاطفال بها خبرة سابقة او مباشرة . فهم مثلاً يخافون الحيوانات حتى وان لم يهاجمهم في حياتهم حيوان ما كالكلب او الذئب او غيرها . وهم يخافون اللصوص والمجرمين والمشردين رغم انه لم تسبق لهم اي خبرات معهم ايضاً ، كما انهم يخافون العواصف فوق الطبيعية كالموت والاشباح والغول . حتى وان كان منهم من لم يسبق له ان فقد عزيزاً عليه او فرداً من افراد عائلته ، وحول هذه الموضوعات كثيراً ما يتساءل الاطفال بهدف الشعور بالامن والطمأنينة من خطر مجهول (٢٣) .

وعلاقة الطفل بامه في هذه المرحلة ، هي علاقة عطف وحب ، يناقشها ويعاتبها ويتحدث معها ، وعلاقته بابيه تقوم على اساس الاحترام والاعجاب والخوف . ويتقبل كلام ابيه دون مناقشة ، لانه يعتقد ان اياه هو الانسان

الذي يعرف كل شيء * وهو لا يود ان يفارقه ، ويسعده جدا ان يشاركه اللعب كما انه يتمسك بأسرته ويعتز بها اعتزازا شديدا (٢٤) *

ويلهو الطفل ويلعب بمفرده ، وهو لا يشارك زملاءه في اللعب بسهولة وسرعة ، لذا نجد الاطفال في هذه الفترة حتى لو وجدوا في جماعة فان كلا منهم بادىء بدء يلعب وحده وبادواته الخاصة ، وحين يلعبون في جماعات فان هذه الجماعات قليلة العدد * ويلعب الاولاد والبنات معا * وهذا يفرض ان يعنى ادب الاطفال في هذه الفترة بتنمية السلوك الاجتماعي لدى الاطفال ومساعدتهم على تنظيم التعاون والعمل المشترك *

وتتبلور لدى الاطفال ، في هذه المرحلة كثير من القيم الاخلاقية والمبادئ الاجتماعية في تعاملهم مع الآخرين ، حيث تتضح الصيغ الادبية التي يتعامل بها الطفل مع غيره ، وتلك التي يريد للآخرين ان يعاملوه بها *

وفيسا يتعلق بفترة التركيز والانتباه ، يستطيع الطفل ان يركز لمدة اطول مما كان عليه ، في المرحلة السابقة على احداث اكثر تركيبا ، كما ان باستطاعته ان يستنبط القيسة الاخلاقية للانث الادبي (٢٥) *

وتنسو مشاعر الاطفال نحو محبة العدل والمساواة ، وترنو نفوسهم الى المزاح ، ومن جانب اخر ، يعملون من اجل ان يتعلموا كثيرا من شؤون الكبار ويتعرفوا على اهتماماتهم * وفي الوقت الذي ينسدون فيه جوا من الالفه بينهم وبين من هم اكبر منهم الا انهم يسعون للاستقلال عنهم *

وتفكير الطفل يظل مرتبطا بالاشياء المحسوسة ، اذ ان تصويره عن طريق المسيات لا عن طريق الاسماء ، ولا يكون لديه مدركات كلية كثيرة تعينه على الاستدلال المنطقي الصحيح ، فهو يستطيع ان يدرك العلاقة الزمنية او المكانية التي بين الاشياء ، اما ادراك العلاقات السببية فيكون ضعيفا ضعفا نسبيا ظاهرا (٢٦) *

وعليه ، فإن الطفل في هذه الفترة ما يزال في دور اسنقطابي Ego-Centric في تفكيره ، وهو يدرك العلاقة بين الاشياء ادراكا جمعيًا ، اذ يجمعها معا ويضفي بعضها الى بعض • ويستشهد بياجييه - مدير معهد جان جاك روسو واستاذ جامعة جنيف سابقا - على ذلك ببعض الرسوم التي رسمها الاطفال • فانك لو طلبت منهم رسم دراجة مثلا لرسموها بشكل اجزاء مجسومة دون ان يظهروا فيها وحدة رابطة ، اي انهم لا يضعون كل جزء حيث يجب أن يكون بالنسبة الى الدراجة ، والاشياء بالنسبة اليهم اما مجموعة في كل مبهم او غير واضح ، او متفرقة واحدة واحدة بشكل غير تركيبي • (٢٧)

ويتميز الطفل - في هذه المرحلة - بنمو سريع في الخيال ، وبشدة تطلعه الى الافاق البعيدة ، لذا يتبلور ولعه بالقصص الخيالية التي تخرج في مضامينها عن محيطه وعالمه ، بل نجد الطفل ينجذب للانصات الى القصص الخرافية ايضا بما في ذلك قصص الجان والعفاريت وبلاد العجائب ••

ولكن هل ينبغي لنا ان نستجيب لاولاع الاطفال ونقدم لهم كل ما تهفو اليه نفوسهم ؟ •

انني ارى ان من الخطأ الفادح ان ننساق وراء ميول الاطفال بهذا الاتجاه ، اذا اردنا لاطفالنا ان ينشأوا نشأة سوية ، فالاطفال قد يعيشون احيانا باشيء خطيرة دون ان يقدرُوا عواقب عبثهم •• وليس من المناسب ان نقدم للطفل كل ما يريد ، بل ينبغي لنا ان نسترسد بأسس التربية لنقرر ما يصح نقديسه لهم ، وما لا يصح • وهذا لا يعني ان نقف في طريق خيالات الطفل او نُسبها او نجبره على التقليل منها ووضعها في اطار الواقع المحسوس ، لاننا بهذا نغتال بهجة من مباحجه العظيمة ونحد من وسيلة خلاقة لها اثرها في بناء شخصيته •

وهنا لا نستطيع ان نغفل الاشارة الى ان جميع اولئك العباقرة الذين كان لهم باع طويل في ميدان الابتكار والاختراع كانوا ، ولاشك ، في

طفولتهم ذوي خيالات خصيبة ، وساعدتهم خيالاتهم الواسعة على ارتياد اوسع العوالم في صغرهم وارتياد مجالات الابداع في كبرهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان من بين اسباب قساوة حياتنا - نحن الكبار - هو افتقارها الى الاخيلة البريئة ، لذا ترانا نصول هنا ونجول هناك بحثا عن متعة او فرحة نلتمس فيها لمحة تعيدنا الى شىء من اخيلة الطفولة .

ويذهب البعض الى القول : ان الخيال هو ملكة خاصة تتيج للبشر ان يتصوروا نوعا من الواقع لا يدرك بالحواس الظاهرة



وتستمر ذخيرة الطفل اللغوية في هذه الفترة بالاتساع ، ولكن اغلب الكلمات لا تعني لديه شيئا الا اذا اربطت بخبرة حسية « وفي التعليم يميل الطفل الى ما هو عملي او يدوي ولا يسيل الى ما هو شفهي او لفظي » (٢٨)

وفي المرحلة السابقة كان الطفل يعتمد في ثقافته وفيما يكتسبه من المعارف على اللغة السمعية المنطوقة التي يستخدمها في تعامله مع المحيطين به، اما خلال هذه المرحلة فانه يلتحق بالمدرسة الابتدائية ويشعر في تعلم نوع جديد من لغته ، وهو اللغة البصرية ، لغة الكتابة والتدوين وقراءة المكتوب (٢٩) .



واستنادا الى تلك السمات التي يتميز بها الاطفال في هذا الطور تتحدد اشكال ومضامين الثقافة المقدمة اليهم كما تتحدد الوسائط التي تنتقل عبرها هذه الآثار .

وبوجه عام من الضروري ان ننتبه الى مخاطر الجنوح الى الخيال الهدام الذي يبعد الاطفال عن الواقع ويجعلهم يحسون وكأنهم يعيشون في عالم الاوهام . لذا وجب ان ننمي في اذهان الاطفال أخيلتهم الابداعية .

ان الاطفال في هذه المرحلة ينجازون الاخيلة الايهامية الى لون ابداعي يهدف الى غاية عملية تجعلهم يتشوقون الى الصور الذهنية غير المعقدة التي ترسمها في مخيلتهم القصة أو المسرحية أو المقالة ، أو القصيدة ، أو الاغنية • واكثر المضامين التي تسبع خيالات الاطفال هي القصص التي تنقلهم الى آفاق بعيدة خارج حدود معارفهم •

وكثيرا ما ينجذب الاطفال الى الحكايات الخرافية التي تزخر بالشخصيات المخيفة والحوادث المفزعة كحكايات السحرة والعفاريت وما الى ذلك وهم يجدون انفسهم وهم يستمعون الى مثل هذه القصص في حالة شديدة من الخوف ولكن قلما تجد طفلا يهرب من هذه الحالة ، انه يظل يتابع حوادث الخرافة ، بل يزداد التصاقا بها وانفعالا بوقائعها ، وهو - في الحقيقة - لا يمر بحالة استمتاع قدر مروره بحالة من الخوف اللذيد • ولكن عوافب هذه اللذة قد تكون ذات تأثير سلبي في نفوس الاطفال نظرا لما يواجههم من القلق ، ولا يقلل من ذلك ادراك الاطفال - الى حد ما - ان تلك الخرافات خيالية لم تحدث في عالم الواقع •

كنت يوما اراقب معلما يروي حكاية خرافية لعدد من الاطفال في حوالي السابعة والثامنة من اعمارهم ، كانت الحكاية تتحدث عن العمالقة الذين يخوضون في ماء البحر ويصطادون الاسماك ويرفعونها بايديهم قريبا من الشمس فتسوي حرارة الشمس الاسماك وكنت اجد امارات الخوف تبدو على وجوه الاطفال كلما ردد المعلم كلمة «العمالق» ورغم ان القصة طويلة فقد كانت اعناق الاطفال تنسرب نحو المعلم ، وكلما توقف قليلا بين مقطع وآخر كان الاطفال يلحون عليه لا كمالها •• انهم في هذه الحالة يتجاوبون بانفعال حقيقي مع وقائع الحكاية ، ويدفعهم خوفهم وقلقهم الى معرفة نهاية العقدة ، بل كانوا يقتربون من معلمهم شيئا فشيئا كلما ازداد خوفهم ، يتطلعون الى عينيه يستبدون منها القوة لابعاد الخوف عنهم ، وبعد اكمال الحكاية تلفت الاطفال ، الواحد نحو الآخر كي يعرف كل واحد منهم مدى الخوف الذي

اصاب زميله ، كما ظلوا الى جوار المعلم فترة ساكنين ، وحين تفرقوا ظلت عيونهم تتطلع نحو الارض لترتفع الى الشمس * * والغريب انهم ألحوا من اجل اعادة الحكاية من جديد *

والاطفال في هذه الفترة شديداً الفعالية والنشاط لذا يطلق على هذه المرحلة اسم « مرحلة التبذير الحركي » * * وليس هذا فقط بل هم يتشبهون بالمغامرين والابطال ، لذا ينجذبون الى قصص المغامرات الخيالية * وهذا يستوجب ان نراعي في مثل هذه المغامرات ان تسير الحوادث وفق عامل السببية قدر الامكان ، حتى لا تبدو الحياة امام الاطفال وكأنها مجموعة من المقالب والافخاخ *

ويفضل الاطفال في هذه المرحلة القصص القصيرة ، وخاصة تلك التي تكون نهاياتها غريبة او مضحكة ، كما يفضلون القصص المسلسلة التي ينتهي كل فصل منها بعقدة ونهاية ، كما يحبون الطرائف التي تستند الى التلاعب بالالفاظ والكلمات *

وخلال هذه الفترة ، وحين يلتحق الاطفال في المدرسة ، تبدأ في حياتهم جوانب كئيبة ، حيث يجدون انفسهم امام واجبات جديدة ، ومسؤوليات جديدة ، معقدة في اكثر الاحيان ، وكثيرا ما تنشأ لديهم ردود فعل تتمثل في اللامبالاة وعدم الاكتراث وفقدان الشعور بالمسؤولية ، فيلجأون الى التسكع في الطرقات او يمارسون الالعاب التي تنسيهم احزان المدرسة ومسؤولياتهم ، وكثيرا ما يتجهون الى الالعاب الخطرة *

وهنا لابد من الاهتمام بتنمية شعور الاطفال بالمسؤولية وتهذيب سيطرتهم على حركاتهم ، وتعليمهم معنى الخطر *

وفي هذا الطور ينصت الاطفال الى الكبار ، ويستمعون الى توجيههم ، وفي هذا الجانب الايجابي تكمن خطورة ذات اثر سلبي ، اذا ما اساء الكبار التوجيه *

المبحث الثالث مرحلة البطولة ٨ - ١٢ سنة

دور آخر يبدأه الطفل ، هو مرحلة البطولة ، حيث ينتقل من مرحلة الواقعية والخيال المنطلق الى مرحلة هي اقرب الى الواقع ، انه يتعد عن الامور الخيالية بعض الابتعاد ، ويهتم بالحقائق ويشتد ميله الى المقاتلة والسيطرة والالعاب المختلفة وخاصة الالعاب التي تتطلب المهارة والمنافسة ، ويسره التنقل من مكان الى مكان ، وقد يترك المدرسة او المنزل مغامرا مع بعض زملائه في عمل من الاعمال التي تتطلب الشجاعة أو المخاطرة . ولذلك نجده يعجب كل الاعجاب بالابطال والمغامرين : يقرأ عنهم ويشاهد - بشغف لا حد له - ما يصور بطولاتهم ومغامراتهم . ويحاول تقليدهم في بعض المغامرات التي يقوم بها ، ويبلغ اعجابه بهم درجة التقديس ، مهما يكن موضوع البطولة او المغامرة ، لذا يسمى هذا الطور « طور البطولة والمغامرة » (٣٠)

ويخلص الطفل الى الجماعة التي ينتمي اليها ، في هذه الفترة ، حتى لو تعارض اخلاصه هذا مع ما يفرضه عليه المنزل او المدرسة ، وكثيرا ما تندفع

الجماعات التي ينظمها الاطفال في هذه المرحلة نحو القيام باعمال طائشة كالاعتداءات والمتاجرات والمقاتلة ، ويلاحظ ان محترفي الاجرام كثيرا ما يسغلون بعض اطفال هذه المرحلة ليشكلوا منهم عصابات يوجهونها لتنفيذ لهم مآربهم .

ويلاحظ ان الاطفال يلتقون في تجمعاتهم عند افكار ونظرات متشابهة عن الحياة ، ولهذا وجب التحفظ حول ما يقدم للاطفال في هذه الفترة من اعمال ادبية من خلال وسائل الثقافة المختلفة وخاصة تلك التي تدور حول البطولة والمغامرة .

ويتقبل الاطفال الى حد بعيد اراء الآخرين الذين يثقون بهم ، وينفرون نفرة شديدة من اراء اولئك الذين لا يثقون بهم ، وهم يحبون الظهور ، ويقلدون في حركاتهم وكلماتهم من يعجبون بهم ، كما يسيلون الى التمثيل وكل ممارسة اخرى من شأنها المشاركة مع الآخرين - رغم ان الطفل يظل يشعر بفرديته وفردية الآخرين من حوله - ويكوسنون افكارا ونظرات عن الاشخاص والقيم والمفاهيم ، كما يبدون اهتماما بالمسائل التاريخية .

وتبلغ القدرة على الاستظهار والتذكر درجة كبيرة ، في هذه المرحلة ، فيستطيع الطفل ان يحفظ الحوادث التاريخية والحقائق العلمية والألفاظ والعبارات والانشيد والاغاني وما يناسبه من مقتطفات الشعر والنثر . وتزداد قدرته على ادراك علاقات الاشياء بعضها ببعض وخاصة العلاقات الزمانية والمكانية ، كما يدرك كثيرا من صفات الاشياء وخواصها . ويستطيع التفكير في امور معنوية اكثر مما كان عليه من قبل . ولكن قدرته على التجريد والتعميم وتكوين المعاني الكلية الواضحة تظل محدودة (٣١)

وفي هذه الفترة يستطيع الاطفال التحكم في انفعالاتهم اكثر مما كانوا عليه ، ويعملون من اجل الحصول على المعلومات الجنسية من زملائهم لذا

تنسيع بينهم الافكار الخاطئة عن الجنس • ويميلون الى الجوع والادخار
وانساء الاشياء •

ويستطيع الطفل ادراك المدلولات الزمنية للحوادث التاريخية ، بينما نجد
ان استيعاب الاطفال للحوادث التاريخية قبل التاسعة والعاشر لا تتعدى
حفظ تواريخ تلك الحوادث ، دون ان تكون لديهم القدرة على تتبع الادوار
التاريخية وربط هذه الادوار ربطا يدل على ادراك يتضمن معنى التتابع
الزمني الذي يدل على التطور (٣٢)

وتستهوي الاطفال قصص الشجاعة والمخاطرة والعنف والقصص
البوليسية والمغامرات وقصص الرحالة والمكتشفين سواء كانت حقيقية ام
خيالية ، كما تستهويهم القصص الهزلية المصورة ، ويلاحظ انهم يستمتعون
بالاستماع الى الراديو ومشاهدة الافلام السينمائية والتلفزيونية والعروض
المسرحية ، وقراءة المجلات •

اما البنات فأنهن يغرن بالقصص التي تتناول الحياة المنزلية والامور
العائلية ، مثلما يغرن بالقصص التي تتحدث عن الجمال او تلك التي تشير
الانفعالات ، حيث يزداد الاختلاف بين البنين والبنات في أواخر هذه المرحلة •

والاطفال في هذه السن اكثر صلاحية واستعدادا لمشاهدة المسرح
كوسيلة تعبير فنية فيمكنهم متابعة العقد المسرحية الاكثر تركيبا ، والحوادث
الاكثر تشابكا ، وتحقيق الى حد ما رؤية واضحة لما يحدث على المسرح •
يقول وينفريد وارد :

لو سألنا طفلا في العاشرة او الحادية عشرة عن نوع المسرحية التي تعجبه
لاجاب على الفور : « مسرحية مثيرة » ان اهتمامه ينصب على الحكاية وما
تشتتمل عليه من حوادث وما فيها من تشويق ، ويشير حماسه الابطال الذين
يقومون باعمال جريئة والذين يتحاشون الاخطار في اخرج اللحظات ، واشد ما
يستهو به هو المسرحية الطويلة ذات المناظر الكثيرة التي لا يمتزج فيها الخيال

بالحقيقة وتنتهي بانتصار البطل ، ويلقى الشرير وبال عمله ، ويجب ان يرى الشرير والعقاب ينزل به ، والطفلة في التاسعة والعاشرة والحادية عشرة تحب نفس النىء الذي يحبه الصبي ، ورغم انها بدورها تميل الى الواقعية ، الا انها تكتفي بالقليل من المواقف المثيرة ، وتحب ان تكون للمسرحية بطله بدلا من البطل وغالبا ما تفضل المسرحيات الخيالية المشهورة ، وخاصة اذا كان الاخراج مناسباً لمستوى سنها *

وفي قصص المغامرات والاكتشافات لابد ان نحرص على توفير الدوافع الشريفة من اجل غرس الانطباعات الفاضلة في نفوسهم وتنفيرهم من الاعمال المشهورة والعدوان والاندفاعات الحمقاء *

ويلاحظ ان الاطفال في هذه المرحلة حين يعودون الى بيوتهم يقصون لوالديهم الحوادث والوقائع التي وقعت لهم خارج البيت او في المدرسة كما يصفون النجاح الذي احرزوه او الفشل الذي اصابهم ، وهنا يستوجب التعليق على حكاياتهم وابداء الاهتمام بها ، ومناقشة الموضوعات التي تثيرها الحدث او الواقعة ليصلوا بفكرهم ومداركهم الخاصة الى الحل الصحيح ، مع معاوتهم على تصحيح معلوماتهم بانفسهم^(٣٣) * عن طريق الوان ادبية مختلفة *

يقول موريس فلورانت ، مدير قسم شؤون الطلاب في مكتبة هاشيت الفرنسية : يجب ان توضع للاطفال بعد السابعة او الثامنة الكتب التي تقودهم الى التفكير والتأمل وطرح الاسئلة على انفسهم عن كل ما حولهم ، او بمعنى اخر الكتب التي تؤهلهم لسن المراهقة *

ويقول : ان افضل سن يستطيع الطفل فيه ان يستوعب ما يقدم له من معلومات هو سن التاسعة من العمر *

ويضيف : انه ينبغي اختيار المواد والمعلومات التي يجب اعطاؤها للاطفال في هذا السن اختياراً دقيقاً ، اذ انه ليس المهم تعليم الطفل بل المهم تلقينه فعلاً كيف يتعلم فضلاً عن اختيار ماذا سيتعلم *

ويعتقد : ان هذا السن يعتبر افضل سن لاكتساب المعلومات والمعرفة وحتى الاخلاقيات التي تبقى مع الانسان حتى يبلغ سن التيبب * * ذلك لانه اذا بلغ الطفل هذا السن ، فان من الضروري ان يوضع امامه كل ما يجب ان يوضع امام انسان مقبل على حياة بالغة التعقيد ، في كل مجال : في العلم ، في التربية ، في الاخلاق ، وحتى في العادات والتقاليد التي تبفى غالبا مع الانسان حتى النهاية * (٣٤)

ويسيطر الطفل في اواخر هذه المرحلة على المهارات القرائية الاساسية وفهم معاني الرموز اللغوية المقروءة ثم الاستجابة لما فيها واستخدام الافكار المستخلصة من القراءة كلما ظهرت الحاجة اليها *

ولهذا تمتاز هذه المرحلة بامتلاك الطفل لامكانيات تتيح له القراءة في مجالات متعددة * ومما يزيد في تعويد الطفل على القراءة المتعددة الجوانب ما تمتاز به هذه المرحلة من عمر الطفل من الاستقرار النفسي والانفعالي بعكس المرحلة التي تتميز بعدم الاستقرار *

وقد أجريت بحوث عديدة عن اهتمامات الاطفال القرائية في هذه المرحلة ، وثبت تعددها وتنوعها ، كما ثبت حدوث بعض التغيير في ميول الاطفال القرائية التي كانت سائدة في المرحلة السابقة ، حيث يقل اقبالهم على قراءة القصص الخيالية التي تحتوي على قوى وحوادث خارقة * ويرجع ذلك الى ان نمو الاطفال العقلي المتزايد يساعدهم على تقبل عالم الواقع بدرجة لا بأس بها ، ويصبح الهروب من هذا العالم الى الخيال امرا لا مبر له * ويتطور حب الاطفال للقصص التي تحكى على لسان الحيوانات الى حب للكتب التي تزيد معلوماتهم عن هذه الحيوانات ، وتبين لهم كيف تعيش واين تعيش وما هي طباعها وكيف تتكاثر ومتى تهاجر * * ويفسر هذا التطور في الاهتمامات القرائية الى نمو الرغبة في مزيد من المعرفة والعلم عن العالم المحيط ، عالم الحيوان والانسان والنبات ، بل وعن البيئة الطبيعية المحيطة *

يمتاز الاطفال في هذه المرحلة بالميل الى قراءة كتب العلوم-
المبسطة وكتب التكنولوجيا المتعلقة بتركيب لعبة ميكانيكية او نصميمها *
ويرجع السبب في ذلك الى ان هذه الفترة من عمر الطفل تمتاز برغبته في
ممارسة اعمال يدوية ومهارات ميكانيكية ، فنجدهم يحاولون القيام بصنع
الاجهزة كالراديو او الاجراس الكهربائية او غيرها ، فضلا عن الاعمال الفنية
التي تتطلبها مجموعة كبيرة من الهوايات التي يمارسها الاطفال في هذه
السن والتي تتطلب القراءة والاستزادة من المعارف المرتبطة بتلك الهوايات،
لهذا كان من الطبيعي ان يلجأ الاطفال الى القراءة للوصول الى إجابة عن مئات
من الاسئلة التي تدور في عقولهم (٣٥) *

كذلك ثبت أن من الميول القرائية للاطفال والتلاميذ في اواسط هذه
المرحلة اى الفترة بين سن ١٠ - ١٢ سنة حب قصص المفاجآت وقصص
المغامرات والقصص التي تعتمد على التفكير والتوقع ، وكذلك قصص
الاسفار والرحلات ، وذلك لان الاطفال في هذه السن يحبون معرفة : كيف
يعيش الاطفال في البلاد الاخرى * كذلك يميلون الى قراءة قصص البطولة
ولهذا كان من الممكن استغلال هذه الرغبة في تعريفهم بالبطولات القومية
والامجاد الوطنية التي يفخر بها المجتمع * (٣٦)

المبحث الرابع
مرحلة المثالية
١٢ - ١٥ سنة

في بداية هذه الفترة ، يأخذ الطفل بتجاوز حياة الطفولة ، اي انه ينتقل من مرحلة تتصف بالاستقرار العاطفي النسبي الى مرحلة دقيقة شديدة الحساسية ، حيث تحصل فيها تغييرات واضحة ، يصحبها ظهور القوى الجنسية واشتداد الميل الاجتماعي وتبلور التفكير الاجتماعي والنظريات الفلسفية عن الحياة .

وبدايات هذه المرحلة تعد جزء من المرحلة السابقة ، حيث يقترب الطفل من البلوغ فيما بين العاشرة والثانية عشرة وتتجلى رويدا رويدا عملية التحفز ، اذ ان سنة الطبيعة هي الوثوب يتطلب شيئا من الثبات قد يخالعه المرء جمودا أو شيئا من التراجع لكي تكون المقدرة على الوثوب والقفز اعظم واكبر ، ومثلما تنطبق هذه الظاهرة - ظاهرة التحفز للوثوب - على الناحية البدنية ، تنطبق كذلك على الناحية النفسية ، ففي الانتقال من مرحلة من

مراحل النمو النفسي الى مرحلة بالية يلاحظ المدقق الخبير احيانا سبنا من التراجع النفسي قبل ان يفهم المرء الى المرحلة التالية ، كتراجع الطفل السني اصبحت في سن المدرسة متلا الى التعثر اللغوي ، بما لا يتناسب مع حصيلته ، اللغوية في تلك السن ، أو كارتداده الى غير التعثر اللغوي من مظاهر المرحاة التي هي على وشك ان يخطاها الى غيرها كالتعلق بالدمى ، او العودة الى النمل الا ارادي او غيرها من مظاهر الطفولة الاولى (٣٧) .

ولكن الجمود ، او التحفز ، يتجلى بوضوح اكثر في الفترة التي تسبق البلوغ وهي الفترة التي تسمى بفترة الكمون او فترة الطفولة الهادئة ، والتي تستمر في المعدل من الخامسة الى الثانية عشرة ، وهي فترة تبدو متحررة من مظاهر النشاط الجنسي تحررا كبيرا ، ويتجه نشاط الدليل الى المدرسة واللهم والرفاق ، ونظراته خلالها الى الجنس الاخر ، نظرة زمانة ورفقة ، سواء في اللهو أم في المدرسة ولا يكاد ذهنه يعي من التوارق بينه وبين الفتاة سوى الفارق النوعي ؛ اي انه ذكر ، وهي انثى ، دون ان يكون لذلك الوعي مدلول جنسي يحس له صدى في نفسه .

ولكن ، حين يقترب الطفل من البلوغ فيسا بين العاشرة والثانية عشرة ، تبدو عملية التحفز واضحة ، بل هي تأخذ شكل تحفز ومقاومة في آن واحد ؛ تحفز نحو الانتقال الى المرحلة التالية ، ومقاومة نفسية تبذلها الذات ضد الميول الجنسية . ويطلق على فترة التحفز والمقاومة هذه ، اسم ما قبل البلوغ ، وتستمر عادة من العاشرة الى سن الثانية عشرة (٣٨) .

ولهذه الفترة القصيرة التي تربط بين دور الكون وبداية البلوغ ، علامات مبزة واضحة من ابرزها نفور الفتى من ملاعبة الفتيات . وكذلك نفور الفتاة من ملاعبة الفتيان ، اي ازدياد كل منهما احساسا بجنسه . يرافق ذلك احساس الطفل بالفروق الفردية التي تميزه عن اقرانه . وفي هذه الفترة تتجلى بوادر الاستعدادات المختلفة ، ويحس الطفل بمواهبه .

الشخصية ، سواء كانت عقلية ، ام فنية ، ام جسمية ، ام كانت من قبيل
الاماني والامال التي لايساركة فيها غيره *

وباقتراب المرء من البلوغ تزداد ايضا رغبته في الاستقلال وحاجته الى
ان يغدو شيئا مذكورا ؛ ومن ثم فهو يسعى ، عادة ، الى اعادة النظر في الروابط
التي تربطه بأهله ورفاق طفولته لينبذ منها ما لم يعد متفقا مع نظراته
الجديدة ، كما انه يعتمد الى مراجعة الحقائق التي كان يتقبلها عن طيب خاطر ،
فينبذ ما لا ينسجم منها مع وضعه الجديد * * وما يصدر اليه من أوامر
والديه ، مثلا لا يتقبله على علاته بل يعتمد الى تحليله ، ويتمرد على ما يعده
خليقا بطفل صغير *

وفوق هذا وذاك ، فهو ينصرف عما كان يستمتع به كطفل صغير من
اصطحاب الاسرة له اثناء الترويح والنزهة ، او هيمنتها على اختيار ملابسه
وحاجاته الاخرى ، ويتوق الى الذهاب الى السينما او الخروج للنزهة مع
اقرانه ؛ اى انه يتمرد على كل ما كان يستهدف جعله تابعا ، او يقيد بقيود ،
او يفرض عليه فروضا ، ويتشوق الى كل ما يشعره باستقلاله وفرديته
ويحرره من حياة الطفولة التي يلعب فيها الخيال ، لا الواقع ، الدور
الاكبر *

على انه ينبغي ان لا يغيب عن اذهاننا ، ان الفتى ، برغم رغبته في
الاستقلال وحاجته الى الاحساس بفرديته والسيطرة على الوسط المحيط به ،
يرغب ، في الوقت نفسه ، ان يظل طفلا مستمتعا بروابطه العاطفية بوالديه
من خلال تبعية لا تحمله مسؤولية ولا تلقي عليه تبعة * ومن ثم فان ما بيديه
من نشاط ينبىء عن رغبته في اخضاع البيئة التي تحيط به وهو يخفي - في
الحقيقة - صراعا داخليا يحس له في نفسه قلقا غامضا ، ثم يتجلى هذا الصراع
وذلك القلق واضحين عندما تحل فترة المراهقة (٣٩)

ويشغف الاطفال في هذه المرحلة بالقصص التي تمتاز فيها المغامرة

بالعاطفة وتقل فيها الواقعية وتزيد فيها المناللية ، لذا سميت هذه الفترة
« بالمثالية » *

واكثر المغامرات التي يتسوق الاطفال اليها في هذه الفترة هي انني
تقوم ببطولتها شخصيات تتصف بالرومانتيكية ، وخاصة تلك التي تواجه
الصعاب الكبيرة والعوائق المعقدة من اجل الوصول الى حقيقة من الحقائق
او الدفاع عن قضية عادلة ، ويتشوقون ايضا الى القصص البوليسية وقصص
الجاسوسية ، اما القصص التي تتناول العلاقات الجنسية فانها تجذبهم كثيرا،
حيث انهم يشارفون على البلوغ الجنسي

وهنا لابد من الاشارة الى ان التربية الجنسية اليوم قد اصبحت فرعاً
من فروع علم التربية معترفاً به في كل مكان في العالم ، ولم تعد المدارس
والمعاهد تدرسه وتهتم به حسب ، بل انتقل الى المعابد ايضا ، ولا عجب في
ذلك ما دامت التربية الجنسية تستهدف تأمين الاتزان العاطفي للراشد وللطفل
- صغيراً كان ام مراهقاً -

ويلاحظ اليوم ، ان الكتب الجنسية تنتشر انتشاراً واسعاً بين الكبار
في وطننا العربي ، وفي مقدمة اسباب ذلك هو ان الراشدين يجدون انفسهم
في حاجة دائمة للتعرف الى الامور الجنسية التي فاتهم التعرف اليها
بشكل دقيق في فترات طفولتهم المختلفة ، رغم ان ما يطرح في الاسواق
اليوم من هذه الكتب لا يحمل في الغالب محتوى علمياً سليماً * وكثيراً ما
يقرأ الكبار هذه الكتب بعيداً عن اعين الاخرين ، بسبب ما
توارثناه من انه ليس من المناسب الحديث عن الجنس * بل ما زلنا نخلط ،
بتشكل غريب ، بين موجة المتاجرة بالجنس عن طريق الصور والافلام والكتب
وبين التربية الجنسية ، وكأنهما قضية واحدة ، ننظر الى الجنس برهبة
وخشية ، ونحيطه بالسرية ، وهكذا تفعل ازاء التربية الجنسية ايضا *

ويبدو ان هذه الذهنية تمتد الى امد موغل في القدم ، وخاصة في

مناطق الشرق ، حيث كانت الثقافات ترى الانسان كروح لا بد له ان يتحرر من الحس ، وبالتالي فان كل قضية جنسية محصورة في النطاق التناسلي فقط ، في الوقت الذي تشكل القضية الجنسية فيه واحدة من العواطف الانسانية .

ان الاطفال يتركون اليوم كي يفهموا بعض حقائق الجنس من الشارع او من خلال كتب وافلام ومطبوعات المتاجرة بالجنس دون ان يتلقوا شيئا بهذا الصدد وفق اسس التربية الصحيحة .

وعليه ، لا بد من مصارحة الاطفال ببعض المشكلات الجنسية كي نبعد عنهم الخوف والقلق والحرمان ، ونحول دون الوقوع فيما وقعنا به من النظر الى الجنس نظرة مشوهة ، وان نبدأ بذلك ابتداء من تفنح عواطف الاطفال ، وهذه ، ولاشك ، تسبق فترة المراهقة بكثير ، لان ما نسميه تربية جنسية ليس الا جزء غير قابل للتجزئة من التربية العاطفية بوجه عام ، والتي لا يمكن لاحد ان يناقش في وجوب الالتزام بها .

ان ادب الاطفال يمكن ان يؤدي ، دورا كبيرا في التربية العاطفية ، بما فيها التربية الجنسية ، ما دام الادب يتسلل الى الذهن والعاطفة « بشكل مؤدب » . ونحن نعرف ان هناك صورا عارية مثلا تثير العاطفة الجنسية قبل كل شيء ولكننا نعرف في نفس الوقت ، ان هناك صورا اخرى ، رغم ما فيها من عري الا انها تعتبر من روائع الفن الجميل ، اذ هي لا تثير العاطفة الجنسية قدر ما تثير العواطف الانسانية الاخرى .

ومما يزيد في اهمية عناية ادب الاطفال بالتربية الجنسية ، هو ان البيت في مجتمعنا العربي ، والمدرسة ايضا ، ما تزالان ، حتى الان ، غير مؤهلتين للقيام بهذا الدور ، لان البيت والمدرسة ، ما تزالان تربطان الجنس بالتحريم والعموض والعقاب والذنب ، بحيث يشعر الطفل ان مجرد التساؤل عن اي قضية تخص الجنس امر هو اقرب الى الجرم .

وهنا ، لابد من الإشارة الى نقطة ، وهي انه ليس من المناسب ان تقدم كل الحقائق والمعلومات الجنسية للأطفال ، لأسباب عدة ، منها ان في الجنس امورا خصوصية ، وهذا يعني ان هناك اسرارا بين الاباء والابناء * او بين الكبار والصغار ، وهذه الاسرار ينبغي الاحتفاظ بسريتها الى حين ، اضافة الى ان كثيرا من الحقائق - وهذا ينطبق على كل مجال من المجالات الاخرى - لابد ان تظل امام الاطفال ليكتشفوها بانفسهم ويتعلموها حين يحين الوقت المناسب لذلك *

وليس هذا فقط ، بل اننا نرى ان الحقائق والمعلومات المقدمة للأطفال لا تعني شيئا في حد ذاتها اذا لم تسهم في بناء شخصيات الاطفال وتدفعهم الى التفكير والتأمل * بل ، ان اخطر الحقائق والمعلومات ، في نظرنا نحن الكبار قد لا تثير الاطفال اذا لم تقدم اليهم بكيفية مناسبة ، وسوف نرى ان ادب الاطفال لا يعني بالمعلومات والحقائق وحدها ، مثلما تفعل اكثر المناهج المدرسية ، لان أي لون من ألوان الادب لم يكن يوما حقائق ومعلومات وحسب *

وهناك ، من يرى ان يتجه ادب الاطفال ، في هذه الفترة الى الهاء الاطفال واشغالهم وتنمية الهوايات لديهم فقط ، ولكن هذا وحده لا يكفي لان « ما يقال من انه في استطاعتنا تحويل الطاقة الجنسية لدى المراهق عن طريق ميادين النشاط المختلفة لاستنفادها ، هي وسيلة غير كافية للتغلب على الاضطرابات الجنسية لدى المراهق ، اذ لا يمكن عن طريق هذا التحويل الا استنفاد نسبة معينة فقط من الطاقة الجنسية ، فالكثير مما يسمى : اعلاء ، هو في الحقيقة تحويل للقوة المحتبسة الدافعة الى مسالك اخرى تؤدي الى التعرض الى بعض الامراض النفسية » (٤٠)

وللاطفال في هذه الفترة ميول متعددة ، تسمح لهم بتوجيه نشاطهم في ميادين متعددة اهمها الحياة الاجتماعية ، في الوقت الذي يملك الاطفال الصغار اوقات فراغ كثيرة ، وقد اتضح من ابحاث Terman and Lima

ترمان وليما ان الرغبة في القراءة بقصد التسلية تصل قمتهما فيما بين ١٢-١٣ سنة ، وبعد ذلك ، نجد ان قراءة الفرد تحددها ميوله ورغبته في التزود بالمعلومات والخبرة . وقد ايدت ابحاث Eberhart عام ١٩٣٩ هذه النتائج ، حيث اتضح ان الطالب في الفرقة السابقة من مرحلة الدراسة الامريكية (وهي تعادل سن الثانية عشرة) يقرأ بمعدل ٣١ قصة في العام تنقص الى ١١ في سن السادسة عشرة (في الفرقة الحادية عشرة) ، يقابل ذلك ما يقرب من ٢٥٠ بالنسبة الى الكتب غير القصصية Non fiction Reading في سن الحادية عشرة و ٦٥-٦٠ كتب في الاعمار ١٦-١٧ سنة على التوالي ، ومعنى ذلك ان نوع قراءات المراهق وكمية ما يقرأ تختلف باختلاف العمر ، فهو ميال الى قراءات القصص في السنوات المبكرة من حياته ، وتقل تلك الرغبة في السنوات المتأخرة من مرحلة المراهقة ، بعكس ميله الى قراءة الكتب ذات المعلومات العامة التي تحددها ميوله واستعداداته ، فان هذه الرغبة تقل في السنوات الاولى من مرحلة المراهقة وتأخذ في الزيادة في السنوات الاخيرة . (٤١)

وتتنوع قراءات الاطفال في هذه الفترة بين القصص والفكاهات والروايات والاخبار والمقالات السياسية . كما انهم يقضون اوقاتا غير قليلة في الاستماع الى الراديو وتختلف اهتمامات الاولاد عن اهتمامات البنات في كثير من المجالات .

ويلاحظ ان اطفال هذه المرحلة يتابعون برامج الكبار في الراديو والتلفزيون ويميلون الى قراءة كتب وصحف الكبار ، وكثيرا ما تلاقي ، البرامج والكتب والصحف المقدمة اليهم على اساس انهم اطفال ، عزوفهم لانهم يسمون منها ما ينم على النظر اليهم كصغار في الوقت الذي يعتبرون انفسهم قد شبوا .

وهم لا يكتفون بقراءة القصص فحسب بل يميلون الى اختلاق الاقاصيص بالالتجاء الى عالم الخيال . وهذا ما يسمى باحلام اليقظة .

وليس هناك خطر في التجاء المراهق الى احلام اليقظة ، اذا لم يكن يفضل هذه الاحلام على الصلات السوية مع زملائه وزميلاته ، واذا لم يكن يلتبس فيها وسائل للتهرب من الصراعات الداخلية ، وما يشعر به من نقص . (٤٢)

وبوجه عام فان الناشئ في هذه المرحلة يميل الى انواع القصص الوجدانية والى قصص البطولة والجاسوسية ، والقصص التي تشمل حوادث العلاقات الجنسية ، والقصص التي تتحقق فيها الرغبات الاجتماعية والمصالح ، كالنجاح في المشروعات الاقتصادية ، والوصول الى درجة القيادة والزعامة (٤٣) .

وينبغي من خلال ما يكتب للاطفال ، في هذه المرحلة ، عدم تسفيه احساساتهم أو النيل من افكارهم او الاشارة الى انها نزوات صبيانية مثلا ، لان ما يميزهم في هذه الفترة هو حدة حساسيتهم الانفعالية ، وعدم اتزانهم ، وشدة تعرضهم لليأس ، وتبلور العواطف الشخصية نحو الذات والتي قد تتخذ مظاهر الاعتداد بالنفس .

وينبغي فتح المجال من خلال وسائط الادب للمراهقين لان يبدو اراءهم ، لان ذلك يشعرهم ان افكارهم تلاقي القبول والاحترام ، وقد تبين ان تمرد المراهقين في كثير من الاحيان يأخذ شكل اندفاع من اجل عرض آرائهم ، وهم حين يلاقون اية مقاومة فانهم يتمردون او يبدوون آرائهم بعجرفة .

ويمكن مناقشة المراهقين ، من خلال وسائط الادب مع عدم النيل منها بشكل مباشر ، من اجل كسب ثقتهم ، ومن توجيههم دون اشعارهم بالاحباط او الاذلال .

ومن الشائع في دور المراهقة ان نجد المراهق يبحث في اخطاء الآخرين مع ميله الى نقد تصرفاتهم ، ولا يتخذ هذا النقد شكلا سلبيا ، بل قد يكون

في بعض الاحيان مصحوبا باقتراحات عملية في الاصلاح ، ولا يقتصر هذا الميل على جماعة معينة من الناس او هيئة من الهيئات التي يتعامل معها ، بل نجد ان روح النقد شاملة فهي ضد الاسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة * وهذه الهيئات جميعا تكون مصدر ضيق للمراهق ، فهو لذلك لا يتوانى عن تقديمها محاولا اصلاحها ، واذا ما تعذر عليه ذلك ازداد ضيقه ، وقد يستند بعد ذلك تقده ، وقد ينطوي على نفسه يائسا من الوصول الى مأربه (٤٤) .

وكلما زادت خبرة المراهق زاد وعيه بمشكلات المجتمع الاجتماعية : سوء توزيع الثروة ، الفقر ، والضغط على الضعفاء * ونتيجة لذلك فأن اتجاهه نحو الآخرين يصبح اتجاها انسانيا ، ويتدرج شعوره هذا الى المجتمع ونظمه ، فينظر اليه نظرة فاحصة ، ولا يصل المراهق الى هذه الدرجة الا في مرحلة متأخرة من المراهقة حيث يكون قد حقق قدرا من النضج العقلي وبلغ قسطا من الثقافة .

ويختار المراهق من يريد من اصدقائه بنفسه ، ويرفض اى تدخل من والديه في ذلك الموضوع ، بعكس الطفل الصغير ، الذى لا يمانع مطلقا في ان يختار له الوالدان بعض الاصدقاء ، او ان يشار عليه بقطع علاقته بهم (٤٥) .

ويبدو ان المراهق في الدور الأخير لهذه المرحلة يبدأ في تكوين عواطف نحو الاشياء الجميلة ، فنجدته يحب الطبيعة ، ويعشقها ، ويعبر عن تلك الظاهرة بالرومانسية ، وبجانب ذلك ، فانه يبدأ بتكوين بعض العواطف المجردة التي تدور حول موضوعات معنوية كالتضحية والدفاع عن الضعيف .

ويكون المراهق واسع الخيال ، ويبدو ذلك جليا في كتاباته ، بعكس ما فلاحظه على كتابات الاطفال في المدرسة الابتدائية * واصدق تعبير نستعمله لاجل ان نفرق بين اساليب الخيال عند الاطفال الصغار والمراهقين ، ان اساليب

الفئة الاولى هي اساليب ضحلة ، ساذجة ، بسيطة ، ليس فيها صناعة، بينما أساليب الخيال عند المراهق فيها تزيين وزخرفة(٤٦) .

وفي اواخر مرحلة المراهقة يبدأ الطفل بالدخول الى مرحلة النضوج العقلي والاجتماعي ، ويكون قد كون بعض المبادئ الاجتماعية والخلقية والسياسية سواء اكانت خاطئة ام صحيحة ، وتنضج ، في الغالب ، ميوله وإتجاهاته في الحياة ، ويكون له رأى فيما يحيط به من بيئته الاجتماعية وفيما يتعلق بحياته . وفي هذا الطور يظل الفرد متأثرا بحاجاته الجنسية ، ومن الصعب تحديد نوع القصة التي يميل اليها بسبب ما يعتري حياته من تعقيد ، وان كان لدراسته ومعارفه ومهنته ونشاطه الاجتماعي في الحياة وميوله وثقافته اثر في اختيار الالوان الادبية المحببة اليه . ولما كان لكل فرد ، في هذه المرحلة التي تمثل أواخر فترة المراهقة مثل خلقي واجتماعي اعلى كانت أنسب القصص له ما انتصر فيها مثله الاعلى ، ولهذا لا يمكن حصر انواع القصص المناسبة لهذا الطور لتعقد حياة الفرد ولاختلاف المثل العليا . (٤٧)

ولكن ادب الاطفال يمكن ان تتحدد اهدافه في هذه المرحلة في اشباع حاجات الاطفال وفي توجيههم توجيها نفسيا واجتماعيا وتعليميا ومهنيا .

الفصل الثالث

قراءات الأطفال

المبحث الاول

الاطفال والقراءة

في البداية ، لابد من التعرف الى بدء علاقة الاطفال بالكتب والمجلات والمواد المطبوعة الاخرى :

يملك الاطفال اليوم ، بدرجات متفاوتة ، مجموعة من الخبرات عن الكتب والمجلات منذ سنوات طفولتهم الاولى ، ذلك لان الوسائل المقروءة اصبحت جزء من حياة الناس التي تؤلف بيئة الطفل ، فمثلا يمكن لطفل صغير ان يتعرف الى القطة او الشجرة او النار يمكن ان يتعرف الى المطبوعات * وخبرات الاطفال الذين يعيشون في بيوت « تتراكم » فيها الكتب اكثر من خبرات غيرهم *

وعلى هذا لا يمكن القول ان اللقاء الاول بين الطفل والمطبوع ينشأ في المدرسة إذ تسبق ذلك لقاءات كثيرة ومتنوعة ، قد تكون حميمة وقد لا تكون ، وفقا للتجارب الفكرية التي يكونها الاطفال عن المطبوعات .

والقراءة بمعناها الاعتيادي ، تبدأ مع دخول الطفل الى المدرسة : حيث يجمع خبراته الطويلة التي حصل عليها اثناء نموه قبل التحاقه بالمدرسة استعدادا للشروع في القراءة التي تأخذ بالتقدم حتى تصبح قراءة واعية يستطيع من خلالها ان يفهم ما يقرأ .

ومرحلة ما قبل القراءة تمر بخطوات متتابعة ، يمكن اجمالها في الخطوات التالية :

الخطوة الاولى ، لا يبدي الطفل (وعمره في هذه الخطوة عام واحد) اهتماما بالكتاب وينظر اليه نظراته الى الاشياء الاعتيادية الاخرى في محيطه : وحين يقع بين يديه كتاب ، فهو يلهو به ويمزق صفحاته او يقضمه باسنانه الناعمة .

وفي الخطوة الثانية ، يبدي الطفل (عمره في هذه الخطوة ١٥ شهرا) بعض الاهتمام بالصور فيجبل بعينه نحوها ، ويمد يديه اليها ، ويتحسر الصور البارزة . وتعد للاطفال في هذه الخطوة كتب غير قابلة للتلف بسهولة ، وتتضمن صورا للاشياء الاعتيادية في محيطه .

وفي الخطوة الثالثة ، يشير الطفل (وعمره ١٨ شهرا) الى الصور ويصدر كلمات يعبر بها عن اسماء بعض الاشياء واسماء بعض الحيوانات او عن اصواتها ، كاصوات القطط او الكلاب ، وهذا التعبير هو قراءة الطفل للكتاب .

وكتب الاطفال في هذه الخطوة تتضمن صورا لحيوانات واشياء منها ما هي مألوفة للطفل ، ومنها ما هي غير مألوفة .

والخطوة الرابعة ، وهي مرحلة حب القصص القصيرة البسيطة حيث يدرك الطفل (وعمره فيها سنتان) ان للصور معان اعمق من مجرد الانبياء التي تدل عليها ، ويجب ان يستمع الى من يحدثه عن الصور المسلسلة ، او ان يقص عليه هذه القصص البسيطة منها * ويبدأ الطفل بملاحظة الحروف الكبيرة المطبوعة على الصفحات ** ونظرات الطفل الى الكتاب هي قراءته له *

وفي الخطوة الخامسة ، وهي خطوة البحث عن المعاني ، يبدأ الطفل (ويكون عمره قد تجاوز عامين ونصفا) حركته واثفالاته نحو الصور ومشاركته الوجدانية لها ، كأن يضرب الصورة او يقبلها او يحاول التقاط شيء منها او يكملها *

وييدي الطفل اهتماما بما يقال له عن هذه الصور ، ويحاول ترديد بعض ما يقال له ويستمتع بالقصص المرسومة وبالمعلومات التي لها علاقة بالانبياء الكبيرة المتحركة كالطائرات والسيارات والسفن وغيرها * ويحلو للطفل التخطيط على صفحات كتابه بالاقلام الملونة *

الخطوة السادسة ؛ وهي مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف حيث يبدأ الطفل (يكون عمره ثلاث سنوات) مع اخوانه في تمثيل القصص وتصوير وقائعها مثلما يقصها عليهم الكبار * ويستطيع الطفل ان يتعلم جملا تصحب الصور بما لا يزيد عن جملتين * وينصت الى الجمل التي تقال له ، وتزداد قدرته على تفسير الصور والقصص وسرد قصة بسيطة ذات حادثتين او ثلاثة حوادث مترابطة * وينبّه ، بشكل اكبر الى الحروف الواضحة في الكتاب *

وفي الخطوة السابعة يأخذ الطفل (عمره اربع سنوات) في مشاركة الاطفال الاخرين في اللعب في خارج بيته ، ويهتم بما يثير الضحك في الكتب ، وخاصة الصور الهزلية ، وتصبح له القدرة على حفظ قصصها وسردها ،

وتسره القصص الخيالية ، ويريد لكتبه ان تكون ذات صور واضحة ودقيقة،
ويأخذ بالتساؤل عما يجهل له سببا او جوابا •

وكتب اطفال هذه المرحلة تستعين بالكلمات بشكل اوسع ، بل تبدأ
الكلمات في منافسة الصور ، وهم يحفظون كلماتها ويميلون الى ترديدها •

وبين سن الخامسة والتصف والسادسة يمر الطفل في مرحلة الانتقال
من مرحلة ما قبل القراءة الى مرحلة ممارسة الوان النشاطات المتعلقة بالقراءة
نفسها ، وهي مرحلة دقيقة وحاسمة يحس الطفل فيها بالحاجة الى القراءة بعد
ان يكون قد كوّن معظم مهاراته الاساسية اللازمة لها • (٤٨)

ومن الامور ذات الاهمية ان يكون لدى الاطفال ، نتيجة لجهودهم
الباكرة في القراءة ، شعور لطيف ناشئ عن رضاهم عن انفسهم وحسن
تقديرهم لذواتهم • وعندما تكون اتجاهات الطفل نحو القراءة صحيحة ،
وتكون المادة التي يتطلب من الطفل تعلمها في نطاق قدرته - اى انها لا تكون
غاية في السهولة فتخلو من روح التحدي لقدرته او غاية في الصعوبة فتدفعه
الى الفقرة منها - وعندما يكون التعلم ماضياً في طريق النجاح ، لا بد ان تنشأ
لدى الطفل حاجة طبيعية للاستمرار في التعلم ، كما لا بد ان يستقبل المراحل
التي تأتي بعد ذلك من مراحل تعلم القراءة في اهتمام وسرور ، وهذا الشعور
يخدم عمليات التعلم عند الطفل كما يساعده في الاحتفاظ بما يتعلمه •

وحاجة الطفل الى تعلم القراءة تتوقف على طبيعة تجاربه السابقة فيها ،
كما تتوقف على ما اذا كان قد تعلم كيف يستمتع بها ، وكيف ينمو نموا طبيعيا
وكيف يستقبل تطورات هذا النمو •

اثر القراءة في الاطفال

يقول سومرست موم ؛ ان الشهية للقراءة تنفتح على ما تنغذى به ،
اكثر من تفتحها على اي شيء اخر ، وكلما ازدادت قراءات الناس وانسعت
اذواقهم ، ادركوا مقدار المتعة التي يمكن تلمسها في ثنايا ما يقرأون •

وهو يرى ان ما ينشأ عن القراءة من سعة الافق ، واستقلال في الرأي ونمو في روح التسامح وكرم الاخلاق ، يمكن اعتباره فيما بعد « حدثا من اهم احداث ايماننا الحاضرة » .

وقد عرفنا ان الطفل يمكن ان يتأثر بالكتاب قبل دخوله المدرسة . وكثير من الامهات والاباء يجهلون مثل هذا الاثر ، لذا لا يظهرون اهتماما بكتاب الطفل الصغير ، بذريعة ان الطفل لم يتعلم القراءة بعد . وفي هذا تجاهل او جهل بأثر المنبهات في عملية تعلم الطفل .

وكتاب الطفل الصغير، الذي لم يتعلم القراءة بعد ، يشوقه الى الاهتمام بالقراءة فيما بعد . ومن ناحية اخرى فان تصفح الكتاب مع الطفل الصغير يعينه على تعلم اللغة بشكل سليم ، ويفتح أمامه افقا واسعة من المعرفة والاكتشاف .

وتصفح الام والطفل للكتاب يوجد علاقة من نوع جديد بين الام والطفل تشبهه بادخال اللعبة في حياة الطفل، والفارق بين اللعبة والكتاب في هذه المرحلة الباكرة من الطفولة ، انه يمكن ترك الطفل ليلعب بلعبته بمفرده ، بل كثيرا ما تستخدم الام اللعبة لتشغل الطفل بها في حالة انتغالها او غيابها ، اما الكتاب فيحتاج الى وجود الام ، وبذلك يعمل الكتاب على نقل علاقة الطفل بامه من علاقة فيزيقية « الرضاعة والحاجة الى الطعام والنظافة ... » الى علاقة فكرية روحية . ففي اثناء التصفح تسأل الام طفلها عما يراه ، وتساعد في التعرف على ما لا يستطيع تبينه ، بل ان عملية تقليب الصفحات هي عملية فنية لأصول التعامل مع الكتاب^(٤٩) .

وتنتيجة التصفح ، ستجد الام طفلها ، وهو يقبل على الكتاب بعد ذلك، ويذهب لاحضاره بنفسه ، ويطلب من امه اعادة مرافقته له في كتابه ، وتكرار هذه الخبرة السعيدة التي يشعر بها الطفل بالمشاركة الوجدانية والمحبة العميقة التي تربط بينه وبين امه . ومن هنا ينشأ الشعور بثقة الطفل وقدرته

على الاعتماد على مستوى ناضج يتمثل في الام او الاب في هذه المرحلة ، ثم المعلم في المدرسة ، ثم الرئيس في العمل (٥٠) .

وتنشأ ثقة من نوع اخر بالكتاب ، فيعتمد الطفل عليه كمصدر موثوق للمعرفة وهنا يبدأ الطفل بمواجهة الواقع ، وهو ان الوالدين ليسا مصدر كل معرفة ، وانه من الاجدى والانفع في حالات كثيرة الالتجاء الى الكتب .

وتلي عملية التصفح ، عملية القراءة للطفل بصوت معبر يجذب انتباه الطفل . ومن المهم ملاحظة هذا التدرج في الاقتراب الى الطفل ، ففي عملية التصفح يترك الجانب الاكبر للطفل ، ليلاحظ ، ويعبر ، ويسأل . وبذلك لا يشعر بالدونية ، او ان العملية فوق مستواه . وفي عملية القراءة تدخل عوامل اخرى منها التعبير الصوتي ، الذي يضع الاساس لنشاطين مهمين هما الاستماع الى الموسيقى ، والتمثيل او التذوق المسرحي .

وقراءة الكتاب تصاحبه عادة مشاهدة الصور وتأمل الحروف . مما يدعو الطفل الى ان يمسك بالقلم ويحاول رسم ما يرى او يقلد اشكال الحروف . وهذا يغرس في نفس الطفل مبادئ الاهتمام بالفنون التشكيلية .

ومن هذا يتضح ان الام تستطيع في هذه الفترة الباكرة من تلك المصاحبة لطفلها ، سواء عن طريق تصفح الكتاب معه ، او قراءته له ، ان تتبين مدى قدرته العقلية ، وما اذا كان موهوبا او متوسط الذكاء او متخلفا عقليا . كذلك قد تكتشف بعض المعوقات البدنية مثل الحول او ضعف السمع وما الى ذلك ولا شك ان اكتشاف هذه الجوانب في الوقت المناسب تتيح الفرصة لعلاجها في وقت مبكر قبل ان تنشأ عنها بعض المضاعفات او العاهات ، كما ان تعرف الوالدين الى درجة ذكاء الطفل ومواهبه تساعد على توجيهه الوجهة المناسبة . أما من ناحية الطفل نفسه ، فان اعتياده على الكتاب يخلق بينهما ألفة ومودة ، ودفع العلاقة بين الطفل وامه او ابيه في صحبة الكتاب

تجعل الطفل يفتح على افاق المعرفة طالبا المزيد • وكثيرا ما نرى اطفالا يعزفون عن القراءة واخرين يقبلون عليها • والعزوف والاقبال على القراءة اتجاهاً تغرس بذورهما في تلك المرحلة الباكرة من العمر ، واساسهما نفسي بحث (٥١) •

وهناك نوعان من النمو في ميدان القراءة ، نمو عملية القراءة ذاتها ونمو المهارات والمفاهيم والاتجاهات التي تجعل عملية القراءة ذاتها عملية ناجحة • فالطفل يبدي تقدما في القراءة ، مثلا ، اذا استطاع ان يحصل من السياق على معنى الكلمة غير المألوفة لديه ، واذا ادرك الافكار الرئيسة في فقرة معينة ، وميز بوضوح بينها وبين التفاصيل الثانوية ، واذا قام بتحليل ناقد للمادة المقروءة ، وفحص مدى صحتها ومدى قابليتها للاعتماد ، واذا ربط بينها وبين خبرته السابقة •

ومهما بلغت أهمية هذا النوع من النمو فانه لا يعدو ان يكون وسيلة لغاية ، فالغاية من القراءة هي نمو الفرد وتقدمه نتيجة لقراءته ، وهذا النوع من النمو يمثل في مدى قدرة القارئ على ان يحدث - على ضوء ما قرأه - تكييفات شخصية واجتماعية ، وان يشترك بتعاطفه في حياة الآخرين ومشكلاتهم • وكلما نما الاطفال عن طريق القراءة ، زاد الاحتمال في ان يصبحوا افضل ، بوصفهم افرادا ، او اعضاء في الجماعات التي ينتمون اليها • وكل برنامج يعد لتنمية احد نوعي القراءة وحده ، دون ان يتخطاه الى النوع الاخر يهدده خطر الانحياز الى جانب واحد ، كما يعرض للخطر النمو المتكامل للطفل (٥٢) •

وتفسير الاحصائيات حول قراءات الاطفال ، ان الذين يقرأون منهم قراءات حرة خاصة بهم في مقدمة التلاميذ ، وثبت ان العجز في القراءة يعيق عملية التحصيل ، وان الطفل لا يستطيع ان يتقدم في عمله المدرسي وحياته العامة ما لم يكن قارئاً جيداً لكتبه المدرسية وللمطبوعات الاخرى المخصصة للاطفال • وهذا ينفي نفياً قاطعاً ما يقال من ان قراءات الاطفال الحرة تؤثر

تأثيرا سالباً على تحصيله المدرسي • الى جانب ما للقراءة « من اهمية في توسيع ميول الاطفال وترقيتها واخصاب خبراتهم وانمائها ورفع مستواهم في جميع نواحي النمو » • (٥٣)

وحين تقصر المدرسة همها في حشو اذهان التلاميذ بالمواد المدرسية التي يحتويها منهج الدراسة عن طريق التلقين والحفظ من الكتب المدرسية ، بقصد النجاح في الامتحان ، تكون قد فشلت في اعداد الطفل للحياة ، لان هذا الاسلوب يفوت على التلميذ اشياء كثيرة ، فهو قد يستوعب الدروس ، وقد يجد القدر الكافي منها في الكتاب المدرسي ، وقد ينجح في امتحان ، ولكنه يفشل في الحياة بعد التخرج من المدرسة ، لان اكتساب القدرة على جمع الحقائق من مصدرها قد فاته ، كما فاتته رؤية المسائل من زوايا مختلفة ، حيث انه لم يراها الا من كتاب واحد ، ومن وجهة نظر مؤلف واحد ، وفاته اكتساب القدرة على تعليم نفسه بنفسه ، كما فاتته الاعتماد على النفس ولذو البحث ، وما تدفع اليه من الجد والصبر والمثابرة (٥٤) •

وتمهد القراءة للطفل طريق الاستقلال ، عن ابويه وعن الكبار ، بوجه عام ، لانها وسيلة تخرجه شيئاً فشيئاً من اعتماده على ابويه واحتمائه بدفع حضنيهما ، وتبعده عن اتكاله على حنايهما لانه يحيا مع قراءته حياة جديدة • ويقول الباحثون بشؤون التربية : ان القراءة تخرج الطفل لسويغات من طوق عاطفة الامومة والابوة المفرطة التي تعود الطفل ، في كثير من احيان ، على الانانية ، وحب الذات •• وهذه بالتالي تحول بينه وبين الجرأة والشجاعة والتضحية والاخلاص ، لان عاطفة الام والاب المفرطة ازاء الطفل تلتقي في النهاية مع الانانية •

ومن هنا يتضح ان القراءة ذات تأثير ايجابي كبير في مستوى الطفل الدراسي ، كما انها ذات تأثير في مستقبله فيما بعد •

ان اللحظات السعيدة التي يدخلها مطبوع اتيق مناسب الى نفسية الطفل

تهيء له ان يسعى من اجل مطبوع ثان ، وثالث ، وبالتالي يتهيأ له التفاعل مع الحياة والعمل من اجل تكييفها ، وقد يقود به ذلك الى ان يمسي باحثا او اديبا او عالما او مخترعا ، او ، قد : يسمي طاقة تنبض بالقوة والحيوية والاخلاص .

وتلعب القراءة دورا مهما في تمضية وقت فراغ ممتع ، تهيأ للطفل فيها خبرات متعددة ، فضلا عن المتعة العقلية .

وعلى هذا فقراءات الاطفال تحدث تكييفات في حياتهم ، وتضفي عليها لونا جديدا وطابعا متميزا ، لانها تفعل فعلها في شخصياتهم ، وتزودهم بالخبرات والمهارات التي تعينهم على تنمية قدراتهم وتفتح اذهانهم وتوسع افاق خيالهم ، وتؤثر في سلوكهم واتجاهاتهم ، فضلا عن انها عنصر بارز في العملية التعليمية . والطفل الذي يشب بعيدا عن القراءات الحرة في صغره يظل عازفا عنها في الغالب ، طيلة حياته ، ويصعب على اجهزة التنشئة الاجتماعية المختلفة التأثير فيه ، في كبره ، بسبب عدم تكامل شخصيته ، ولذا يجد نفسه متخلفا في عصر يتميز بسعة افاق المعرفة .

المبحث الثاني

تنمية ميول الاطفال القرائية

في البداية من الضروري وضع اجابة للتساؤل :

— هل يجب ان يعلم الاباء ابناءهم القراءة قبل ان يلتحقوا بالمدرسة ؟

— ان الدلائل كلها تثبت ان الاباء والمعلمين لا يستطيعون ان يتعجلوا الطفل في تعلم القراءة قبل الاوان ، شأن اي مظهر من مظاهر النمو . اما كون الطفل يستطيع تعلم القراءة قبل الالتحاق بالمدرسة او لا يستطيع ، فهذا يتوقف على سرعة نضجه العقلي او بطئه ، بل ان الطفل البطيء النضج عقليا ، قد يتعطل في تعلم القراءة حتى بعد ان يدخل المدرسة ويقضي فيها عاما او عامين ، بينما يتلهف الطفل السريع النضج عقليا ، القوي الاستعداد الى تعلم القراءة قبل أن يدخل المدرسة بوقت غير قصير . وعلى هذا ، فان الاسراع بتعليم القراءة لأي طفل قبل بلوغه النضج الكافي يؤدي الى عواقب سيئة . والطفل الذي ندفعه الى تعلم القراءة قبل الاوان ينشأ لديه ، في الغالب ، شعور بعدم الثقة في نفسه وبأنه شخص فاشل ، لانه يحس بأنه غير قادر على أن يفعل

ما يريده له الكبار من حوله * * * ويقود هذا ، الى شعوره بالهزيمة ، والى كراهيته المدرسة والتعليم والقراءة (٥٥) *

وقد اقيمت تجربة في هذا الموضوع في احدى المدارس اسفرت عن ان التلاميذ الذين يؤجل تعليمهم القراءة سنة ونصف بعد دخول المدرسة يستطيعون ان يلحقوا بزملائهم الذين سبقوهم في التعليم بل ويتفوقوا عليهم *

وفي هذه التجربة ترك ٢٥ تلميذا بدون محاولة لدفعهم على تعلم القراءة لمدة سنة ونصف ، ولكن جو الصف كان مليئا بالرسوم والصور ، ويمكنهم النظر اليها كما شاءوا ، وكان المعلم يجيب عن اسئلتهم ، ويقرأ لهم اذا طلبوا ذلك * ومع ان المعلم كان يكتب امامهم على السبورة الا انه لم يبذل معهم اي محاولة يضطرهم بها الى تعلم القراءة بانتظام في كل درس ، ولم يعطوا تمارين ولا اختبارات *

اما المجموعة الثانية فأعطيت دروسا منتظمة في القراءة بالطرق المعروفة وكان عددهم ٢٥ ايضا وكانوا متكافئين مع المجموعة الاولى من حيث السن ومستوى الذكاء ، بل وفي الوسط الاجتماعي الذي جاءوا منه واستمرت التجربة سبع سنوات ، وفي السنة الثانية كانت المجموعة الاولى مختلفة عن الثانية ، ولكن في نهاية السنة الرابعة كانت الاولى متقدمة عن الثانية بنصف سنة تقريبا ، وزدادت سرعة تقدمها كثيرا عن المجموعة الثانية في نهاية السنة السابعة *

وفي نهاية السنة الثالثة قام احد علماء النفس بفحص المجموعتين من غير ان يعرف ايها مجموعة التجربة وايها مجموعة المقارنة ، فوجد ان مجموعة التجربة كانت متفوقة في التلief والرغبة في التعلم والتلقائية في التعبير وتوجيه النشاط الذاتي والتعاوني *

كما قام معلم بعمل تقديرات لتلاميذ المجموعتين فتفوقت مجموعة

التجربة ايضا ومعنى ذلك ان التلاميذ استفادوا من تأجيل دفعهم لتعلم القراءة ، ولم يخسروا شيئا ، والسبب في ذلك هو ان احدا من مجموعة التجربة لم يقاس من الشعور بالخيبة ولم يتعرض للقتل (٥٦) .

وحاجة الطفل الى تعلم القراءة تتوقف على طبيعة تجاربه السابقة فيها ، كما تتوقف على ما اذا كان قد تعلم كيف يستمتع بها ، وكيف ينمو نمو طبيعيا ، وكيف يستقبل تطورات هذا النمو .

والاطفال الذين تتكون لديهم خبرات سعيدة مع الكتب منذ سنوات اعمارهم الاولى ، تنشأ لديهم الرغبة في القراءة قبل ان يذهبوا الى المدرسة بوقت طويل (٥٧) .

والقراءة ذات تأثير مزدوج دائما ، فاذا كانت القراءة قد علمت الانسان كيف يتناول الدواء للشفاء ، فانها علمته كيف يتناول السم منتحرا . . . والطفل الذي يعتاد القراءة في صغره فتقود به الى ان يصبح طاقة خلاقة في مستقبل حياته ، فانها اذا اسيء توجيهها تصبح ذات خطر وييل على الطفولة . . . وكم من لقاء عكر بين الاطفال وبين المطبوع جعل منهم ينفرون نفرة شديدة من القراءة ، لذا كان من الضروري تنمية ميول الاطفال القرائية تنمية سليمة .

ونحن نعلم ان توصيات المعلم لتلاميذه لكي يقرأوا ، لا تعني انهم سيلبون الوصايا ، سواء كانت تلك الوصايا بشكل اوامر او نصائح ودية . . . ان هناك اكثر من سبيل لتنمية ميول الاطفال القرائية (٥٨) .

ولكي نمي ميل الاطفال الى القراءة ، يجب ان نعنى عناية دقيقة بالمادة المقروءة وبالثوب التي ترتديه ، بحيث يجدون فيها ما يناسب اذواقهم وما يثير فيهم عواطف وانفعالات سارة .

ومما ينمي ميول الاطفال القرائية ، الجو العام الذي تهيئه للطفل اثناء القراءات الاولى ، بوجه خاص ، بما في ذلك المكان ، والزمان ، والمرشد ، سواء كان ابا ام ام معلما ام أمينا للمكتبة . وهذا ييسر للطفل ما يتعرض له

من صعوبات ، ويغريه ، ويشجعه على القراءة بمختلف السبل ، من حيث اظهار المرشد اهتمامه بما يقرأ الطفل ، او بمشاركته له في القراءة احيانا ، او التحدث معه عقب القراءة في مناقشة طريفة ممتعة .

ومن الثابت في علم النفس ان ادراك الشخص لنتائج اعماله يشجعه على متابعة العمل ، وهذا يكون من المفيد ان يشعر الطفل بنتائج قراءاته بالوسائل المختلفة ، كالاستفسار منه عن بعض جوانب ما قرأ او الاستماع اليه يتحدث عما قرأ ، او يقص علينا القصص بحيث نقبل منه ما يستخلصه من غير ان نفسه آراءه او نقلال من قيمتها او نبالح في تجسيم اخطائه (٥٩) . واية سخرية او تأنيب او عدم اشباع حاجة الطفل الصغير تشكل نوعا من الاعاقة الانفعالية التي تقف في سبيل تقدمه ونشاطه (٦٠) .

وفي الوقت الحاضر ، ينتقد الكبار ، في كل مكان ، طريقة تعبير الشباب عن انفسهم ، ويقولون : ان الشباب مترددون ومربوطو اللسنة ، وغير دقيقين . ويصفون مظاهراتهم الصاخبة واغانيهم وموسيقاهم ، وفنونهم المختلفة بانها : افكار قصيرة العمر ، وكلائش لشعارات مغناة . ويرجع المربون ذلك الى عامل رئيس هو عدم ميل الشباب الى القراءة في مرحلة طفولتهم ، ولكن كثيرا ممن يوجهون هذا الاتهام الى الشباب ينسون انه في اقطار كثرة ينتسب الشباب الى طبقات اجتماعية متخلفة ، وهم لا يميلون الى القراءة لانهم لم يجدوا ما يهوى لهم اسباب القراءة او يشجعهم عليها (٦١) .

وتتنالى في الوقت الحاضر الجهود في كثير من بلدان العالم من اجل تشويق الاطفال الى القراءة حيث تعمل الهيئات التربوية والثقافية ومؤسسات النشر الخاصة بالاطفال من اجل تقديم المادة المقروءة الى الاطفال في صيغ جذابة عن طريق كتب ومجلات مزدانة بالرسوم والالوان الجميلة ، ومطبوعة طباعة فاخرة بحروف واضحة .

اما المكتبات فتعتمد الى اغراء الاطفال عن طريق تهيئة اجواء مناسبة للطفل تجذبه للبقاء فيها اطول مدة ممكنة ، فالقاعات نظيفة واسعة ، مكيفة

الهواء لها مقاعد ومناضد مريحة وسجاجيد لمن يرغب من الاطفال ان يقرأ نائما ، والجدران مزينة بلوحات ورسوم جذابة ، وتلحق بالمكتبات حدائق يقرأ الاطفال تحت اشجارها او تحت نور الشمس ، وساحات يلهون بها في فترات الاستراحة .

وتترك للطفل ، عادة ، حرية اختيار الكتاب بنفسه ، حيث تنظم الكتب في رفوف مفتوحة ، دون ان يتدخل عاملو المكتبة في فرض ارائهم .

ويجد الاطفال في مكتباتهم ، اضافة الى الكتب والمجلات والصور والرسوم والخرائط ووسائل اللهو والثقافة الاخرى كالأفلام السينمائية والاسطوانات الموسيقية ، واسطوانات الحكايات والقصص والمعلومات ، حيث يستطيع الاطفال ان يستمعوا الى القصص والحكايات في غرف خاصة يطلقون عليها مستودعات القصص والحكايات .

وكل ما يجده الاطفال في مكتباتهم ، سواء كانت مجلات ام كتباً ام وسائل لهو وثقافة ، فانها مصممة وفق مواصفات تربوية .

ويتولى شؤون المكتبات في العادة خبراء يفهمون نفسية الطفل ، بل هم يفهمون جيداً الاجابات الصحيحة للأسئلة الثلاثة الاساسية في هذا المجال وهي ؛ لماذا يقرأ الاطفال اولاً ، وما يجب ان يقرأ الاطفال ثانياً ، وكيف يجب ان يقرأ الاطفال ، ثالثاً .

وفي ختام حديثنا عن تنمية الميول القرائية للاطفال ، نشير الى ان عزوف الكبار اليوم عن القراءة في مجتمعنا العربي مرده ، بالدرجة الاولى الى ان عملية تنمية تلك الميول لم تتم اثناء الطفولة . ونؤكد ان خلق العلاقة الحميمة بين الفرد والكتاب هي خير عملية لتنمية القراءة .

البَابُ الثَّانِي
أَوَّلُ الْأَصْفَالِ

الفصل الاول

نظرة عامة

ادب الاطفال ، فرع جديد من فروع الادب الرفيعة ، يمتلك خصائص تميزه عن ادب « الكبار » رغم ان كلا منهما يمثل اثارا فنية يتحد فيها الشكل والمضمون .

وليس بالوسع تحديد موضوعات ادب الاطفال ، لان ميادين الادب ، سواء كانت للكبار ام للاطفال - فسيحة واسعة الافاق ، ولكن يمكن القول ان موضوع ادب الاطفال هو عرض للحياة من خلال تصوير وتعبير متميزين .

واذا اريد بأدب الاطفال ، كل ما يقال اليهم بقصد توجيههم فانه قديم قدم التاريخ البشري ،حيث وجدت الطفولة . اما اذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط فنية ونفسية واجتماعية وتربوية ، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول الى الاطفال ، فانه - في هذه الحالة - ما يزال من احدث الفنون الادبية .

وحيث ان هذا الادب قد بلغ عصرا من عصور ازدهاره اليوم واتخذ له

تقاليد خاصة ، لذا لا يمكن القول ان ما كان يقال الى الاطفال هو جزء من ادب الاطفال ، رغم ان هذا يحرمنا من الفخر بزياد ايينا ادم وامنا حواء - في هذا المجال - واللذين تحدثا - دون شك - الى ابنيهما كثيرا !

وعليه ، فان ادب الاطفال ، في مجموعه ، هو الاثار الفنية التي تصور افكارا واحساسات واخيلة تتفق ومدارك الاطفال وتتخذ أشكال : القصة : والشعر والمسرحية ، والمقالة ، والاغنية *

ويؤلف ادب الاطفال دعامة رئيسة في تكوين شخصيات الاطفال عن طريق اسهامه في نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي وتطوير مداركهم واغناء حياتهم بالثقافة التي نسميها ثقافة الطفل ، وتوسيع نظرهم الى الحياة وارهاف احساساتهم واطلاق خيالاتهم المنشئة * وهو ليس اداة - بحد ذاته - لفائدة الطفل بقدر ما هو اداة للنهوض به وبالمجتمع كله * انه وسيلة من وسائل حياة الطفل التي هي اساس حياة المجتمع كله * وعليه يقوم البناء النفسي والاجتماعي والعاطفي والعقلي للانسان الجديد *

وادب الاطفال لم يكن طارئاً على الادب العربي فحسب ، بل هو طارئ على الآداب العالمية كلها ، لان الانسان لم يقف على سلوك الطفل وقفة علمية الا في السنين الاخيرة * ولا عجب في ذلك ، لان اهتمامات الانسان ودراساته ، منذ اقدم الازمنة ، بدأت كاهتمامات كونية بعيدة عن حياة الانسان نفسه * حيث تطلع الى النجوم والكواكب وتأمل الظواهر الطبيعية ، بغية التعرف اليها ، في محاولة لاختضاعها تحت سلطانه ، قبل ان يحاول التعرف الى طبيعة سلوكه الانساني * والدراسات الانسانية ، وبوجه خاص النفسية منها ، تعد اليوم حديثة العهد ، اذا ما قيست باعمار العلوم الفلكية والكونية الاخرى * والحكايات والخرافات التي كان يتناقلها الناس منذ عصور الانسان الاولى ، هي حصائل نظراته الى الحياة ، وخلاصة لتجاربه المحدودة ، وتصوير لاهساساته وخيالاته وانفعالاته *

ولا يمكن اعتبار تلك الحكايات والخرافات ادبا حقا للاطفال ، حتى وان كان الاطفال يومذاك يستمعون اليها مع الكبار . ذلك ان الانسان لم يراع في صياغتها تلاؤمها مع خصائص الطفولة وميزاتها * وقد تضمنت اكثر الحكايات والخرافات التي صاغتھا الانسانية عبر تاريخھا المديد على مواعظ جافة وعبر قاسية وتوجيهات كثيية *

والملاحظ ان ادب الاطفال في بدء نشوئه قد اعتمد على تلك الخرافات والحكايات ، واستمد منها نزوعها الى فرض القوانين الاخلاقية وعرض العظات الارشادية الثقيلة *

والانسان لم يكتشف الطفل ، الا في وقت متأخر جدا ، وفي المجتمعات ، قبل عصر التعلم ، كان الطفل مرئيا من خلال علاقته الاجتماعية والاقتصادية والدينية للقبيلة او الطائفة التي ينتمي اليها^(١) *

وكانت النظرة الى الاطفال ، قبل سنوات غير بعيدة ، ترى انهم رجال صغار ، ليس بينهم وبين الراشدين من فوارق الا في الدرجة * في حين أن الطفل كائن فريد في ذاته له طرق تفكير وله انفعالات وميول خاصة به ، وقد أوحى تلك النظرة الخاطئة التي ترى الطفل رجلا مصغرا ، بنظرة خاطئة أخرى ترى ان أدب الاطفال ليس الا شيئا مبسطا من أدب الكبار *

ولكن تبين للباحثين ان الاطفال ليسوا راشدين صغارا ، لهم كل ما للراشدين من صفات عقلية وعاطفية وحسية وخيالية بصورة مصغرة أو قليلة ، بل لهم صفاتهم الخاصة بهم * ومع أن عملية نمو الطفل هي عملية مستمرة ، لكنها تمر بمراحل مختلفة السرعة ، ومختلفة الاتجاه ، فهناك خصائص معينة لا تظهر الا في فترات معينة من مراحل النمو ، واخرى تضمر ، وقد تنمحي ، وثالثة تأخذ اتجاها جديدا *

ولو حاولنا ان نتبع نشأة ادب الاطفال ، بصورة أدق ، لاكتشفنا أن الاطفال ظلوا يتامى الادب حتى وقت قصير * * فقد سعى الاقدمون الى فرض

طرائق تفكيرهم واساليب عملهم التقليدية على اطفالهم دون الالتفات الى عواطف الاطفال وميولهم ونوازعهم ، وتراءت لهم في بعض نوازع الاطفال وميولهم شروخ عملوا على كبجها •

لقد سعى الاقدمون لتكوين ابناء لهم يشابهونهم في كل شيء •
والصيحة القائلة : « انك تحاول جعل ابنك شخصك الثاني في حين ان في شخصك الكفاية » لم تنطلق الا حديثاً •

وقد ظلت الاتجاهات الخاطئة سائدة آلاف السنين ، حيث غنذتها بعض العقائد الدينية والفلسفية والاجتماعية والتبوية، وكرستها النظم السياسية حتى وجدنا في اواخر القرن الثامن عشر واولئل القرن التاسع عشر فلسفة متكاملة تنحو ذلك النحو في التربية ، وقد كانت تلك الفلسفة تركز على ثلاثة أسس هي :

— الازعان لما قدر لنا في هذه الحياة •

— الشر في الطفل طبع لا يستأصله الا مراقبة الوالدين واولو الامر ، ولا سبيل الى اصلاحه الا بصولة العصا وارهاب السوط ، ما دام رجلاً صغيراً عليه ما على الرجال من قيود •

— لكل فرد في المجتمع حدود ليس له الحق في تعديها ، وهو يواجه العقاب ان لم يرعو لها ، سواء أكان طفلاً أم راشداً •

وعلى هذا الثالوث قامت التربية القديمة ، فكان على الناس أن يطبعوا أنفسهم على الطاعة العمياء لحكامهم ومدرسيهم وكل من له الامر عليهم ، وقد كان المبدأ دائماً هو اعداد مواطن خامل ليتبوا مركزاً خامداً في مجتمع راكد (٢) •

وفي ظل سيادة المفاهيم التربوية الخاطئة ، وسيادة الافكار الدينية، وخاصة في فترة الاصلاح الايطالية ، نشأ أدب للاطفال في الغرب في القرن

السابع عشر ، مستمدا مقوماته من الحكايات الشعبية الشائعة ، وكانت - في غالبيتها - خرافية يلعب البطولة فيها الجن والشياطين والعفاريت والسحرة ، وتسيّر أحداثها قوى خارقة وتحركها صدف واقدار مختلفة ، أو حظوظ حسنة أو سيئة •

وكانت أكثر تلك الحكايات قاسية تبشر بالعقاب والشواب •

وبسبب التطور الذي حصل في طبيعة النظام اثر انتقال المجتمعات الاوربية من عهد الاقطاع الى بداية العهد الرأسمالي وجد أدب للأطفال يتخذ صيغا وأهدافا يراد منها تطويع الاطفال لأن يشبوا في مستقبل حياتهم يجلون النظام الجديد ويطأطئون له الرؤوس ويحمونه •

ولكن فلسفة واضحة لأدب الاطفال لم تكن آنذاك ، فقد كان يتمثل في اشتات متفرقة من الحكايات الشعبية والخرافات الشائعة ، اضافة الى تلك المنسوبة الى مؤلفين مثل خرافات ايسوب Aesop's Fables حيث طبعت الخرافات الاخيرة بين (١٤٧٥ - ١٤٨٠) ثم ترجمها كاكستون الى الانكليزية ، وطبعها عام ١٤٨٥ •

وفي أواسط القرن الثامن عشر نادى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو « ١٧١٢ - ١٧٧٨ » بان هدف التربية هو أن يتعلم الانسان كيف يعيش ، وان تترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية ، وان تقدم له المعلومات التي يحتاج اليها • فكانت صيحته ذات وقع شديد استجاب لها كثير من الكتاب والمربين ومزجوا بين آرائه وآراء الفيلسوف البريطاني جون لوك John Locke « ١٦٣٥ - ١٧٠٤ » في التربية والفلسفة ، ولكنهم تعسفوا في ذلك ، وأفسدوا صيحة روسو عندما امطروا الاطفال بوابل من قصص المعلومات والحقائق بعيدا عن الخرافات وقصص الخيال ، متجاهلين مشاعر واحساسات الاطفال •

وبسبب طغيان ذلك الاتجاه عزف الاطفال عنها ، واتجهوا الى حيث

يتجه الكبار ، يتلمسون بعض ما يشبع خيالاتهم في بعض الالوان الادبية البسيطة المقدمة للكبار ، رغم ان بساطة أي لون ادبي لا تعني ملاءمته للاطفال ، بل لابد أن يرافق ذلك تناسب مضامينه مع قدرات الاطفال العقلية والخيالية والعاطفية •

والحقيقة ان عدم تبلور أدب للاطفال خلال تلك الفترات مهد لدخول عديد من الكتابات الى عالم الاطفال رغم انها لم تكن بالاساس مقدمة لهم مثل امثولات لافونتين Lafontaine « ١٦٢١ - ١٦٩٥ » التي صدرت بين (١٦٦٨ - ١٦٩٤) في ٣٢٠ خرافة موزعة في اثني عشر كتابا، وقصص فيدروس الهجائية الساخرة والمريرة ، وأشعار سير والتر سكوت Scott « ١٧٧١ - ١٨٣٢ » الشعبية ، وقصص المغامرات لكبلنج (١٨٦٥-١٩٣٦) • وغيرها الكثير •

ومن اوائل الذين كتبوا خصيصا للاطفال الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو Charles Perrault « ١٦٢٨ - ١٧٠٣ » وكانت اولى قصه « حكايات امي الاوزة » التي وضع اسم ابنه كمؤلف لها مخافة ان تؤثر في الاقلال من شأنه الادبي ، حيث كان ينظر الى الكتابة للاطفال وكأنها ليست ابداعا فنيا • ولكن بيرو بعد ذلك أصدر مجموعة قصصية أخرى للاطفال هي « قصص وخرافات من الازمنة القديمة » عام ١٦٩٧ ، وثبت اسمه عليها هذه المرة ، فقد تنبه الناس الى اهمية ادب الاطفال الى حد ما • وقد اضفى على بعض الحكايات شكلا كلاسيكيا مثل : ذو اللحية الزرقاء ، والجمال الناعس ، وسندريلا ، والقط ذي الحذاء الطويل •

وكان لترجمة ألف ليلة وليلة الى اللغات الاوربية بعد عام ١٧١٧ أثر كبير في ذبوع قصص الحكايات والخرافات المستمدة منها •

وأصدر الكاتب الانكليزي الساخر جاناثان سويفت

« ١٦٦٧ - ١٧٤٥ » قصته الخيالية المشهورة رحلات جاليفر Gulliver's Travels

عام ١٧٣٦ ، وصف فيها حياة جاليفر الذي راح ينشد السعادة فيما وراء البحار ، فهبط في بلاد الاقزام ، فلم يحل له العيش ، وهبط في بلاد العمالقة فلم يطب له المقام ، ثم هبط في مجتمع ثالث كانت انصافهم العليا من البشر وانصافهم السفلى من الحيوانات ... فلم يجد السعادة ، وبذا ظل ما ينشده مجرد حلم بعيد المنال .

وهذه القصة لم يكتبها سويقت للاطفال في الاساس ، ولكن ما انطوت عليه من رحلات ومغامرات وعجائب ومواقف مثيرة للخيال ، جعلتها قريبة الى الاطفال .. ولكنها لم تصبح في عداد أدب الاطفال الا بعد أن اعيدت صياغتها من جديد على يد جون نيوبري John Newbery ١٧١٣ - ١٧٦٧ .

اما قصة دانيال ديفو Danial Defoe « ١٦٦٠ - ١٧٣١ » المسماة : روبنسون كروسو Robinson Crusoe التي صدرت عام ١٧١٩ فانها تعتبر بداية للفن القصصي في انكلترا ، واذا كان لها من هدف فهو الدعوة الى الصبر تجاه الشدائد . وقد صور فيها ديفو نفسه مجسداً في بطل قصته من حيث تدفق نشاطه وصلابة اخلاقه التي لم تذعن قط لعقبات الحياة .

وهذه القصة هي في الاساس ، حياة واقعية لرجل حقيقي من اسكتلندة - عاش في الاعوام الاولى من القرن الثامن عشر - اسمه اسكندر سيلكيرك ، وقد دفعته نواذعه الى مغامرات البحر ، فالتحق بحارا على سفينة للقرصان ، وحدث بينه وبين قائد السفينة شجار عنيف ، أدى بالقائد العنيد ان يلقي به على شاطئ جزيرة بغير سكان . وما أن رأى نفسه وحيدا في تلك العزلة الموحشة ، حتى اكتأبت نفسه مدة عام كامل ، ثم لم يجد بعد ذلك مفراً من ان يشد عزمه ليوافق الواقع الذي لم يكن له حيلة فيه ، ولبت في الجزيرة أربعة أعوام واربعة أشهر ، وبعدئذ مرت سفينة قرصان بريطاني في شباط ١٧٠٩ فأسرع سيلكيرك الى لقاء قائدها ، واصطحبه معه الى بلاده .. وهناك فاجأ أهله في اسكتلندة بعودته ، ولكنه لم يطق الحياة ، فأبتنى لنفسه كوخا على الشاطئ مماثلا لذلك الذي كان يحيا فيه في الجزيرة الموحشة (٣) .

وقد تعرف ديفو الى حياة سيلكيرك من خلال المذكرات التي نشرها قائد السفينة الذي انقذه * فكتب قصة روبنسون كروسو * ومع ان هذه القصة تقع خارج ادب الاطفال بصيغتها الاصلية الا انها « تعتبر من الالباء المؤسسين لادب الاطفال »^(٤) وقد اعيدت صياغتها بعد ذلك على يد نيوبري ايضا لتلائم الاطفال *

واصدر الكاتب السويصري بوهان دافيد هيس « ١٧٤٣ - ١٨١٨ » رواية باسم « اسرة روبنسون السويصرية » عام ١٨١٣ عن بطل القت به الامواج على جزيرة منعزلة على غرار قصة روبنسون كروسو * واصر الشاعر الانكليزي وليم بليك William Blake « ١٧٥٧ - ١٨٢٧ » مجموعة شعرية هي اغنيات البراءة « وقد كان لها تأثيرها في ادب الاطفال »^(٥) وقدم الروائي الامريكي جيمس فينيمور كوبر James Fenimore Cooper « ١٧٨٩ - ١٨٥١ » مجموعة من القصص والروايات التي تدور حول مغامرات رجال الحدود مع الهنود الحمر والصيادين والقباطنة والجواسيس *

واصدر هانز كريستيان اندرسن Hans Christian Andersen كاتب الاطفال الدانمركي مجموعة من القصص والحكايات ، فلاقت اقبال الاطفال في كل بلدان العالم حيث تمت ترجمتها الى اكثر اللغات^(٦) *

اما الكاتب الانكليزي شارلز لوتودج دودجس الملقب بلويس كارول « ١٨٣٢ - ١٨٩٨ » فقد اصدر قصة « أليس في بلاد العجائب » عام ١٨٦٥ وهي من قصص الاطفال ذات الشهرة *

وعلى اية حال ، فقد كانت الخرافات والحكايات الشعبية التي ابدعها الشرق ، بوجه خاص ، الى جانب هذه النماذج وما ماثلها اسسا ومقدمات لادب الاطفال الحديث الذي « يشكل اليوم حجما هائلا ، وخاصة في الاتحاد السوفيتي والمانيا وايطاليا والسويد واليابان »^(٧)

الفصل الثاني

الكتابة للأطفال

المشكلة الكبرى التي تزعزع اسس ادب الاطفال ، هي اننا ، نحن الكبار ، نكتبه ، انه من وحي تخطيطنا وننفيذنا ، وتصويرنا وتعبيرنا ، وفي احيان كثيرة نكون حصائل تفكيرنا عبثا ، وفي احيان اخرى تضليلا وتنشويها مسينا .

ونحن في كثير من الاحيان نقف حيارى امام سلوك الاطفال ومبادراتهم ، اذ لا نستطيع ان نصل الى تفسير كثير من تصرفاتهم واستجاباتهم لان الطفولة تظل امامنا عالما فيه كثير من الغرابة ، ويزيد غرابته : تجدد المستمر السريع ، ولن أنسى ما رددته نهره : ان الاطفال انقياء ، ولكننا نحن الكبار ندخل الكدر الى نفوسهم .

واذا كان ملتون في ندائه العظيم قد صرح قائلا : « يستحيل علينا ان نعين اي رأي هو الذي سيقدر للجماهير ما هو الجيد والجدير بالقراءة » فان ذلك ينطبق ايضا على ثقافة الطفل الى حد كبير ، خاصة وان كثيرا من مفاهيمنا ، نحن الكبار ، ننقلها الى الاطفال بعد ان ندير رؤوسنا الى الخلف ، الى ما ضينا ،

بكل ما فيه من رواسب واثقال وعقد ، ومع هذا ، نهز رؤوسنا اسفا ، ونعض على اصابعنا ، حين يقلب لنا الاطفال ظهر المجن ، او يدبرون رؤوسهم عنا عازفين .. وبعض منا يلقي باللوم على الدنيا التي فسدت ! فاصبح الاطفال فيها لا يطيعون الكبار ولا يسمعون لهم كلاما ! ويستعيد ذلك البعض ايام الطفولة التي عاشها بكل ما فيها من ذل وطاعة عمياء ، فيحسب ذلك ادبا وخلقا فاضلة .

ان ظهور ادب مثالي للاطفال لن يكون حصيلة نظراتنا العمياء ، وانطوائنا على الذات واحتضاننا للعقد والاحزان ، وتمسكنا بالقيم والمعتقدات البالية .. ومع هذا كان لابد ان نسمي ما نخترعه اليوم ونقدمه للاطفال : ادب اطفال ، وهو رغم ما فيه من نواقص وشوائب ليس له بديل .



اديب الاطفال ينبغي ان يتعرف الى جمهوره الاطفال ؛ ان يحيط بهذا العالم الغريب - رغم ان الاحاطة التامة تظل امرا عسيرا - لان ما يكتبه ، شكلا ومضمونا يخضع لطبيعة هذا الجمهور وخصائصه .

ولا يكفي ان يتعرف الاديب الى عدد من الاطفال ، سواء كانوا ابناؤه ام ابناء جيرانه ، ام تلامذته ، بل ينبغي ان يدرس جمهور الاطفال دراسة علمية معتمدا على ما توصل اليه رجال التربية وعلماء النفس ، في هذا المجال .

ولكن ، هل يعني هذا ان يتصرف الاديب حيال الاطفال مثلما يتصرف رجل التربية او عالم النفس ، وهو الاديب الفنان ؟ !

الجواب على ذلك : لا ، لان موقف اديب الاطفال كموقف الفنان التشكيلي ازاء لوحته الفنية التي يبدعها .. انه يتطلع اليها من بعد قريب ، بين حين وحين ، ليعود يحمل الفرشاة ليضيف اليها لمسة ، او يضيف اليها لونا ، وهكذا .

ولا يكفي ان يعرف اديب الاطفال جمهوره جيدا ، بل لابد من ان يحترمهم ويلقي في روعهم انه صديق لهم ، وان لا يغالي باستاذيتسه عليهم ، او ان يقلل من شأنهم او يسنخف بهم وبقدراتهم •

ولكن اقامة تلك الصداقة بين الاديب وجمهوره من الاطفال ، لا تعني ان يكون الاديب طفوليا يكتب ببداية وسذاجة وسطحية ، كما لا تعني ان يتعاطف مع الاطفال الى حد التميع ، يميل حيث يميلون ، لانه في هذه الحالة ينسى دوره كسوجه وقائد •

وصعوبة الكتابة للاطفال تنأتى من عوامل عدة ابرزها عدم قدرة الاديب على فهم عالم الطفل ، او عدم قدرته على نسيان عالمه ، عالم الكبار ، الى حد ما • فبالاضافة الى ما يكتنف عالم الطفولة من غموض ، فان هذا الجمهور يتفاوت في مستوياته النفسية واللغوية والعقلية والعاطفية وفقا لمراحل النمو • فضلا عن تفاوته من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية •

والالوان الادبية المقدمة للاطفال تتخذ اشكالا وصيغا مختلفة وفقا للوسيط الذى تنساب من خلاله الى الاطفال • فالقصة المقروءة في كتاب ستلزم مقومات خاصة مختلفة عن تلك التي تقدم على شاشة التلفزيون ، او تلك المقدمة على المسرح ، وهذا يعني ان يكون الكاتب على دراية كاملة بإمكانات كل وسيط •

ومن بين المواضع الاساسية في اديب الاطفال ان يكون خلوقا ، لان سمة ادب الاطفال هي سمة اخلاقية تربوية • وقد نص مشروع قرار المؤتمر الدولي لصحافة الاطفال [ميلان - مارس ١٩٥٢] على ان يحرم على اي شخص صدرت ضده احكام من الاشتراك بأي شكل في انتاج مطبوعات الاطفال •

ويتصور البعض ان الكتابة للاطفال ، امر ميسور ، ما دام ادب الاطفال يتميز بصفة البساطة ، ولكن المعروف ان ابسط الاشكال الادبية هي الاكثر تعقيدا على الكاتب •

وبسبب التصور السابق مال الكثيرون نحو الاطفال يكتبون لهم ما يسمونه : ادبا .. ولكن مثل هذا ليس الا « ادبا سيئا » *

اذكر يوما انني التقيت بكاتب كبير ، اتجه الى الاطفال يكتب لهم ، وحين سألته عن سر تحوله نحو الاطفال اكتفى بان اشار انه يحب الاطفال ! وكأن الآخرين يكرهون الاطفال ؛ ان كل الكبار يحبون الاطفال ، ولا شك ، الا اولئك الذين اصابوا بداء من ادواء النفس ، لذا لم اعجب ان ارى كتاباته مجرد حنان على الطفولة ومودة لها بلا حداد ؛ كأنه يتكيف مع الطفولة ويتميع معها ، في الوقت الذي يشكل فيه ما نبديه من حنان ومودة زائدة للاطفال ، من خلال ما نكتب ، عائقا من عوائق النمو .. لقد مر في خاطري — وانا استمع الى صاحبي — قول مكسيم غوركي :

« حتى الدجاجة تحب الاطفال .. ولكن هل هي تعرف كيف تربيهم ؟! »

ويلاحظ من سير كتاب الاطفال المعروفين في العالم ، وخاصة الرواد الاوائل ، ان منهم من توجه نحو الاطفال عن عمد ، ومنهم من ساقته الصدفة الى ذلك . والطريف ان بعضهم اصدر مؤلفاته دون ان يكون في حسبانهم الاطفال ، لكن الاطفال تسابقوا الى قراءاتها *

فجول فيرن (١٨٢٨ - ١٩٠٥) بدأ مؤلفاته العلمية بكتاب عنوانه [خمس اسابيع في بالون] وصف فيه رحلة خيالية قام بها احد العلماء ، هو الدكتور « فرجسون » ومعه صديقه الاسكتلندي « ريك كندي » وخدام امين يدعى « جو » .. وحين قدم فيرن مسودات كتابه الى الناشرين استخفوا بها ، الا ان واحدا منهم قال : ان هذا الكتاب علمي جاف . واقترح عليه ان يحوله الى كتاب علمي في جوهره قصصي في قالبه ، ففعل جول فيرن ذلك ، وتم طبع الكتاب فتلحقه الكبار ، وبعد حين تسابق الاطفال نحو قراءته *

اما اندرسن ، الذي كان ابنا لاسكافي ، فقد وصف سنوات حياته

الاولى ، بانها اسوأ السنوات ، لكنه استطاع ان يدخل السرور الى نفوس الملايين من الاطفال بفضل قصصه الخيالية وفصائده وحكاياته الهزلية ، وظلت خرافاته موضع الاهتمام بعد سقوطه من السرير ووفاته بسنين طويلة بل هي ما تزال حتى اليوم •

وواجه كريلوف المتاعب والصعاب ، وعطلت صحفه العديدة ، الواحدة نلو الاخرى ، ولكنه بعد ان ناهز الاربعين ادرك ان نظم الخرافات هو السبيل الوحيد الذي يستطيع به ان ينقل خواطره وخوالب نفسه الى الرأي العام دون ان يتعرض لسيطرة الرقابة الصارمة وقسوة الحكم القيصري في روسيا آنذاك •

وكان ايثان كريلوف يحلم دائما بالكتابة للمسرح ، وبدأ يجرب حظه برماية هزلية ، ثم اتبعها باخرى فحازت نجاحا طفيفا •

وصادفه النجاح الحقيقي عندما انهل عليه المديح لترجمته احدى قصص لافوتتين ، الروائي الفرنسي المشهور ، فشجعه ذلك على كتابة قصص من تأليفه ، فاعجبت الشعب الروسي ، وتناقلها بسرعة شفاهها من لم يكونوا يستطيعون القراءة بانفسهم (٨) •

ومع ان اغلب قصص كريلوف كانت على لسان الحيوان او عن الحيوان، بيد انه لم يكن يرمي من وراء ذلك ان يروى شيئا عن علم الحيوان او طبيعته بل انه يريد ان يتحدث عن التاريخ البشري والطبيعة الانسانية •

ويعد كريلوف (١٧٦٨ - ١٨٤٤) رائدا سباقا في الادب الروسي ، قال عنه بوشكين « انه اكثر شعرائنا وطنية واعظمهم شعبية » وتحمل خرافاته طابع الحداثة ، وهي تمثل الواقعية الروسية ، وتبدو من خلالها الحياة على حقيقتها ، ويقول عنه الكاتب الانكليزي الناقد الذواقة موريس بيرنك « انه يملك الطلمس الذي يتحدى النقد ويعجز التحليل

ويهزم الزمن ، ذلك الطلسم هو الفتنة ، وقد ظفرت خرافاته بتقدير الرأي العام حين ظهورها ولم يفتر الاهتمام بها حتى اليوم » •

وكان الاطفال يحفظونها على ظهر قلب وهم صغار ، فاذا تقدمت بهم السن ازدادوا لها فهما وتكسفت لهم معانيها الخفية واهدافها الانسانية ، وبعض الطرز التي يصفها كري洛夫 موجودة في كل زمان وكل مكان (٩) •

وكان تسارلز لوتفيدج دودجسون الذي عرف باسم لويس كارول مؤلف « اليس في بلاد العجائب » خجولا منظويا محبا للعزلة لا يألف الكبار ولكنه في محضر الاطفال كان ينطلق على سجيته ، يتحدث اليهم ويأنس بهم ، يقص عليهم امتع الحكايات ، ويتلو عليهم صفحات من كتبه التي ألفها لهم ، ويلعبهم أفانين الالعب التي اخترعها لهم منصرفا بهذا « الهذر » على حد تعبير زملائه الموقرين الوقورين - عن شؤون عمله في الكلية والجامعة (١٠) •

وكان يوناثان سوينف (١٦٦٧ - ١٧٤٥) مؤلف [رحلات جاليفر] من الفاشلين في الحصول على الشهادة الجامعية ، ذاق اليتيم والمعاملة القظة ، وتجرع خبز الصدقة ، ولكنه كان حاد الخيال ، عظيم الموهبة ، وحين مات ، قيل عنه : « عبقرى جبار تهاوى وتهدم ، لا يملك المرء حين يفكر في عظمتة وجبروته الا ان يشبه سقوطه وانهاره بانهار امبراطورية هائلة » •

ومع ان بعض هؤلاء الكتاب لم يكونوا كتاب اطفال ، ولم يخطر ببالهم ان يكون لهم جمهور من الاطفال ، الا ان الاطفال وجدوا في اثارهم مواقف خيال انشائي ، ورحلات تمتد بأفاقها عبر الزمان والمكان •

وقد مهد هؤلاء لظهور ادب للاطفال يبدعه كتاب متخصصون ، يضعون في حسابهم ، وهم يبدعون ، طبيعة جمهور الاطفال ، وطبيعة الوسائط التي تنتقل بها اثارهم الى الاطفال ••

وعلى أية حال ، فان اديب الاطفال ، لابد ان يكون - الى جانب ما ذكرنا-
فنانا ذي حس مرهف ، لانه يسهم في خلق ذوق فني في النشء الجديد ، وان
يكون خياله خصيبا انتائيا في تخيله ، وان يكون مخلصا ، لانه يغرس في
النفوس الغضة معاني سامية ، وان يكون مثقفا ثقافة واسعة تمكنه من اىصال
نتاجه الادبي الى الاطفال بشكل مؤثر ♦♦

ويكفي ان نتذكر ، ونحن بصدد تحديد مواصفات اديب الاطفال ان
ادب الاطفال ليس الا ضوء شمعة قد يضىء وقد يحرق ♦

الفصل الثالث

مَصْنُوعُ آدَبِ الْأَطْفَالِ

ليس في الوسع تحديد مضامين ادب الاطفال ، لكننا نستطيع ان نحدد اطارا عاما فضفنا كآن نقول : اننا نصور للطفل الحياة الانسانية ونعبر له عنها بما يتلاءم وقدراته ، بحيث نساعد على النمو السوي *

وهنا يتبادر التساؤل : هل يصلح « كل شيء » مضمونا لادب الاطفال؟ والجواب هو اننا لا يمكن ان نقدم للطفل « كل شيء » رغم اننا نجد ان بعض المعنيين بهذه الشؤون يؤكدون ان « كل شيء » ينبغي ان يقدم للاطفال من خلال وسائط الادب ، كما يؤكدون ان العبرة فقط باسلوب التناول والعرض *

وحجة اولئك ان عقول الاطفال وحواسهم وعواطفهم مفتوحة لتلقي « كل شيء » بشراهة واستمتاع *

كان مكسيم غوركي قد توجه برسالة مفتوحة ، يسأل فيها الاطفال عما يرغبون قراءته ، فتلقى الفين من الرسائل الفردية والجماعية ، قدم بها تقريراً لمؤتمر الكتاب واستفاد منها في رسم سياسة دار نشر ادب الاطفال الذي تولاه منذ انشائها عام ١٩٣٣ حتى توفي عام ١٩٣٦ •

يقول التقرير :

« ان اكثر المقترحات ترددا يمكن تعريفه بجملة واحد هي « كل شيء » • كتب البعض يقول لغوركي :

« انك تريد ان تعرف كل شيء يهمننا •• من الصعب الاجابة على سؤالك لاننا نحن - الطلائع - يهمننا فعلا كل شيء »

وفي رسالة اخرى تجسدت هذه الرغبة فيما يلي :

« نريد ان نقرأ كتباً عن الماضي لكي نفهم الحاضر بشكل افضل ، نريد كتباً للمؤلفين الكلاسيكيين ، وكتباً عن تاريخ الحركة التورية عندنا ، وفي الغرب ، وعن الحرب الاهلية والجيش الاحمر والاشتراكية •• نريد كتباً علمية وفنية تكنولوجية ، وكتب رحلات •

ويضيف الصغار في نهاية رسائلهم « ••• وكل شيء »

وعديد من الرسائل جاءت فيها كلمة « كل » كصفة

« نحن نرجوكم ان ترسلوا الينا كتاباً مختصراً يضم « كل » الافكار السياسية »

« اريد كتاباً يصف « كل » الرحلات التي تمت للقطب الشمالي »

« اريد ان اقرأ كتاباً عن « كل » الحيوانات مع صور كثيرة »

الاطفال ، اذن ، من خلال هذا التقرير ، يريدون باختصار « كل شيء » حتى الانسوكلوبيديا (١١) •

تري ، هل يبرر هذا ان نقدم للاطفال كل شيء ، هل نقدم لهم قصة التطور القائلة انهم وآباءهم واجدادهم قد انحدروا من القردة ، وان الانسان - على ذمة داروين - كان حيوانا ، فنبيل افكارهم ؟ وهل نحدثهم عن الزمن ، كبعد رابع في الكون - على ذمة اينشتاين - فنتركهم في حيرة لا يستطيعون في هذا العمر الندي ان يصلوا الى خاتمة لها ؟ وهل تعرض لهم صورة للواقع المفكك الذي يحياه العالم فنفقده الثقة به ؟ !

تعطش الاطفال إلى المعرفة واكتشاف العالم ، تدفعهم الى ان يطلبوا معرفة « كل شيء » ، ولكن ينبغي ان لا يغيب عن البال ان الاطفال حين يقولون « كل شيء » لا يعنون كل ما نفهمه نحن الكبار منها ؛ ان « كل شيء » في اذهان الاطفال شيء ، وفي اذهاننا شيء اخر *

هنا يفرض التساؤل نفسه :

ماذا ، اذن ، ينبغي ان لكتب للاطفال ؟

من اجل ان نتعرف الى ذلك لابد ان نحدد ما نريده لاطفالنا ، وهذا فقط يحدد مضامين ادب الاطفال *

● نحن نطمح الى بناء انسان جديد عن طريق تنمية شخصيات الاطفال جسديا وعقلييا ونفسيا واجتماعيا ولغويا ، لينفتحوا عن خلاقة مبدعة ** حيث يضع اديب الاطفال نصب عينيه توفير اسباب النمو السليم المتكامل للاطفال ، واعدادهم لتحمل مسؤولية الغد بعزيمة ووعي وكفاية واخلاص *

● ونريد صقل سلوك اطفالنا وفق قيم وقوانين ، وتربيتهم تربية اخلاقية ، لذا يتخذ ادب الاطفال سمة اخلاقية *

● ونريد اعداد الطفل ليعيش ايجابيا في المجتمع ، ويختلط بالآخرين دون ان يضحى بصفاته ، وان يتخذ مكانه ، ويشق طريقه ، ويقدر دوره ، ويتحمل مسؤوليته في المجتمع ** المجتمع الذي يتطلب العمل والارتياح لصالح

المجموع ، المجتمع الذى يقدر الفرد بقيمة ما يعطى لا ما يأخذ ، المجتمع الذى يتواجد فيه العدو والصديق ، الطيب والخبيث ، الخير والشر ، ولا بد ان ينهيا الطفل للتمييز بين هذا وذاك ، ويغلب الاول على الاخر ، وان يعد لتغيير العلاقات الاجتماعية البالية وايجاد بدائل جديدة ، وان تتبلور في ذهنه الافكار عن الحقائق الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل .

ويلاحظ ان الاطفال تواقون للسيطرة على عالمهم وادراك الحياة الاجتماعية من حولهم ، وهم يجدون لذة في التكيف مع المجتمع والاندماج فيه .

● ونريد ان يلتزم الاطفال بالنظام الصحيح وان يلتزموا بالانماط السلوكية التي تقوم على الحب والعدل والمساواة والخير للانسانية .

● ونطمح ان يجس الاطفال بالاستقرار والامن ، لان هذا الاحساس هو الاساس في بناء صرح الحياة النفسية للطفولة ، لذا نراهم يتساءلون بريية عما يحيط بهم ، ولا يقر لهم قرار ما لم يطمئنوا الى محيطهم ، وادب الاطفال ، وسيلة الاطفال ، الى الاطمئنان والسعادة والامل .

● ونريد تقوية روح التضامن والتعاون بين الاطفال لا الوشاية او الكراهية ، فقد منح العمل التعاوني امكانيات واسعة امام تقدم الانسانية عبر العصور .

● ونريد ان يكسب الاطفال المهارات المختلفة التي تساعدهم على الانتاج اولا وعلى كسب الثقة بالنفس ثانيا ، كما نريد ان تزدهر ملكاتهم ومواهبهم .

● ونبغى تنمية الشجاعة والجرأة في نفوس الاطفال ، لان الشجاعة غذاء للنفس ومورد للعقل ، وموئل للشخصية .

● ونسعى لان يعتاد الاطفال على عادات طيبة وينفروا من العادات

السيئة ، فقد يقرأ الاطفال معلومات ومثلا اخلاقية كثيرة ويفهمونها ولكن هذه المعلومات والمثل تظل غير ذات جدوى ان لم تتحول الى عادات عقلية وعاطفية.

● ونرنب الى تنمية خيالات الاطفال ، لان الخيال زاد لنفوس الاطفال على ان لا نبتعد عن مجال الواقع التصويري لعقليات الاطفال . . ويلاحظ من الاحصائيات ازدياد تعلق الكبار بالمطالعات غير الخيالية على المطالعات الخيالية ، بينما كانت الاحصائيات قبل سبعين عاما تشير الى عكس ذلك .

واذا كان يصدق ذلك بالنسبة الى الكبار ، فانه ، دون ريب ، يصدق على الصغار ، ذلك اننا نجد ان قصص الاطفال قد اتخذت خلال السنين الاخيرة صيغا جديدة ، ولم نعد نلمس اهتمام الاطفال بقصص العفاريت والجنيات والسحرة ، التي كانت قبل سنوات تثيرهم وتستحوذ على اهتماماتهم .

ومن ابرز اسباب هذا التحول هو ان التسلية التي كان ينشدها القراء في قصص الخيال المعرق اصبحت ميسورة ومهيأة من خلال وسائل عديدة تفوق تلك القصص في اجتذابها للناس ، ومن جانب اخر ، فان كثيرا من الانتصارات الانسانية في مجالات العلوم والمعرفة والتي تعد اليوم حقائق بعيدة عن الخيال في جوهرها ، الا انها اصبحت ادوات لاشباع خيالات القراء ايضا .

ويظل ادب الاطفال ، اداة شديدة التأثير في تنمية خيالات الاطفال ، التي يمكن ان يتعرف من خلالها على حقائق الحياة . وشتان بين طفل ينشأ في بيئة متزمتة جامدة لا تتسع الا للحقائق اليومية وحدها ، وبين بيئة رحبة خصبة يظللها الخيال ، فينشأ الطفل فيها مستعدا لمواجهة الحقائق بروح واسعة الافق .

● ونريد ان يعتاد اطفالنا على التفكير لا التقليد الاعمى . وكل ما يقدم للاطفال من معلومات وحقائق لا جدوى منها ان لم تدفع ما بهم الى التفكير ، وليس المهم تعليم الاطفال ، بل المهم هو تعليمهم كيف يتعلمون ، وكيف

يفكرون •• كما نريد لهذا التفكير ان يكون انشائيا لا تفكيرا عاطفيا او تأثيريا ، ونريده تفكيرا واسع الافاق لا احادي النظرة •

● ونريد تنشئة اطفالنا تنشئة علمية عن طريق اذكاء روح الفضول العلمي لديهم ، لان الطفل هو باحث صغير ، لكنه قليل التجربة ، وهو في حاجة مستمرة لان يعرف ما يحدث في بيئته وعالمه من ظواهر ، اذ يشغل ذلك حيزا واسعا من اهتمامه وتفكيره في عصر احتلت فيه حصائل العلم مكانة كبيرة في الحياة •

● ونريد لاطفالنا ان يكونوا مثقفين ، لان الثقافة ليست حكرا للكبار ، بل هي ليست حكرا لعمر من الاعمار دون غيره ، والثقافة ليست ضرورة وطنية وقومية بل هي احدى مكونات شخصية الطفل •

وتؤكد الاتجاهات الحديثة في العلوم السلوكية ان العوامل التي تميز شعبا عن شعب ، وامة عن اخرى ، ليست عوامل عرقية او جنسية بل هي قبل كل شيء عوامل ثقافية •

وثقافة الطفل هي اللبنة الاولى في بناء ثقافة قومية تدفع بالامة لان تحتل مقاما مرموقا بين الامم في هذا الكوكب •

والمعروف لدى علماء النفس اليوم ، ان التطور الحاصل في صفات الطفل الجسمية والعقلية هو ثمرة عاملين متشابهين ومتفاعلين معا ، وهما يدفعان به نحو التقدم ، اولهما : النمو الذي يراد به تطور الخصال وبروزها تحت ظروف يمكن تحفيزها بالعوامل البيئية • وثانيهما : التعلم والثقافة •

والعلاقة بين النمو والتعلم ، علاقة متبادلة ، وهما يتفاعلان معا • فكل واحد منهما يؤثر في الآخر ويعمل على تعجيله أو تأخير حصوله • والخصائص الكامنة في الفرد لا يمكن ان تتطور الى حدها الاقصى بذاتها ما لم يبذل الجهد والتوجيه الصحيح كي يصبح التطور تاما • (١٢)

والمجتمع ، لم يكن الا وليد الثقافة التي تضبط الميول الطبيعية وتوجهها توجيهها يتفق وظروف الحياة الاجتماعية في كل طور من اطوارها .. لانها تسهل قدرة الانسان على تنظيم علاقاته بالبيئة الطبيعية تنظيما يكفل له توفير ضرورات الحياة من الطعام والكساء والمأوى ، واستغلال مرافق الطبيعة وصيانة نفسه من الاخطار التي يتعرض لها فيها ، ويدخل ضمن هذا التحديد للثقافة : كل ما تحقق للانسان من المخترعات والوسائل ، والمهارة التي يسرت التقدم في السيطرة على البيئة الطبيعية والارتفاع بقواها ومرافقها ، وهي تشمل ايضا القدرة على تنظيم روابط الافراد بعضهم ببعض والانظمة التي تضبط علاقة الافراد بالمجتمع ، ومن جملتها انظمة الدين والاخلاق والسياسة والاقتصاد . والفنون والعلوم ، او كما يعرفها ادوارد تايلور

Edward B. Tylor

حين يقول :

« ان الثقافة هي الحاصل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والاخلاق والقوانين والتقاليد وجميع القابليات والعادات التي يكتسبها الانسان وهو عضو في المجتمع » (١٣)

ومن هذا يبدو ان الثقافة ليست سجلا لاثار الماضي وتراثه بقدر ما هي عماد الحاضر واساس المستقبل ، لانها طريقة حياة المجتمع ، بما فيها : افكاره ، وقيمه ، ونظمه ، ومعتقداته ، وعاداته ، وتقاليده ، وادوات واساليب تفكيره ، وكل ما اتجه بيده او بعقله ، وهي بنفس الوقت اداة لتطوير هذه الحياة .

● ونريد ارهاف الحس الجمالي لدى الاطفال وتشويقهم الى الروائع الفنية ، وتمكينهم من تقييم الجمال .

وادب الاطفال يفصح عن نواح جمالية كثيرة في الحياة ، ويعاون النشء الجديد على تذوق الفن والجمال . وقد لوحظ ان الاطفال يتعشقون الفن ويغرمون بالجمال وهم يتوخون الجمال في كل شيء ، في الدمية التي يلعبون بها ، والكتاب الذي يقرأون فيه ، والقلم الذي يكتبون به ، والفرش

الذى يلتحفون به • وما تعشقهم للادب منذ صغرهم الا صورة من غرامهم بالجمال •

والفن ، الذى يتعلمه الطفل في سنوات عمره الاولى قد يعني الفرق بين فرد سعيد متجاوب ، وبين اخر يستمر فردا غير متوازن ويجسد كثيرا من الصعاب في علاقاته مع بيئته رغم كل ما تعلمه ، وقد يكون الفن للطفل هو التوازن الضروري لعقليته وعواطفه ، كلما صادف ما يتعبه ، والذى يلجأ اليه عندما لا تستطيع الكلمات ان تسعفه •• فنحن نعرف جيدا ان المعرفة وحدها لا تجعل الناس سعداء ، والتربية ذات الجانب الواحد التي تهتم بالمعرفة قد تهمل صفات كثيرة مهمة جدا يحتاج اليها الاطفال حتى يستطيعوا ان يكتفوا انفسهم لهذا العالم (١٤) •

والخبرات الفنية تدركها الحواس اولا ، لذا كان من الاهمية بمكان ان نساعد اطفالنا منذ الطفولة المبكرة والمراحل التالية لها على تنمية حساسيتهم للاشياء التي يشاهدونها ويسمعونها ويلمسونها او يشعرون بها على اجسامهم • وهناك اشخاص كثيرون يمضون حياتهم في هذا العالم دون ان يستخدموا اثنى هبة وهبوا بها ، وهي القدرة على النظر واللمس والسمع والاحساس • وذلك لان هذه القدرات لم تغرس فيهم ، وهم لا يستخدمونها الا في اغراض عملية عندما يضطرون الى ذلك لا حبا في متعتهم الخاصة •• ان كل ما نستطيع ان نفعله لنشجع الطفل على استخدامه الحساس لعينييه واذنيه واصابعه وكل جسمه سيزيد من خبرته ، وبذلك نساعد على التقدم في النواحي الفنية (١٥) •

● ونريد للاطفال ، في هذا العصر الذي يتصف بالتعقيد ، وسرعة التغيير ، والارتباط الشديد بين المجتمعات رغم بعد المسافات ، ان يتعرفوا الى الخبرات الكثيرة التي يمر بها الفرد ، هنا او هناك ، والتي قد يمرون هم بها في الغد ، وان يلموا بمطالب الحاضر ويتسلحوا بأدواته •

وآدب الاطفال يتناول جوانب الحياة بشكل يثير عواطف الاطفال وانفعالاتهم امام كثير من عادات الناس واعمالهم وامالهم ، وما يعانون من مشكلات وما يعتنقون من افكار ومبادئ •

● ونريد للاطفال نفوسا سليمة ، قادرة على مواجهة ما يعترضها من ازمات ، كما نريد لهم اجساما صحيحة ، وان يحسو دوما احساسا ايجابيا بالنشاط والقوة والحيوية والسعادة مما يؤهلهم للتفكير الانشائي والاداء البناء •

● ونريد ان تتسع مدارك الاطفال ، وتزداد معارفهم ومعلوماتهم ، وان لا يظلوا حيارى امام كثير من الظواهر والمظاهر ، ومعلوم ان ألوان ادب الاطفال تشتمل على كثير من المعلومات والمعارف والخبرات والمشكلات ، فحين تأخذ شخصيات القصة والمسرحية ، مثلا ، في الحركة وطرح العقد وتقديم الاجابات والحلول يتضح للاطفال ما يستغل امامهم ، وكثيرا ما تستقر تلك الاجابات والخبرات والمعلومات في اذهانهم اذا ما أحسن تحريك عواطفهم وانفعالاتهم •

● ونريد لثروة الاطفال اللغوية ان تتسع ، كما نريد ان يتعلموا استعمال لغتهم الفصحى السهلة ، ولا شك ، في ان ائمن ما يقتنيه الطفل في سنوات حياته هو لغته القومية ، التي يستطيع من خلالها ان يفهم الاخرين ويعبر عما في نفسه •

● ونريد للاطفال ان يجيدوا اللقاء ، ويخرجوا الكلمات اخراجا سليما ، ويتشبعوا بروح الشجاعة الادبية ، ويواجهوا الاخرين دون قلق او رهبة ، وليس هذا فقط بل لابد من تربية اذواقهم الادبية من خلال لغة ذات تراكيب ساحرة •

● ونطمح الى تسلية الاطفال وامتاعهم وادخال الفرحة الى نفوسهم ، وابعاد كل ما يثير فيهم القلق والاكتئاب او الانشغال العقيم • وقد وجد ان

الاطفال ، في كثير من الاحيان يكتسبون لاسباب غامضة ، لذا كان لابد من توفير اسباب الترويح لهم *

ويلاحظ اليوم ان التربية الاخلاقية الناتجة عن النشاط الترويحي هي في عصر ازدهارها في البلدان التي دفعت بهذا النشاط الى مستوى المسائل الحيوية ، وهذا لم يكن قبل ذلك ، حيث لم تكن التربية الاخلاقية التلقائية التي تتحقق عن طريق الترويح تدخل ضمن التوجيه في عدد من البلدان حتى مستهل هذا القرن ، لان مفهوم وقت الفراغ كان ينحصر في كونه الفترة التي يجد الفرد نفسه حرا في ان يفعل ما يريد ، واخذت الحرية معنى مرادفا للتلقائية ، هذا في وقت يتزايد فيه اليوم حجم وقت الفراغ كلما سارت المدنية الى امام ، حتى اطلق البروفسور هتشنس Hutchins صيحته التي قال فيها : انه اذا لم يهلك الانسان نفسه بالقنبلة الذرية فانه سيدمر نفسه بوقت الفراغ الطويل الذي سيخلفه العصر الذري ، واذا لم تعد البرامج الترويحية الموجهة انتشرت الجرائم وسيطر الترويح التجاري المنحرف على امزجة الناس ** لان وقت الفراغ هو فترة اعادة البناء في تكوين الفرد ، سواء من الناحية الجسمية ام العقلية ام الاجتماعية * (١٦) .

● ونريد تنمية اعتزاز الاطفال بالوطن ، وتهيتتهم للاسهام بمسؤولياتهم في الغد تجاهه ، وتربيتهم تربية وطنية وقومية ، وتعريفهم بالقيم الانسانية ، وهنا لابد من الاشارة ، الى ان البعض يتصورون ان بث مشاعر الفضيلة والاحسان والرحمة والشفقة تكفي لان تكون المعين الاكبر لادب الاطفال ، ولكن هذا التصور على جانب من الخطأ ، حيث خاب رجاء المفكرين الطوبائيين منذ زمان بعيد حين كانوا يتصورون ان معضلات الانسانية يمكن ان تجسد الحل عن طريق هذه الدعوات ، اذ ظهر اليوم ، بشكل واضح ، ان المعضلات الانسانية لها حل نهائي يتمثل في النظام الاجتماعي الذي يحرر الانسان من كل القيود ويوفر له كل الحاجات الاجتماعية ، ويطلق قدراته وملكاته ومواهبه وينقل جهوده من ميدان التصادم الى ميدان التعاون الانشائي **

وعليه لابد من تهيئة الطفل لان ينجح في هذا السبيل الاخير ، واعداده لان يتحمل فيما بعد - مسؤولية بناء النظام الجديد ، بدل الاكتفاء باستدرار عطفه على الفقراء والمساكين وابناء السبيل في كلمات باكية جوفاء •

● ونبغي ان يكون الطفل في موقع الناقد الواقعي المنتهي ، فقد كنا وما زلنا ، الى حد ما ، نكتفي بنفل ما ينتجه الآخرون ، ونردده على شكل نظريات وقوانين ، دون تمحيص كاف او نقد واع • ونريد ان نبعد عن اطفالنا كل آثار النزعات الاتكالية واللامسؤولية واللامبالاة ، والتقليد الاعمى ، والكذب ، والرياء والخنوع ، والتفكير الخرافي الهدام •

● ونريد تنمية السلوك الاشتراكي في نفوس الاطفال ، وغرس الثورة الدائمة في نفوسهم ضد كل اثار الاستغلال ، وبناء شخصياتهم بناء يمكنهم من العمل المبدع •

ان هذه كلها ، وغيرها الكثير ، تشكل لنا اطارا عاما لمضمون ادب الاطفال ، ويمكن ضمن هذا الاطار العريض ان نقدم للاطفال خلال كتبهم ومجلاتهم وبرامجهم الاذاعية والتلفزيونية ، وافلامهم ، ومسارحهم ، ما يعزز هذه الاتجاهات ، وما يدفعهم الى التفكير الهادف والتخيل الانشائي وما ينمي قدراتهم المختلفة ، لان ادب الاطفال هو اداة لبناء شخصية الطفل واعداده للمستقبل ، لذا يتحدد مضمونه في كل ما يبني عقل ونفس وجسم الطفل •

وينبغي ان لا يغيب عنا دوما « ان للطفل عالمه الخاص ، وكلما اسرعنا في معاوته على التحقق منه دون ان تفرض عليه مستوياتنا - نحن الكبار - كان نموه افضل » (١٧) •

الفصل الرابع

اسلوب أدب الأطفال

الاسلوب عنصر اساس في ادب الاطفال ، لان اي مضمون ادبي مهما كان له من الاصاله او القوة لا يسكن ان يؤثر في الاطفال ما لم يتوفر له الاسلوب الرشيق الممتع ، لذا يقال ان ادب الاطفال يجب ان يقدم باطباق من ذهب •

ان المضمون الجيد ، يبدو متهرئا اذا قدم الى الطفل باسلوب ركيك مضطرب ، او اذا قدم مبهرجا بمحسنات بلاغية وبديعية •

وليس بالوسع وضع مواصفات محددة لاسلوب ادب الاطفال ، ذلك لان طبيعة المضمون تفرض ، في العادة ، جانبا من طبيعة الاسلوب ، وفي كل حالة ينبغي ان نجد وحدة بين المضمون وبين الاسلوب تؤلف عماد اللون الادبي •

وهذا لا يحول دون تحديد اطر عامة ، منها ان ادب الاطفال لم يعد تقديم. كلام منمق يجد فيه الاطفال ما يثير فيهم النعاس قبل ان يستسلموا للنوم ، بل هو « لغة » توقظ الاطفال في يقظتهم وتمنحهم قدرة على تاجيع هذه الیقظة .

كما انه لم يعد اداة تخويف الاطفال وارهابهم من العقاب في الدنيا « والاخرة » ، ولم يعد عبرا ومواعظ تكال في عبارات جافة جامدة ، بل اصبح اداة انشاء للانسان من خلال تاصيل القيم والاخلاقيات ، واستجلاء الافكار والمفاهيم ، وامتناع الاطفال وتسليتهم وابعاد الاكتئاب والتشاؤم والاستسلام عن نفوسهم ، وتفتيح اذهانهم على امال رحيبة وتوكيد ثقتهم بانفسهم في صياغة انيقة جذابة عبر لغة سليمة سهلة .

وعلى هذا فان اسلوب ادب الاطفال يتصف بالوضوح وبساطة اللغة من حيث المفردات والتراكيب .+ والوضوح والبساطة ، لا تعني البدائية او السذاجة اطلاقا ، لان الاطفال يرفضون ذلك بكبرياء ، ويعتبرونه اهانة شديدة لقدراتهم .

ومن الضروري شحن قصص الاطفال بوجه خاص ، والمواد التي تتناول حوادث بفيض من الافعال ، لان الافعال البسيطة الواضحة المعبرة تمنح الحدث والقصة ، نبضا جديدا يجذب الاطفال ويشدهم وتبدو للاطفال حبكة المادة الادبية وكأنها سلسلة نشيطة من الحوادث . ولا شك ان اكثر الافعال كسلا هو الفعل « كان » ، ومع ذلك فانه ، للإسف يحشر في ادب الاطفال كثيرا !

ومن الضروري الاقلال من الافعال المزیدة او المبالغ في اشتقاقها او المبنية للمجهول .

والجملة القصيرة ، اشد قربا من الطفل ، لان الطفل يريد من الجملة نتيجة سريعة ، وهو قليل الصبر لا يحتمل التريث ، ويريد من تراكيبيها ان

تكون واضحة ، لانه لا يحمل نفسه كثيرا مشقة الاستنتاج ، ويفضل ان يتسلم
النتائج جاهزة ، في كثير من الاحيان ♦♦

واذا كان من الضروري ان نستوقف اذهان الاطفال عند كثير من القيم
والمفاهيم والافكار من خلال مضمون هذه المادة او تلك ، فان هذا حيال
الاسلوب غير جائز ، لاننا لا نريد للطفل ان يقف محتارا امام الكلمات
والتراكيب ليسأل نفسه عن معانيها ♦♦ ومن يضمن لنا ان يتساءل الاطفال مثل
ذلك التساؤل ! ♦ كما لا نريد ان يبدد الاطفال وقتا في الوقوف عند الكلمات
والتراكيب ، ذلك الوقوف الذي كثيرا ما يذهب بمتعة الطفل ، وربما ينسيه
الافكار التي نريد لها ان تتضح امام ذهنه ومخيلته ♦

وعليه ، فان ادب الاطفال يعتمد الى الايجاز والسرعة واستخدام الجمل
القصيرة الواضحة التي يمكن ان يفهمها الاطفال دون عناء ، واكثر الاساليب
تأثيرا في الاطفال تلك التي يجدون فيها السرعة والرشاقة والخفة والتي تنهج
نهج الكلمة المنطوقة ♦

والجديد ، وغير المؤلف ، يثيران كل انسان ، والطفل اشد استشارة
بهما ، لذا تؤلف الجودة عنصرا مهما في ادب الاطفال من حيث المضمون الذي
نقدمه والاسلوب الذي به نخاطبه ، اذ لابد ان نضفي على اسلوبنا قدرا من
الطلاوة التي تشعر الطفل بالجدة ، فكما ان المعلومات والحقائق والمفاهيم
والقصص الجديدة تستحوذ على مشاعره ، تثيره ايضا الالفاظ والعبارات
الواضحة الجديدة التي لا يجد وكأنها تكرر يثقل كاهله ، اضافة الى ان
الكلمات والعبارات المتكررة كثيرا ما يجدها الطفل قد فقدت جمالها وخفتها ،
بل ومعناها ايضا ♦

والاطفال شديداو النفرة من القوالب الجامدة ، وقد اطلعت على عدة اعداد
من احدى مجلات الاطفال ، فوجدت ان اسرة التحرير استساعت صياغة
قصصية ثابتة الابعاد لمعظم موضوعاتها ، فظهرت وكأنها مفتعلة في صياغتها ،
ولا شك انها لاقت عزوف الاطفال ♦

وهنا ، لابد من الإشارة الى انه لاضير من تكرار بعض الاسماء مرتين أو ثلاثا او اكثر حيثما وجدنا في استخدام الضمائر ما يستوقف الطفل عند الجملة .

ويجب عدم المغالاة في التبسيط او المبالغة في تقديم المعلومات او الافراط في الايضاح ، حيث يمكن من خلال الاسلوب المؤثر الكشف عن الجوانب الايجابية والسلبية لاية فكرة او موقف بحيث نجعل الاطفال يققون الى جانب كل ما هو ايجابي بشكل تلقائي ، كأن نظهر ارتياحا ازاء أمر من الامور او مشهد من المشاهد بحيث ينساق الطفل نحوه ، وينفر مما يناقضه ، وهذا يعني ان نلجأ الى التلميح الواضح دون الإشارة الصريحة المكشوفة ، اي ان نلجأ الى شعور الطفل ذاته ، وحين نوقظ مشاعره ، ونثير احساساته ، ونلهب انفعالاته يبدأ ميله في اتخاذ الموقف .

ويلاحظ ان الاطفال ينفرون من اي مضمون ادبي يشعرون انه مفروض عليهم ، حتى ان كان اسلوبه مناسبا ، وهذا يلزمنا ان نتجنب افتعال الحوادث او الاكثار من المضامين ذات الطابع الدعائي السافر .

كما انهم شديداو النفرة من النصائح والارشادات ، ومع انهم لا يشقون عصا الطاعة في كل مرة ، ويتنازلون ، احيانا ، ازاء الارشاد المخيف او النصيحة القاسية ، الا ان تأثير هذا الاسلوب قصير العمر ، لان الطفل يبدأ فجأة في اعتبار نفسه كبيرا ومستقلا ، فتذهب تلك المساعي العرجاء ادراج الرياح .

وقد توصلت احدى الدراسات في الاتحاد السوفيتي الى ان السلوك يصبح جزء من شخصية الطفل حينما يتبنى الطفل فكرة ويمارسها باسلوب فعال وايجابي ، اما حينما تفرض عليه هذه القيم من الخارج فانه ينفذها طالما كان هناك من يراقبه ، ولكن حالما تزول الرقابة يعود الطفل الى سيرته الاولى^(١٨) . وعلى اية حال ، فان الكتابة المترنة التي يقرأها الاطفال بسلاسة وسرعة

هي في العادة ثمرة جهد شاق يبذله الكاتب ، وذلك لان ابسط الالوان
الادبية على القاري اعقدها على الكاتب .



واذا ما اردنا ان نحدد بشكل ادق اهم مبادئ وخصائص اسلوب ادب
الاطفال فائنا نقول : ان اهم مبادئ اسلوب ادب الاطفال هو : الاقتصاد
الذي يتمثل في تقديم الافكار بصيغ ادبية لا ترهق الطفل ولا تكلفه جهودا
كبيرة ، عن طريق استخدام كلمات وتعابير واضحة لا تحتل اكثر من معنى
واحد . وان تكون الكلمات والتعابير معبرة موجية ، مع عدم اللجوء الى
الاطناب ، حتى لو كلفنا ذلك الاستغناء عن اكثر من فكرة او حقيقة . وكثيرا
ما يشعر الاطفال بالافكار والحقائق الكثيرة التي تتوارد في ثنايا المادة الادبية
على انها دخيلة . . وتتحدد اهمية الافكار والحقائق في مقدرتها على دفع
الطفل على التفكير والتأمل .

اما ابرز خصائص اسلوب ادب الاطفال فهي : وضوحه ، وقوته ،
وجماله ، ويتمثل وضوح الاسلوب وبساطته في وضوح الكلمات ، ووضوح
التركييب اللغوية وترباطها ، ووضوح الافكار . . وكل غموض في هذه
الجوانب يشوه المادة الادبية وقد يفسدها .

« والحقيقة تكون دائما اكثر جمالا اذا تعرت ، ويكون التأثير الذي
تحدثه عميقا بقدر ما يكون التعبير عنها بسيطا ، وذلك راجع ، من جانب ، الى
انها في ذلك التعبير تستحوذ استحوادا كاملا على روح القارئ ، ولا تدع
له من الخواطر الجانبية ما يشتت ذهنه ، ومن جانب آخر ، لان القارئ
يشعر انه لا يوجد من يحاول خديعته وافساد ادراكه بفنون البلاغة ، وان كل
ما للقول من اثر في نفسه نابع من نفس الشيء ذاته » (١٩) .

اما قوة الاسلوب ، فانها تتمثل في المثيرات او المنبهات التي توظف احساس

الطفل ومشاعره ، وتحرك وعيه وخيالاته ، وتدفعه الى التأمل والتعاطف ،
اضافة الى ما تضيفه الى الفكرة من جمال .

ولا شك ان استخدام الكلمات المعبرة ، واطلاق الصفات الخاصة ذات
الاثار الانفعالي في الطفل دون الصفات العامة المألوفة ، والابتعاد عما يسبب
عثرات في قراءة الطفل او بلبلة ذهنه ، كلها ، ادوات تمنح الاسلوب القوة ،
وتعمل على استثارة اهتمام الطفل وجذبه ومشاركته الفكرية ، وتهيء له أن
يفكر ذات التفكير الذي كان يدور في ذهن الكاتب وتنقله الى ذات الاجواء
التي رسمها .

اما جمال الاسلوب ، فانه يتمثل في التناغم بين الاصوات والمعاني عن
طريق استخدام ألفاظ وتعايير سلسلة موحية ، وفي التواء بين الافكار والمواقف
وما يثيره من احساسات ومشاعر دون اصطناع او تكلف .

كما ان من ملامح جمال الاسلوب : التوافق بين الاسلوب والافكار ،
لان الافكار المختلفة تستلزم تعبيرات مختلفة ، اضافة الى تواءم الاسلوب مع
قدرات الطفل الادبية والعقلية والعاطفية .

وهنا لابد من الاشارة الى انه لا يصح الاعتماد على قاموس الطفل
اللغوي وحده ، لان للاطفال - الى جانب قاموسهم اللغوي - قاموس ادراكيا ،
وهذا الاخير يعني قدرة الاطفال على فهم كلمات وتعايير اخرى من خارج
قاموسهم اللغوي الذي يتحدثون به . ولكن هذا لا يبرر لنا الخروج على
المدى الذي يرسم قدرات الاطفال على الفهم .

واخيرا لابد من توفر الخفة في اسلوب ادب الاطفال . بحيث نستطيع
القول ان كل فقرة منه لابد ان تحمل : فكرة ، وابتسامة .

الفصل الخامس

أَدَبُ الْأَطْفَالِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

ليس في تراثنا الادبي - رغم ثرائه - ما يمكن ان نسميه : ادب اطفال *
ويبدو ان الصغار كانوا يتداولون القصص والحكايات الشعبية التي يتناقلها
الكبار (٢٠) ، وما (الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة) الا حكايات وضعتها
مخيلة القصاصين لابناء الشعب في عهود كان فيها الشعب قليل المعرفة ،
يؤمن بوجود الجن والعفاريت ويجد متعة في اخبار الكنوز المطمورة والقصور
المسحورة التي تنقله الى عالم خيالي رحيب ينسيه مرارة الواقع ومتاعب
العيش (٢١) *.

وهكذا كان الامر في كل مكان ، حيث وجد الاطفال ، في مختلف
العصور ، الحكايات والحوادث التي تنسجها أخيلة الشعب الزاد الادبي
الذي يتناولونه ، سواء كان سهلا مستساغا أم كان صعبا عسير الهضم ، ولكنه ،
في الغالب ، كان كثيبا لما ينطوي عليه من حكم ومواعظ وامثولات قاسية *.

لذا ، قلنا : ان أدب الاطفال جديد على الاداب العالمية كلها ، حيث لم يعن به أحد وفق الصيغ الحاضرة ، الا في العصر الحديث ، حيث زاد الاهتمام به في العقود الاخيرة زيادة واسعة بعد ان تنامت الدراسات عن الاطفال وظهر علم جديد هو : علم نفس الطفل ، اضافة الى ظهور نظريات التربية الحديثة *

ورغم تزايد الاهتمام بادب الاطفال في أكثر بقاع الدنيا ، الا أن أدباً للاطفال العرب لم يتبلور بعد ، ولم تظهر له شخصية متميزة * ويرجع ذلك الى عوامل عديدة منها : طغيان النظريات التربوية التقليدية التي ترى في الطفل رجلاً صغيراً * . يضاف الى ذلك ان المجتمع كان مجتمع رجل قبل كل شيء * وليس هذا فقط ، بل ان الاهتمام بالثقافة والاعلام هو ظاهرة حديثة نسبياً في مجتمعنا العربي المعاصر *

وعلى أية حال ، فان ما قدم وما يقدم للاطفال وفق النظريات التربوية التقليدية لا يمكن اعتباره « أدباً للاطفال » لانه في هذه الحالة يفتقد أهم عنصر فيه * وكل صيغة تقدم للاطفال لاتراعي في الطفولة خصائصها باعتبارها كائناً متميزاً له دوافعه وميوله وخيالاته وقدراته هو بعيد عن ادب الاطفال الحق * . ولكننا هنا نفرق بين هذا الاتجاه الخاطئ وبين البدايات الجادة السليمة ، والتي يمكن ان نقول استناداً اليها أن أدب الاطفال هو في المهد ولكنه سليم معافى *

وبوجه عام ، فان كل ما وصل الى أذهان وأخيلة اطفالنا نبع من مصدرين : أولهما : عن طريق الترجمة من بعض اللغات ، وخاصة اللغة الانكليزية والفرنسية ، وثانيهما : تبسيط بعض الحكايات والاقاصيص العربية المستمدة من تراثنا الادبي *

اتخذ السيلان من القصة والاقصوصة والحكاية صيغة له ، أما الجوانب الاخرى من ألوان أدب الاطفال فلم تلق العناية آنذاك ، بل هي لم تلق ما تستحق حتى اليوم ، رغم أن ادب الاطفال يشكل كلاً لا يقبل

الجزئية ، وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالمستقبل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لاية أمة ، والامم لاتقاس ، اليوم ، بمقدار مابنته في ماضيها، ولا بما حقته في حاضرها ، فحسب ، بل بمقدار ما اعدته لمستقبلها .

وما يزال جيل الشباب ، حتى اليوم ، يعاني من آثار هذه الفجوة العميقة ، بين الحياة وبين الثقافة . وهذه التيارات الشاذة التي تفترق أسبابها مثلما تفترق أهدافها ، وهذه السيادة التي تحظى بها العقليات التقليدية في بعض الربوع العربية ، وهذا النزوع للتخلي عن المسؤوليات والقائما على الآخرين ، والاتكالية ، والتكاسل ، وسلوك أقصر الطرق واسرعها لتحقيق الاهداف ، وتجنب السبل السليمة لمجرد احتوائها على بعض المصاعب والمعوقات في جميع الاعمال والمناشط ، وهذا التعلق بالغيبات ، وهذا القصور في الشخصية ، وهذا التخلف والتمزق الاجتماعي وما الى هذا وذلك ، كلها تعود في الاساس ، وبنسبة عالية ، الى عدم انتهاز هؤلاء في طفولتهم لادب هادف يبنى شخصياتهم وينمي تكوينهم الاجتماعي والنفسي والعقلي .

ونعود ، الى المصدر الاول الذي استمد منه الزاد الثقافي لاطفالنا ، وهو الترجمة ، وهو مصدر لا اعتراض عليه ، اذا ما أحسننا اختيار المواد الاصلية والمناسبة . والمعروف اليوم أن نسبة عالية من ألوان الادب المقدمة للاطفال في البلدان الاشتراكية هي مواد مترجمة عن لغات مختلفة ، ولكن الاختيار يتم وفق مواصفات محددة ودقيقة .

ولكننا حين نتصفح اكداس الكتب المترجمة والمقدمة لاطفالنا ، نجد انها ليست الا شتيئا غير متجانس من القصص والحكايات والمسرحيات ، والتي لا يصلح كثير منها لاطفالنا ، ويتوخى ناشروها - في الغالب - الربح المادي - قبل أي شيء آخر ، واقبال الاطفال عليها ، وشغفهم بها لايعنيان - ولا شك - انها مناسبة أو صالحة لهم .

أما المصدر الثاني ، فهو تلك الحكايات والاقاصيص التي استمدت أكثرها من التراث العربي ، ورغم امكانية استمداد مضامين رائعة منها لالوان عديدة من أدب الاطفال ، الا ان مثل هذا لم يتحقق بعد . فقد قدمت بعض الحكايات والعبر ، كما هي ، اسلوبا ومضمونا ، في الوقت الذي تطورت فيه لغتنا العربية خلال هذه الاحقاب الطويلة ، كما ان مضامينها أقيت كما هي ، في الوقت الذي يفرض عصرنا الحاضر التقدم بمضامين جديدة تناسب أطفالنا .

أما الحكايات الشعبية التي كانت تتناقلها العجائز ، فقد تولت بعض دور النشر التجارية تقديمها الى الاطفال رغم قساوة وكآبة اغلبها .

وهنا ، لا يمكن أن ننسى ان كثيرا من الاقاصيص المستمدة من تاريخنا ، والحكايات الشعبية التي نسجتها أخيلة الناس في عصور مختلفة ، هي وليدة عصور العبودية والاقطاع ، كما انها بالاساس لم تكتب للصغار ، بل كان يتداولها الكبار في تلك العصور المتخلفة ، وعليه ، من الخطأ ان نعتبر جميع تلك الاقاصيص والحكايات التي تعبر عن واقع غير واقعنا زادا رئيساً لأدب الاطفال - نعم ، قد تتضمن بعض تلك الاقاصيص والحكايات عبراً وأخيلة توسع المدارك ، ولكننا نرى اليوم ان من الضروري حرف أخيلة أطفالنا نحو الواقع من أجل أن يكتسبوا زخما يستطيعون من خلاله مواجهة الحياة فيما بعد ، كما أن من الضروري أن لا ندفع بعالم الطفولة الى عالم الوهم (٢٢) ، علما ان هناك فرقا شاسعا بين الخيال والوهم .

ومن الجانب الآخر قد تخلق بعض القصص السحرية والخرافية التي هي - كما أشرنا - من تركات المجتمعات المتخلفة في طفولتنا روح العدوان والوحشية ، وتبرز صور الخوف والقلق ، علماً أن التطور الاجتماعي والعلمي يمكن ان يتمخض عن قصص خيالية تلائم طبيعة الحياة الجديدة ، وتدفع بها الى أمام ، كما أن بالوسع تحويل تلك القصص والحكايات وابرار الجوانب التي تشجع على الوثام والتعاون والمساواة ومحاربة المعتدي

واستحصال الحق ، بحيث تبدو ملائمة للحياة المعاصرة ، لانه لا يحق لنا أن نجعل من طفولتنا حبيسة أخيلة متخلفة .

وهذا لا يعني اننا ندعو الى صرف الطفولة عن الاخيلة ، بل بالعكس ، لان الخيال هو خير غذاء فكري للطفولة ، ولكننا ندعو الى ايجاد صلة تربط بين الاخيلة التي تأتي وبين الواقع الذي يحياه الطفل ، وبذلك توفر للطفولة عنصرين اساسيين في الحياة هما : سعة الخيال والقدرة على الحياة .

ومع هذا ، أريد ان أكون اكثر وضوحا في هذا الامر ، وهو ان تراثنا العربي ، فيه من الثراء ما يمكن ان نستمد منه ألواناً أدبية رائعة لا كالتي نجدها اليوم تنقل بلغة صعبة وتحمل نفس المفاهيم ، حتى لو كانت مفاهيم يتيمة او باكية .

والملاحظ أن كثيرا من القصص والحكايات والشخصيات القصصية العربية ، اليوم قد ترجمت الى لغات العالم المختلفة وقدمت للاطفال بأسلوب ممتع شائق ، دون الاشارة الى مصدرها .

الفصل السادس

أدب الأطفال في البلدان الاشتراكية

تعني البلدان الاشتراكية عناية كبيرة بثقافة الطفل ، ونجد هناك لونا متميزا من أدب الاطفال ، أدب يعبر عن روح المجتمع الاشتراكي وواقعه ، وينقد المجتمعات الرأسمالية والاقطاعية نقدا لاذعا ، وينشر المحبة والالفة والتعاون بين المجتمع .

وقد تنبعت البلدان الاشتراكية الى خطورة قضية الطفولة وآدابها منذ وقت مبكر .

وقد كان مكسيم غوركي يسمي الاطفال : القوة الكبرى ، ويدعو الى مبادئ أساسية في أدب الاطفال لمختلف المراحل بما فيها مرحلة ما قبل المدرسة ، حيث كتب بعد تأسيس دار النشر لادب الاطفال في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٣ يقول :

« في المجتمع الانساني يقوم صراع يشتد اكثر فاكثر ، هدفه تحرير

الطاقة العضلية الى طاقة فكرية ، والتحكم في قوى الطبيعة ، وتحسين الصحة ، واطالة حياة كل العاملين على الارض ، وتحقيق وحدتهم على المستوى العالمي وفي سبيل الازدهار الحر والمتنوع واللامحدود لاستعداداتهم ومواهبهم .. هذه المبادئ على التحديد ، يجب أن تكون الاساس لكل ادب الاطفال ، لكل كتاب موجه للاطفال بما في ذلك سن ما قبل المدرسة» (٢٣) .

ويعود اهتمام غوركي بادب الاطفال الى عام ١٩١٧ يوم أرسل رسائل الى أصدقائه من كبار كتاب العالم يقول لهم انه وضع هدفا امامه « بالاشتراك مع خيرة كتاب عصرنا لنشر سلسلة كاملة من كتب الاطفال تركز لحياة عباقرة الانسانية» . وكتب لويلز : « ارجوك يا عزيزي ويلز أن تتفضل بكتابة مؤلف للاطفال عن اديسون : حياته واعماله .. فأنت تدرك كم نحن في حاجة في الوقت الحالي الى كتب قادرة على أن توحى الى الاطفال بحب العلم والعمل .. وفي نيتي أن أطلب الى رومان رولان ان يكتب لنا كتابا للاطفال عن بيتهوفن ، وسأكتب بنفسى كتابا عن غارibaldi »

وكتب غوركي عام ١٩٣٠ ، يقول :

« من المشاكل المهمة لدينا تلك المشكلة التي تختص بالتربية الاشتراكية للاطفال في دولة تسير بنجاح في بناء وتنظيم نفسها بطريقة اشتراكية . ولكنها لم تبلغ بعد ذلك الهدف . ان التنظيم الحالي سوف يكتمل بناؤه على أيدي أطفال اليوم الذين تدور حياتهم كلها في أطوار كفاح يومي وتناقضات من كل الانواع بين الاشتراكية الوليدة وعملاق الفردية الذي سيطر خلال ملايين السنين .

يجب علينا أن نروي للاطفال بطريقة فكهة مسلية جرائم رأسمالي احتكاري مثل (كروب) لكي تثير نحوه في نفوس الاطفال عاطفة الاشتمزاز والتميز والنفور .. ولا تثير عاطفة الرهبة والفرع منه . لا بد ان نوجه (انكره الاجتماعي) في اتجاه الزراية بالعدو واعتباره مخلوقا من درجة

أدنى ، بدلا من ان تثير عاطفة الخوف في مواجهة بذاءته وحطته وقسوته ، كما كان يفعل ادب الاطفال « العاطفي » قبل الثورة ، وكان غير قادر بالمرّة على استخدام سلاح السخرية والضحك الحاد واللاذع « (٢٤)

وفي مؤتمر الكتاب السوفيت الثاني الذي عقد في موسكو من ١٥ الى ٢٥ كانون الاول عام ١٩٥٤ انتقد كاتب الاطفال السوفيتي (ليف كاسيل) في تقريره الى المؤتمر (٢٥) بعض الكتاب الذين يضعون للاطفال قصصا يظهر أبطالها الاطفال على مستوى اعلى من مستوى الواقع ، فهم كاملون ليس فيهم ناحية نقص واحدة مطلقا ، وهذا لا ينطبق على الواقع اولا ، وهو - في الوقت نفسه - يؤذي الناشئة ، لانهم يألفون اثناء طفولتهم هذه « النماذج » الكاملة في دنيا القصص ، حتى اذا تجاوزوا عهد الطفولة وجدوا في الواقع « نماذج » بشرية واقعية حية تختلف عن تلك « النماذج » القصصية ، فتصيبهم من ذلك خيبة ، وقد يداخلهم يأس وسوء ظن ، هذا شر كبير عليهم فمن الخير لهم أذن أن يعرفوا منذ الطفولة كيف تكون النواقص في الاطفال ، وكيف تعالج ، وكيف تنمو ، الى جانب ، ذلك قوى انسانية خيرة تستطيع محاربة النقص والقضاء عليه رويدا رويدا .

ويرى ليف كاسيل أن من الخطأ جعل روايات الاطفال قائمة على بطل مركزي واحد او « نموذج » بشري واحد ، على حين ينبغي أن تشتمل هذه الروايات على عدة ابطال من الاطفال ، وعدة « نماذج » طفولية بشرية ، تتمثل فيها عدة نواحي من الحياة الاشتراكية .

ولعل أهم ما جاء في ملاحظات ليف كاسيل ، قوله : ان معظم واضعي قصص الاطفال ، يهتمون بأن يكون أبطالهم من امثال الطيار الروسي تيتشكالوف الذي عبر القطب الشمالي ، أي من « النماذج » البشرية التي تمتاز بعمل من هذا القبيل ، ولا يهتمون بأن يكون في أبطالهم امثال ماياكوفسكي ، الشاعر العظيم ، ممن يمتازون بعظمة فكرية أو أدبية ، فهل

معرفة ماياكوفسكي وامثاله من عظماء الشعراء والكتاب وعباقره الفكر ،
يجب أن تظل وقفا على الناس الكبار دون الاطفال ؟

ويتسيد ليف كاسيل بالثقة العميقة التي يثقها الاطفال السوفييتيون
بقصاصيهم ، ويضرب على ذلك مثالا طريفا ، فيقول : ان كاتبنا من كتاب قصص
الاطفال أذاع مرة من خلال الراديو قصة جاء فيها من خلال الحديث عن بطلها
انه احتاج الى ثلاثة عشر روبلا ، وما أن انتهى الكاتب من اذاعة القصة ، حتى
أخذت دار الاذاعة تتلقى المخاطبات التلفونية والرسائل من اطفال كثيرين في
مختلف الجمهوريات السوفياتية ، يتبرع كل منهم بثلاثة عشر روبلا لبطل
القصة ، ذلك ان اطفال الشعب السوفياتي يعتقدون ان كتابهم لا يكتبون لهم
غير الحقيقة .

وهذه الثقة العميقة التي يثقها الاطفال بكتابهم ، تدل على عظم
المسؤولية التي يضطلع بها الكتاب السوفييتيون حيال شعبهم ، ولا سيما
الذين يكتبون أدب الاطفال ، كما تدل على ضرورة احتراس الكتاب من
أن يختلط عندهم مفهوم الواقعية الاشتراكية في الادب بمفاهيم جامدة
تقف عند نواحي خاصة من الحياة ومن العواطف ومن الحوادث لا تتعداها
الى سائر النواحي الانسانية او الشخصية .

واشار الشاعر الفكاهي السوفيتي سيرجي ميخالكوف في المؤتمر
في معرض حديثه عن ثقة الاطفال ايضا بواقعية الكتاب وبصدقهم ، فقال :
ان احد الاطفال كان يحضر مسرحية تمثل على المسرح الكبير ، واتفق أن
طفلا من أبطال المسرحية ظهر خلال الحوادث انه يحتاج الى ثلاثة روبلات ،
فلما انتهى الفصل وخرج المشاهدون للاستراحة ، تقدم احد الاطفال
الى ادارة المسرح ورجاها أن تقبل منه ثلاثة روبلات مساعدة منه لطفل
المسرحية !

وروى ميخالكوف أيضا ، من نوادر الاطفال السوفييت ، أن أحد

الاطفال كان يشاهد مسرحية أخرى ، فرأى احد الممثلين يؤدي دور بطل برجوازي ، فلما انتهى التمثيل أخذ الطفل يقذف هذا الممثل بالحصى ، قائلا انه يكره البرجوازية ويكره من يمثل دورها في الروايات والمسرحيات •

في أدب الاطفال الاشتراكي قيم ومفاهيم تقديمية ، تستهدف ترسيخ الايمان بالنظام الاشتراكي ، وغرس روح الثورة الدائمة في نفوسهم ، لان مستقبل النظام الجديد يقرره في الغد أطفال اليوم •

ورغم أن أدب الاطفال الاشتراكي لا يؤمن بالصيغ القديمة البالية من العلاقات الشخصية والاجتماعية ، الا انه لا يتنكر للتقاليد الشعبية ، ولذلك نرى في أدب الاطفال الاشتراكي ألوانا مختلفة من القصص والحكايات تدور أحداثها في ظل نظام اقطاعي أو برجوازي ، وهم يهدفون من خلال ذلك تعريف الطفل بمساوىء المجتمع غير الاشتراكي مع إثارة روح النفرة من تلك الانظمة في نفوس الاطفال ، ففي الاتحاد السوفيتي والمانيا الديمقراطية مثلا ، نجد اهتمام المعنيين بشؤون ادب الاطفال بتقديم قصص وحكايات شعبية قديمة تعود الى أزمان مختلفة ، ولكنها تعبر عن روح الكفاح لدى الشعب في تلك الظروف الاجتماعية ، ونرى الى جانب ذلك ، قصصا وحكايات تدور أحداثها في مرحلة الاقطاع تعبر عن روح الكفاح لدى الفلاح من اجل حياة أفضل حتى وان لم يكن يستهدف من كفاحه ازالة النظام الاقطاعي عن موقعه ، حيث تبدو روح الكفاح بصورة مغايرة للصورة المطلوبة في وقتنا الحاضر ، لكنها مع هذا تعبر عن طموح الانسان •• كما ان أدب الاطفال لا يتنكر ، لقصص وحكايات تتجسد فيها الروح الانسانية في مختلف الظروف ، ما دامت تحارب الجشع المادي والتكالب على الربح والمساوىء التي رافقت تطور الرأسمالية (٢٦) •

ومع هذا فإن اختيارا دقيقا يتم عند تقديم مثل هذه القصص والحكايات للاطفال ، لان الطفل الصغير غير قادر على التحليل الكافي وفهم ظروف تلك القصص التاريخية والسياسية والاجتماعية •

وبلغ الاهتمام بالاطفال في البلدان الاشتراكية مدى واسعا ، حيث ما يزال الاطفال يسمون هناك : الطبقة المتميزة ، اذ يقول السوفيت :

« رغم مرور اكثر من خمسين عاما على ثورة اكتوبر الاشتراكية التي ألغت الطبقات ، الا انه ما تزال هناك « طبقة » متميزة ، لها قصورها وحدائقها ونواديها وملاعبها ومسارحها وافلامها وصحفها وكتبها وبرامجها ومكتباتها .. هذه الطبقة الجديدة هي : الاطفال ، لانها تتجاوز في حقوقها وامتيازاتها ما يتمتع به الآخرون » ..

وتتحدد من خلال ما كتبه ناديجا كروبسكايا ، المربية السوفيتية الكبيرة ، بعض ملامح ادب الاطفال في الاتحاد السوفيتي ، حيث كتبت في جريدة البرافدا مقالا عام ١٩٢٣ تحدثت فيه عن منظمة الطلائع ، فقالت :

[قد يقول بعض الرفاق : ما وجه الضرورة في منظمة خاصة بالاطفال؟ انهم سينضمون الى حركة الكومسوسول حين يكبرون قليلا وتتفتح مداركهم ، ولكن ماداموا اطفالا فماذا يستطيعون أن يفهموا ؟ « ليلعبوا وليدرسوا » وهذا كل شيء الآن .

لقد سميت المنظمة الشيوعية للاطفال بمنظمة « الطلائع الاحداث » وتضم الاطفال من الجنسين ابتداءً من الحادية عشرة .

والهدف من هذه المنظمة : تربية « الميول » الاجتماعية في اعضائها بروح المشاركة في الافراح والاحزان ، والتعود على عدم فصل المصالح الشخصية عن مصالح الرفاق ، وتنمية شعور كل فرد بأنه عضو في الجماعة ، وتربية العادات بروح الجماعة ، كالعمل ، وتقديم المساعدة بطريقة جماعية منتظمة ، وتربية الوعي الشيوعي عند الاطفال ، ومساعدتهم في ادراك انهم أعضاء في أسرة الطبقة العاملة التي تناضل من أجل سعادة الانسانية ، وانهم أعضاء في جيش البروليتاريا .

وتدل المعطيات على أن جذب الاطفال في سن مبكرة الى هذه الحركة

يأتي بأحسن النتائج ، وكثيرا ما يسمع الاطفال يقولون : « اننا لا نرى آباءنا على الاطلاق انهم يعملون نهارا ، ويذهبون مساء الى الاجتماعات ، وكذلك تذهب الام الى العمل ، أو تكون مشغولة بشؤون البيت فيتشأ أطفال العمال كما يشاء القدر ، اذ يلوذون في ركن مهمل ، نهبا للسامة ، أو يقعون تحت تأثير الشارع ، ولكن منظمة الطلائع تمدهم بكثير من أسباب الغبطة ، وتساعد قواهم على التطور ، وتربي فيهم روح الاعتماد على النفس ، وتغذي عقولهم بالمعرفة .

وطبيعي أن يكون هناك فرق بين منظمة خاصة بالطلائع ، ومنظمة خاصة باليافين ، ولو كانت هذه مطابقة لتلك لكان الامر سيئا ، ولكن يجب أن تكون منظمة الاطفال منفعمة بروح الشيوعية .

وقبل كل شيء يجب أن تتوفر للاطفال اسباب الغبطة وان يكون لديهم وقت كاف للالعاب . . ولكن اهتمام الطلائع الاحداث لا ينحصر باللعب وحده ، فقد رأى اطفال العصر وسمعوا كثيرا ، ولديهم الرغبة في المشاركة بالنضال من أجل سعادة البشرية وبناء الحياة الانسانية ، ولا بأس أن يكون عمل الاطفال بسيطا : جمع النباتات الصالحة للدوية ، وتنظيف الحديقة الامامية التابعة للمصانع وزرعها بالازهار ، وخياطة القمصان لرياض الاطفال ، وتوزيع بطاقات الدعوة الى الاجتماعات ، وتزيين أندية العمال ، وما الى ذلك . فلاشتراك بمثل هذا العمل الجماعي يلهم كل طفل أن يدرك انه عضو نافع في المجتمع ، ويدفعه الى الاستعداد لعمل ابداعي في المستقبل ، فيجب على جميع المؤسسات السوفيتية ان تعنى بالطلائع ، وتهى لهم امكانيات العمل في فروع جديدة .

وتعتبر حركة الاطفال ثمينة جدا للمدارس ، فأنها تسلح الطفل بالحنق والمهارة ، وتساعد الادارة المدرسية ، وتمدها بطرق جديدة في التعليم ، وترفع مستوى اهتمام التلاميذ بالدروس ، وتثير فيهم الفضول الى المعرفة ، ولهذا فان المعلمين المتقدمين يرحبون بالطلائع [.

وفي خطاب القته المرية السوفيتية في المؤتمر السابع لاتحاد الشيوعية
الشيوعية - اللينينية في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ٢١ آذار ١٩٢٦ ، قالت :

[*** ينبغي لنا ان نساعد الحدث العضو في الطلائع في تفسير معنى
البناء الاشتراكي * ان فتى الطلائع يقول بحرارة واخلاص انه مستعد
للنضال في سبيل الاشتراكية ، ولكن لا يمكن ان نطالبه بأن يشرح فيهم
ينحصر بناء الاشتراكية ، فمن واجبات الحزب والكومسومول أن يساعد
الطلائع في هذا * * وينبغي ان يعرف أن بناء الاشتراكية لا ينحصر فقط في
اقامة قاعدة اقتصادية جديدة وتوطيد الحكم السوفيتي ، بل يشمل أيضا
تربية انسان جديد ، له من كل قضية موقف جديد ، موقف شيوعي ،
اشتراكي ، وان عاداته وعلاقاته مع الناس ، تختلف كل الاختلاف عما كانت
عليه العلاقات في النظام الرأسمالي * * ولا ينحصر بناء الاشتراكية في تطوير
الصناعة وانشاء التعاونيات وتعزير الحكم السوفيتي فحسب ، على الرغم
مما لهذا كله من أهمية عظيمة ، وانما يشمل ، أيضا تجديد تربيتنا
السيكولوجية ومعها جميع علاقاتنا ، ومن هنا كان لحركة الطلائع دورها
العظيم *]

ان الانسان البالغ الذي نشأ في النظام الرأسمالي يتعذر عليه ان يقلع
تماما عما تعود عليه في الماضي من مظاهر السلوك والعادات والعلاقات ،
واما طلائعنا الاطفال فانهم لم ينضجوا بعد ، ولم تكتسب العادات الجديدة
شكلها النهائي في نفوسهم ، وهذا ما ينبغي أن تهتم به حركة الطلائع ، وان
نعنى به نحن الحزبيين ، وقد كتب أنجلز : ان العالم الجديد يولد من احشاء
المجتمع الرأسمالي القديم *]

وحين ننظر الى حركة الطلائع ، ينبغي أن نعرف أن مهمتنا الرئيسية
تنحصر في مساعدة أعضائها على تطوير مشاعر التضامن الاخوي في نفوسهم
مع جميع الشغيلة ، وتقوية مدى الزمالة والرفقة *]

... لقد سررت الى حد كبير حينما استمعت الى معلم لم يعيش في روسيا الا قليلا وقد عاد قادما من اميركا ، فماذا أعجبه هنا قبل كل شيء ؟ وما الذي تغير في روسيا خلال تلك السنوات التي غاب فيها عن البلاد ؟ لقد أعجبه ، على الخصوص ، أن ضمير الجمع المتكلم « نحن » يستعمل هنا أكثر من ضمير المتكلم المفرد « انا » وحينما يسير في الشارع يستمع الى الاطفال وهم يتحدثون « نحن » وكذلك الفتيات ، فانهن يتحدثن بضمير « نحن » وهذا ما أعجبه . ثم يرى امرأة متبرجة ، ويستمع اليها تتحدث ، فاذا هي « انا » وقد لاحظ ان الجميع يتحدث بالضمير « نحن » الا هذه السيدة المتبرجة بطريقة البرجوازيين ، فانها تقول « انا » . وطبيعي ان حياتنا تتجه جميعا الى احلال « نحن » محل « انا » وان لا ينحصر الامر في هذا وحده ، بل علينا ان نعالج كل قضية من وجهة نظر المصالح العامة ، ووجهة نظر المجتمع كله .

.. يقول الاطفال في اكثر الاحيان : ان جدنا لينين أوصانا بأن نتعلم ونتعلم ، وهذا شرح مبسط يقوم به المعلمون ، فما قاله لينين أصبح واضحا لكل انسان ، وهو : من الضروري التزود بالمعارف ، فبدونها يتعذر بناء الحياة الجديدة ، ومن الضروري لاطفال الشغيلة والعمال والفلاحين على الخصوص ، أن يستوعبوا هذه المعارف ، ولكن حتى استيعاب المعارف يجب أن يتحقق على نحو شيوعي ، فتتطور في هذه الناحية ، المساعدة المتبادلة على نطاق واسع ..

تلك هي الاسس التي يجب ان يقوم عليها العمل بين الطلائع في رأيي ، وهي تربية التضامن الرفاعي ، واتخاذ موقف جماعي من كل مسألة ، والتعود على العمل بشكل تعاوني موحد ، والاستزادة من ألوان المعرفة » [.

وفي نيسان من عام ١٩٢٧ نشرت كروبسكايا في صحيفة « اوتشيلسبكياغازيتا » مقالا بعنوان « حركة الطلائع قضية تربوية » قالت فيه :

[قلنا مرارا ان المدرسة وحركة الطلائع ، يسعىان الى هدف واحد ، هو تنشئة الطفل على أن يكون مناضلا وبناءً في النظام الجديد ، ان حركة الطلائع تستهدف تربية الشباب الجديد ، الذي سينهض بقضية بناء الاشتراكية والشيوعية حتى النهاية ، ولا يعني بناء الاشتراكية أن يرفع مردود العمل ويعلى شأن الاقتصاد فحسب ، ذلك ان الاقتصاد المتطور الى مستويات عالية ، ليس الا قاعدة للرفاهية المادية ، واما جوهر البناء الاشتراكي ، فانه في تنظيم المجتمع على نحو جديد ، وفي النظام الجديد ، وفي العلاقات الجديدة بين الناس . اتنا لا نريد أن نبني فقط حياة الاكتفاء والشبع ، بل نريد ان نبني أيضا حياة وضاء مشرقة .+ واذا كان الواجب يدعو الى اعادة تربية المواطنين الراشدين بروح الاشتراكية ، فمن باب اولى ان يربي الجيل الناشئ بهذه الروح .

ان البرجوازية تعتمد التفرقة بين تربية أطفال الشغيلة وتربية أطفال الرأسماليين والاقطاعيين . فهي تحاول ان تنشئ من اطفال الشغيلة عبيدا خاضعين ، وان تربي القادة من اطفال الاقطاعيين والرأسماليين ، وتحاول بمختلف الطرق التربوية ان تمحو شخصية اطفال الشغيلة ، وان تحول دون تطورها وبروزها ، وأن تسلبهم طابعهم ووجهتهم وروح المبادرة فيهم ، ليشبوا جامدين خاملين ، واذا تمردت الشخصية عند بعضهم على هذا المصير ، فان بعضهم يؤلب على البعض لآخر ، ليتحولوا الى خدم مخلصين للبرجوازية .+ واما اطفال الطبقات الحاكمة ، فتطبق عليهم طرائق تربوية أخرى ، فتحاول البرجوازية أن تجعلهم أصحاب شخصية فردية تخالف الشعب والمجتمع وتستطيع ان تحكم الجماهير .

ان التربية السوفيتية تهدف الى تطوير جميع المواهب عند كل طفل ، وبعث النشاط فيه ، ورفع مستوى مداركه ، وتنمية شخصيته بشكل شامل ، ولذلك كانت طرقنا التربوية مختلفة عما يطبق في المدارس البرجوازية من الطرق التربوية ، كذلك تختلف طرائقنا التربوية عن طرائق

أطفال البرجوازية بشكل جذري ، ان البرجوازية تحاول ان تنشئ اطفالها على الفردية ، فيضعون كلمة « انا » فوق الجميع ، ويعارضون الجمهور ، ولكننا نحاول ان ننشئ بشراً سوياً متطوراً بشكل شامل ، قوياً في الجسم والوعي والادراك ، ونحاول أن لا يكون اطفالنا فرديين بل اجتماعيين ، لا يخالفون العرف الجماعي ، بل يشدون أزره ويكونون قوته ويرفعون من شأن الجمهور الى مستويات جديدة ، لذلك كانت للشيوعية طرائق تربوية مختلفة ، اننا نعتقد ان الحياة الجماعية المشتركة تساعد شخصية الطفل على التطور بصورة اشمل واكمل ، وان هذه الحياة لا تمحو شخصيته ، وانما تهىء له ان ينشأ غني النفس بترية حسنة]

ولكن كروبسكايا تنشر قبل وفاتها بعامين ، مقالا في مجلة (فوجاتي) تقول فيه :

[اننا نندفع في أكثر الاحيان من تطرف الى تطرف آخر ، فمنذ حين ، كان الامر يقال : بأن على الاطفال أن يكونوا على وعي بالسياسة منذ المهد ، فكان الحديث اليهم يتضمن أشياء تفوق مداركهم ، وقد أريد لهم أن يصبحوا شيوعيين وهم في مرحلة رياض الاطفال ، وكان هذا بعيدا عن الصواب ، وفي الوقت نفسه لا ينبغي تصغير شأن الاطفال والاعتقاد بانهم لا يدركون شيئا ، بل علينا ان نحدثهم بكثير من الاشياء ، وان نوسع آفاقهم ، وان نساعدهم في أن يصبحوا اجتماعيين . اننا نروي عليهم كثيرا من الحكايات ، ولكن الواقع أشد اغراء لهم من الحكاية ، كما ان ألوان الحكاية مختلفة ، فثمة حكايات غنية بمضمونها وبماثلتها التي تصور طباع الناس ، وتتحدث عن مختلف العلاقات الانسانية ، وكذلك توجد حكايات تعلق المدارك ، وتعيق الاطفال عن أن يفهموا الناس والحياة بشكل صحيح . ان الحياة تجتذب الاطفال بمظاهرها المتنوعة ، فينبغي أن نعنى صحيح . ان الحياة تجتذب الاطفال بمظاهرها المتنوعة ، فينبغي تحشو أذهان الاطفال بسياستها البرجوازية ، وتربط ذلك بالدين ، وتعمل

على اثاره البغضاء بين الامم * وتقوم البلدان الاجنبية بهذا النشاط في حذق ومهارة ، معتمدة على تجربتها وطول باعها . في تنشئة الاطفال على الحمق وتحجر الذهن منذ الصغر ، وتتمتع الكنيسة الكاثوليكية والبرجوازية بخبرة واسعة في هذا المجال ، وتنشط له في مختلف البلدان الاجنبية [٢٧] وجاء في تعليق رسمي سوفيتي عن « اكتوبر والاطفال » عام ١٩٦٧ :

[كان شعار مؤتمر منظمات الاطفال من جميع القارات ، الذي انعقد في قصر الرواد الشباب في موسكو « ثورة اكتوبر والاطفال » *

لقد مضى نصف قرن على ثورة اكتوبر * * * ومنذ اليوم الاول للثورة اولت السلطة السوفيتية اهتماما بالغاً بالاطفال * * * فقد تم تنظيم الاطفال في منظمة لتأهيلهم للمساهمة في بناء المجتمع الاشتراكي ، وفي عام ١٩٢٢ خرجت منظمة الرواد الشباب الى الوجود * * * والفلسفة البرجوازية تحاول دائما ان تزعم : لماذا يحاول الاتحاد السوفيتي اقحام الاطفال في منظمة في باكورة سني أعمارهم * * * ولماذا يثقف الاطفال والشباب على حد سواء بالوعي السياسي ؟

والحقيقة انه لا توجد منظمة في العالم لا تعكس ، بهذا الشكل أو ذاك ، الافكار الاجتماعية ، ولماذا تخفي منظمة الاطفال والشباب اغراضها التثقيفية ، فهي ليست بحاجة الى ان تخفي ماتريد ان تعلمه * * *

وجميع المنظمات في الاتحاد السوفيتي تبدي اهتماما بالغاً بشؤون الرواد الشباب * * * وقد ساند العديدون النداء من اجل تعزيز وحدة منظمات الاطفال التقدمية *

وتحدث احد المشاركين الاجانب في المؤتمر قائلا :

لقد كان الاطفال السوفيت في العشرينات يردون على سؤال : ماذا تريد
أن تمتلك أكثر من أي شيء آخر ، بانهم يريدون امتلاك الكثير من النقود
♦♦ اما اليوم فهم يردون على نفس السؤال بقولهم : نريد أن نحلق في
الفضاء ♦♦ نريد ان نسافر كثيرا ، نريد ان نعمل شيئا نافعا للانسان [♦♦

الفصل السابع

أدب الأطفال الصهيوني

وسائل « ثقافة الطفل » في (فلسطين المحتلة) تعمل من اجل أن تدخل في روع الاطفال مفاهيم القوة والعنف والعداوة ، وتثبيت معاني القتال حتى الموت في نفوسهم ، وهي تعلمهم أن حياتهم ، كأطفال ، مرتھنة بالانتصارات الدائمة على العرب ، كما ان حياة امھاتهم وآبائهم واخوانهم وافراد أسرهم الآخرين يھددها العرب باستمرار •

والاھداف التي تسعى اليھا السلطات الصهيونية وفقا لما نص عليه البرنامج التربوي للدولة هو : تنمية الوعي اليهودي - الاسرائيلي لدى الاطفال والشبان وغرس المبادئ الصهيونية في نفوسهم وتلقينهم قيم « الحضارة اليهودية » وحب (اسرائيل) والولاء لليهود (٢٨) •

وتسعى الصهيونية الى خلق احساسات جديدة للتعاطف والولاء لدى أطفالهم * * ويقول ناحوم جولدمان :

« على الصهاينة ان يحملوا الاشخاص على تغيير حياتهم عن طريق الاختيار لا عن طريق الدوافع الدينية ، وهذا الانجاز لا يتم عن طريق القرارات والخطب المنمقة ، لان لنا اهتماما بالعملية النفسية ، علينا التوجه الى الاطفال * * » (٢٩)

ولهذا تنشط الصهيونية لتمجيد ما يسمى بالبطولة اليهودية عبر التاريخ وتحريك نوازع الاطفال النفسية واذكاء آمالهم التي ترسمها الصهيونية ، في صور أدبية حديثة *

والى جانب ذلك تسعى الى عرض صورة شوهاء للعرب : انهم كثيرون العدد ، كثيرون الموارد ، ولا يريدون غير اباداة اليهود وازالة « اسرائيل » من الوجود *

ولكن وسائل ثقافة الطفل هناك ، في الوقت الذي تظهر العرب بهذه الصورة الشوهاء تعمل على عدم ادخال الخوف في نفوس الاطفال في الارض المحتلة ، لانها في النهاية تؤكد ان النصر دائما لليهود ، وتختلق نماذج وصورا من « الانتصارات » الصهيونية ! وبهذا ، فهي تحاول تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الاطفال في القضاء على « العدو العربي » من جهة ، وازالة اسباب التوتر والخوف لدى الاطفال اليهود من جهة ثانية *

وحين تستعرض التاريخ بين العرب واليهود ، فانها تصوره عداء دائما ، وان هذا العداء الطويل لا يمكن له أن يزول ، لان اليهود لم يثأروا حتى اليوم رغم مضي الاحقاب الطويلة ، وعليه فان في اعناق الاطفال مسؤولية اكمال الثأر الناجز *

وتشيع في ادب الاطفال الصهيوني - من خلال وسائله العديدة -

قصص البطولة ، وخاصة « البطولة اليهودية » التي كان لها دورها في الحاق الهزائم بالعرب !! وان اليهود يحملون السلاح بأيديهم والقوة في نفوسهم أما العرب فهم يحملون السلاح بأيديهم ، ولكنهم يحملون الهزيمة في نفوسهم !!

وتتوارد في قصص الاطفال بطولات يهود يجازفون بحياتهم من أجل « اسرائيل » ، وجنود عرب لا يريدون غير النجاة بارواحهم !

ويلاحظ ان لادب الاطفال والمناهج المدرسية أثرا كبيرا في صياغة العقل والخيال لدى الاطفال « فقي دراسة أجراها أحد اساتذة علم الاجتماع في اسرائيل عن طلاب المدارس الابتدائية ، خرج بالنتيجة التي تقول ان ٦٠٪ من بين ١٠٦٦ طفلا قابلهم تتراوح أعمارهم بين ٩-١٤ أيدوا الافناء الكلي للسكان العرب المدينين المقيمين في الارض المحتلة في حالة وقوع صراع مسلح مع الدول العربية » (٣٠) .

وتستهدف التربية الصهيونية ، بوجه عام ، نشر اللغة العبرية ، وتنمية الروح العسكرية لدى الاطفال ووضعهم في جو مهيا نفسيا للحرب ، واضفاء مسحة القداسة على حياة اليهود وتاريخهم ، ونشر التعاليم والتقاليد التي وضعها حكماء اليهود مستمدين روحها اساسا من بعض المذاهب الدينية اليهودية ، ومتجهين بمضمونها الى تحقيق هدف سياسي عنصري (٣١) .

وتتضافر جهود منظمات عديدة من اجل توجيه الاطفال وجهة خاصة حتى يبلغوا الثامنة عشرة حيث يتقدم الجيش لاكمال تربيتهم وتثقيفهم . وقد انتقد كاتب اسرائيلي هذا الاتجاه ، حيث قال في دفاعه اثناء محاكمته :

« انني وجدت العناية منصرفة في هذا البلد لخلق شباب متعصب الى أقصى حدود التعصب ، فهو يربى تربية عسكرية ، ويوجه توجيها حربيا

الى أهداف احتلالية ، ويتلقى تعليمًا تعصبيا من النوع الضيق جدا كالذي يطبق في الدول العسكرية .. انهم جعلوا الجيش هنا قبلة للنسبية ومنحوه مركزا ممتازا ، كما كان اليابانيون والنازيون يؤلهون جيوشهم .. انهم في هذا البلد ينشئون الاطفال هذه التنشئة العسكرية ، ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التي تملكها الدولة .. انهم يطبعون كل شيء بطابع الروح العسكرية .. طابع الغزو الاستعماري » (٣٢) *

وانتقد تمار مروز (٣٣) (في ملحق هاآرتس الاسرائيلية ١٩٧٤/٩/٢٠) كتب الاطفال في اسرائيل والتي « تنشر من وقت الى آخر ، ويتخاطفها الاولاد بحماسة ، وموضوعها دائما كيف ينتصر الاولاد الابطال على العرب المثيرين للضحك ، والاغبياء الذين يريدون قتلنا من اجل لذتهم الشخصية .. ومن العجيب ان هذه الكتب تكاد ان تكون الوحيدة التي تختفي من على رفوف المكتبات ، فهي لا تكاد تعرض حتى تجد صفا من الاولاد في انتظارها *

ولسب مروز الى أحد الآباء قوله : « انه لمذهل حقا انكباب الاولاد على هذه الكتب التي تتضمن وصفا مفصلا للرعب والفاشية والتنكيل ، وصورا كاريكاتيرية منفرقة عن العرب الذين يوصفون بالجبن والحقارة * لكنني لم أفصح في منع الاولاد من قراءتها * انهم ضحايا تخدير تام »

وأشار مروز الى كتب ألفها يفتال موسينزون في الخمسينات بعنوان « السامبا » حيث يقول « كانت تلك الكتب تعتبر فاسدة يوم صدورها ، أما اليوم فانها تعتبر كلاسيكية ، اذا قيست بسيل كتب الاطفال التي طغى من بعد .. فقد كتبت ارنونا غادوت عن « جماعة شوفتيشيك » وعن « الاربعة البغيضين » و « عملية غوش عتسيون » وكتب رفائيل سهر عن الاولاد « مقتحمي الاهرام » وكتب ج * اورغيل عن « الجبابرة يتعقبون المخربين » وكتب حاييم غيبوري كتابا عن جماعة تدعى « هافوعوز » تنتصر « بسهولة على العرب الاغبياء » * ولكن الكتب الواسعة الانتشار حقا والتي يصل مدى توزيعها الى أرقام خيالية هي التي يؤلفها كاتبان هما

عيدان ستر ، واون سرينغ * وتقع كتبهما في مسلسلات عديدة ، وتتناول موضوعا واحدا : « الفتى الاسرائيلي الصغير البطل الذى يصل معسكر العرب الجبناء وينتصر عليهم *** » ويقول عيدان ستر في احدى قصصه « *** لابد من الخروج لمواجهةهم من جديد بكل قوة وحملهم على الفرار مرة أخرى * لا يهم بأي سلاح : بمسدس أو سكين أو قبضتي صوان * كل شيء وارد في اللعبة * وصدقوني : من جاء ليقتلك بادره واقتله » *

ويتابع مروز : « اتضح ان عيدان ستر ليس الا حزاي لوفمان ، رئيس تحرير مجلة الجيش الاسرائيلي « بماحايه » سابقا * ويقول عن نفسه « بعد أن خدمت في قوات البالماح ، عملت في القيادة العامة بعض الوقت خيرا في الشؤون العربية » *

أما أون سرينغ ، مؤلف سلسلة تزيد على العشرين حلقة ، فهو عضو منظمة « ليحي » سابقا ، واسمه الحقيقي شارلما غفتي ، وجاء في احدى كتبه « بعد أن تسلل دانيدان - بطل القصة - الى مصر ، وضع علبة ربط اليها بطاقة مشدودة الى صندوق بخيط مطاط ، وكتب عليها : - علبة الموت - فاذا همس في انبوبتها شعارا معيناً لا تعرفه الا القيادة العامة للجيش الاسرائيلي ، انفجرت ودمرت كل أرض العدو بسكانها » * ورد فعل - المصريين الجبناء - في هذا : - هيا نهرب ! صاح ناصر ، وبدأ يفر ، لكن سرعان ما وقع على الارض * نهض ناصر على الفور وواصل الفرار ، وفر جميع الحاضرين مثله * كان يجب ان تشهدوا مثل هذا الفرار - وقال دانيدان في نفسه : لقد قمت بواجبي على أحسن وجه ، ومن الان لا يجرؤ المصريون على شن حروب ضدنا » *

هذه اللوحة السريعة المأخوذة عن صحيفة هآرتس الاسرائيلية تعطي جانبا من الصور التي يرسمها أدب الاطفال داخل الارض العربية المحتلة ، ولكن هناك نسطا آخر من أدب الاطفال ، تتناول منه سبع كتب كنموذج :

كتاب للأطفال صدر في تل ابيب عام ١٩٧١ لزيڤياح بنشالوم ، يتضمن تسع قصص قصيرة ، تصف حياة جماعة من الاطفال يعيشون في حي من احياء تل ابيب ، ويتعرضون للمنافع التي يتلقونها باعتبارهم اطفالا في مدينة كبيرة . ومع ان القصص الثماني الاول تتناول حلقات عرض للازياء ، وسفرات قصيرة للنزهة ، ولعبة لكرة القدم ، الا ان القصة الاخيرة تكشف عما يمكن أن يتخيله الاطفال ، وكيف يمكن ان يتصرفوا لو كانوا أبطالاً لاحدى المغامرات . . ويتنهدون الى ان الحي الذي يعيشون فيه حي ممتع (٣٤) .

وفي كتاب عنوانه « سر الكلمات المفردة » صدر عام ١٩٧٠ في ١٢٩ صفحة ، لموشي بنشالول ، قصة مغامرة يجتمع فيها اطفال من القدس ومن طبرية ، فيقيمون حياة في مجتمع مزيج . . ثم تستعرض القصة تلك الحياة الجديدة (٣٥) .

وفي كتاب بعنوان « السقوف الحمراء » صدر عام ١٩٦٥ في ١٠٢ صفحة ليهوعاش بيير ، مجموعة من القصص القصيرة التي تتناول طفولة المؤلف واثنين من اصدقائه في قرية في الجليل ، وهي تعكس قلق وفرح القرويين (٣٦) .

وفي كتاب بعنوان « في ظل شجرة السنط » في ٩٦ صفحة صدر عام ١٩٦٩ لبني متيف مجموعة من القصص القصيرة عن جماعة من اليهود ينشئون مزرعة جماعية « كيبوتز » في الصحراء قبل اكثر من ثلاثين سنة . وتعرض القصة لحياة العمال في المزرعة وسط البدو المجاورين ! وتتناول القصة الاخيرة حياة الاطفال في المزرعة .

وفي كتاب بعنوان « الجيديونيت » صدر في تل ابيب عام ١٩٦٧ في ٢٠١ صفحة لعمر ديفورا ، قصة امرأة بارزة تدعى « سارة اجارونسون » وتتناول القصة حركة المقاومة في الحرب العالمية الاولى . وتتألف تلك الحركة من شباب قرى شومروم ضد الامبراطورية العثمانية . .

وفي كتاب « حياة الكلب ريزي » صدر في تل ابيب عام ١٩٧١ في ٨٩ صفحة لتاموس بنيامين قصة زوج وزوجة لا اطفال لهما ، لذا كان يريان كلبا ، ثم يتركان الكلب عند عائلة مزارعة حين يسافران الى خارج البلاد * وعند عودتهما يستبدلان حياتهما المدنية بالحياة الريفية * ويكون الفلاح والكلب فعالين في مساعدتهما في تنظيم حياتهما الجديدة * ولكن الكتاب في واقعه وصف لطريقة الحياة في قرية تعاونية اسرائيلية « موشاق » (٣٧) *

أما الادب الموجه الى الاطفال خارج اسرائيل والذي تتولى نشره المؤسسة الصهيونية من خلال مئات الصحف والكتب فانه يؤكد الى جانب ما أشرنا اليه ، على ما يسمى بنواحي الجمال والجاذبية في « اسرائيل » بقصد ربط اليهود « باسرائيل » ضمن سعي الصهيونية لجلب ما تطلق عليه « يهود الأشتات من مواطنهم في انحاء العالم الى اسرائيل » * كما تحرص على تعميق الشعور بالذنب في نفوس الاطفال في اوربا تجاه الاطفال اليهود *

ففي اوربا روجت الصهيونية كتابا ملوناً للاطفال اسمه « داود الصغير » أو « حكاية اسرائيل تروى للاطفال » وطبعت منه احدى دور النشر ملايين النسخ الانيقة المطبوعة طباعة فاخرة ، والمزدانة بالرسوم * الكاريكاتيرية الجذابة * والكتاب يحاول ان يزرع بأسلوب مؤثر وجذاب ، أكاذيب بذرتها في قلوب وعقول الاطفال الاوربيين * فهو يقدم لهم « داود الصغير » مورّد الوجه مبتسم الاسارير كنموذج للاطفال « الاسرائيليين » ، وقد مرت عليه محن عمرها عشرون قرنا دون أن يفقد ابتسامته او يفقد أمله في أرض الميعاد !

وداود الصغير خلال هذه الالاف من السنين يواجه اضطهاد العالم : الرومان ، الفرس ، العرب * ثم الصليبيين الاوربيين !! * ويتوقف الكتاب عند الحروب الصليبية ليشرح كيف أن أجداد اطفال اوربا الحاليين قد ذبحوا آلاف اليهود في بيت المقدس !!

ويصور كتاب « داود الصغير » العرب في مظهر المعتدين * ويربط بين العرب وهتلر ** ويصور الالمان في الحرب بعد هزيمتهم وقد لبسوا الطرايش وجاءوا الى الشرق ليواصلوا رسالتهم في اضطهاد اليهود ** ثم تزرع صور الكتاب - في خبث شديد - بذور الشفقة العارمة في نفوس الاطفال على داود الصغير الذي وجد نفسه في مستهل تأسيس دولته يواجه « اضطهاد » العرب والانكليز معاً!! (٣٨)

وفي احد معارض كتب الاطفال التي اقيمت في احدى الدول الاوربية عرضت « اسرائيل » قصة كتكوت صغير يقف وحيدا وسط عدد من الديكة المتوحشة التي تلتف حوله تريد الفتك به * وينادي الكتكوت الصغير بأنه لا يريد شيئاً انه يريد الحياة في سلام وسط هذه الديكة المتوحشة المعتدية ** وقد طبعت هذه القصة طباعة فاخرة مزدانة برسوم جميلة وكلمات بسيطة (٣٩) * ومن مجلات الاطفال اليهودية والصهيونية في خارج فلسطين مجلة Olomeinu our world التي تصدر بالعبرية في نيويورك منذ عام ١٩٤٥ عن جمعية التوراة* (٤٠)

ولعدد من الجرائد اليومية الثلاثة والعشرين والمجلات الاسبوعية الاربعمئة في فلسطين المحتلة ملاحق خاصة بالاطفال ، مثل « الملحق الاسبوعي الخاص بالاطفال الذي تصدره صحيفة معاريف » (٤١) اضافة الى صحف اطفال متخصصة في العلوم والفنون منها « المجلة العلمية التي تصدر منذ عام ١٩٥٦ باللغة العبرية وتوزع نحو ٧٥٠٠ نسخة وهي مجلة Mady science » (٤٢) *

البَابُ الثَّالِثُ

فنونُ الإبريقِ الوُضْعَانِ

الفصل الاول قصص الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

القصة لون رفيع من ألوان الأدب ، وقد كان لها حضورها في الآداب القديمة عموماً ، وهي تتمتع اليوم بموقع ذي أهمية في الآداب الحديثة •
واذا كانت الخرافات والمعتقدات القديمة وأخيلة الإنسان نحو الكون قد ألقت معيماً لما أبدع الإنسان من قصص في فجر تاريخه فأن شؤون النفس والمجتمع – اليوم – هي الزاد الذي تستمد منه القصص في الآداب الحديثة مضامينها •

وخلال العصور المديدة كان القصاصون ينسجون القصص ، وكان الناس يتناقلونها جيلاً عن جيل بعد أن يضيفوا إليها من وحي مداركهم

وخيالاتهم لمسات جديدة • واحتضنت المجتمعات العربية والشرقية عمو
والافريقية كثيرا من الحكايات ، حيث كانت الطبيعة تضمّر في احشائها بعض
ملامح القسوة والعنف فكانت الحكايات واحدة من وسائل الانسان لو
ما ينتابه من مخاوف عن طريق تمجيد اعمال البطولة والشجاعة وابرار دو
« الارواح الخيرة الخفية » في الانتصار على « قوى الشر » في تلك الحكايات
وقد كان الانسان يجد في ذلك بعض ما يبعث في نفسه الاطمئنان ، لان ما يقا
الانسان وما يثير مخاوفه ليست أدوات القوة والعنف ذاتها بقدر ما كان
تثيره تخيلاته وآراؤه عن تلك الادوات •

وقد كان للاتصالات الانسانية عن طريق الغزو والحروب والتزاو
أثر في انتقال القصص والحكايات من مكان الى مكان ، الا ان لتناول القصة
- في العصر الحديث - في أعمال مسرحية واذاعية وسينمائية دورا كبيرا
نموها وانتشارها وفي أدائها لوظائف ذات شأن في الحياة •

والقصة - اليوم - وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلوم
والفلسفات ، وبسبب ما تنطوي عليه من جاذبية كانت من أشد ألوان الاد
تأثيرا في النفوس ، حتى وجدنا ان كثيرا من القيم والمفاهيم والنظريات
والفلسفات كانت القصة السبب الاول في ذيوها وانتشارها قبل أي وسب
أخرى ، كما وجدنا كثيرا من المثقفين كانت القصة رافدا كبيرا لثقافتهم •

وتتميز قصص الاطفال عن القصص التي يكتبها الكبار للكبار بمجمو
من القسمات رغم ان هذه وتلك تشتركان معا في اكثر من خصيصة بنائي
وشكلية •

اذا كانت القصة حادثة واحدة أو مجموعة من الحوادث ذات العلا
بشخصيات متعددة ، فان طبيعة هذه الحوادث ، وطبيعة الشخصيات ترتب
ارتباطا وثيقا بطبيعة قراء القصة • وهنا تتشكل نقطة المفترق بين قصص
الاطفال وقصص الكبار • فنحن حين نقرأ قصة ناجحة ، نجد أنفسنا قد انتق

الى اجوائها واندمجنا مع حوادثها وتعايشنا مع عدد من أبطالها استجابة منا لمثيرات متباينة * ولاشك ان ما يثيرنا - نحن الكبار - هو غير ما يثير الاطفال ، مادمننا نريد لهم أن ينتقلوا الى اجواء القصة ويندمجوا مع حوادثها وفق استعداداتهم وخبراتهم *

والقصة شىء من غذاء العقل والخيال والذوق * وغذاء الاطفال غير غذاء الكبار ، اذ يختلفان في النوع والكم والاسلوب وطريقة التقديم *

القصة والطفل

الحكايات التي استمعنا اليها مشدودين في صغرنا ، يوم كنا نتحلق حول الجدة مشدوهين ، مع اننا كنا نجهل مدى تأثيرها فينا ، الا انها ظلت اشبه بالذكريات راسبة في اعماقنا *

وحتى اليوم ، ما يزال الاطفال مشغوفين بالقصص ويتقبلونها باتباه وحماس ، ويتجاوبون مع أبطالها ، فيفرحون لانتصارهم ويحزنون لانكسارهم وهم لا يملون تكرار سماع القصة ، بل يلحون من اجل تكرارها لانهم يجدون في كل مرة فيها متعة جديدة او يتوصلون الى افاق اكثر سعة ، ويصعب ان نجد طفلا لا يهتم بالقصص والحكايات *

ويعتبر بعض علماء النفس مرد اعجاب الاطفال بالقصص والحكايات الى انها لون من ألوان اللعب الاليامي الذي يحتاج اليه الاطفال الصغار احتياجا شديدا نظرا لتشبع الاطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد * ويرى عدد اخر من علماء النفس ان القصة اضافة الى كونها لونا من اللعب الاليامي فهي تشبه الحلم بالنسبة الى الاطفال الصغار ، ففي القصة مجال لهم لاعادة الاتزان الى حياتهم حيث يجدون في كل قصة شخصيات تشبه من بعيد او قريب الشخصيات التي يقابلونها في الحياة ، والتي يتعاملون معها^(١) *

ان الاطفال ، من خلال اندماجهم باحداث القصة يستطيعون ان يكتشفوا انفسهم ، ومن الناحية العقلية يدفعون حدود عالمهم المحدود الى الخلف كما

يتخطون الحدود التي فرضتها عليهم القوى الاجتماعية ومستويات العالم المألوف ، وان احدى هبات الطفولة الرائعة ان الاطفال اثناء اكتسابهم لخبرة جديدة يتألمون أو ينزلقون أو يأخذون سبع درجات في خطوة واحدة مع بطل القصة (٢) .

ويرى هـ.د ان كوربن ، وهو معني بشؤون الترويح - انه منذ ان اتخذ الانسان القصة كشكل في وسيلة لتسجيل اعماله او تفسير اسرار الحياة ظهرت اسباب لا حصر لها لقص القصص . . لقد ظهرت اغراض جديدة وراء استخدامها ، وهي تتوقف على المناسبة التي تقال فيها القصة .

ويتطرق كوربن الى الاغراض الترويحية التي تتحقق عن القصة فيشير الى مجموعة من الاغراض في مقدمتها : توفير فرص الترفيه عن الاطفال في نشاط ترويجي تربوي . . حيث تمنح القصة اسلوبا ايجابيا لنشاط ترويجي تشترك فيه الجماعة بالمتعة والفرح ، اذا ما قدمت باسلوب فني ، اذ يكشف الاطفال فيها عالما جديدا ، يتقمصون شخصيات اصدقائهم في القصة ويذهبون في رحلات وهمية او يؤدون الرقصات فرحا معهم .

اما الغرض الاساسي الثاني فهو اشباع الميل للعب عند الاطفال ، اذ قد تعكس القصة الجانب المرح من الحياة كما قد تبرز الكثير من انواع العمل المثير فتشبع بذلك مختلف الامزجة والاحاسيس .

والغرض الاساسي الثالث هو تعريف الاطفال بميراث هائل للثروة الادبية ، حيث يهب النسيج السحري الحياة للكلمات المطبوعة او المسموعة فيقود الاطفال بلطف ، ولكن باقناع ، عبر الابواب التي تفتح ببطء . . وتتضح امام اعينهم المتفتحة المترقبة معجزات الماضي ، وعواطف الانسان الدافقة ، وروح المغامرة الجبارة عبر العصور .

وهكذا تتيح القصص للاطفال أن يطوفوا على اجنحة الخيال في شتى العوالم ، قاب قوسين منهم او بعيدة مترامية ، ويلتقون باشخاص قد يشبونهم

او قد يسعدهم التشبيه بهم ، مثلما يلتقون باقزام وعمالقة * وجبابرة وابطال ، ومخلوقات في منتهى الغرابة ، منها ما هو وديع كل الدعة او مفترس ينطلق من عيونه الشرر او منقرض اصبح اثرا او لم يكن له وجود الا في دنيا الخيال * ويتخطى الاطفال في قصصهم ابعاد الزمان وابعاد المكان ، فيجدون انفسهم في يومهم هذا او يجدونها في عصور غابرة او عصور لم تات بعد ، ويقفون عند حوادث حصلت بالامس او قد تحصل غدا او قد لا تحصل مطلقا * ويتعرفون الى قيم وافكار وحقائق جديدة * وتبدو لهم هذه كلها ممسحة تمتعهم وتوقف في اذهانهم مختلف المشاعر وتثير تفكيرهم *

نعم ان القصص التي تتناول امورا غريبة تثير الاطفال بقدر ما تثيرهم تلك التي تتناول امورا مألوفا * فالقصص التي تدور حول افكار واشخاص وحوادث خارجة عن نطاق الخبرة الشخصية للطفل تعتبر مصدرا مهما لتنمية افكاره عن الاشياء ، فالطفل اليتيم الاب قد يكون متعطشا الى الاستماع الى القصص التي تمنحه فكرة واضحة عن الالباء وما يفعلون ، والطفل الذي يتشاجر والداه وتكون حياته المنزلية مشحونة بالتوتر وينقصها الاستقرار قد يكتشف من خلال القصص التي يسمعا او يقرأها ان ثمة أسرا تعيش في طمأنينة وتسود بين افرادها علاقات طيبة ، وان هناك طرقا اخرى لمواجهة المشكلات غير المشاجرات وخلق الاجواء المتوترة التي يعاني هو منها في بيته ، وفي اثناء سماع هذا الطفل للقصص او عند قراءته لها قد يجد خبرات جديدة تعوضه عما يتعرض له في بيته من كبت وتوترات ، كما يجد فيها ما يرضي حاجاته النفسية الملحة * (٣)

المبحث الثاني بناء قصة الطفل

١ - فكرة قصة الطفل :

الجنين - في علم النبات - هو جزء صغير من البذرة ، اية بذرة نباتية ، وفي بعض البذور يمكن ملاحظة الجنين بالعين بسهولة ، ولكن يصعب او يستحيل ذلك في بعضها * * والجنين ، صغر أم كبر ، ليس الا نبتة مصغرة تنشأ عنها النبتة الكاملة بعد ان تتوفر لها شروط الانبات .

والقصة ليست الا نبتة كاملة وجنينها هو الفكرة أو الموضوع .

وكما انه لا يمكن لكل جنين ان يتحول الى نبتة كاملة ، اذ قد يذوي ذلك الجنين ويموت اذا لم تتوفر له شروط الانبات ، كذلك لا يمكن لكائن من كان ان يكون من فكرة ، قصة للطفل ، ما لم يكن فناً مبدعاً مهما كانت روعة الفكرة التي يقدمها . والافكار في حد ذاتها لا حصر لها ويمكن ان يلتقطها هذا او ذاك من خضم الحياة بسهولة ولكن لا يمكن لكل من هب ودب ان يحولها الى قصة .

ومثلما يمكن للجنين ان يكبر ليصبح نبتة مليئة بالحياة او يصبح نبتة نصف مينة ، تبعا لما يتوفر لها من شروط واجواء ، كذلك يمكن ان تتحول الفكرة الى قصة رائعة اذا ما تعهدنا عقل وخيال فنان ، بينما يمكن ان نذوي اعظم الافكار اذا لم يتعهدنا مثل ذلك العقل وذاك الخيال ، لان الفكرة وحدها لا تكفي في القصة ، اذ لابد بالاضافة الى ذلك من عمليات ابداعية تنقل الطفل الى اجواء القصة وتثيره ، وتفعل فعلها فيه .

من هنا يتجلى ان الفكرة ليست كل شيء في القصة ، وقد لا تمتلك الاولوية فيها احيانا ، رغم انها تمتلك الاولوية في الالتماع في ذهن الكاتب ، فمهدت له الخطوة الاولى لصياغة القصة . والتقاط الفكرة ليس مهمة سهلة ، رغم أن الافكار لا حصر لها ولا عدد .

والقاص الفنان ، وحده ، يستطيع ان يلتقط الفكرة المناسبة اولا ويجسمها ثانيا ، اى يجعل لها ابعادا جديدة فتبدو معقدة ، او مشوقة ، او غريبة ، او قريبة الى حياة الطفل او بيئته ، او ذات مساس بقضية يمكن ان يتركز اهتمام الطفل حولها ، او يجد الطفل نفسه وكأنه ازاء عقدة لابد له ان ينتهي بها الى حل .

والفكرة الجيدة هي التي تتناول موضوعا يثير انتباه الطفل ، لضخامة ذلك الموضوع ، او لغرابته ، او للذته او لاستهوائه النفسي ، او لتعلقه بعالم الطفل او بيئته او خيالاته . والقاص الذى تخاطر في خاطره خاطرة يسعى - في العادة - من اجل ان تكتمل صورتها في ذهنه قبل ان يبدأ بحبك القصة ، لان هذه الصورة هي التي تقرر حبكة القصة وهيكلها .

ولا تشكل الفكرة في القصة لمحة عابرة او سريعة ، لان الفكرة تظل في تطور مستمر اثناء الاستطراد في القصة ، لذا يطلق عليها قلب القصة ، لانها تظل تنبض في بناء القصة دوما ، وكلما اتخذت الفكرة طريقا مقبولا ومنطقيا في تطورها كانت نهاية القصة اكثر ثباتا واتفاقا مع بقية المواقف والحوادث .

كما ان الاثارة التي تشد الطفل الى قصته لا تقتصر على مقدمة القصة بل تتعدى ذلك الى الاستمرار في مسيرة تطور القصة حفاظا على وحدة الاثار *

وفكرة اية قصة لابد ان تتلاءم مع مرحلة من مراحل نمو الاطفال نفسيا وعاطفيا ولغويا واجتماعيا وعقليا ، فما يصح للاطفال الصغار قد لا يصلح للاطفال الكبار *

ويلاحظ ان بعض القصص المكتوبة للاطفال تغرق في تفاصيل فرعية واستطرادات ثانوية ، فتتضاءل الفكرة الاساسية ويصعب على الطفل التقاط المعنى الذي تنطوي عليه ، لذا كان من الضروري ان تتشكل قصة الطفل من وحدة فنية تتجلى من خلالها الفكرة الرئيسة دون ان تتنازعها افكار اخرى ثانوية كبيرة تقلل من شأن الفكرة الرئيسة او تخفض من تأثيرها *

واذا كان خليقا بقصص الكبار ان تجنح الى التلميح دون التصريح فان لقصص الاطفال عذرا في الالتجاء الى الاتجاه الثاني في بعض الاحايين ، لان الاطفال بحاجة الى من يعاونهم على تبين الفكرة والوقوف على تصرفات الشخصيات ، رغم ان هناك جوانب اخرى كثيرة يمكن أن تترك لفتنة الطفل اذا ما توفر فيها المثير الذي يدفع الطفل الى التفكير *

وما دمنا بصدد الحديث عن موضوع القصة او فكرتها ، فاننا نجد لزما ان نشير الى تساؤل طالما تردد هنا وهناك وهو :

« هل يجوز ان تتناول قصص الاطفال افكارا سياسية ؟! »

وجوابنا ، اننا نجد ان الحكايات القديمة التي تؤلف الاساس الاول في نشوة القصة ، كانت رغم كونها لونا ادبيا مبسطا قد عنيت بشؤون سياسية ، بل ان كثيرا من الحكايات وضعت لتخدم هذا الهدف قبل اي هدف اخر ، فكان كثير من الحكايات ذي مضامين وطنية وقومية * وقد كتب الخلود لكثير من تلك الحكايات *

هذا من جانب ، ومن جانب اخر ، فان الموضوعات السياسية ليست اليوم شيئا متفصلا عن قضية الحياة ، بل اصبحت السياسة أمرا من صنع الجمهور وحده ، كما انها جزء من بيئة الطفل ، وعليه أمست من الموضوعات المهمة والخطيرة ، لذا كان اتخاذ الافكار والاحداث السياسية اساسا مقبولا لبعض القصص المقدمة للاطفال وخاصة في مرحلتي البطولة والمثالية .

ولكن يجب الحذر من اقحام المفاهيم المجردة ، او اقحام الموضوعات بشكل مفتعل ، لان هذا يعطي مردودا معكوسا^(٤) .

ويرى المربون ان الاكثار من الصاق الصفات غير المستحبة ببعض القيم القبيحة كالكذب والتزوير والخيانة ، والاكثار من اسباغ الصفات المستحبة ببعض القيم الطيبة كالصدق والامانة والاخلاص امر غير مرغوب فيه في قصص الاطفال ، لان الاسراف في الاطراء على صفات الخير والايغال في تقبيح الشر تعطي نتائج معكوسة. وهكذا يقال بالنسبة الى اعطاء الاشرار اوصافا شكلية قبيحة واعطاء الاخيار اوصافا شكلية جميلة .

« وهناك فيض من القصص التي تتغنى بالفضائل « والمكارم » وتنعى على الشرور والاثام ، حيث انساق فريق من كتاب القصة وراء هذه الرسالة، وجعلوا يخضعون لهذا الغرض سياق القصص ، يزينون له المشاهد ويزورون له المواقف ، وينتهون الى النتائج ، فخرجت طائفة من اقاصيصهم تماثيل منحوتة من حجر او مرمر أو ذهب أو مما شئت من المعادن نفيسة او غير نفيسة ؛ الا انها اخر الامر تماثيل لا حركة فيها ولا حس ، لبابها تزوير على الحياة والاحياء ، وقوامها مثالية لا يعرفها الواقع ، ولا يشهدها الناس» .^(٥)

ومن الضروري ان تخلو قصص الاطفال من الافكار والموضوعات القاسية الشديدة الايلام او التي تدعو الى التفجع والتحسر والتشاؤم .
كما من الضروري الابتعاد عن صور التعذيب والتخويف .

وهناك من يشترط ان تنتهي قصة الطفل بعبره او حكمة او موعظة حسنة ، حيث يفرض على ابطالها ان يتحركوا بشكل مفتعل ، وان يتدخل السحرة والجان - احيانا - وتصنع الوقائع صناعة ، وتنحت المصادفات نحنا فتبدو القصة مثل هيكل عظمي لا روح فيه الا تلك الحكمة والموعظة التي لا يمكن ان تبعث الروح من جديد مهما كانت قوة صدقها او شدة حيويتها *

وهذا لا يعني اننا نرفض هذه القصص جملة وتفصيلا ، ولكننا نرى ان الحكمة او الموعظة يمكن ان تدخل في بعض قصص الاطفال على ان لا تسبب فقدان القصة لحيويتها او تؤثر في بنائها الفني ، خاصة ، وان كثيرا من الحكم والمواعظ تشكل افكارا قائمة بذاتها *

٢ - الحوادث والوقائع :

اذا كانت القصة نسيجا حيكت خيوطه بدقة ، فان الحوادث والوقائع هي بعض تلك الخيوط *

ومع ان لطبيعة الحوادث اهمية في القصة ، الا ان القص السليم للحوادث ذو اثر لا يقل اهمية ، لان الحوادث ، من اجل ان تكون مؤثرة وفاعلة لا بد ان تسلسل بتناسق بحيث تبدو مناسبة انسيابا سلسا دون افتعال او حشو او استطراد ** ومعالجة الحوادث هي بعد فني يضاف على بعدها الفكري المتمثل بالموضوع عمقا جديدا *

وهناك قصص تتوارد الحوادث والمواقف فيها بشكل مترابط حتى تتكامل الحوادث كلها وتتأزم لتشكيل عقدة يجد الاطفال انفسهم ازاءها في شوق شديد للوقوف على الحل ** وهناك قصص تبدو الحوادث والوقائع منفصلة او غير متسلسلة ولكنها تحافظ على بنائها القصصي من خلال عناصر اخرى غير الحوادث كالشخصيات او الفكرة العامة او ما الى ذلك ** ولكن لا يمكن ان تكون القصة مجموعة من الحوادث او مجموعة

من الاخبار ينحت بينها الكاتب روابط مصطنعة فهي في هذه الحالة لا تبدو موقفا قصصيا من مواقف الحياة ، وبالتالي لا تبدو قصة •

ولا يشترط في الحوادث ان تكون كبيرة ، فقد تكون كثير من الحوادث الاعتيادية التي يصادفها الطفل كل يوم مصدرا لوافر من قصصهم بل تستطيع مثل هذه القصص التي تتناول حوادث اعتيادية ويقوم ببطولتها اشخاص اعتياديون تفسير كثير من جوانب الحياة تفسيراً صادقا سليماً رغم انها لا تفسر لهم كل شيء •

ويمكن للخبر ان يكون نواة لقصة ، ولكن ليس كل خبر او مجموعة من الاخبار يمكن ان تكون قصة ، فالشرط في ان يصبح الخبر قصة هو ان يكون له اثر في نفس القارئ ، وبعبارة اخرى ينبغي للخبر الذي تحكيه القصة ان تتصل تفاصيله واجزائه بعضها ببعض بحيث يكون لمجموعها اثر كلي ، وان يصور حدثاً موقفاً معيناً او بداية معينة تأخذ في النمو شيئاً فشيئاً حتى تصل الى نقطة معينة تتجمع عندها خيوط الحدث كلها ، وبها يكتسب الحدث نفسه معنى وفكرة • ولا شك ان الاخبار المنفصلة التي يرويها هذا لذلك لا يمكن ان تشكل قصة لانها لا تترك في نفس السامع اثراً كلياً اذ تعجز عن تكوين معنى كلي (٦)

وهناك قصص مائعة للاطفال ذات نزعات انسانية ، وهي لا تتضمن اى اى حدث بالمعنى الذي الفناه وتعارفنا عليه ، وهي تكتفي بمس عواطف الطفل وتسليته من خلال افكار شجية قد تنتهي بدعابة أو مفاجأة مثلاً •

وهناك قصص للاطفال مشحونة بحوادث تقع عن طريق الصدفة ، ولا شك ان المصادفات عنصر دخیل على القصص ، يلجأ اليها الكاتب مضطراً •

وبوجه عام يجب عدم الاكثار من الحوادث في قصة الاطفال لكي لا يقع الطفل في الارتباك ، وبالتالي تضيع عليه فرصة التقاط الحدث الرئيس وتبين معنى القصة •

وحتى سنوات قليلة كانت وقائع وحوادث معظم قصص الاطفال في اكثر بلدان العالم ذات طابع مخيف ، قاس عنيف ، وقد اخذت هذه الصورة بالتضاؤل خلال السنوات الاخيرة ، حيث بدأ اعداد جديد حتى لتلك الحكايات القديمة الكثيرة الشيوع ، فأزيلت عنها صور العنف والقتل والخيانة كما ابعدت عنها شخصيات الجن والعفاريت الى حد ما *

٣ - شخصيات القصة :

الشخصية بعد مهم من ابعاد القصة ، اية قصة ، وهي محور اساس في قصص الاطفال ، وعليه كان من الضروري ان تبدو الشخصية للاطفال واضحة ، حية ، متوافقة مع احداث القصة وافكارها *

ويعتمد كتاب قصص الاطفال الى بذل جهد كبير في رسم الشخصية كي يجدها الاطفال غير باهتة ولا متناقضة في اقوالها وافعالها ، ويحرصون على عدم الاستطراد في وصفها ليتها المجال للطفل لاكتشاف طبيعتها بنفسه *

ويتعاطف الاطفال مع شخصيات القصص تعاطفا تنديدا ، وخاصة مع الشخصيات التي تعاني وتكابد دون تردد او كلل من اجل تحقيق اهدافها ، ويدفع بهم تعاطفهم هذا الى القلق او اطلاق صيحات الاستغاثة او البكاء حين تتعرض شخصية القصة لموقف محزن او محرج ، ويطلقون ضحكات صاخبة ويصفقون عاليا حين يتسنى للشخصية التي يحبون ان تنتصر *

والتطور المنطقي السليم للقصة لا يسمح في العادة للشخصية تحقيق النجاح دون بذل جهود او مواجهة صعاب * ومن المناسب ان تكون في الشخصية جوانب سلبية الى جانب الجوانب الايجابية ، والشخصيات التي تمثل اناسا ذوي اهمية او قداسة يجب تقديمها بدقة وعدالة وواقعية *

ولا يشترط ان تكون الشخصية انسانا ، فقد تكون حيوانا او نباتا او جمادا او لفظا معنويا مجردا *

وعندما تكون شخصية القصة طفلا ، من الضروري الحرص على أن يظهر

بمستوى الواقع ، اذ كثيرا ما نجد قصصا يظهر فيها الاطفال بمستوى يفوق المستوى الواقعي للاطفال أو يظهرون مثالين لا نقص فيهم قط .

وقد انتقد كاتب الاطفال كاسيل مثل ذلك الاتجاه و اشار الى انه خطأ لا ينطبق على الواقع اولا ، وهو في الوقت نفسه يؤذي الاطفال لانهم يألفون اثناء طفولتهم هذه « النماذج » الكاملة في دنيا القصص ، حتى اذا تجاوزوا عهد الطفولة ، وجدوا في الواقع « نماذج » بشرية واقعية حية تختلف عن تلك « النماذج » القصصية ، فتصيبهم من جراء ذلك خيبة ، وقد يداخلهم يأس وسوء ظن ، لذا من الخير أن يعرفوا منذ الطفولة كيف تكون النواقص في الاطفال ، وكيف تعالج ، وكيف تنمو الى جانب قوى انسانية خيرة تستطيع محاربة النقص والقضاء عليه رويدا رويدا .

ويرى « ليف كاسيل » ان من الخطأ جعل روايات الاطفال قائمة على بطل مركزي واحد او « نموذج » بشري واحد ، بل ينبغي أن تشمل هذه الروايات على عدة أبطال من الاطفال ، وعدة « نماذج » طفولية بشرية ، تتمثل فيها عدة نواحٍ من الحياة .

ان القصة تكون معقولة ومحتملة الوقوع ، عندما تتصرف شخصياتها ، كما تتصرف شبيهاتها في الحياة اذا وضعت تحت تأثير الظروف نفسها ، وكذلك عندما لا يخطط القدر خبط عشواء ، بل يتصرف تصرفا لا يجافي طبيعة الجوادث والشخصيات ، وان الحوادث العفوية المفاجئة ، التي تعترض سبيل الحياة في القصة وكأنها حلقات غريبة ، من سلاسل مجهولة ، لا بد من أن تفسد هذه الحياة وتنتأى بها عن طبيعة الحياة العادية^(٧) .

٤ - اسلوب القصة :

الفكرة ، والحوادث ، والشخصيات عناصر متميزة ومتباينة ، ومن أجل أن تمسي هذه كلها شيئا واحدا متسقا ومتفاعلا لا بد من عملية صياغة ، والصياغة تقرر اسلوبا أدبيا يهيء لنا أن نعامل هذه العناصر معا لتكوين بناء فني متكامل .

والفكرة التي تلوح للفنان ، بادىء الامر ، تمر في ذهنه بمراحل متعددة قبل ان تتحول الى عمل قصصي . وتشمل هذه المراحل جانبين ، اولهما : مادي ، يتمثل في الالفاظ والجمل والفقرات التي تزيد في حيوية الفكرة وتلبسها ثيابا جديدة . وثانيهما : ذهني ، ويتمثل في اضافة لمسات جديدة الى الفكرة بهدف تأصيلها ودعمها . وهذان الجانبان يؤلفان عملا ابداعيا في طبيعته ، وعلى أساسه يبني القاص هيكل القصة .

والاسلوب هو التعبير بصورة واضحة ، وقوية ، وجميلة عن الفكرة ، بحيث تبدو عميقة ، وصادقة ، ومؤثرة .

ويمكن القول ان العناصر الاساسية التي تميز اسلوب قصص الاطفال هي : الوضوح ، والقوة ، والجمال .

وضوح الاسلوب يعني ان يكون في مقدور الاطفال استيعاب الالفاظ والتراكيب وفهم الفكرة ، وهذا لا يتيسر ما لم يكن النسيج اللفظي بسيطا وشفافا وخاليا من الزخرفات والتنميقات . والبساطة والشفافية لا تعني السذاجة او البدائية ، لان الاطفال يرفضون أن يقلل من شأنهم او ينظر اليهم نظرة فجة .

وقوة الاسلوب هي عنصر آخر يكمل الوضوح ، ويتمثل في ايقاظ حواس الطفل واتارته وجذبه كي يندمج وينفعل بالقصة ، عن طريق نقل انفعالات الكاتب في ثنايا عمله القصصي وتكوين الصور الحسية والذهنية .

أما جمال الاسلوب ، فهو صفة ثالثة اساسية في اسلوب القصة الجيد ، ولا شك ان وضوح وقوة الاسلوب هما عنصران جماليان أيضا ، الا ان سريان الاسلوب في توافق نغمي وتألف صوتي واستواء موسيقي ، ينبغي أن تتوفر في الاسلوب الجيد .

وتشير الاستنتاجات في بعض اقطار الوطن العربي أن اقبال الاطفال على بعض القصص ، وخاصة التاريخية والعلمية ، هو اقبال فاتر . ولاشك أن

السبب الرئيس في ذلك يرجع الى ثقل اسلوب هذه القصص • فهي اما محشوة بالمصطلحات او المعلومات او الحقائق او انها مصاغة بشكل سردي •

والاطفال ينفرون من السرد ، ولا عجب في ذلك ، لان السرد يميّز الاحداث ، ويفقد الفكرة قوتها ، ويحول الشخصيات الى دمي ، وتتحول القصة في النهاية ، الى مجموعة من القوالب المصطنعة او التأملات او التحليلات ويظل الكاتب وحده على مسرحها ، ولا يجد الطفل فيها ما يثير وجدانه •

وقصص الاطفال من اكثر القصص اعتمادا على الخيال ، وكم من قصة خيالية ظلت في أذهان الاطفال مؤثرة فاعلة ، وكم من ابطال خياليين حازوا على اعجاب الاطفال ، فظلوا خالدين في اذهانهم • ومع هذا ينبغي الحرص على عدم الجنوح بخيالات الاطفال بعيدا عن النسيج الخيالي الذي يؤلف بين اجزاء الحقيقة •

ومع أن القصة في بنائها هي كل متكامل غير قابل للتجزئة ، الا اننا ينبغي أن نقود الاطفال الى قراءتها بريشة خضراء عن طريق بداية مشحونة بالاثارة والامل تتسد الطفل وتثير اهتمامه ، وتحرك انفعالاته ، وتربطه معها حتى ينتهي منها •

وبداية قصة الطفل قصيرة تنطوي على العناصر الاساسية كالزمان والمكان والموضوع او المشكلة وشخصية واحدة او شخصيتين في موقف مثير •

ومثلما نفعل في بداية القصة علينا ان نفعل في نهايتها حتى لا يجد الطفل في النهاية ما يخيب آماله أو يفسد عليه توقعاته الطيبة البريئة • وان لا نقحم المصادفات اقحاما ما دامت المصادفات ليست احداثا حقيقية •

ووحدة الاثارة تقضي أن نستمر في تشويق الطفل والاستيلاء على احساساته ومداركه وانفعالاته ، بطرق مختلفة ، من بينها تحفيزه نحو اكتشاف ما تؤول اليه الحوادث بمزيد من الترقب ، ويمهد لنا ذلك حب الاستطلاع الذي يتميز به الاطفال عموما بدرجات متفاوتة •

ولا يمكن ان تصبح نهاية القصة مؤثرة ودراماتيكية ما لم تستعمل على حل معقول للمشكلة يماشي طبيعة القصة ، وما لم تتطور الفكرة والوفائع تطورا منطقيا ، والطفل في حد ذاته يقرأ القصة او يستمع اليها بقصد الاستمتاع وليس من أجل شيء آخر قد ننشده نحن .

وهناك بُعد آخر يضيف على القصة لمسة حية ، لانه يخفف من بعض الرتابة التي قد تفرض نفسها على السرد القصصي ويجعلها تبدو - في نظر الطفل - أكثر واقعية ، ويعين على ابراز فكرة القصة ، ويجسد وقائعها ، ويعبر عما يجيش في نفوس الشخصيات من احساسات وانفعالات : وهو الحوار .

والحوار ، من أهم الوسائل التي يعتمد عليها القاص في رسم الشخصيات . وكثيرا ما يكون الحوار السلس المتقن ، مصدرا من أهم مصادر المتعة في القصة ، وبواسطته ، تتصل شخصيات القصة ، بعضها ببعض الآخر ، اتصالا صريحا ومباشرا ، وبهذه الوسيلة تبدو وكأنها تضطلع حقا بتمثيل مسرحية الحياة . والحوار الرشيق المعبر ، سبب من أسباب حيوية السرد وتدفعه . لانه سبب من أسباب تطوير الحوادث واستحضار الحلقات المفقودة منها . ولكن وظيفته الحقيقية في القصة ، هي رفع الحجب عن عواطف الشخصية ، واحساساتها المختلفة ، وشعورها الساخن تجاه الحوادث أو الشخصيات الاخرى ، وهو ما يسمى عادة بالبوح أو الاعتراف ، على أن يكون بطريقة تلقائية ، تخلو من التعمد والصنعة والافتعال^(٨) .

ويجب ان يتوافق الحوار مع عناصر القصة الاخرى ، ويتناسب مع المواقف والحوادث ، ويعبر عن طبيعة الشخصيات لا طبيعة القاص نفسه ، وان لا يكون وسيلة يطرح الكاتب من خلالها التوجيهات والنصائح والعظات .

وتقرر الوسيلة التي تصل بها القصة الى الطفل شيئا من طبيعة الاسلوب ، حيث نضطر لاختراع صياغة القصة وفق الامكانيات المتاحة لكل وسيلة ، فالقصة المعدة للتلفزيون تختلف في صياغتها عن تلك المعدة للاذاعة ، او تلك

المعدة للمسرح ، او تلك المعدة للنشر في كتاب او مجلة ، بل ان الصياغة تختلف في حالة نشرها في كتاب معزز بالرسوم عن اخر لا رسوم فيه ، وتختلف في حالة اعدادها بكتاب معزز برسوم ذات لونين عن أخرى بكتاب ذي اربعة الوان .

وعلى اية حال ، فان قصص الاطفال ، لابد ان تكون بسيطة واضحة ، خالية من التعقيد ، ذات رموز قريبة الى مدارك الطفل وعواطفه ، وتحمل في اطوائها قيما انسانية تدفع الطفل الى التفكير والتأمل ، وتسهم في تنمية قدراته العقلية والنفسية والعاطفية والادبية .

وهنا نشير الى نقطة ذات شأن ، حيث يزعم البعض ان من اولى خصائص قصة الطفل ان تكون سهلة بحيث يستطيع الطفل اعادة قصتها من جديد . ولكن هذا الزعم يمثل جزء من الحقيقة ، لان هناك قصصا ناجحة للاطفال تؤلف قطعاً ادبية رائعة ، ولا يستطيع الاطفال ، بأي شكل من الاشكال استرجاع صياغتها او اعادتها بانفسهم . ويستمتع الاطفال بهذه القصص باعتبارها لونا من الوان ادبهم ، تثار من خلالها عواطفهم وانفعالاتهم ، وتثرى قدراتهم الادبية .

ومن الضروري استخدام اللغة العربية الفصيحة السهلة في قصص الاطفال . ولكننا نلاحظ ان كثيرا من قصص الاطفال التي تقدم من خلال الصحف والاذاعات تستخدم لهجة عامية او لغة غريبة ليست عامية ولا فصحي بل هي لغة مكسرة ، فتبدو اروع القصص عارية تافهة ، حيث تضيع الفرصة على الاطفال في التأثر والاستمتاع بجمالها الادبي .

وتتناول فيما يلي بعض انواع حكايات وقصص الاطفال ونوه هنا الى اننا لم تتبع منهجا محددا في هذا التصنيف ، انما لجأنا الى اكثر الاسماء شيوعا بهذا الصدد ، تسهيلا للدراسة .

المبحث الثالث

قصص الحيوان

يولع الاطفال بالقصص التي تجري على ألسنة الحيوانات ، وربما يعود ذلك الى السهولة التي يجدها الاطفال في تقمص ادوار الحيوانات ، وسعادتهم في تكوين صداقات مع بعض الحيوانات او احتواء البعض الآخر .

وقد اثبتت كثير من الدراسات ان اغلب القصص التي اجتذبت الاطفال الصغار ، حتى سن عشر سنوات هي من قصص الحيوان .

وعلاقة الطفل الوجدانية بالحيوانات ايسر على الفهم من علاقته بالانسان، ولعل ذلك يرجع الى ان بعض الحيوانات اصغر حجما من الراشدين من بني الانسان . وثمة شواهد كثيرة تدل على قرب الحيوان من نفس الطفل ويبدو ذلك من ظهور الحيوانات في احلام الاطفال وفي مخاوفهم ، كما تعتبر الحيوانات على المستوى الشعوري اصدقاء للاطفال . وعلى اية حال فان الحيوانات مثيرات ذات اهمية كبيرة بالنسبة الى الاطفال .(*) ويجد الاطفال

(*) د . هدى رادة والسيد العزاوي - الاطفال يقرأون - ج ١ (القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤) .

في هذا اللون من القصص عالما جديدا وغريبا ، لذا يحبونه ويربطون بين صفات وسلوك ابطاله وبين صفات وسلوك اصدقائهم •

وفي عام ١٩٦٤ اجريت عدة تجارب عن مدى تقبل الاطفال للقصص ، حيث قدمت لثلاثة وثلاثين طفلا تتراوح اعمارهم بين (٧-٩) سنوات في ثلاثة ايام متتالية ثلاث قصص القصة الاولى هي من قصص الحيوان ، والثانية قصة تاريخية والثالثة قصة فكاهية • ورغم ان القصتين الاخيرتين كانتا على جانب من الجمال ، الا انني وجدت :

- ١ - ان ٣٨ طفلا فهموا قصة الحيوان فهما جيدا •
- ٢ - ان ٢٩ طفلا فهموا القصة التاريخية فهما جيدا •
- ٣ - ان ٢١ طفلا فهموا القصة الفكاهية فهما جيدا •
- ٤ - كنت لاحظ اصغاء الاطفال وانتباههم الشديد اثناء القائي للقصة الاولى ، في وقت لم اجده بهذه الدرجة اثناء القائي للقصتين الاخريين
- ٥ - اكثر الاطفال طالبوني مرارا باعادة القاء القصة الاولى ، وعدد قليل منهم طلب اعادة القصة الثانية والثالثة • • علما ان اكثر الذين طلبوا الاعادة هم ممن فهموا القصة فهما جيدا • ومنهم من طلب الاعادة ليستطيع فهمها • • ولاحظت ان منهم من طالب باعادة اكثر من قصة واحدة •

- ٦ - بعد مرور اسبوعين ، استدرجت الاطفال لمعرفة مدى ما تعلق في اذهانهم من هذه القصص ، فوجدت ان اغلبهم يتذكرون ان القصة الاولى ، ويسمونها قصة « العصفور » فقد ظل الحيوان (الطير) في اذهانهم • اما القصتان الاخريان فلم يتذكرها الا عدد ضئيل جدا منهم ، والطريف ان اكثرهم كانوا يتذكرون القصة الاخيرة على انها مضحكة ، ولكنهم لا يتذكرون وقائعها •

وفي عام ١٩٦٩ اجريت تجارب اخرى على مجموعات من الاطفال الكبار ، اعمارهم اكثر من ١٠ سنوات ، فوجدت انهم ينشدون الى قصص الحيوان ايضا ، ومع انهم في البداية لا يبدون الاهتمام الزائد لمقدمة القصة ، وقد يتضحكون ويتهامسون ، الا اني لم البث ان لاحظت انجذابهم نحوى باتتياه شديد .

وقد تبين لي من خلال التجريبتين ان الاطفال الصغار يتعلقون بابطال قصص الحيوانات اكثر من انسدادهم نحو اي شيء اخر في القصة ، اما الاطفال الكبار فهم لا يكثرثون للحيوانات ، بل يوجهون اهتمامهم نحو المعاني ، والافكار التي تحملها القصة .

وبسبب ولع الاطفال بقصص الحيوانات شاعت في انحاء العالم قصص كثيرة من هذا النوع عن طريق الكتب والمجلات والسينما والتلفزيون والاذاعة ، وكمثال على ذلك قصص « وولت ديزني » التي تقوم الحيوانات بكثير من الادوار فيها منها الفأر (ميكى) والتي لاقت اقبال الاطفال الشديد . ويبدو ان الانسانية قد عرفت قصص الحيوان قبل اي لون قصصي اخر . وقد جاءت في قطعة من اوراق البردي تنمة لقصة مبتورة ، قيل ان الاطفال في مصر كانوا يتناقلونها قبل ٤٠٠٠ سنة ، وقد اورد الدكتور بريستد نصها المترجم على هذه الصورة :

« ... مات الذين كانوا في المركب جميعهم ، ولم ينج منهم احد ، اما انا فالتقتني موجة من امواج البحر العظيم على جزيرة ، فلبثت فيها ثلاثة ايام وحدي ، لا رفيق يسليني سوى قلبي ، وكنت انام مختبئا بين الاشجار الى ان يغمري نور نهار ، فانهض متسللا لعلني امسك شيئا املاؤه فمي ، فكنت اجد تينا وعنبا وكثيرا من انواع الخضرة ... »

ثم تقول القصة ان حية ذات لحية طويلة امسكته . . ووجد ان تلك الحية هي ملك الجزيرة البعيدة الواقعة في البحر الاحمر عند مدخل الاقيانوس

الهندي ، واحتفظ الملك (الحية) بالتائه ثلاثة اشهر احسن فيه معاملته ثم ارجعه بعد ذلك الى مصر •

واعتبر البعض هذا القاص اول (سندباد بحري) ، واعتبر قصته من قصص المغامرات الاولى التي يشارك فيها الحيوان (٩)

ويذهب كثير من الباحثين الى القول ان حكايات الحيوان التي استمد منها القصاصون فيما بعد كثيرا من قصصهم ، هي اقدم الحكايات الشعبية على الاطلاق ، وهي تتردد على ألسنة الجميع بلا استثناء ، وانها موجودة في كل بيئة وعند كل امة وبين مختلف الاجيال والطبقات •

وقد اتخذ الحيوان في الخرافات وظيفه ذات صور متعددة فمرة يظهر بوصفه حيوانا روحانيا ومرة اخرى يكون عدوا للانسان ، كأن يكون افعى شريرة او تنينا ، او تجسيدا للشر بصفة عامة • وفي ظروف اخرى يظهر الحيوان بوصفه مساعدا للانسان ، وليس الحيوان الاليف وحده الذي يقدم معونته للانسان وانما تقف بجانبه كذلك الاسود والديبة والنمل ، وفي كثير من الحكايات البدائية يكون الحيوان هو صاحب القوة التي تفوق قوة الانسان ، ومع ذلك فان الانسان يستطيع في النهاية ان يغدر به ، ثم اخيرا يعود الحيوان الى نطاق السحر (١٠) •

ومن حكايات الحيوان ما تتضمن اعمالا حقيقية كقيام القطة برعاية صغارها ، او قيام العصافير ببناء اعشاشها ، او تتجاوز ذلك الى تفسير بعض مظاهر الطبيعة بوجه عام وسلوك الحيوان بوجه خاص ، ويدخل ضمن ذلك الحكايات التي تفسر اسباب اسوداد لون الغربان ، او اسباب وجود العرف فوق رؤوس الديوك • ومنها ما تقوم الحيوانات فيها بأدوار البشر كقيام الغزالة بدور الطفلة المهذبة النشيطة الحذرة وقيام الاسد بدور الملك ، او قيام الثعلب بدور الماكر • • وقد استخدمت هذه الاخيرة كوسائل للوعظ والارشاد والتوجيه •

ولابد ان يكون ايسوب وييدا ولافوتتين وغيرهم قد اسندوا من تلك الحكايات القديمة ما نسب اليهم فيما بعد * * وعليه يمكن القول ان الحكايات المنسوبة الى اولئك قد استغرق تأليفها مئات او الالف السنين من قبل العامة ، حتى جاء اولئك فسجلوها بعد ان طوعوها وهذبوا فيها ، او نسجوا على منوالها *

ولكن قصص لافوتتين كانت ذات طابع شعري ، وكانت تتميز برقتها وبساطتها ، وقد جعل ابطالها من الحيوان مصورا الافراد والجماعات الانسانية *

وقد نشر هنري تين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) ، كتابا عن حكايات لافوتتين بين فيه التشابه بين جماعات الحيوان وطبقات الناس في العصر الذي عاش فيه لافوتتين (١١) *

ويرى المؤرخون وعلماء الاجتماع ان ظهور قصص الحيوان منذ ازمان بعيدة يعود الى ان الانسان يميل الى التعبير عن افكاره ، وعن المعاني التي تعن له ، بوسائل وطرق حسية ، لما في ذلك من سهولة ، وقوة تأثير وشدة ايضاح * وقصص الحيوان البسيطة التي تلعب فيها البطولة الحيوانات المألوفة تصلح للاطفال في مرحلة الطفولة المحدودة بالبيئة ، ولكن الاطفال في المرحلة التالية يميلون الى قصص الحيوان الخيالية ، وبعد الثامنة من أعمارهم - كما يقول المربون - يميلون مرة اخرى الى قصص الحيوان ، وخاصة تلك التي تلعب البطولة فيها حيوانات غريبة او تعيش في اماكن نائية *

وقصص الحيوان ، يمكن ان تتناول موضوعات متعددة ، منها ما هي قصص علمية ، او قصص مغامرات وخوارق ، او قصص فكاهية او اخلاقية او انسانية *

وقد استغلت مجلات الاطفال التجارية هذا اللون من القصص ، فجعلت من بعض الحيوانات ابطالا لقصصها ومسلسلاتها كما هو الحال في مجلات ميكى ماوس التي تصدر بلغات عديدة في انحاء العالم ، وتمثل لونا من الوان الغزو الفكري لعقول الاطفال *

قصص البطولة والمغامرة

الاطفال يتعلقون بالبطولة والابطال ، ويفرغون بالقصص التي تتحدث عنهم ، لذا كان لبعض المجالات التي تتناول قصص البطولة والمغامرة انتشار كبير بين جمهور الاطفال .

ويعود ولع الطفل بالبطولة والمغامرة الى اسباب متعددة من ابرزها انه في السنوات التي تسبق المراهقة بصدد تكوين فكرة عن ذاته ، وحيث انه لا يمتلك المعيار الموضوعي بهذا الامر ، لذا يجد نفسه ازاء صورة ، يسره ان يحاكيها ويتشبه بها .

وقد يتشبه الاطفال بآبائهم او معلميهـم او احد معارفهم ، او قد يتشبهون بأناس اخرين بعيدين عنهم يسمعون او يقرأون عنهم او يشاهدونهم من خلال الافلام او الصحف او ما الى ذلك .

فالطفل حينما يبلغ شأواً من النمو ، يوجه عنايته الى محاكاة افراد ممن يعاشرونه في بيئته ، ويتأثر باعمال من يعجب بهم من الاشخاص الذين تدور

حولهم القصص فينتجه مسلكه نحوهم ، ويتخذهم نموذجا لنفسه ويسعى لارضائهم والعمل على ضوء مبادئهم وافكارهم (١٢) .

ومن هنا يتضح ان تلك المحاكاة ظاهرة طبيعية يمر بها الاطفال جميعا ، بدرجات متفاوتة . ذلك ان هذه المحاكاة ليست الا تعبيراً عن واحدة من الحاجات النفسية في البحث عن قدوة او مثل اعلى يفعل فعله في ضمائرهم وعواطفهم وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم .

والمثل الاعلى الذي يحاكيه الطفل يتبدل في دلالاته حسب اطوار نمو الطفل المختلفة ، وتبعاً لعلاقته مع الآخرين حتى سن المراهقة حيث تتحدد غايته فيسعى الى تحقيق ما تصبو اليه نفسه .

وفي احدى الدراسات وجه الى عدد من الاطفال سؤالان هما :

— من هو الشخص الذي تعجب به اشد الاعجاب ؟

— من هو الشخص الذي ترغب ان تشبهه من هؤلاء الناس الذين تعرفهم او سمعت او قرأت عنهم ؟

•• وبعد اختبار الاطفال (من ٦ الى ٧ سنوات) تبين ان مثالهم الاعلى من ضمن الدائرة الضيقة لمعارفهم كالأباء والامهات ، وقد تبين من تلك الدراسة انه « بازدياد العمر تتسع خبرات الطفل ، وبذلك يصبح الاشخاص الذين يختارهم كمثال أعلى من بين الاشخاص الذين قرأ عنهم في التاريخ او الادب •• او من بين الشخصيات العامة الشهيرة » (١٣)

والقدوة او المثل الاعلى للاطفال من العوامل التي تبث القيم والاخلاقيات في نفوسهم « لانها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير ، تمثل لهم معنى الحياة السامية . فالتهذيب بوساطة المثل الصالح يأتي عن طريق الخبرة ، وتنتقل القيم والاخلاقيات مجسمة في مجراها الفعلي ، فتدعو الاطفال الى الى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة » (١٤)

وقد يخطيء الطفل في اختيار ابطاله ؛ كمحاكاته لمغامرين طائشين او لصوص او قتلة او اصحاب جاه زائف او شهرة باطلة ، او ممن لا تتواءم شخصيته وظروفه معهم ، فينشأ عن ذلك انحراف الطفل * لذا كان من الضروري تصوير ابطال للاطفال من عالم الواقع او الخيال ذوي خصائص واخلاقيات وقيم منتقاة بحذر ودقة وباسلوب يثير الاطفال نحوهم *

وتتعدد المثل العليا بتعدد ميوم الاطفال ، وهذا يحتم ان نضع امام الطفل عديدا من النماذج كي يستطيع ان يجد بينها ما يناسبه ، وان نعرض البطولة بجوانبها المختلفة دون ان نقصرها على الجوانب الوطنية والقومية ، لان كل الذين يقدمون من عطايتهم في مجالات العلوم والفنون والاداب هم قدوات حسنة *

وعن اهمية المثل الاعلى نستعين بمثل من فرنسا * فانت حيثما اتجهت هناك تجد تمثالا او صورة لجان دارك او سانت لويس او نابليون ، وفي كل مكتبة تجد عشرات الكتب التي تناسب مختلف الاعمار تتحدث عنهم وفي كل مدينة ، وفي كل حي ، تجد المزارات القومية الخاصة بهم من كاتدرائيات رائعة ومبان عظيمة تضم رفاتهم او تخلد ذكراهم ، الى متاحف لمخلفاتهم ، حتى انه يستحيل ان تجد طفلا فرنسيا بلغ الثامنة من عمره لا يعرف كم ادى هؤلاء لفرنسا * وتجد شيئا مماثلا في انكلترا عن شخصيات مثل ريتشارد قلب الاسد وولسون ولفنجستون وفلورنس ناينتنجيل * وقد تكون هذه النماذج التي ركزت عليها الثقافة الانكليزية في تمجيد اولئك خلال القرون القليلة من اهم الوسائل التي شكلت بها هذه الامة الاتجاهات الاستعمارية في نفوس اطفالها وتبائها * (١٥)

وقد اثبتت الدراسات ان الاطفال اذا اندمجوا تماما مع قصصهم فانهم يتقمصون شخصية البطل أو شخصية اخرى ثانية * وهذا التقمص لا غبار عليه اذا كان رسم الشخصيات واقعا وسليما *

وقصص البطولة تتخذ اشكالا مختلفة ، ولكنها جميعا تنطوي على القوة المجردة او الشجاعة الحققة ، او الذكاء ، او المجازفة ***

وعلى هذا يمكن اعتبار القصص البوليسية ضمن قصص البطولة ، لأنها تظهر رجال الشرطة كأبطال يدافعون عن الحق ويعملون من أجل القبض على الجناة ، مستعينين بالأسلحة أو الأجهزة العلمية ، متحملين الصعاب دون كلل ، مستعدين للتضحية .

« وقد انتشرت هذه القصص منذ القرن الماضي . وقد لا يتحتم فيها أن يكون البطل قويا بأسلا ، لأن مواطن قدرته قد تتركز في مهارته في الاستنباط ، واستخلاص النتائج التي يغفل عنها الكثيرون متوصلا بذلك إلى الكشف عن مرتكبي الجرائم » (١٦)

وتظهر المبالغات في القصص البوليسية بصورة سافرة ، حينما يبدو رجال الشرطة أذكاء ، لا يخطئون ، كما يبدو القضاء نزيها لا يغفل حقيقة دون أن يتوصل إليها .

والقصص البوليسية الغربية تبدي المجتمع وكأنه مؤلف من فريقين أحدهما خير يدافع عنه رجال الشرطة والآخر شرير ليس له إلا ممارسة الجريمة . . وهي تغرق أذهان الأطفال في عالم مشحون بالعنف وأعمال الجريمة والقتل التي لا يفهم لها الأطفال سببا وفيض من اللصوص والسفاحين والجواسيس الذين نعمون بحياة رغيدة ويرتدون أروية انيقة ، ويرتادون الأندية الراقية ، ويأكلون الأغذية الشهية . . فيكون لهذا كله أثره غير السليم في نفسيات الأطفال .

يضاف إلى ذلك أن نهايات القصص البوليسية بالغة الوضوح ، ويستطيع الأطفال ، في الغالب أن يتوقعوا النتائج ، إذ يشيرون هذا سيقتل ، وذلك سيلقى القبض عليه . . .

أما قصص الجاسوسية فهي لا تقل عنفا ومبالغة عن القصص البوليسية ، بل هي في حالات كثيرة تبدو لونا من القصص البوليسية .

والقصص البوليسية والجاسوسية ، مع أنها من قصص البطولة التي

يمارسها البوليس ، في العادة ، الا انها من الجانب الاخر قصص جريمة في الاساس ؛ فيها شىء من العنف و شىء من المغامرة * وهي تعتمد كلياً على حركة الحوادث، ولا ترتبط هذه الحوادث، في الغالب برابطة السببية، اذ قد لا تكون الحادثة نتيجة للاولى وسبباً للثالثة *

وبسبب الحركة السريعة والعنيفة التي تزخر بها هذه القصص تلاقى هوى في نفوس الاطفال ، كما تلاقى هوى في نفوس الكبار ايضا ، اذ يتابعون مناكلكها المتلاحقة وعقدها المتتالية ليصلوا الى نهاية تشعرهم بشىء من الارتياح والقناعة حينما يتم القضاء على المجرم *

وتتخذ القصص البوليسية والجاسوسية لها شعارا او هدفا ، في العادة هو « ان الجريمة لا تفيد » ، ويتخذ مؤلفو هذه القصص من هذا الشعار ذريعة لتبرير ما تطفح به قصصهم من اعمال عنف وقسوة واحتيال وخداع *

ويعترض الكثيرون على بعض القصص البوليسية لما يصاحب احداثها وتصرفات ابطالها من شذوذ ، وكانت لجنة مطبوعات الاطفال في المؤتمر الدولي لصحافة واذاعة وسينما الاطفال في ميلانو عام ١٩٥٢ قد اصدرت توصية تقول فيها : « ينبغي ان يكون سلوك الابطال في القصة من بدايتها الى نهايتها سلوكا سويا ، لا شذوذ فيه ، اذ لا يكفي ان تنتهي القصة بعقاب المجرم » *

كما يعترضون على زج الاطفال « كقراء ومشاهدين ومستمعين » في زحمة عالم تكتنفه الجرائم المنظمة والمحبوكة ، والتي تكون في احيان عديدة نتيجة لاسباب تافهة او مجهولة ، مما يقوي نزعة الاطفال للهروب من الواقع بسبب تقبل بعض الاطفال على ان ما يعرض عليهم امر واقعي او قريب الى الواقع ، فترسم في اذهانهم صورة موهومة عن الحياة ، اضافة الى انها تظهر لهم ان الجريمة امر اعتيادي يمكن وقوعه بسهولة ، وليس من المستبعد ان يتشبهوا بالمجرمين والاثيان بالجريمة *

ويوضح احد البحوث الفرنسية ان ناشري تلك القصص هم دارسون لعلم النفس ، اذكياء وعلى درجة كبيرة من قوة الملاحظة كما انهم يوفرون لجمهور قرائهم قدرا من الفراسة ، ذلك الغذاء الذي يستمتعون به • فكل قارئ مهما بلغ مستوى ذكائه وثقافته يجد متعة في قراءة القصص المبسطة، خاصة ، وان كل انفعال يتجسم الى حده الاقصى عند التعبير عنه كتابه ام رسما ، فتلك الالوان الزاهية والتعبيرات والوجوه التي التوت من الحقد او الفزع ، والمواقف والعناوين الملتهبة ، كل ذلك يخاطب الخيال في حدّة ، وباعنف الطرق واكثرها اثارة وايحاء ليترك اقوى الانطباعات • ويبدو الجو القصصي شديد التوتر ، وفي مقاطع مترادفة تتوالى فيها مجموعة من الحوادث تجعل القارئ لاهثا مضطربا مقهورا • وتخضع خاتمة المغامرات لمقتضيات النهاية السعيدة وترضي الفضيلة التي تلقى المكافأة وتعاقب الجريمة •

ولكن الفضيلة تكافأ ، في هذه القصص ، بالثراء بمظاهر سطحية من القوة ، وينتصر الضعيف ، في نهاية الامر لا لأماتته او وفائه ، بل لان نهاية القصة تحتم قهر القوي • ولا يتردد البريء عن معاقبة المذنب ، طبقا لمبدأ العين بالعين ، وهكذا يظل قانون الغاب سائدا على الحياة • • وهكذا نجد في القصص استغلالا لحاجة الانسان الى حلول متفائلة (١٧) • ولكنها حلول غير واقعية •

وتندرج قصص المقاومة ضمن قصص البطولة ، وهي لا تنجح الى الخيال جنوح البوليسية بل تحمل ، في العادة ، مضامين هادفة وواقعية ، وكمثال على ذلك ما تنتجه البلدان الاشتراكية في الصحافة والسينما والتلفزيون، حيث تنير خيالات الاطفال وتحفز حماسهم ، وتجعلهم يقفون عند حقائق تكتشف لهم آفاقا واسعة •

كما تندرج ضمنها أيضا قصص المغامرات العامة التي يجد فيها الاطفال متنفساً ، بسبب رغبتهم في الحركة الحرة المنطلقة • وقد اغتنمت أجهزة

النقافة التجارية شغف الاطفال بالمغامرات فقدمت لهم سلاسل من المغامرات المثيرة جعلت الاطفال يرون حياتهم اليومية الاعتيادية مملة راكدة حين يقارنونها بحياة القصة .

وهناك لون آخر من قصص البطولة تتخذ شخصيات لها تصارع الحياة من أجل اهداف سامية كأن تدافع عن قضية عادلة او تثابر من اجل اسعاد الانسانية عن طريق الاكتشاف أو الاختراع او مكافحة المرض ، وما الى ذلك . وقد تكون شخصياتها واقعية وقد تكون خيالية .

وقد دعا كاتب الاطفال السوفيتي « ليف كاسيل » الى ادخال المفكرين والكتاب كأبطال في قصص البطولة ، حيث قال :

« ان واضعي قصص الاطفال يهتمون بان يكون أبطالهم من امثال الطيار الروسي تيتشكالوف الذي عبر القطب الشمالي ، أي من النماذج البشرية التي تمتاز بعمل من هذا القبيل ، ولا يهتمون بان يكون في ابطالهم أمثال ماياكوفسكي ، الشاعر العظيم ، ممن يمتازون بعظمة فكرية أو أدبية ، فهل معرفة ماياكوفسكي وامثاله من عظماء الشعراء والكتاب وعابرة الفكر ، يجب أن تظل وقفاً على الناس الكبار دون الاطفال ؟ » (١٨)

وقد أشار توماس كارليل في محاضرة له عن « الابطال وعبادتهم » الى ان البطل او الرجل العظيم في مستويات النمو الثقافي المختلفة يظهر على صور شتى ، فقد يكون جنديا او من رجالات الادب . وفي حلم البطولة الذي ينسجه الطفل حول نفسه يكون البطل أحد رجال الشرطة او رجال اطفاء الحريق أو طبيبا أو معلما أو جنديا أو ملكا أو طيارا او سائق سيارة أو رجل دين أو نافخ بوق . . وقد يكون البطل قويا باسلا او على جانب من الذكاء ، ولكن لا بد له ، الى جانب ذلك ، من أن ينجح من حيث أخفق الزعيم المعترف به في القصة ، فهو ليس شجاعا أو ذكيا فحسب ، بل هو أشجع الجميع واشدهم ذكاء ، وقادر على التدليل على قدرته الشاملة ، او معرفته

المحيطة بكل شيء أو كليهما ، وهي الصفات التي كان يراها في أبيه اثناء طفولته . وهكذا تستمر القصة في اظهار الاعتراف العام بتلك الصفات (١٩)

ولابد من التنبيه الى خطر ترجمة قصص البطولة الاجنبية الى اللغة العربية بدون تحفظ ، لان غالبيتها تنطوي على مثل وفيهم واخلاقيات تعبر عن مجتمعات مختلفة . كما ان هذه القصص زاخرة بالمواقف الحادة ، أو ربما الشجاعة والذكاء والمهارة التي تثير دهشة اطفالنا ، وحين لا يجدون لها أمثلة في واقعنا فانهم يميلون الى الاعتقاد ان البطولة والشجاعة والعبقرية والمهارة ... للاجانب وحدهم .

كما لابد ان ننبه في ختام حديثنا عن قصص البطولة الى نقطتين : اولاهما ان قصص البطولة ، بوجه عام ، ذات أثر ايجابي كبير في الطفولة ، لانها ترضي أكثر من حاجة من حاجاتهم ، وهذا يقتضي امداد الاطفال بفيض منها مع الحرص على اختيار نماذج مناسبة . وثانيهما : ان قصص البطولة يمكن أن تتخذ لها ابطالا حقيقيين أو خياليين من واقع حياتنا . ولكن من الافضل أن تكون البطولة فيها جماعية .

المبحث الخامس

قصص الخوارق

بسبب تعلق الاطفال بالبطولة والمغامرة والحركة المنطلقة ، عملت أجهزة الثقافة التجارية على امطار الاطفال بوابل من القصص التي تتجاوز قصص البطولة الى قصص الخوارق ، كقصص الرجل الخارق للطبيعة وقصص رعاة البقر وروايات خيالية يأتي أبطالها بالمعجزات •

وتمتلك هذه القصص مشاعر الاطفال بشدة ، بل هي تلاقي اقبال حتى اولئك الذين تخلو نفوسهم من الحوادث العنيفة او المثيرة •

والرجل الخارق للطبيعة يتخذ له اسماء كثيرة وما (سوبرمان) الا واحد من اولئك الابطال •• ويظهر البطل في هذه القصص خالدا لا يغلب ولا يقهر ، قواه غير اعتيادية ، يأتي بالمعجزات ويتخلص من اعسر المواقف بسهولة ، يقنلح المباني والجسور بيديه ، وتكفي نظرات عينيه الحادة لخدلان اعدائه ، ويستخدم القوى العلمية استخداما لا يتفق - في كثير من الاحيان - مع الاسس والنظريات العلمية ، تنبعث من رؤوس أصابعه أشعة مميتة ،

ومن فمه ينطلق النمر ، وهو لا يهرم ولا يسوب ولا ينزوح ولا يعم بحبابة خاصة .

وهذه القصص تمثل للأطفال ما يتوقون الى تحقيقه في حياتهم . وتأثيرها فيهم يتعدى الانفعال الموقت عند المشاهدة ، ويظهر ذلك في سلوك «المحاكاة» الذى يقوم به الاطفال ، أي محاكاة السوبرمان في حركاته . ومع هذا فان الجانب الاخطر من هذا هو ما تنطوي عليه هذه الانماط السلوكية ، مما يترسب في نفوسهم نتيجة لمثل هذه المؤثرات من اتجاهات فردية او عدوانية نحو الحياة والمجتمع ، بل ان مثل هذه المؤثرات قد تدعم لدى الاطفال اتجاهات نفسية هروبية نتيجة الحلول الخرافية التي يتصورونها بالنسبة الى حياتهم ومشاكلهم الخاصة . هذا بطبيعة الحال احتمال لما قد ينجم عن أمثال هذه القصص . وهنا يشير بعض المتخصصين في الطفولة وفنون الاطفال بعض التحفظات خلاصتها : ان الطفل لا يتأثر تأثيرا سلبيا من مشاهدة مثل هذه القصص او الاستماع اليها أو قراءتها الا اذا كان لديه استعداد سابق لذلك . ولكن المعلوم ان الاستعداد تخلقه ظروف الحياة وما فيها من صراعات وتناقضات يتعرض لها الطفل في نموه ، فهو يرى نماذج مختلفة ، بل متناقضة من الشخصيات ومن العلاقات ، ويتعرض لنماذج مختلفة ، بل متناقضة ، من سلوك الآخرين نحوه ، ويحدث هذا في مرحلة يغلب عليه فيها الشعور بالقلق والعجز والرغبة في النمو واكتساب القوة . ولهذا فان حالته النفسية تكون مهياة للتأثر بمظاهر القوة القاهرة التي يتمناها لنفسه في مواجهة مواقف الحياة العديدة التي يكون فيها مغلوبا على أمره (٢٠) .

ومن الشخصيات الاخرى التي اهتم بها القصاصون في هذا اللون شخصية طرزان . ومع ان هذه الشخصية لا تمتلك كل مزايا الرجل الخارق للطبيعة الا انها تنتقل في الفضاء ، وتتفق مع الحيوانات لشن الحروب . وهناك اليوم أكثر من ٣٠٠ صحيفة يومية غربية للأطفال تنشر قصص طرزان المصورة الى

جانب العديد من الكنب والافلام السينائية والتلفزيونية ، حيث يجد فيها الاطفال والراسدون حلاً وموضوعاً للهروب من الواقع .

وفي قصص رعاة البقر يبدو البطل يحمل اسماً من اسماء الحيوانات ويستطيع التخلص من المقالب والافخاخ ، لانه ذكي وقوي وسريع الحركة ، وهو يستهدف القضاء على الهنود الحمر ، ويبرر أعماله هذه بالدفاع عن البيض وسعيه لان يحتلوا مواقع أرفع لهم .

وتسود في قصص طرزان وقصص رعاة البقر وفي كثير من قصص الخوارق الحديثة اتجاهات عنصرية ، حيث يتولى البيض البطولة ، ويتولى الملونون ادواراً ثانوية ، وتتجسد في كثير منها الاستهانة بالحياة الانسانية وازدراء الاجناس الملونة .

ويتنيز ابطال قصص الخوارق ، في الغالب ، بالجدية والاكثاب والعنف الشديد ، وبخروجهم على القوانين والاعراف والتقاليد .

ويتشوب التطور القصصي ، في هذه القصص كثير من الافتعال والفبركة ، حيث تتلاحق الوقائع العنيفة ، بين قتل وحروب وفيضانات وحرائق وفواجع حتى تنتهي القصة بتمكن الرجل الخارق للطبيعة من النجاة والانتصار في آخر لحظة .

وحكايات الجان القديمة هي أقرب ما تكون الى قصص الخوارق الحديثة ، لان هذه الحكايات الشعبية تطفئ عليها الخوارق .

ولكن البطل في حكايات الجان لا يقوم بالحدث الخارق بنفسه وانما يعتمد على شخصية خارقة يكسب ودها بجميل يصنعه لها أو فضيلة تفتنها أو كلام يخلبها ، وهي متعددة المصادر ، تتكرر فيها المحاور وتنزع - في كثير من الاحيان - الى غاية وعظمية أو تعليمية . ومن هنا استقرت في سفح الكيان الاجتماعي ، واتخذت وسيلة من وسائل التسلية والترفيه ، كما اتخذت اداة لاثارة انتباه الطفولة .

ويلاحظ في هذا اللون من الحكايات قلة عدد الشخصيات ، اذ هي لا تكاد تتجاوز البطل او البطلة والمنقذ الخارق والشخصية الشريرة ، ويغلب عليها الانفعال الحاد في المواقف وضروب الصراع ، ولكنها تنتهي بخاتمة سعيدة دائما بفضل الشخصية الخارقة من عالم الجان (٢١) .

وهذه القصص تتميز بنزوعها المؤثر ، وبالروعة المفاجئة التي تخلفها النهاية السعيدة . وابطالها بسطاء عصاميون في العادة ، يبلغون اهدافهم بعد سلسلة من المخاطر بمساعدة الجان ، ويعيشون سعادة ، وتجتمع في ابطالها جميع الخصائص التي يتمناها المرء لنفسه . فالبطلة تتميز بالجمال الخارق والشفقة والاحتشام ، ويمتاز البطل بالشجاعة والحدق (٢٢) .

والجان كائن خارق غير منظور - في العادة - وهو اما خير ومعين ، واما شرير خبيث ، واما شقي ساخر . ويعيش على الارض وبينه وبين الانسان أكثر من سبب . وكان الناس يعتقدون بوجوده في جميع انحاء العالم . وله في كل مكان الخصائص نفسها ، فهو قادر على التشكل والاستخفاء ، وقد يكون ماردا يطاول الجبال او يكون قزما يصغر عن الاطفال ، ويعيش تحت الارض أو عند سفح جبل او تل أو بين كومة من الصخور . وكثيرا ما يتشكل باشكال البشر او باشكال الحيوان (٢٣) .

واذا كانت قصص الخوارق الحديثة تبعد الاطفال عن واقعهم فان حكايات الجان السحرية التي ترتبط معها برباط وثيق ذات خطر اكبر في نفسيات الاطفال ، لانها تدفع بهم الى الخوف والجبين .

يقول الدكتور ملاك جرجس في كتابه « مشاكل الاطفال النفسية » :
« ان الصورة الغريبة المفزعة التي نعلمها لاطفالنا في بعض كتب المدارس وفي مجلات الاطفال . . والقصص الرخيصة لها اكبر الضرر على نفسية الطفل ، وتدفع به الى المخاوف الشديدة . . ان القصص الخرافية التي

تلعب العفاريت والسحرة والجن البطولة فيها ، كميلة بخلق الطفل جباناً يعانى من قلق نفسي مدمر وخوف شديد من المجهول » ♦

ويتحدث عن طفلة في التاسعة من عمرها ، كانت شديدة الذكاء ، دائمة النجاح بتفوق في المدرسة حدث فجأة ان تدهورت صحتها تدهوراً شديداً في المدرسة وفي البيت ، نتيجة اصابتها بحالة قلق نفسي شديد ♦ وكان من مخاوفها انها كانت تخشى أن تتحول الى قطة ، او تفاحة يأكلها الناس ♦

ويشير الى انه عند بحث الاسباب تبين ان الطفلة قرأت قصة عن ساحر سحر طفلاً فحولته الى قط ، وسحر طفلاً آخر فحولته الى تفاحة ولان الاطفال يتقمصون ما يقرأون وما يسمعون ، فقد وضعت الطفلة نفسها مكان الطفل ، واصبحت تعيش في رعب دائم خشية أن يقابلها ساحر فيحولها الى قطة ♦ او الى تفاحة ، ولا تعود طفلة مرة اخرى ♦

وقصص الخوارق اليوم التي تنتشر انتشاراً واسعاً في مجلات متخصصة للاطفال ليست حديثة العهد ، لاننا نجد الرجال الخارقين للعادة في الاساطير القديمة والخرافات والحكايات الشعبية ، وكل ما في الامر ان ابطال قصص الخوارق يفتعلون استخدام حصائل المخترعات الحديثة كتبرير لهم للأتيان بالمعجزات والخوارق ، كالتطواف في سفن الفضاء او توجيه الاشعاعات القاتلة او إمطار السماء صناعية ♦

وقصص الخوارق الحديثة تنمي خيالات الاطفال لما فيها من مواقف مشبعة بالخيال ولكنها من الجانب الاخر تمجد البطولة الفردية مثلما تمجد العنف والقوة ♦ وهي تثير انفعالات الاطفال كالخوف والغضب والفرح معا ، كما انها تثير فيهم التفكير ♦♦

وهي لا تصلح للاطفال الصغار حتى ما بعد الحادية عشرة والثانية عشرة ، لان الاطفال في هذه المرحلة يقتنون بالبطولة والابطال ♦

المبحث السادس

القصص الفكاهية

يقبل الاطفال على القصص الفكاهية والطرائف والنوادر اقبالا شديدا ، ولهذا نجد صحفا وافلاما تجارية - في الغالب ، تتخصص في اضحاك الاطفال ، ونجد من يذهب الى القول : ان وسائل ثقافة الطفل جميعا ينبغي ان تركز على جوانب الاضحاك دون غيرها من الجوانب .

ولا اعرف اسباب استعداد الاطفال للضحك اكثر من الكبار ، فقد اختلف علماء النفس في الاتيان بوجهات نظر مختلفة ، فوجدت نفسي في موضع لا استطيع فيه الانحياز الى رأي محدد .

ومع هذا فقد يكون شدة تعاطف الاطفال في مقدمة اسباب ذلك . فالطفل الذي يتصور ان الحيوان المسكين الذي سقط من علو شاهق ، في احد افلام والت ديزني لا بد ان يكون قد مات ، فاذا به يجده ينهض امام ناظره لكي يواصل حركاته البارة في خفة ونشاط . وهكذا لا يملك الطفل سوى ان يضحك لتلك المفاجأة السريعة التي تنتقل به من التعاطف الى الضحك وبالعكس (٢٤) .

والواقع ان القصص الفكاهية والطرائف والنوادر والالوان الفكاهية
الآخري لا تستهوي الاطفال فحسب بل هم يفعلون ويتأثرون بها *

وهنا لابد من ان نفرق بين فكاهة للاطفال تضحكهم لمجرد الضحك ،
واخري تغرس فيهم مثلاً ومبادئ اخلاقية ، وثالثة تنبه اذهانهم وتدفعهم الى
التفكير ، ورابعة تشيع فيهم رغبات انسانية وتملأ حياتهم بالمرح والانشراح ،
 وخامسة تنمي فضلاً عن ذلك ثروتهم اللغوية *

وارى ان الطفل لا يمكن ان يكتفي بلون واحد من هذه الالوان دون
غيرها * . انه يستمرئها كلها رغم ان هناك تفاوتاً في درجة الاستجابة بين
طفل وطفل بل نجد مثل هذه الفوارق بين شعب وشعب ايضاً *

وبعض القصص الفكاهية قد لا تبعث الضحك في الاطفال ، اذ هي
قد تحمل مضموناً جاداً ، ولكنها تتخذ لها دوماً جواً مرحاً *

ونحن نخطئ حين ننتظر قهقهة عالية بعد تلوان كل قصة فكاهية ، لان
الضحك قد يكون وسيلة نقي بها انفسنا من الآلام ؛ آلام المشاركة
الوجدانية ، حيث يهبننا الضحك شيئاً من المناعة ضد الآلام *

ويؤكد عالم النفس مك دوغال ان هناك علاقة بين الضحك والتعاطف
او المشاركة الوجدانية ، ذلك انه لما كان للانفعالات الرقيقة دور مهم في
الحياة النفسية ، فقد اوجدت الطبيعة حيلة بيولوجية هي الضحك ، حتى
تقينا من اثاره السنفقة البالغة والتعاطف الزائد على الحد مما يمكن ان تتعرض
له بسبب ما لدينا من قدرة على التأثر الانفعالي والاحساس بالآلام الآخرين ،
والآلام النفس ايضاً * فالضحك ضرب من المناعة النفسية التي تحول بيننا
وبين التأثر بما يعرض للآخرين او للنفس من مشاكل بسيطة ، مما نشهده
حولنا باستمرار ، فنجد انفسنا مضطرين - باعتبارنا كائنات اجتماعية - الى
الاخذ بقسط منه ، ومعنى هذا ان الضحك استجابة للألم الرقيق ، لان
مفتاحه هو المواقف التي تسبب لنا الضيق او الكرب او الألم ، ونضحك

حتى تخفف من الافعالات الرقيقة والتأثرات الوجدانية الكثيرة وعواطف
الشفقة المفرطة * وهنا لابد من التفريق بين الابتسام الذي هو رد فعل
للسرور ، وبين الضحك الذي هو رد فعل للألم (٢٥) *.

ويدخل ضمن ذلك ، الضحك الناجم عن شعور المرء بالتفوق على
الآخرين ، ونحن نرى ان ممثلي الفكاهة في المسرح والسينما والتلفزيون
يتعمدون الوقوع في الخطأ ، ويصرون على ان يكون تصرفهم شاذا لكي
يشعروا المشاهدين بالتفوق وليشيروا فيهم عاطفة الضحك * كما ان فرص
التحرر من الكبت الاجتماعي هي احدى دواعي الضحك ، والتي تضاف اليها
ان ايماننا بان الحياة تسير وفق نظام معين وتناسق مستمر ، لا يكاد يختلف ،
واعراف لا تكاد تتبدل ، لذا فان بعض المخالفات لسنن الحياة ونظمها
وتقاليدها تدعو الى الضحك ، ولكن ما يتمسك به الناس من مثل واخلاقيات
تحول دون الاسترسال في الضحك حينما تزداد حدة تلك المخالفات (٢٦) *.

يقول شارلي شابلن : « ان الناس يتعاطفون معي بحق حينما يضحكون ،
وحينما يزداد الطابع التراجيدي على الحد ، يبدأ الناس بالضحك * » ويقول
والت دزفي : « الناس كثيرا ما يتعاطفون حينما يضحكون ، ولما كان
الاطفال قد يتعاطفون بشكل زائد على الحد ، فانهم قد يجدون انفسهم
مضطرين الى ان يغلّقوا عيونهم حينما يكونون ازاء المواقف المروعة » *
وكثيرا ما يواجه الانسان مواقف الخوف والهلع والقلق بان ينفجر ضاحكا *
وعليه فان الضحك لا ينم عن الفرح دائما *.

وما تستهدفه القصص الفكاهية ليس القهقهة التي يبعثها الهزل العابر ،
بل تستهدف اثارة تفكير الطفل وتنمية ذوقه واذكاء احساساته ، وبعث
الاشراق والتفاؤل في نفسه ، ويمكن عن طريق القصص الفكاهية زعزعة
الخرافات والالوهام والعادات والتقاليد والعقائد العتيقة وتأصيل قيم
ومفاهيم واخلاقيات جديدة * والذي يمنح القصص الفكاهية هذه القوة
والتأثير هو ارتكازها على المفارقات الناجمة عن التناقض في الحياة والمجتمع
مضمونا واعتمادها على الایحاء غير المباشر في جو بعيد عن التوتر اسلوبا *.

ان النكتة الفنية هي التي لا تستهدف الاضحاك فحسب ، وانما تريد ، في الوقت نفسه ان تقول شيئا اخر ، تريد ان تسخر من شيء في حياة الانسان ، اجتماعيا كان ام اقتصاديا ام سياسيا ، وتمثل بذلك وترا حساسا بين اكبر مجموعة من الناس ، محدثة فيهم ما يشبه الاثر التطهيري الذي اشار اليه ارسطو في كلامه عن شروط العمل الفني .

والفن ، اي فن ، لا يمكن ان يكون شكلا بغير مضمون ، او مضمونا بغير شكل . وفي كثير من القصص الفكاهية او النكت يتوفر عنصر واحد هو الشكل ، ذلك الوعاء البراق الذي قد يبهر الناس لحظة ، ولكنهم حين يتطلعون الى داخله لا يجدون شيئا . . هذا الشيء المفقود هو المضمون . وهو العنصر الاخر الذي يمكنه - بالاضافة الى الشكل - ان يسبغ على القصة الفكاهية صفة الفن الجميل . (٢٧)

والنوادير والدعابات والنكات هي مراحل اولى لابداع القصص الفكاهي ، ولابد من توفر العنصر الذهني فيها جميعا ، لانه الاساس في فن الفكاهة ، وليس كل ما يضحك يمكن ان يسمى فكاهة .

وقصص الفكاهة تتميز بالقصر والبساطة ، وتكون عقدتها في النهاية وتستمد موضوعاتها من الحياة اليومية او في احيان اخرى تبتعد عن الواقع فنرى شخصياتها شاذة او غريبة ، ونشهد احيانا فيها حوادث لا يمكن لها ان تحصل في الحياة الاعتيادية .

وترجع بعض اصول قصص الفكاهة الى الحكايات الشعبية المرححة التي تداولها الشعوب المختلفة . وتشير الدراسات الفولكلورية ان اجيالا متعاقبة ظلت تردد بعض الحكايات المرححة مئات السنين ، وبلغ من انتشارها ان رددتها اكثر الشعوب في العالم رغم تباعد المسافات وقلة الاتصال في تلك الفترات .

ومن الاشكال القصصية الفكاهية البسيطة : النكتة ، وهي - في العادة - تلميحة الى شيء خفي . وتتميز - النكتة المناسبة للطفل بتناسبها مع

قدرات الاطفال على اكتشاف معنى ذلك التلميح من تلقاء انفسهم •
اما النادرة ، فهي حكاية قصيرة تتركز حول موقف يبعث على الفكاهة
وهي اطول نسبيا من النكتة او هي « الاقصوة التي لا تطول الى درجة
الحكاية الهزلية ولا تقصر الى النكتة » وهي تعكس صورة للمجتمع في فترة
ما وفي مكان ما •

والحكاية المرحية ، هي الاحدثة القصيرة المنشورة او المنظومة التي
تحكي نادرة او سلسلة من النوادر ، وتنتهي الى موقف فكاهي مرح ويؤخذ
موضوعها من الحياة اليومية

ويأخذ الناس موضوعات هذه الالوان من الحياة اليومية، لذا تندر فيها الخوارق،
« وقد تقوم بين الناس على تسجيل مواقف يمتاز بعضها بالمفارقات المضحكة
او الاخطاء التي تصل الى الجماعات ، وبعضها تظهر فيه الاكاذيب والمبالغات
المفرطة ، وبعضها تلعب فيه الحيل العابا مضحكة ، وبعضها يقوم على بلادة
افراد في المجتمع » (٢٨)

والحكايات والقصص الفكاهية تشابه في بعض جوانبها قصص
الهزليات المصورة Comics ، وهي تعتمد في حوادثها على المصادفات
النادرة المثيرة ، كما تنتهي - في الغالب - بصدفة غريبة ، لذا تبدو في اكثر
الاحيان مختلفة في بنائها القصصي •

ويلاحظ اليوم ان وسائل « ثقافة » الطفل التجارية تعطي الفكاهة
النصيب الاوفر ، مستغلة ميل الاطفال الى الضحك والمرح • ففي ميدان
الصحافة ، نجد صحفا متخصصة في فبركة الفكاهات من خلال النكت
والنوادر وقصص الهزليات •

وعلى اية حال ، فان طابع الفكاهة والروح الخفيفة ينبغي ان تظل
دائما سمة مهمة من سمات الوان ادب الاطفال عموما لا من خلال القصص
الفكاهية وحدها •

المبحث السابع

القصة التاريخية

قرأنا تاريخنا في المدارس وكأنه مجموعة من الحوادث التي يسلسلها الزمن وحده ، دون ان نجد ما يربط بين الاسباب والنتائج • وكتب علينا ان نحول ذكراتنا الى خزائن تطفح باسماء الامكنة والارقام والازمنة ، كما كتب علينا ان نثبت في عقولنا - من خلاله - افكارا ومفاهيم خاطئة • • وسرت تلك الافكار والمفاهيم بيننا مثلما تسري العملة الزائفة ، تتداولها دون ان تتبين مواضع زيفها •

قرأناه ، ولم نلمس فيه بطولات الشعب بينما احيط اقزام بهالات التمجيد • • وعرضت لنا بعض الوقائع وكأنها مسلسلات بوليسية او جرائم ثار ، او مؤامرات غادرة • وطلب اليها ان نحفظ على ظهر قلب اعداد القتلى الذين ذبحوا بالسيوف وأولئك الذين دفنوا في الخنادق احياء ونحفظ الى جانب ذلك اعداد المغانم نعاجا وماعزا •

ولم نستطع ان نتدبر - من خلال ذلك - مسيرة تطور المجتمع وطبقاته

الاجتماعية وكفاح قوى الشعب * فكان من نتيجة ذلك ، ان ارتسمت في اذهانتنا صورة غير واقعية عن شخصيتنا القومية * هذا مع علمنا ان الصورة التي يرى المجتمع فيها نفسه وتراثه تشكل له جانبا من مستقبل مسيرته بصرف النظر عن ضخامة ذلك التراث او ضآلته *

وتاريخنا العربي المدون، هو مزيج من الحقائق والالوهام، وقد كتب بعضه افراد تأثروا بمؤثرات البيئة القبلية والطائفية والعنصرية * كما كتب بعضهم فصولا بدوافع عصبية ومذهبية ، وبعضهم الاخر كانت النزعات البدوية طاغية عليهم ، ولا يمكن ان تفصل بين كتابة التاريخ والسلطات المستبدة التي سيطرت على العرب قرونا عديدة ، والتي صبغت التاريخ بالصبغة التي ارادت * يضاف الى ذلك ان اكثر المستشرقين الذين كان لهم دور في كتابة جانب كبير من تاريخنا كانوا متأثرين الى حد ما بالفكر الغربي * وهناك من سطر التاريخ على انه مجاميع من العبر والتجارب ، وفي هذا تجريد للمسيرة الانسانية الطويلة المرهقة عن نضالها من اجل التقدم ، لان احداث التاريخ سلسلة متكاملة الحلقات لا يمكن فصل الواحد عن الاخرى ، ولا يمكن لحلقة ان تتكرر بذات الملامح اكثر من مرة واحدة ، وتكررها يعني وهدة في المسيرة الانسانية واتكاسة لها (٢٩) *

وحتى اليوم ، ما تزال نزعات اغلب مؤرخينا ذات طابع تقليدي ، قد لا تختلف كثيرا عن النزعات التقليدية القديمة ، كما ان كثيرا من مؤرخينا متأثرون بالفكر الغربي بسبب عوامل عديدة *

وباختصار ، يمكن القول ان تاريخنا لم يفهم بشكل سليم ، كما انه لم يكتب بعقلية علمية * وليس عيبا ان يتضمن تاريخنا شوائب لا حصر لها ولا عد ، بل المريب ان تبقى على ذات الخط ، وتتمثل بذات المفاهيم البالية ، ولا يمكن ان تتجاهل ان تواريخ الامم الاخرى لا تخلو من كثير من الشوائب والالوهام *

ويشير كثير من المفكرين الى ان بعض جوانب الماضي لا تقف حجر عثرة فقط بل لها نتائجها النفسية والاجتماعية الضارة لدى الامم والشعوب، اذ كثيرا ما تتولد في صفوف المجتمع عقد عديدة من بينها ما يسمى : بمركب الغرور ، الذي يصرف تلك الامم والشعوب عن تقبل ما هو جديد بحجة عراقية الماضي ووجوب اعادته من جديد .

ودراسة تاريخنا ان لم تستكشف القوانين الاساسية للتطور الاجتماعي والقوى الصانعة للحياة والحركة لها ، وهي ان لم تجعل من الدارس يحس بالارتباط العضوي بالمجتمع باعتباره فردا فيه يعطي عن طريق ذلك الارتباط دفعا لعجلة التطور ، فان تلك الدراسة لا تعني شيئا . لان التاريخ ليس تجميعا للوقائع ، ولا هو مجموعة وقائع او معاهدات او ارقام ، بل هو هذه كلها متداخلة ومتفاعلة ، ومؤثرة ومتأثرة . (٣٠)

ودراسة التاريخ العربي ، تظل غير فاعلة ان هي ظلت تفصل بشكل مصطنع بين تاريخ هذا القطر او ذاك لاننا بذلك نسقط ابرز ميزة من ميزات الشعب العربي وهي التاريخ المشترك . . واذا كانت قوى الاستعمار قد توزعت الاقطار العربية فيما بينها فان هذه الاقطار قد واجهت مجتمعة لونا واحدا من الاضطهاد والاستعمار الذي لم يختلف في جوهره ، وان اختلفت مظاهره .

واذا كان هذا شكل التاريخ العربي بوجه عام فان تقديمه للاطفال يظل اكثر حساسية واشد خطرا ، وعلى ذلك يستلزم تقديم هذا الزاد الثقافي الى الاطفال في وجبات لذيذة طيبة ، يستمرئونها بملء نفوسهم ، لتشبعهم وتسمنهم .

ان تقديم التاريخ للاطفال يستند الى مرتكزات أساسية من الضروري ان تدخل في حساب من يحاول كتابة التاريخ للاطفال ، وتقرر هذه المرتكزات من خلال الجوانب التالية :

١ - يرتبط التاريخ بالزمان ، ومفهوم الزمان بالنسبة الى الاطفال

مفهوم غامض ، ومدلولات الرموز الزمانية كالاسبوع والشهر والسنة والقرن غير واضحة في اذهان الاطفال ، لانها رموز مجردة •

وقد اثبتت تجارب « استرت » و « ريلو » انه يتعذر على الطفل قبل سن التاسعة او العاشرة ادراك المدلولات الزمنية التاريخية • ولهذا السبب نجد استيعاب الاطفال للحوادث التاريخية قبل هذه السن لا يتعدى حفظ تواريخ هذه الحوادث ، دون ان تكون لديهم القدرة على تتبع الادوار التاريخية ، وربط هذه الادوار ربطا يدل على ادراك يتضمن معنى التابع الذي يدل على التطور (٣١)

ويرى « برت » ان تلذذ الطفل بالتسلسل الزمني والسبب والنتيجة محدود الى حد ان كثيرا مما يقدم له الآن بشكل تاريخ هو فوق مستواه العقلي

٢ - يرتبط التاريخ بالمكان ، ومع ان مفهوم المكان اكثر وضوحا من مفهوم الزمان لدى الطفل الا أن هذا البعد غير واضح ، ويتزايد وضوحه بنمو الطفل عقليا وعاطفيا وادبيا •

٣ - يجد الاطفال صعوبة بالغة في ادراك مفهوم حركة التاريخ لاعتماد هذه الحركة على البعدين آتفي الذكر معا

٤ - ان وقائع التاريخ وحوادثه لاتقع تحت خبرات الطفل المباشرة •

٥ - ان الوقائع والحوادث تتميز بتشعبها وتعقدها ، اذ منها ما هو سياسي ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو فني • • ومنها ما يتصل بافراد ومنها ما يتصل بجماعات مما يجعلها ثقيلة على قدرات الطفل •

ويدفع هذا اللا توافق « الظاهر » بين طبيعة التاريخ وطبيعة الطفولة بعض المربين الى المناداة بضرورة ترك تعليم مادة التاريخ الى ما بعد هذه المرحلة من نمو الانسان حتى تنضج مفاهيم الزمان والمكان لدى الطفل وتنمو قدراته على الادراك المجرد • ولكن تبدو لمعظم المربين انه من

الضروري للاطفال أن يعرفوا كيف يضعون أنفسهم وتدرجيا وبشكل صحيح في سياق الزمن وفي مكانهم من المجتمع ، ثم ضمن النوع البشري كله الذي ليس له وجود خاص الا من خلال الزمن . ومن المعروف ان تعليم التاريخ نفسه للاطفال يساعدهم على تحقيق هذا الامر . ويمكن للتاريخ أن يدرج نمو مفهومي الزمان والمكان لديهم وان يعمل على تنميتها ، فاذا كان الاطفال ينزعون في السادسة والسابعة من أعمارهم الى رؤية الحوادث وهي « تسبح حرة » في فراغ ، أي دون اطارى الزمان والمكان ، فأنهم يبدأون بادراك العلاقات الزمانية بشكل أفضل في الثامنة والتاسعة ، وان بقيت مغشاة بستار من الابهام ، أما في الحادية عشرة والثانية عشرة فانهم يصبحون اكثر انسجاما وتفهما لها وتبدأ غشاوة الغموض بالانتشاع . ومن الضروري التنويه الى أن الطفل المعاصر قد أصبح أكثر قدرة على التغلب على تلك الصعوبات الفكرية من طفل الماضي ، وان مفاهيم الزمان والمكان والحركة لم تعد بعيدة عن ذهنه بعدها عن ذهن هذا الاخير ، لان الافق المحدود بالبيئة الحسية المباشرة لطفل الماضي أصبح أفسح وأوسع بالنسبة الى الطفل المعاصر بفضل وسائل الاعلام المختلفة وخاصة الوسائل السمعية - البصرية كالتلفزيون والسينما (٣٢) .

بعد هذا . . ما الذي نستهدفه اذن من الادب التاريخي المقدم للاطفال ؟

ان الاطفال هم صناع المستقبل ، صناع التاريخ الجديد ، وهم لا يمكن لهم أن يبدأوا من الصفر ، كما ليس من الصحيح أن يبدأوا من وعي خاطيء بالتاريخ . . .

وهذا اللون الادبي يهيء للاطفال أن يتلمسوا ، بعض التلمس ، ان الواقع الذي يعيشون فيه هو حصيلة عوامل متفاعلة مع بعضها ، وان المستقبل هو ثمرة عوامل تتعامل في واقعهم ، والجهود التي تبذل اليوم

هي التي تقرر صيغة الغد ، وان للانسان القدرة على التغيير والتطور وعلى تشكيل حياة جديدة باستمرار *

كما يمكن ان يدخل في روعهم معاني العمل الجماعي والتعاون بين الافراد والجماعات ، فلا يكفي أن يعرف الاطفال شيئا عن الصروح والآثار الشامخة التي خلفها الاقدمون ما لم يتعلموا ان ذلك كله لم يقرر له أن يكون لولا تضافر جهود البشر وتعاونهم *

ويسهم هذا اللون الادبي في تنمية الحاسة الاجتماعية ، ذلك ان البحث في العوامل المؤدية الى اللامبالاة والانزواء والانطواء من جانب الافراد يؤكد أهمية التنمية الاجتماعية للاطفال عن طريق تأكيد أهمية شعور الفرد بدوره في المجتمع ، كما يمكن ان يسهم في تنمية الولاء للوطن وتأجيج الشعور الوطني والقومي لدى الاطفال « فالتاريخ عامل اساسي في تحريك الوعي القومي ، وتنميته بين أفراد الامة يثير في الطالب روح الثقة والاعتزاز * وتحرك الوقائع والاحداث فيه الفكر الحر وتعمقه ، وتكسبه الخبرة وتمده بالعبرة » (٣٣) *

والتاريخ الموجه قوميا من أقدر مواد المعرفة الانسانية على بناء الروح الوطنية والقومية بناءً صلبا ، ولاسيما اذا تلمسه المواطن منذ مرحلة الطفولة وانفعل باحداثه *

ويمكن للاطفال من خلال التاريخ أن يميزوا بين القيم والمفاهيم المتناقضة ، كأن يفهموا ان الصراع ضد الطبيعة من أجل الخير العام قيمة أساسية في حياة الانسان ، وصراع الجماعة ضد الطامعين قيمة أساسية ، ولكن صراع الجماعة من أجل السيطرة على غيرها ومن أجل حرمانها من حقوقها أو صراع الانسان من أجل اغراض انانية هي قيم سيئة * ومن خلال ذلك يتبينون معاني الخير والشر في الحياة الانسانية *

وفوق هذا وذاك يمكن للتاريخ أن يثير تفكير الاطفال وينمي ويوسع من آفاق خيالاتهم ، ويشبع من فضولهم *

وقد يتبادر - بعد هذا - الى ذهن القارئ انني أفضت في الحديث عن التاريخ قبل ان اتناول القصة التاريخية ، ولكنني أرى ان التاريخ في حده ذاته ليس الا قصة طويلة ، رغم افتقارها الى بعض عناصر القصة .

يشير المربون ان اكثر ألوان الادب حيوية وامتلاءً بالصورة الحية الموحية للأطفال ، واقواها جاذبية ومتعة لهم هو القصة . ويقول المؤرخ لافيس « ان تعليم التاريخ للأطفال يجب ان يكون تنابعا من القصص كالتى يرويها الاجداد للأطفال » .

والمربي « لوري » يرى انه « لا يمكن ان يكون التاريخ للأطفال منطقيا سببيا ، ولا يمكن ان يكون كذلك في سن السابعة عشرة الا بقدر جزئي ، ولكنه يمكن ان يكون دائما ملحمة أو تمثيلية أو اغنية ، وان التاريخ حتى في سن العاشرة يجب ان يكون حكاية تروى » .

اما المربي جونسون ، فيقول : « ان كل نوع من التاريخ هو تاريخ اطفال اذا عرض بأسلوب من الامثلة المحسوسة والتمثيل المادي للاشياء والاعمال والافعال واللفظية والقصص الغنية بالمادة التي تساعد على التخيل والحالات العقلية التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالاشياء مما يمكن ان يتصوره الطفل في وضوح » (٣٤) .

والقصة التاريخية هي تسجيل لحياة الانسان ، ولعواطفه وانفعالاته في اطار تاريخي ، ومعنى هذا انها تقوم على عنصرين ، اولهما : الميل الى التاريخ وتفهم روحه وحقائقه ، وثانيهما : فهم الشخصية الانسانية وتقدير اهميتها في الحياة (٣٥) . وهي في واقعها الادبي مزيج من الحوار غير المباشر والترتيب الزمني للاحداث مع وصف للامكنة والاشخاص والحالات الاجتماعية والطبيعية التي تمر بشخصيات القصة . فالقصة كنمط كتابي - قادرة على نقل المعرفة التاريخية الى الأطفال ، كما انها اقدر ألوان الادب على توليد الاتجاهات المرغوب فيها لديهم ، وترسيخ القيم المعنوية ، وذلك عن طريق استثارة

مشاركتهم العاطفية للنماذج من السلوك الانساني التي تقوم بتقديسها
وللمواقف الانسانية التي تصورها (٣٦)

والقصة التاريخية ، اسلوب من اساليب اخراج المحتوى التاريخي
وعرضه ، وهي قد تتخذ نواة لها سيرة شخصية تاريخية ، وقد تتخذ اي
موضوع تاريخي اخر تحرك فيه من تراه من الشخصيات وتصف فيه اوضاعا
شئى (٣٧) *

ويبحث كاتب القصة التاريخية في العادة عن بيئة القصة في كتب التاريخ ،
يستخلص منها اوصاف البيئة الطبيعية والاجتماعية ، يلتقط اوصاف الملابس
واخلاق الناس وعاداتهم في تلك الفترة ، وهو - بطبيعة الحال - لا ينتقدها
تقيدا تاما ، انما يستعين بها على تصور الفترة ، ويترك لخياله اللمسات الفنية
الاخيرة ، التي تصهر هذه المسادة وتمزجها مزجا تاما وتحيلها الى مهاد ملائم
تتحرك عليه الحوادث ، وتسعى فيه الشخصيات (٣٧) * وكاتب القصة التاريخية
يختلف عن الكاتب الذي يستمد موضوعه من الحياة العصرية المحيطة ، لانه
مضطر الى الاعتماد على الخبرة التي تأتية بالواسطة ، اذ يجمع مادته القصصية
من مصادر التاريخ (٣٨) *

وهناك من كتاب القصة التاريخية من يدعو الى عدم التقيد بالتاريخ اذا
ما اعترض التطور الفني للقصة ، وتطويع الحقيقة امام البناء القصصي ،
وهناك اخرون يكتفون بتقديم الحقيقة في بناء قصصي ، واخرون يصورون
الحقائق تصويرا خياليا *

ولا يمكن اعتبار الحكايات الشعبية ذات السمة التاريخية ضمن هذا
اللون القصصي رغم احتوائها على بعض الحوادث التاريخية ، لانها تضم الى
جانب ذلك خرافات وشطحات خيالية ، اضافة الى انها لم تستهدف في الاساس
الحقيقة بل كانت تعنى باغراض اخلاقية قبل كل شيء *

والتاريخ الذي تصوره الحكايات ليس كالتاريخ الذي نعرفه ، بل هو
تصوير للحياة الوجدانية التي عاشها العامة في ظل احداث كبيرة او في ظل

شخصيات كبيرة ، فالحروب الصليبية ، يمكن ان نجدها في التاريخ حملات ومواقع وملوكا وهزائم وانتصارات ، ونجدها في الحكايات الشعبية معارك انتصر فيها الخير بكل السبل ، بما في ذلك القتال واتيان المعجزات والخوارق ، ونجدها نوازل نزلت بالمسلمين ، فتصدوا لها فرسانا ومحاربين وتجارا وعلماء ، ثم اولياء قادرين ، واتباعا ودراويش شجعانا •

وبسبب الحرص على تحقيق المغزى الاخلاقي في الحكايات الشعبية نجدهم يضعون هارون الرشيد او سيف بن ذي يزن او الظاهر بيبرس او عنتره وكأنهم اشخاص عاشوا في فترة واحدة •• انهم ينظمون هؤلاء الاشخاص في سلك واحد ، دون نظر الى فوارق الزمان والمكان ، واذا كان الغرض الاخلاقي يحقق بان يصرع ابو زيد ألفا في معركة واحدة فانهم ينشئون مثل هذه المعركة انشاءً ، ويصرعون الالف فارس بضربات السيف وطعنات الرمح ودقات الابر (٣٩) •

ومع ان « تراجم السير » ليست قصصا • الا اننا نلاحظ ايضا من تراجم السير تنشرها صحافة الاطفال في مختلف بلدان العالم ، وخاصة في البلدان الغربية على انها قصص تاريخية تتحدث عن ابطال عسكريين ورحالة ومغامرين وقراصنة ، وحيانا تتناول اشخاصا خياليين يأتون بالاعمال الكبيرة ، وحيانا تصل بها القدرة الى الاتيان بالخوارق •

اما الصحف اليسارية فهي وحدها - بحكم اخلاصها لمبادئها - اعتنقت فكرة معالجة التاريخ على اساس حياة الناس انفسهم ، وعلى اساس حركات تقوم بها جماعات كبيرة واعية لا على شكل سلسلة من ابطال خارقى القدرة • وقد انتجت في هذا المجال قصصا طريفة عن الثورثين الروسية والفرنسية والحرب العالمية (٤٠) •

ولما كانت الصحافة التجارية توجه عناية اكبر الى الوحدة المسرحية في سياق القصة ، وتحاول تركيز الاهتمام في واجدة او اثنتين من الشخصيات

الرئيسية ، فقد تعمدت اغفال تقديم اي ايضاح انساني للشخصيات التاريخية او شخصية اخرى لا تناسب التصوير الخيالي (٤١) .

وتورد الدكتورة ليل الدباغ في دراستها المقدمة الى حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل المقامة في بيروت في ايلول ١٩٧٠ مجموعة من العناصر التي يمكن ان تتوفر في القصة التاريخية ، منها :

— ضرورة استناد القصة التاريخية الى نواة تاريخية حقيقة .

— ان يعمل الكاتب ، قبل تركيبها حول النواة ، على تحليل تلك النواة او الموضوع الذي يجب ان تدور حوله الى الافكار الرئيسية التي تتضمنها ، والشخصيات التي يراد تحريكها في نطاقها حتى تكون القصة بكل مركباتها واضحة تماما للقارئ الصغير .

— تحديد الكاتب قبل صياغة القصة الصور التي يمكنه بها تقريب تلك الافكار الى الاطفال ، على ان تكون تلك الصور مرتبطة بخبرتهم الحسية المباشرة ، اولها مشخصات في اطار بيئتهم ، كما عليه ان يتمثل الحركة التي يجب ان تقوم بها الشخصيات في القصة لتتنقل الافكار والمشاعر والاتجاهات نقلا خفيا الى الاطفال . . اي دون شعور منهم بانها تفرض عليهم فرضا .

— بدء القصة القصيرة بتمهيد يكون الغرض منه اثاره انتباه الطفل وتشويقه لمتابعتها . . وقد يكون التمهيد الطلب الى الطفل القارئ ملاحظة صورة في الكتاب تمثل بعض شخصيات القصة او تدور حولها او حول بعض نواحيها او يكون التمهيد ربطا مع حادث حاضر يتحسس الطفل مباشرة في بيئته ، او ربطا مع احداث سابقة او اية خبرة سالقة لدى الطفل .

— تحديد الاطارين الزماني والمكاني لموضوع القصة اما بكلمات « منذ زمن بعيد جدا » او « بعد الحادث الفلاني » — اذا كانت للطفل خبرة به — او بتقريب مفهوم البعد الزمني الى ذهن الطفل عن طريق ربطه بعمر الطفل نفسه . او عبر خط زمني بسيط وواضح ومرسوم او عبر لوحة زمنية . . وذلك

بحسب مرحلة نمو الطفل الذي يكتب له ، اما الاطار المكاني فيحدد كذلك
بحسب مرحلة نمو الطفل اما بالقول « في مدينة كذا البعيدة عنا ، او البعيدة
جدا * * * » او بموازنة بعد المكان يبعد مكاني معروف ومألوف لدى الطفل .

– تقديم وصف للمجتمع في تلك البيئة وخاصة في مجالات : الطعام ،
والمسكن ، والملبس ، وحياة اطفاله وهواياتهم ، وبعض العادات والاعمال .
– توضيح الشخصية في الاطار الوصفي ، اذا كانت القصة تدور حول
ترجمة شخصية ما وتحريكها فيه ، وتوضيح اعمالها مع التأكيد على ما بذل
ما فيها من فكر عملي ، ومشقة .

– ان يفصل الكاتب نسبيا في المواقف التي يراد التأثير فيها ، او تكوين
اتجاهات معينة من خلالها مع شحن الاسلوب اللغوي بطاقات عاطفية تعمل
على ذلك التكوين والتثبيت .

– ان تكون المعلومات المقدمة للاطفال في القصة زاخرة بوصف مسهب
ودقيق وملون بالف لون ولون . ومن المستحسن ذكر اشياء صغيرة قد تبدو
للاشد تافهة . فمن هذا التفصيل المسهب تتكون لدى الطفل انطباعات عامة
اهم بكثير من الانطباعات الناجمة عن سرد مجموعة من الحقائق الجافة . فاذا
كان الحديث يجري حول معركة حربية خاضها بطل القصة مثلا فلا بد من
وصف للسلاح الذي حارب به ولباسه ، واى نوع من المطايا ركب وكيف كر
وفر او صال وجال .

– ان يكون الاسلوب اللغوي حيا وجذابا ومشوقا وزاخرا بالصور
الحسية .

– ان ترافق متن القصة صور ورسوم واشكال ، وان تتم الملاءمة بين
هذه الصور والرسوم والاشكال والمتن والمادة الموضوعية
للتوضيح .

المبحث الثامن

القصص العلمية

كان سعي الانسان حثيثا منذ اقدم الازمنة لان يعرف العالم وظواهر الكون . وهذا السعي اشد حدة لدى الاطفال . . فالعالم يبدو امامهم غريبا ، يتعاقب فيه الليل والنهار ، وتتوالى الفصول ، وتقع كل يوم ظواهر مدهشة دون ان يعرفوا لها سببا او تفسيراً ، لذا تراهم يتساءلون بالحاح عن كل شيء . . وفي احيان كثيرة يواجهون المخاطر بحثا عن حقيقة معينة . . انهم مغرمون بالاستطلاع .

وحب الاستطلاع ، من ائمن صفات الانسان ، ولن يقف العالم ساكنا طالما كان هناك اناس يسألون : لماذا ؟ كيف ؟ وماذا لو ؟ .

وحب الاستطلاع ، هو حقا دافع كبير للابداع ويولد هذا الدافع في الطفل حتى قبل ان يستطيع الكلام ، ويأخذ بالظهور ، قبل ان يستطيع ان يحبو ، وكلما نما الطفل اصبحت تقصياته اكثر تعقيدا واوسع مدى بكثير . . ومع ان الطفل يندفع نحو الاستطلاع منذ صغره من تلقاء نفسه ، الا ان

هذا الاتجاه بحاجة الى تشجيع واشباع دائمين * ويمكن اثاره هذا الحب دون فرض لان هذا الفرض يشيع في نفس الطفل الضيق * وتتخذ سبل اثاره هذا الاتجاه سبلا شتى *

ويمتلك الاطفال قدرة كبيرة على التخيل ، ولكن هناك تخيلا انشائيا او تكوينيا واخر هداما ، ويؤدي الاول الى البناء بينما يؤدي الثاني الى الهدم ، لان الاخير يبعد الطفل عن عالم الحقائق الى عالم الاوهام كتخيل العفاريت والاشباح وما الى ذلك * * وتستهدف القصص العلمية ، بين ما تستهدف ، حفظ اتزان خيالات الطفل والحيلولة دون انزلاقها الى الاتجاه الثاني *

وحب الاستطلاع والتخيل عمليتان تمضيان معا في طريق واحد في الاطفال الاسوياء ، ولكنهما تتداخلان او تتقابلان في الاطفال غير الاسوياء * والخيال اثنان ما يستكمله الفرد والمجتمع ، وكان المربي الانكليزي المشهور ولتون Y. Welton يقول : « ان رقي النوع الانساني من ألفه الى يائه يرجع الى شيئين هما : تخيل امور افضل من تلك التي في بيئتنا ، وبذل الجهود في سبيل ابرازها الى عالم الحقيقة * وما الكنوز التي ورثناها عن الماضي الا صور مجسمة للتخيلات ، سواء في العلوم ، ام الاداب ام الموسيقى ام القانون ام الانظمة الاجتماعية ام الاخلاق ام العقائد الدينية ؛ اذ انه من المستحيل ان يتصور الانسان كائنا أعلى منه منزلة بدون قدرته على التخيل » * (٤٢)

ويقول الشاعر الانكليزي ومؤلف الروايات التمثيلية كريستوفر فراي : « ان اول حاسة يجب علينا ان نهتم بها كي لا تصدأ بسبب عدم الاستعمال هي الحاسة السادسة المتمثلة بالخيال * فالخيال هو الذي يجعل العالم يبدو جديدا لنا كل يوم ، وهو الذي يبعث الحياة في العظام وهي رميم ، لاي موضوع كان فيتغنى بسر الخليفة » * (٤٣)

واذا كان هذا كلام شاعر ، ثروته الخاصة هي خياله ، فأن العلماء والاساسة لم يكونوا يختلفون عن ذلك ، وهاهم العلماء يقولون : « يجب ان

نسمح لا خيلتنا ان تسرح في اقل الامكانيات احتمالا ، ويجب ان يكون الباحث الاصيل قادرا على ان يحلم وان يثق في احلامه .. » بل ان فلاد يمير ١ . لنين المعروف بجديته ، يقول : « ليس من المعقول اغفال دور الخيال في العلوم ، وحتى في اكثرها جدية وصرامة » . فالخيال هو روح الفنون والعلوم والاداب ، ومحرك الابتكار ، وهو القوة التي رافقت تطور الانسان ، دافعة ومفسرة وملهمة . وهو الاساس في كل نشاط ابداعي ، علميا كان ام تكنولوجيا ام فلسفيا (٤٤) .

ولو تذكرنا افضال الخيال على الحضارة في المجالات المختلفة ، لوجدنا ان جميع من يدين لهم العالم بالتقدم والابتكار والاختراع والابداع كان لخيالاتهم الشخصية دور بارز فيما ابدعوه ..

ونحن اذا اجبرنا الطفل على التقليل من خيالاته ، والتزام حدود الواقع الملموس ، قتلنا كل بهجته بالحياة . ويكفي لادراك قيمة الخيال باعتباره ينبوعا للفرح بالحياة - مثلا - ان نتذكر احوالنا نحن الكبار ، وكيف ان فرصتنا المحدودة للمرح والحبور هي في الارتداد الى براءة الاطفال وانطلاقهم في الخيال ، سواء في التصور او التمني او اللعب .. وليس عيب الحياة الجادة في نظر الرجل الحكيم سوى ضالة جانب الطفولة البريئة ، وضمور الخيال في اعمالنا واهتماماتنا الواقعية .. ولهذا تتلمس الترويح عن النفس في مجالات تشبه حياة الطفولة اعظم الشبه ، فالروايات التمثيلية والقصص والالعب التي نمارسها عندما نلهم هنا وهناك ، انما هي تنفيذ محكم لخيالاتنا عندما كنا اطفالا (٤٥) .

ويسط الخيال آفاقه الى ما وراء ما هو ملموس واضح ، ويعين على تصور امكانيات جديدة ، ، والربط بين الافكار التي تبدو - اول الامر - متباعدة ، وتوجيه الحقائق القديمة توجيها حديثا .

ودور المخيلة لا يقل عن دور العقل نفسه في تفهم الحقائق ، بل هي عين العقل التي ترى ما هو غير منظور ، وتقدر الجمال المستور في البواطن ،

وهي تنمو في الطفل مع نموه ، وتختلف في مداها من طفل الى آ. سر . وقد اثبتت التجارب تفوق المخيلة في ادراك كثير من الحقائق .

ومع ان ادب الاطفال عموما له نصيب كبير في تنمية خيالات الاطفال الا ان القصص العلمية في مقدمة ما يثير خيالاتهم وينمي قدراتهم العقلية ، حيث ان كل اثارة سليمة في خيال الطفل لها دورها في تهذيب تفكره الطفل والتمهيد لان يتسع عقله لمنطلقات ومفاهيم ومعلومات جديدة .

والقصص العلمية التي اختلقها الانسان في العصور السحيقة هي قصص خيالية صرفة ، وظلت كذلك ، حتى وقت غير بعيد ، حيث بدأت بعض الحقائق تحتل موقعها لتمازج الخيال .

ففي القرن التاسع عشر ، وبعد النهضة التي شهدتها العالم في جميع المجالات ، برز الى الوجود ادب جديد هو الادب العلمي الخيالي ، وهو ادب يتخذ من الظواهر العلمية وارهاساتها المقبلة ، والتنبؤ بها ، وانعكاسات ذلك كله على عالم المستقبل ومصير الانسان كأساس ترتكز عليه الحوادث ؛ انه درب يصور المستقبل من وجهات نظر مختلفة (٤٦) .

واهتمامات الانسان منذ عصور ما قبل التاريخ بآماد بعيدة كانت اهتمامات كونية ، قبل كل شيء ، فقد تطلع الانسان بعيدا الى الكواكب والاجرام السماوية قبل ان يتفحص مواقع اقدمه على الارض ، واطلق لخياله العنان وارسل بصره نحو الافاق البعيدة قبل ان يعي واقعه ، وحاول ان يسبر غور الاجواء البعيدة ، قبل ان يتعرف الى دواخل نفسه ، وربما ما يزال يحذو ذات الحذو لذا لا عجب ان وجدنا ان علم النفس هو احدث العلوم ، بينما كانت علوم الفلك والأرصاد من اقدم العلوم .

ولكن ، رغم سعي الانسان الحثيث ، في ازمائه البعيدة ، لمعرفة اسرار الطبيعة والكون لم يستطع التعرف الى تلك الاسرار فراح ينسج الخرافات

والاساطير محاولا كشف الغوامض والوقوف على الاسرار واحتواء الطبيعة من خلالها .

وحيث ان عصر الاساطير قد انتهى منذ ازمان بعيدة ، لان العقلية التي انشأتها قد انتهت ، فقد كانت بعض قصص الخيال العلمي بديلا عن الاساطير . وفد هيأت الاكتشافات العلمية العظيمة لكثيرين ان يطلقوا لاختلتهم العنان ليكتبوا قصصا تتحدث عن المستقبل وافاق الحياة .

وقد كتب الروائي الفرنسي جول فيرن (١٨٢٨-١٩٠٥) عددا من الروايات عن رحلات خيالية ضمن اطار علمي في جو من التنبؤات استبق بها حدود العلوم المعروفة في عصره ، منها « خمسة اسابيع في بالون » و « رحلة الى باطن الارض » و « رحلة من الارض الى القمر » و « اعماق المحيط » و « حول العالم في ثمانين يوما » .

وظل جول فيرن Jules Verne اثنين واربعين عاما يواصل التأليف ، وانتج خلال هذه الفترة اكثر من مئة من المؤلفات ، وكان يصف مشاهد يتخيلها في رحلات برا ، وبحرا وجوا وفي جوف الارض وتحت سطح الماء ، وفي انحاء القمر وكواكب السماء .

وقد تنبأ جول فيرن بكثير من المخترعات المعروفة اليوم ، وفي مقدمتها : الطائرة ، والغواصة ، والمدفع الذري ، والسينما ، والتلفزيون والقذائف التي توجه من بعيد . وقد تحققت نبوءات الكاتب واحدة بعد واحدة ، واصبحت امرا واقعا .

وفي كتاب له بعنوان « الملايين الخمسة » - تنبأ بمستقبل العلاقات بين فرنسا والمانيا ، فتخيل فرنسا ينشئ مدينة ضخمة ، والمانيا يخترع مدفعا بعيد المدى لتدميرها ، ولم تمض عدة سنوات حتى كان الالمان يضربون باريس ، في الحرب العالمية الاولى بمدفع سموه (برتا) نصبوه على مسافة

بعيدة منها • وفي الحرب العالمية الثانية ضرب الالمان لندن بقذائف اطلقوها من الساحل الاوربي (٤٧) •

كما كتب هربرت جورج ويلز H. G. Wells (١٨٦٦ - ١٩٤٦) « آلة الزمن » عام ١٨٩٥ اردفها بقصص علمية اخرى - اشهرها « الرجل الخفي » اضافة الى مؤلفات في التاريخ (٤٨) ، وابدعت مخيلته مادة سماها كافوريت ، اذا طلي بها جسم من الاجسام حجبت عنه جاذبية الارض (٤٩) •

وفي عام ١٨٩٦ اصدر الكاتب الروسي فيدروف كتابا عن الملاحة بين الكواكب ، وكان من شأن هذا الكتاب - رغم ما فيه من عبث - ان بعث اهتماما كبيرا بهذا الموضوع في نفس عالم روسي اسمه تسيولكوفسكي (١٨٥٧ - ١٩٣٥) والذي يعتبر اول واضع لاسس علم الملاحة الفضائية • وهو صاحب النبوءة التي قالها عام ١٩١٣ [ان البشرية لن تقنع بالبقاء طويلا على هذه الارض ، بل انها ستجتاز في البداية تخوم الجو ، ثم تفتح الفضاء كله حول الشمس] •

ونشر تسيولكوفسكي نفسه ، والذي يعتبر ابو علم الفضاء السوفيتي ، في عام ١٨٩٣ كتاب « فوق القمر » كملحق لمجلة (حول العالم) وكان حدثا مهما في تاريخ هذا اللون من الادب ، فهو اول كتاب علمي خيالي يكتبه عالم • وكان التحليق في الفضاء آنذاك يعتبر ضربا من الخيال ، وكان يصور بطلا يسافر الى القمر في الحلم ويتحدث الى عالم القمر • وكتب عام ١٩١٨ قصة « خارج الارض » وفيها يسافر ابطاله على ظهر سفينة صاروخية الى الفضاء (٥٠) •

وكتب الكسي تولستوي روايته المعروفة « هيبير بولويد المهندس جارين » التي يطرح فيها قضية العصر وهي استخدام العلم الذي اصبح قوة هائلة لمصلحة البشر • وتصور رواية (ايوليتا) التحليق الى المريخ ، ويشهد فيها ابطال الرواية عاصفة تغير البناء الاجتماعي في الكوكب •

ومن الكتاب اللامعين في هذا المجال السكندر بيليائيف (١٨٨٤-١٩٤٢)

الذي يطلق عليه لقب جول فيرن السوفيتي ، وقد اشتهر بشخصية اختياند - الرجل الضفدع - ثم بشخصية ارييل - الصبي الذي يخلق في الجو كالطيور ، ويقوم ابطاله برحلات عجيبة ويطيرون الى القمر والزهرة ويفوصون الى اعماق المحيطات فهم باحثون في ميدان العلم والتكنيك ، مخترعون ، مدهشون ، نفوسهم عامرة بالشجاعة والمخاطرة . (٥١)

وشهد اواسط هذا القرن ازدهار قصص الخيال العلمي ، وتوجهه الى الاطفال اضافة الى الكبار . وقد ساهم في ذلك عدد ممن تهيأ لهم نصيب من الثقافة العلمية ، وبعضهم من العلماء والاساتذة . واكثر تلك القصص تتناول المستقبل ، لذا اسميت قصص الخيال العلمي بقصص المستقبل .

ويلاحظ ان هذا اللون من الادب يشيع بشكل واسع في البلدان الصناعية المتقدمة ، ومع ان بعض كتاب هذه القصص من العلماء الذين يمتلكون قدرات ادبية ، الا ان اغلبها من تأليف الادباء انفسهم الذين يستعينون بحصائل العلم الحديث ويضفون اليها لمسات خيالية .

وقد يبدو للوهلة الاولى ان الجمع بين العلم والادب في هذا اللون الادبي فيه شيء من الافتعال . ولكن واقع الحال يشير بوضوح الى ان الادب يتأثر بالعلم ، كما ان العلم يتأثر بالادب .

ويقول هرلان اليسون ، وهو احد كتاب علم الخيال :

« لا شك ان كتاب الخيال العلمي قد اوحوا الى العلماء بافكار تتعلق بميادين كثيرة في الطب والكهرباء والجيولوجيا وغيرها ، كما ان المؤلفات التي اصدرها هؤلاء الكتاب اعطت مفاهيم شتى لعلم الخيال الذي اخذ يتطور بتطور العصر » . (٥٢)

ومما يؤخذ على قصص الخيال العلمي تركيزها على الآلة اكثر من تركيزها على الانسان ذاته .

وهناك اعتقاد ان ادب الخيال العلمي سيجتذب في المستقبل مزيدا من

القراء ، لان تدفق الافكار العلمية والتكنولوجية الجديدة والاثارات العقلية التي يندر توفرها في الالوان الاخرى من الادب والحجكات الدقيقة والتحليلات في اجواء الخيال ، كل هذا يؤلف اجزاء من عناصر السحر العديدة التي تفيض بها القصص العلمية * (٥٣)

والمؤسف ان القصص العلمية لم تجد طريقها الى الطفل العربي الا في حدود ضيقة ، وفي دراسة قام بها مركز البحوث في وزارة الثقافة في مصر عن قراءات الاطفال تبين منها ان الاطفال لا يقبلون على هذا اللون من القصص * (٥٤)

ولاشك ان العيب لا يمكن في الطفل ذاته ، بل بما يطرح له مما يسمى جزافا « قصصا علمية » حيث تفتقد الى عناصر القصة العلمية ، وتخلو من التشويق *

المبحث التاسع

الاساطير

ابرز تفريق كاد يجمع الدارسون للفولكلور عليه ، هو ذلك الخط الفاصل بين علم الاساطير ، اي الميثولوجيا ، وبين الفولكلوريات ، فالاسطورة تطلق على الشعائر عند قيامها بوظيفتها العقيدية في تفسير ظواهر الكون والطبيعة بمنطق العقل البدائي ، وتعليل العادات والتقاليد والمراسيم بمنطق من هذا العقل ايضا . فاذا تجاوزت هذه الوظيفة ، وعدلتها الى وظيفة اخرى ، او انخرطت عقدها ، وتداخلت عناصرها فيما يصدر عن العاديين من ضروب النشاط والسلوك ، لم تعد مادة اسطورية بالمعنى الصحيح، وانما اصبحت مادة فولكلورية واصبحت من عناصر الادب الشعبي^(٥٥) . وهذا يعني ان الاسطورة لا تقع ضمن الحكايات او الموروثات الشعبية بل تتبع جانبا آخر مستقلا هو علم الميثولوجيا .

ولكن الاسطورة قريبة الى الحكاية الشعبية ، حيث يمتصها الشعب ويحتضنها ، ويرددها ، وينقلها من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان

ويحورها ويغيرها حتى تنتهي يوما ما الى اديب فيسجلها * * ولكنها في الاساس من تأليف ادباء او شعراء او كهان لا تنتقل اليها اسماؤهم *

ولا تلتزم الاسطورة في موضوعها بالحقيقة المحسوسة المعقولة ، بل تتجاوزها الى المبالغة تارة والى الاعجاز تارة اخرى ، وتجتهد رغم هذا في الظهور بمظهر الحقيقة الخالصة وتلتمس من السامع اليها ان يأخذها مأخذ الجد ويحملها محمل الصدق (٥٦) *

وقد ارتبطت اسطورة الطقوس بعبارات الانسان الاولى بمختلف اشكالها وطرائقها ، وجنحت الاسطورة التعليلية الى اختلاق كائنات روحية لها دور في تنظيم العالم او تخريبه ، وقد اوهم بعض رجال الدين الناس بانهم على علاقة بتلك الارواح الخيرة او الشريرة فوجد السحر طريقة الى حياة الناس ، أما الاسطورة التاريخية فقد كانت تشتمل على حوادث خارقة للعادة وابطالها يصلون الى مراتب الآلهة *

ويبدو ان الانسان البدائي ، وهو يعيش الاسطورة ويؤديها لم تكن غايته ان يعيد تمثيل الطبيعة او التشبه بها ، وانما كان يعيش في الطبيعة محاولا احتواءها (٥٧) *

تقول ادith هاملتون المختصة في الاساطير الاغريقية : « ان الاسطورة ما هي الا تعليل لاحدى الظواهر ، الطبيعية ، مثل كيفية خلق هذا الشيء او ذاك في الكون ، كالناس والحيوانات والاشجار ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والزوابع ، وانفجار البراكين ، وباختصار كل ما له وجود ، وكل ما يقع في هذا الكون الفسيح * * والاساطير ما هي الا العلم القديم ، وهي نتائج محاولات الانسان الاول لتعليل كل ما يقع تحت بصره وحسه » (٥٨)

وعليه ، فالاسطورة ، كما يصفها الباحث الانكليزي ، سير ج * ك جوم محاولة لتفسير علوم عصر ما قبل العلوم ، لانها تحدثنا عن علة خلق الانسان ،

وعلة الظاهرات الطبيعية ، وتفسر لنا الاسرار الخافية وراء صفات
الحيوان (٥٩)

وهي بشكل اوسع قصة تعليلية ، تفسر مآثورات الناس حول العالم ،
وما وراء الطبيعة ، وتفسر ايضا ابطالهم ومعتقداتهم وغيرها * وغرضها تفسير
وجود العالم ، والحياة ، والموت ، والانسان والوحوش والطقوس المقدسة ،
والعادات ، وما الى ذلك من الظواهر الغامضة * وبتعبير اخر تمثل الاجوبة التي
يقدمها التخيل الانساني للمشكلات التي تتعلق بكيفية حدوث الاشياء ، انها
تحاول ان تجيب بالتخيل على الاسئلة التي ينشأ العلم - فيما بعد - ان يجد
لها حلا عن طريق التعليل المقنع (٦٠) .

ففي اسطورة يونانية تتناول بتحليل بدائي قصة اكتشاف النار ، وتشير
الى ان بروثيوس Prometheus صعد الى السماء واختلس النار من محفة
الشمس الملتهبة في غفلة من الالهة ، وهبط على الارض خفية ، بعد ان قاسى
من العنف والعذاب والالام صنوفا والوانا ، وقدمها هدية الى قوميه
يستخدمونها في قضاء مآربهم ، وقد كانت قبل ذلك ملكا للالهة الممتازين
يحتفظون بجذوتها وهي دائمة الاشتعال في مقارهم على قمم الجبال ،
ويحرصون على الارتفاع بها دون بني الانسان لكي لا يرتفع الانسان الى بعض
الدرجات في سبيل رقيه الى مستواهم (٦١) .

وفي الشاهنامة ورد عن بطل يدعى « هشنك » انه قذف يوما افعى بحجر
كبير فأخطأها وتوارت الافعى الا ان الحجر اصاب صخرًا قائما فانبعث من شدة
الصدمة لهب تطاير شرره وسطع نوره ، فكان هذا اول عهد الناس
بالنار * (٦٢)

ومع هذا فهناك بعض الاختلافات في تحديد معنى الاسطورة ، ولكن
هذه الفوارق لا تعيننا هنا * والاساطير ، بوجه عام ، واقع ثقافي شديد
التعقيد ، وهي تحكي كيفية نشوء هذا الشيء او ذاك وفق تفسير الانسان

البدائي الذي يستعين بالآلهة المفترضة او الكائنات الخارقة في تعليلاته ، بما في ذلك تفسيره لظواهر الحياة والطبيعة والنفس والكون .. انها تخيلات الانسان وتعليلاته لما يحيط به .

وقد تخطت الانسانية عهد الاساطير منذ امد بعيد ، ولا يمكن ان نجد في الوقت الحاضر من يكتب الاسطورة ، وتبدو لنا الاسطورة اليوم « اكذوبة كبيرة » بعد ان كانت بالامس البعيد عقيدة راسخة .

والاساطير بهذا المعنى ، مادة لا تناسب الاطفال .. ولكن بعض كتب الاطفال ومجلاتهم تشير احيانا الى بعض الحكايات الشعبية او الخرافات على انها اساطير ، ويشكل هذا خلطا كبيرا بين الاساطير كعقائد وشعائر قديمة وبين موروثة ادبية شعبية .

المبحث العاشر

الحكايات

الحكايات جزء من الادب الشعبي * وللحكاية معنيان ، اولهما واسع يشمل ألوان السرد القصصي الذي يتناقله الناس جيلا عن جيل * وثانيهما خاص يراد به الحكاية الشعبية او حكاية الواقع الاجتماعي الذي يحياه الناس أو ينتظرون أن يحيوه *

وحكاية الواقع الاجتماعي - تدعو في العادة - الى تأصيل القيم الاخلاقية الايجابية ، وتكشف عن الصراع الطبقي وعلاقة الجماعات الشعبية بعضها ببعض الآخر * وتنصف هذه الحكاية - في الغالب - أبناء الشعب الكادحين (٦٣) *

ويمكن أن تدرج ضمن الحكايات ، بمفهومها الواسع انماط كثيرة من الموروثات الشعبية مثل : الحكاية الشعبية ، والحكاية الخرافية ، والحكاية المرحة ، وحكاية الحيوان ، وحكاية التجارب الشخصية ، وحكاية الشطار * وقد تدرج الاساطير احيانا ضمن هذه الموروثات ، ولكن واقع الحال

يقرر ان الاساطير تخضع لعلم مستقل ، هو علم الميثولوجيا أو علم الاساطير ، حيث خلدت الانسانية بعض الحكايات وصبغتها بهالة من القداسة ، وتجاوزت بها الحدود الاقليمية الى المجال العالمي ، فكانت الاساطير *

والحكايات ، كانت فيما مضى ، ألهية العامة ، وكانت - في الوقت نفسه - مهربا لهم من مواجهة الظلم والكبت ، وعن طريق الاسقاط ، كان الناس ينتقمون ، عبر الحكايات ، ممن يقهرونهم ، ويضطشون بهم ، ولكنها بقدر ما كانت مهربا ، كانت مصيدة مغلقة متفوقة ، بل حفرة شبيهة بالقبر الواسع يغرق فيها الجميع ، رغبوا ام لم يرغبوا^(٦٤) .
وتتناول - فما يلي - بعض انماط الحكايات :

الحكاية الشعبية

ظهرت الحكاية المروية قبل عصر التاريخ بآماد بعيدة * وظلت الشعوب تتناقلها جيلا عن جيل * وبذا احتلت موقع الاسبقية بين الفنون التي تدور حولها الانسانية ، وأمست أقرب الاشياء الى التاريخ الشفاهي لخيالات الانسان وتصوراتهِ واخلاقياته وحياته العاطفية عبر العصور *

ولا يمكن أن نجد شعبا دون أن نجد له حكايات شعبية ، مهما كان ذلك الشعب بدائيا ، بل ان البدائية شرط لازم لوجود الحكايات الشعبية *

والحكايات الشعبية ليس لها مؤلف واحد معروف ، بل هي حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفاهي الذي يضيف اليه الرواة أو يحورون فيه أو يغفلون منه ، وفقا لما يستهدفون منه * والحكايات الشعبية تظل تعبر عن شخصية الجماعة لا شخصية الفرد ، وهذا ما يجعل من الصعوبة أن تنسب الى مؤلف معين ، لذا كان النقاش حاميا حول نسبة بعض ألوان الادب الشعبي الى مؤلف بعينه حيث قيل : « لو وجد ذلك ، لكان على

سبيل الشهرة او الانتحال ، كالاخلاف الذي ما يزال يشترج حول هوميرس وحول مؤلف اغنية رولان» (٦٥) .

وكان الفيلسوف الالماني (هردر) الذي أوحى بفكرة جمع الحكاية والاغنية الشعبية من مختلف أرجاء المانيا في بداية القرن التاسع عشر ، يصر على أن مبدع هذه الفنون الشعبية هو الشعب لاغير ، وتابعه في ذلك (الاخوان غريم) اللذان جمعا « حكايات البيوت والاطفال » رغم انهما قد اشارا الى بعض القدرات الفردية الممتازة في الرواية .

ويقابل هذا رأي قال به العالم الالماني « هانز ثاومان » ويذهب الى أن الشعب لا يبدع شيئا جديدا ، وانما يعيد صياغة موجود ابداعه أفراد متميزون ، ومن قبيل هذا الرأي ما يقول به العالم السويدي (سيدوف) من أن المأثورات الشعبية لا تنتمي الى الشعب بكامله ، وانما هي تلحق بأفراد بذواتهم هم الحفظة والرواة . وأشار الى الدور الذي يقوم به الفرد في الحكاية عالم آخر هو « ازادفسكي » الذي تأثر به كثير من الباحثين في ابراز أثر القاص الفرد منذ أن أعلن رأيه عام ١٩٢٦ .

ومن الآراء الجديدة رأي يقول : ان مجهولية المؤلف لاتعني لاشخصية المؤلف ، فهو شيء ينبغي أن لانهمله ، ورغم أن باحث الادب الشعبي يبحث عن الاتجاه الجماعي في خلق هذا الادب الا ان الافراد المنتجين الاوائل هم سبب الفرق بين الشعب الناقل للادب وغير الناقل ، ومن هذا الرأي تتج رأي آخر يقول : اذا نظرنا الى احد الاثنين : الفرد ام المجتمع ، نقع في خطأ جسيم ، حيث ان الفرد يبدع والمجتمع يتلقف ، ومع الزمن يحور ويحور ، ويسلم الى من يليه من الاجيال حتى يكتب لهذه النصوص التواتر (٦٦) .

وتتشابه الحكايات الشعبية - الى حد ما - لدى الشعوب المختلفة ، لانها ترجع الى اصول عالمية مشتركة ورثتها الاجيال عن الامم البدائية ولكن تلك الحكايات تظل مطبوعة بطابع البيئة التي تروج فيها ويظل كل شعب يحكيها

بطريقته الخاصة التي تتأثر بما ينشأ لدى الناس من مواقف ازاء حياتهم الواقعية وما يحيط بهم من ظروف وتحديات *

والادب الشعبي ، بما فيه الحكايات ، لا يقتصر على ما يتناقله الناس من جيل الى جيل ، بل هو اشم من ذلك ، حيث يمتد ليشمل النصوص المبثوثة بين طيات الكتب ورددها جماهير الشعب في حينه ، وسجلها الكتاب كحقيقة ودليل على تيارات الفكر السائدة في ذلك الحين * * وعليه نجد ادبا شعبيا مرويا واخر مكتوبا (٦٧) *

وقد استمد كثير من قصاصي الاطفال من الحكايات الشعبية افكارا لقصصهم ، ولاقت تلك القصص هوى في نفوس الاطفال ، وسعدوا لابطالها الذين يتحركون بحرية ، دون حواجز او قيود ، وانسوا بالحيوانات التي تتكلم وتتصرف مثل تصرف الانسان ، والنباتات التي تطير وتتحرك وتضحك وتقرأ الشعر ، والادوات الجامدة التي تروح وتجيء وتقرع الطبول وتغني * واثيرت مشاعر الاطفال وسط اجواء التضحية والبطولة والصدق والعدل ، حيث ينتصر الخير دوما ويخذل الشر *

وللحكايات الشعبية كثير من الطرافة والجاذبية والشاعرية ، وكثيرا ما استلهمها احسن الكتاب والرسامين وواضعي الالحان واستوحوها في ابداع مؤلفاتهم ، وكان بوشكين الشاعر الروسي الكبير (١٧٩٩ - ١٨٣٧) يحب الاستماع الى الحكايات التي كانت تحكيها مربيته العجوز ، وقد كتب يقول عن تلك الحكايات : ما ابهج تلك الحكايات ! ان كل واحدة منها قصيدة شعر (٦٨) *

وكثير من الحكايات الشعبية ما تزال تقدم للاطفال بنفس الصيغ القديمة ، دون حذف او تشذيب * وفي هذا مصدر خطر ، لان الحكايات الشعبية تعكس في موضوعاتها تصورات الانسان القديم ، وآراءه وطبائعه وافكاره وتأملاته ، خاصة وان كثيرا منها قد احتفظت بصيغها القديمة دون

ان يعترينا التغيير منذ مئات السنين ، مع علمنا ان بعضا منها لم تتخذ صورتها التي هي عليها اليوم الا في عصور متأخرة .

اجل ، ان كثيرا من الحكايات الشعبية هي وليدة عصور العبودية والاقطاع ، وتشتمل - في الغالب - على مضامين غيبية وقدرية ، وهي بالاساس لم تكن معدة للاطفال بل كان يتداولها الكبار في تلك العصور . وعلى ذلك ، من الخطأ ان نعتبر تلك الحكايات التي تعبر عن واقع غير واقعا زادا للطفولة ، رغم انها تتضمن عبرا واخيلة توسع المدارك ، ولكنها - في معظمها - تخلق في الطفولة روح العدوان والوحشية وتبرز صور الخوف والقلق (٦٩) .

وبالوسع تحويل الحكايات الشعبية ، وابرار الجوانب التي تشجع على اللوثام والتعاون ومحاربة المعتدي واستحصال الحق ، بحيث تبدو ملائمة للحياة المعاصرة ، لانه لا يحق لنا ان نجعل من طفولتنا حبيسة اخيلة وتحليلات وتصورات وتأملات مجتمعات متخلفة (٧٠) .

وقد دعا الكاتب والصحفي الفرنسي بيير كامبي في ١٩٧٢ الى تجديد الحكايات الشعبية ، حيث اطلق صيخته المشهورة قائلا : « اطفالنا لم يعودوا ابرياء » واخذ الحوادث على نحو ينسجم مع الفكاهة ، متلاعبا مختلف ، مستغلا الحوادث على نحو ينسجم مع الفكاهة ، متلاعبا بالحديث حيناً وبالحدث حيناً آخر . واشهر ما نشر لكامبي ، هو قصة « القبعة الخضراء » المعروفة باسم « ليلي والذئب » ، حيث تناول هذه الحكاية من رؤية مختلفة ، واستعان بالحوادث والكلمات ذاتها مع تبديل في المشهد الاول ، وازافة مقدمة الى المشهد الثاني ، وتحريف وقائع ما حدث بين ليلي والذئب . ويشير كامبي الى ان : الكبار يكررون افكارهم رغم علمهم بانهم يخطئون ، ويتساءل : كيف يتسنى لوالدي ليلي ان يرسلوا ابنتهما الى جدتها وهما يعرفان ان الذئب قد افترس طفلة من قبل !

وهناك من يرفض رفضا قاطعا اي تحويل في الحكايات الشعبية بحجة

الحفاظ على اصالة التراث الشعبي ، ولكن فات على اولئك اننا حين تقدم الحكاية الشعبية للاطفال يسمى امر الحفاظ على اصالة التراث الشعبي غير قريب من اذهاننا ، اذ نستهدف اشباع بعض حاجات الطفل ، ومساعدته على النمو . ولا شك انه يمكن السعي لصيانة التراث الشعبي عبر مسارب اخرى لا تمر بالطفولة . ومع هذا يظل هدفنا : الطفل لا الحكاية الشعبية ذاتها .

والذى يهيء لنا تحويل الحكايات الشعبية ، انها تتميز بالرونة ، اذ اننا نعلم ان الحكايات الشعبية تنتقل من شخص الى اخر بحرية ، فيضيف اليها هذا شيئا من عندياته ، وقد ينسى او يتجاهل شيئا اخر . وهذه المرونة جعلتها قابلة للتطور والتطويع ، فاصبحت اكثر طرافة . فالناس يهذبونها ويجعلونها اكمل على مر العصور . وعلى هذا ، ما الذي يحول دون ان نقوم بدورنا بتقديم زاد شهى للطفولة ، تستمره وتستطيب ملذاته ؟

اننا نرى ان تطوير وتطويع الحكايات الشعبية بحيث تسمى ملائمة للاطفال ، هو جزء من عملية تطوير فن شعبي عريق ، لا يمكن ان تظل له قيمة ما لم يتجدد . اما ان نضع هذه الموروثات الشعبية في نعش من المخمل فهذا لا يعني اننا نصونها بل ندفع بها الى الانقراض والموت ، تماما مثلما نفعل حينما نقدمها الى الاطفال بكل ما فيها من مظاهر العدوان والغيبة فندفع بنفوس اطفالنا الذين سينفرون منها بعد حين الى التهلكة ، وندفع بهذه الموروثات الى الجحيم .

وهكذا يبدو من الضروري تجديد افكار بعض الحكايات الشعبية والخرافة ، وحذف كل ما يشوبها من الابهام الذى يقف الطفل قبالة محتارا ، ووضعها في قوالب ادبية جديدة . ولكن هذا لا يعني ان نمسخ تلك الحكايات مسخا ، فتسمى شيئا مشوها . واذا ما وجدنا انفسنا مرغمين على ذلك المسخ والتشويه فينبغي ان نعترف اننا في حلٍّ من الاعتماد عليها . ولكن ينبغي الحذر ازاء الحكايات الشائعة بين الاطفال ، ان هذه

الحكايات لا يجوز التلاعب بها بأي شكل من الاشكال ، ذلك ان الاطفال سرعان ما يكتشفون اي تحوير فيها فيبدو لهم الامر مربكا .

وقد يستشهد البعض بحكايات كثيرة قدمت الى الاطفال في فترات متعددة بكل ما فيها من شطحات خيالية او تعليقات سقيمة او حوادث تلعب بها الاقدار ، ومنها حكايات الاخوين جريم Jacob and Wilhelm Grimm ، حيث بدأ هذان الاخوان الالمانيان عام ١٨٠٦ بحماس لجمع الحكايات التي يحكيها الالباء للابناء ويتحاكاها الكبار والصغار في منطقة هسن (الجزء الاول) وفي منطقة حول مونستر وباريون بمقاطعة فستفاليا ، وكذلك في منطقة كاسل ، وضما الى جانب ذلك حكايات من النمسا ومن بوفن وغيرها (الجزء الثاني) . وكان الاخوان جريم يلتقطان الحكايات من افواه الرواة ، ويسجلانها كما هي ، لا يمدان ايديهما الى مضمونها قط ، وانما يتناولان الاسلوب فيهدبانه ويصبان الكلام في قالب متجانس ، فاخرجا من الاصل الشفهي ما كان به من كلمات غريبة لا قبل لكثيرين بها واستبعدا الكلمات الاجنبية والاخرى التي لا تناسب الاطفال ، فجاء الاسلوب متشابها وفريدا في نوعه .

على ان هناك ملاحظات اساسية لا بد من الالتباه اليها وهي انه في الوقت الذي كان الاخوان يواصلان عملهما في جمع الحكايات لم تكن النظرة الى الطفل قد تبلورت بشكل علمي سليم ، حيث كان ينظر الى الاطفال على انهم رجال صغار ، وانه باستثناء احجام اجسامهم فلهم من الصفات ما للرجال .

يضاف الى ذلك ان الاخوين جريم قاما بعملية جمع للحكايات المتداولة في بعض المناطق والتي يحكيها الالباء الى الابناء ، ولم يكن بحسبانهما ان تسمي هذه الحكايات اسسا وقوانين لحياة الاطفال في كل زمان ومكان . لقد كان الاخوان جريم يستهدفان حماية تلك الحكايات من الاندثار قبل كل شيء ولم يكونا يستهدفان ان تكون زادا للاطفال . . وتفصح لنا المقدمة التي وضعها الاخوان جريم لحكاياتهما عن ذلك بوضوح (٧١) .

لقد حرص الاخوان كريم على ان تكون حكاياتهما في متناول 'بسط' الافهام والمدارك ، ولكنهما حرصا في الوقت نفسه على ان تحتفظ بجزء كبير من طابعها الاصلي ، وبذلا جهودا كبيرة لابرار المضمون الاصلي لتلك الحكايات ، وحاولا ان يبعثا في تلك الحكايات ما كان لها من اصالة وفطرة (٧٢) *

وهناك قصص معروفة كثيرة طورت لتلائم اذواق الاطفال وقدراتهم العقلية والعاطفية واللغوية وفقا لما استجد من اسس ونظريات في مجالات التربية وعلم النفس والاعلام .. وبذا ادخلت على تلك الحكايات معارف وافكار ومعلومات جديدة ، واقتطعت منها مقاطع كثيرة .. لتؤدي دورها في تنمية عقول واخيلة الاطفال وتحول دون ان تجعلهم في نطاق عالم غريب عما يرونه ويسمعونه *

والحكايات التي نسبت الى عدد من المؤلفين ، هي في الغالب حكايات شعبية ، اجري واضعوها عليها تعديلات كبيرة ، فحق لهم ان ينسبوها الى انفسهم ..

ويبدو من ثنايا رواية حياة ايسوب الذي ولد عام ٦٢٠ قبل الميلاد ، انه كان يتناول - احيانا - حكايات شعبية عديدة اثناء سنوات حياته التعيسة الغامضة وحتى اللحظات التي سبقت اعدامه بقليل (٧٣) * وعليه فهو لم يكن مؤلفا لكل ما نسب اليه من حكايات ، بل كان محورا فيها ومهذبا لها *

والكاتب المعروف هانز كرستيان اندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) الذي كتب القصص العديدة للاطفال ، كان قد استمد كثيرا من قصصه من الحكايات القديمة ، وكل ما قام به هو تهذيب وتطوير بعض الحكايات التي يتداولها الناس انذاك لتمسي ملائمة للاطفال *

وكان اندرسن ، قد كتب بعض القصص والمسرحيات للكبار فواجه هجوما عنيفا من النقاد .. فسبب ذلك فقدان ثقته في جيله ، فوصف ذلك

الجيل بانه : قاصر ومحدود التفكير لانه لم يقدر على فهمه وتقديره حق قدره ، فكان ذلك سببا في اتجاهه الى جيل اخر جيل طيب لا يعرف الحقد ، يمد في عمر شهرته سنوات طويلة لا تعوض ما ضاع من عمره فحسب ، بل تمتد بعد وفاته اجيالا اخرى وهذا ما يفسر تلك العبارة التي وردت في رسالة يقول فيها « لقد شرعت في كتابة بعض القصص الخيالية للاطفال انني اريد ان اكسب الجيل القادم » فوضع كتيباً يضم بعض الحكايات ذات الطابع الاسطوري للاطفال منها (القداحة) (كلاوز الصغيرة والكبيرة)

وكان من ملامح العصر الذي عاش فيه اندرسن الاهتمام الزائد بالحكايات الشعبية فلم يكن اي بيت في الدانمارك يخلو من كتب حكايات الاخوين غريم والكاتب الالماني هوفمان وكان لهذه الحكايات فعل السحر على اندرسن * ولكنه لم يكتف برواية تلك الحكايات بل كان يهضمها ثم يخلق منها شيئاً جديداً نابعا من عالمه الخاص (٧٤) *

وكان الكاتب الروسي الشهير ايفان غريلوف (١٧٦٨ - ١٨٤٤) قد أظهر في كثير من قصصه شخصيات من الحيوانات تنبض بالحياة ، وتوضح مظالم الحكم في روسيا القيصرية في وقت كانت تسود فيه الرقابة الشديدة، ومع ان بعض حكايات غريلوف كانت ذات صلة باحداث واقعية وأشخاص حقيقيين مثل الهزائم والانتصارات أمام نابليون ، الا ان بعضها منها كانت تطويعاً للحكايات الشعبية *

وهكذا كان الحال بالنسبة الى لافوتتين وفيدروس وغيرهما ، حيث كان لهم الفضل في تطويع حكايات شعبية ما يزال البعض يصر على وجوب ابقائها على ما هي عليه !

ويبدو لي ان أقل واضعي الحكايات تأثيراً بالحكايات الشعبية السائدة هو الرسام ليونارد وفنشي ، الذي كتب مئات الاقاصيص الرائعة من وحي مخيلته ، لكنه استمد بعضاً من الحكايات الشعبية وطوعها لتلائم الحياة

الجديدة التي كان يحياها المجتمع • بل أن (برونو نارديني) حين أعد -
(حكايات واساطير) ليوناردوفنشي ، أعاد صياغتها من جديد ، حيث قال
في مقدمته لتلك القصص : « •• ولما كنت أحد مواطني توسكانيا ، ولست
غريبا عن هذه اللغة التي مازالت حية ومعاصرة منذ عهد ليوناردو فقد أعدت
صياغة هذه الحكايات ، كما قمت بشرحها وتقديمها بلغة العصر في صورة
تعكس روح صاحبها » (٧٥) •

ونكتفي بهذه الأمثلة للرد على من يريد للحكاية الشعبية أن تقدم
للأطفال بقضها وقضيضها •

ب - الحكايات الخرافية

الخرافات لون من ألوان الحكايات يتناولها الناس جيلا عن جيل ،
وتتناول تفسير كثير من أسرار الحياة ، وهي تختلف عن الاساطير في أن
الاولى تناقلها الناس بلغتهم الدارجة في الوقت الذي احتفظت فيها الاساطير
بلغة فصيحة ، كما أن الاسطورة ترجع الى ما قبل الاديان ، اما الخرافة فقد
ظهرت بعد الوثنية ، ولذا يغلب عليها الطابع التعليمي والتهذيبي •

وتتخذ الخرافة شكل سلسلة من المخاطر التي تلعب فيها الخوارق
دورا واضحا ، حتى يستطيع البطل تحقيق هدفه • وتتمثل هذه الخوارق
بقوى مرئية أو غير مرئية كالجن والمردة والعفاريت والغيلان والحيوانات
التي يتحكم فيها السحر •

وابطال الخرافات يظهرون دون ملامح نفسية محددة ، ولهم أنماط
شخصية متشابهة ، ولا يستطيع السامع أن يتعرف الى ما يعتمل في نفوسهم
من صراع داخلي بشكل واضح رغم أن صور البلادة والذكاء ، او الشجاعة
والجبن ، وغيرها من المزايا والصفات ترسم للخرافة وفقا لما تقتضيه مجرياتها •
وتبدو الخرافات مقطوعة الجذور بالمكان والزمان ، حيث انها تأخذ

شكلا عالميا ، لانها تستمد مادتها من العقائد الدينية والاساطير التي تتحدث عن الالهة ، او الابطال الذين سرت فيهم دماء الالهة ، او انصاف الالهة •

وقد يبدو الحافز لتناقل هذه الحكايات هو التسلية والامتناع ، ولكن الامر غير ذلك ، حيث ان هذه الخرافات ما هي الا وسيلة لتفسير بعض الظواهر التي يلحظها الانسان كما انها اداة تنفيس له عن احلامه ومكبواته، حيث ان كثيرا من تصورات الانسان القديمة تنعكس في اجزاء من الحكاية الخرافية •

وبعض الخرافات ، بوضعها الحالي ، لا ترجع الى عصور قديمة ، اذ انها لم تتخذ الصور التي هي عليها اليوم الا في عصور متأخرة •

وقد كانت المجتمعات اكثر ايمانا بالخرافة من ايمانها بالاسطورة ، بل ان كثيرا من البقاع العربية في اقسامها الحضرية والقروية ما تزال تؤمن حتى الان بكثير منها ، وهي لا تختلف بهذا كثيرا عن اناس في الغرب ما يزالون ، حتى اليوم ، يؤمنون ببعض هذه الخرافات (٧٦) •

واول ما يسترعي النظر في الحكاية الخرافية هو اتجاهها الاخلاقي ، فهي تكافيء الخير بالخير والشر بالشر ، ثم هي تصور الامور كما — يجب ان تكون الحياة (٧٧)

ويعود اندماج الطفل مع الحكاية الخرافية الى عوامل متعددة، منها التصوير المتطرف للشخص ، حيث ان مقدرة الطفل على التجريد محدودة للغاية ولذلك فان ذلك التصوير المتطرف يلائم الاطفال ، كما ان الطفل لا يهتم تحليل الشخصية وانما يهتم صفاتها •

كما يرجع اعجاب الطفل بالاشكال الشيطانية الى قدرتها السحرية ، حيث تتوق نفسه المفعمة بالرغبات الى تحقيق الشيء الجميل والخيالي ، والشخص المتوقفة هي وحدها التي توصل البطل الى تحقيق اهدافه • اما الشخص

السحرية الشريرة فليست سوى تعبير عن العقبات النفسية التي تعترض طريق تحقيق تلك الرغبات *

وعدم تحديد الحكاية الخرافية للوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه شخصاً تحديداً دقيقاً ، كما هو الحال في عدم تحديدها لملامح الشخصيات يتفق وخيال الطفل الذي ينساب في سرعة مع مجرى الحوادث ليعرف الكثير ويعيش تجارب جديدة توصله في النهاية الى الهدف الذي يجلب له الرضى النفسي لانصاف الضعيف من سطوة القوي * * ولعل هذا هو سر حب الطفل لبطل الحكاية الخرافية ، ذلك البطل الذي يتحرك بخفة ورشاقة دون اي معوقات مكانية او زمانية حتى يصل الى هدفه بمعونة القوى المساعدة والقوى السحرية (٧٨) *

والخرافات بوجه عام سهلة خالية من التعقيد ، لذا فهي قريبة الى مدارك الاطفال ، يضاف الى ذلك خصوصيتها واشتمالها على عجائب وبطولات وغرائب وطغيان مشاعر الوفاء والتضحية والصدق والعدل ، كل هذه تجعل الاجواء الروائية تستهوى الاطفال وتجذبهم *

ولكن في كثير من تلك الخرافات ، ما يثبت في نفوس الاطفال الذعر والخوف والقلق والانانية والكرهية والجبن ، وما يدفع بهم الى الايمان بالغيبات والتفكير الخرافي والقبول بالتفسيرات « المظنمة » والتحليلات الواهية والقوالب الجامدة * *

وتكمن خطورة « بعض » الحكايات الخرافية الشفاهية في انها تتناول الطفل وهو في المهد * فتزرع فيه السلبات واحدة بعد الاخرى ، وتعلمه - بسبب كون ابطالها كذلك - الهروب من المسؤولية ، ونزعة التبرير ، ورد الامور الى القدر والى ارادات مستترة ، والاندفاع والطيش عندما يكون التروي والحذر ضرورين ، والجبن والتواكل عندما تدق ساعة الجد ، وتعلمه التقليد والتقيد بالقوالب والشكليات الجاهزة ، والايمان بالخوارق والحماس اللفظي (٧٩) *

واذا كان الاطفال يتشوقون الى الخرافات ، فان ذلك لا يبرر تغذية
تقولهم وعواطفهم عليها ♦♦

ولكن يمكن ان نجد بعض الحكايات الخرافية التي يمكن أن تشيع في
نفوس الاطفال النشوة ، وتغصب خيالاتهم ♦♦ وهذا يستلزم ان نحسن
الاختيار وفق ضوابط ادبية وتربوية •

الفصل الثاني

شعر الأطفال

الأطفال ميالون الى الايقاع * فالطفل ، منذ ايامه الاولى ، يكشف عن البكاء ، ويهدأ ، وقد يستسلم للنوم العميق حين تأخذ الام بالربت على قفاه برقة ، وحين تهز بمهده ذات اليمين وذات الشمال ، في ايقاعات متكررة *

ويظل الطفل يأنس الى الايقاعات خلال سنوات نموه واذا ما نما احساسه الايقاعي نموا سويا ، فانه يلعب دورا مهما في حياته « لان الايقاع يسهل له حركاته حتى يجعلها آليه وهو من ناحية اخرى يبعث فيه القوة ، ويزيد قابليته على الانتاج ، ويوفر له جميع الحركات العضلية غير اللازمة ، وينشر المرح في عمله اليومي * ومع ان الايقاع شئ جسمي الا انه يعتمد على يقظة الاحساس ونشاط الشعور * (١)

ولا يجد الطفل الايقاع في الشعر وحده ، بل يجده في الموسيقى ، وقد يجده في كثير من المقطوعات النثرية ، ولكن ما يميز الايقاع في الشعر هو التركيز ، مما دعا البعض الى القول ان « الشعر صعب الفهم على الأطفال » *

ويستمد الشعر ايقاعاته من اوزانه وقوافيه وكلماته ، لذا ترى الاطفال يستطيعون ترديد الكلمات الموقعة ، ويصل الامر بهم الى تكرار انغام من الشعر لا يفهمون له معنى *

وشعر الاطفال ، اضافة الى انه يلبي جانباً من حاجاتهم الجسمية والعاطفية ، فهو باعتباره فناً من فنون أدب الاطفال - يسهم في نموهم العقلي والادبي والنفسي والاجتماعي والاخلاقي *

وقد فتشت ، هنا وهناك ، بين دواوين محمد عثمان جلال وابراهيم العرب ومعروف الرصافي واحمد شوقي وجبران النحاس وغيرهم الكثيرين فلم اجد ما يصلح لطفل اليوم *

وعدت الى كتب « القراءة العربية » التي ندرسها في طفولتنا ، استعيد ما ارغمنا على حفظه ، فلم اجد شعراً يمتلك القدرة على مداعبة الطفولة وابهاجها واشباعها ، وفتشت بين الجديد الذي يكتب في مجلات الاطفال فخاب مسعائي ، وظلت مقطوعة الطفل الشعرية في ذهني مثلما هي في ذهن الطفل حلماً *

لقد وجدت نظماً ، لا يجد الطفل فيه ما يخاطب وجدانه او يهز انفعالاته او يثير خيالاته او يحرك احساسات الجمال في نفسه * ووجدت اوزاناً وقوافٍ وايقاعات رنانة او كبسولة خامدة ، ووجدت الفاظاً وتعبيرات فخمة ، قد تكون مفعمة بالصور والمعاني المجردة احياناً ، ولكنها بعيدة عن الصور التي يمكن لاذهان الاطفال تصورها * ووجدت ابياتاً من الحكم والامثال والحقائق التي لا يستوحى الطفل منها شيئاً *

وشعر الاطفال لم يظهر الى الوجود الا بعد ان تغيرت النظرة الى الطفل بوقت قصير * ويمكن القول ان بداية القرن العشرين تشكل اولى المنطلقات لهذا اللون الادبي *

ومع ان شعر الاطفال يتناول كل ما يمكن لالوان ادب الاطفال الاخرى

ان تتناوله ، الا انه يتخذ صيغة ادبية متميزة * حيث يمكن ان يجد الاطفال انفسهم من خلال هذا اللون الفني وقد حلقوا بعيدا في اجواز الفضاء يلقون بالتحية على عوالم جديدة ليستمعوا الى من يرد عليهم باحسن منها ، او ان يتجاوزوا ابعاد الزمان والمكان ليصافحوا الشعوب التي اقامت الحضارات عبر الحقب او تقدموا الحاضر الى المستقبل ليكشفوا شيئا من لفائقه المبهمة *

وليس هذا فقط ، بل يجدون من خلال شعرهم طيورا تؤدي اجمل الالفاظ والتعابير رغم انهم لم يروها يوما تنبس بينت « منقار ! » ويجدون الى جانب ذلك الجوامد والدمى تتحرك وتعبر عن انفعالات نفسية بارعة وتأملات جميلة *

وليس بالوسع ايراد أمثلة لما يتضمنه الشعر من افكار ومعان وخيالات * « لانه ليس هناك قيود على الموضوعات التي يعالجها الشعر * اذ انه يعالج اي شيء تحت الشمس * ولكن الطريقة التي ينبغي ان يعالج بها هذه المحتويات هي التي تخضع للتحديد * والقدرة الفنية تقتضي التعبير في كلمات قليلة واحتواء عدد كبير من الخبرات في سطور قليلة » وتوضيح ان ما ترك دون ذكر لا يقل دلالة عما ذكر ، وكل ذلك يحتاج الى مهارة فائقة في استخدام الكلمات .. واذا كانت القافية والنغم والاسلوب - مع ما لها من اثر في التركيز المطلوب ، عناصر مقيدة للشاعر ، الا انها في نفس الوقت ذات اثر في الطفل » (٢) *

ورغم ان مضامين شعر الاطفال لا يمكن ان ترسم لها حدود ، الا ان من الضروري ان لا تنطوي على تقرير حقائق ومعلومات ، لان الشعر يتمثل في اضافة لمسات فنية على جوانب الحياة لتمسي لوحات فنية زاخرة .. واذا كنا - نحن الكبار - قد تحجرت قلوبنا على كثير من مفاتن الحياة والطبيعة ، فان قلوب الاطفال الغضة يمكن ان تجد متعة غامرة اذا ما رسمت في اطار فني جميل ، يسهل عليهم تصورها وتذوقها *

ويلعب التصور دورا مهما في تقرير الادب وتذوقه * لذا يلجأ مخرجو

الكتب والبرامج والافلام الى الاستعانة بالوصف الدقيق واللوحات والصور والرسوم ، محاولين ان يوضحوا بها للاطفال ما يريد المؤلف التعبير عنه ، حتى يستطيعوا ان يعيشوا ، بقدر الامكان ، في جو ما يسمعون او يقرأونه + فلكي يتذوق الطفل الادب ينبغي ان يحيا جو الخبرات الخيالية التي يوحى بها + وبعض الاطفال يمتازون على غيرهم بقدرتهم على ان يتصوروا ان موضوع تفكيرهم قد اصبح شيئا حقيقيا ، وقد يتجاوز تصورهم حدود ما يضعه الكاتب ، في بعض الاحيان + وقد قيل ان طفلة سمعت ترجمة لاحدى قصائد « آرثر والي » اليابانية البسيطة ، وعندئذ اخذت تصف القرية التي ورد ذكرها في القصيدة وصفا احتوى على عناصر لم تكن في القصيدة على الاطلاق + (٣)

ولكن الاستاذة « اوليف هويلر » اشارت في دراسة سيكولوجية الى ان ربط تذوق الادب ، بما في ذلك الشعر ، بالتصور ، ليست خاطئة ، ولكنها تخلو من الدقة + ونادت بوجود عامل اخر اطلقت عليه « البقاء Duration » الذي قالت بانه لا يقل في الاهمية عن التصور + وذكرت ان الاستمتاع الكامل باحدى القصائد لا يكون ممكنا الا اذا امتزجت الصور وما تحمله من معان بالانفعالات المصاحبة لها ، وتداخل بعضها مع بعض ، وان ما تسميه « بالبقاء » هو ما ينتج عن هذا الامتزاج ، ومن تدفق مستمر للفكر والوجدان او حركة دائمة موصولة + وتقول الاستاذة « هويلر » ان ابحاثها تشير الى ان محاولة تكوين الصور واضفاء الوضوح والتفصيل عليها يعوق تذوق الاب + وقد يصبح التذوق في بعض الحالات سهلا بالاستعانة بالخبرات الماضية التي ألمّ الطفل لأول مرة عن طريقها بالاشياء التي يحاول المعلم - مثلا - ان يثير فيها خياله + فمجرد وجود الصور ، سواء اكانت من صنع الطفل ، أم المعلم ، او كليهما ، لا يكفي للتذوق الكامل ، واستنتجت (هويلر) من ذلك ان « من المقطوع به ان فهم القصيدة ، والاستمتاع باجوائها ،

يتوقفان على الانتقال للحالة المزاجية ، التي كانت مسيطرة على حواس الشاعر
وقت نظمه للقصيدة * (٤)



ولو حاولنا تتبع بعض المحاولات لتقديم الشعر الى الاطفال لوجدنا ان
الشاعر احمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢) يقف في مقدمة الذين حاولوا ذلك
اضافة الى كونه من اوائل من دعا الى العناية بأدب الاطفال * فقد قدم نحو
عشر مقطوعات شعرية ونحو ثلاثين قصة شعرية على السنة الحيوانات (٥)
محاكيا في ذلك الشاعر الفرنسي لافوتتين « ١٦٣٠ - ١٦٩٦ »

وقد قال شوقي عن قصصه الشعرية في مقدمة الشوقيات عام ١٨٩٨ :
« جريت خاطري في نظم الحكايات على اسلوب لافوتتين الشهيرة * وفي
هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت اذا فرغت من وضع « اسطورتين » او
ثلاث اجتمع باحداث المصريين واقراً عليهم شيئاً منها فيفهمونه لاول وهلة
ويأمنون اليه ويضحكون من الكثرة * وانا استبشر لذلك واتمنى لو وفقني
الله لاجعل للاطفال المصريين مثلاً جعل الشعراء للاطفال في البلاد المستحدثة
منظومات قريبة المتناول ، يأخذون الحكمة والادب من خلالها على قدر عقولهم *
والخلاصة انني كنت ولا ازال ألوي في الشعر عن كل مطلب ، واذهب من
فضائه الواسع في كل مذهب * وهنا لا يسعني الا الثناء على صديقي خليل
مطران صاحب المنن على الادب ، والمؤلف بين اسلوب الافرنج في نظم الشعر
وبين نهج العرب ، والمأمول اننا نتعاون على ايجاد شعر للاطفال والنساء ، وان
يساعدنا الادباء والشعراء على ادراك هذه الامنية » *

ولكن يبدو ان احدا من الشعراء لم يستجب آنذاك لدعوة شوقي ، بمن
فيهم خليل مطران نفسه * * كما ان شوقي عزف فيما بعد عن الاستمرار في
هذا الاتجاه *

ومن يتفحص مقطوعات شوقي وقصصه الشعرية ، يجد ان بعضها ذات

سمات رمزية يصعب على الاطفال فهمها ، يضاف الى انها في مجملها ذات ألفاظ لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوي ، كما لا يتسع لها قاموسه الادراكي * وكذا يمكن القول بالنسبة الى مقطوعات الشاعر معروف الرصافي « ١٨٧٧ - ١٩٤٥ » *

وكان قد سبق شوقي والرصافي في نظم القصص الشعرية شعراء عديدون ، في مقدمتهم محمد عثمان جلال (١٨٣٨ - ١٨٩٨) في ديوانه « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ »^(٦) وهو ترجمة لامثال لافوتتين في مثني قصة شعرية *

اما الشاعر ابراهيم العرب « المتوفي عام ١٩٢٧ » فقد نظم تسعا وتسعين قصة شعرية في ديوانه « آداب العرب »^(٧) منها ما هي على لسان الحيوانات * وبعد ذلك بفترة غير قصيرة اصدر جبران النحاس ديوانه « تطريب العندليب »^(٨) عام ١٩٤٠ وتضمن سبعا وتسعين قصة شعرية مأخوذة اكثرها من امثال لافوتتين *

ولكن هذه الدواوين الثلاثة لم تكن للاطفال اساسا * « وقد شاع هذا اللون من القصص الشعري فيما بعد لدى جماعة ابولو في مجلتها الادبية التي صدرت في ايلول ١٩٣٢ حتى كانون الثاني ١٩٣٤ ، وكانت تنشره تحت باب « شعر الاطفال » * ومن بين الذين نشرت لهم : الصاوي محمد شعلان ، بركة محمد ، علي عبدالعظيم ، وكامل كيلاني »^(٩) *

ورغم صدور عدد اخر من الدواوين ، الا ان محمد الهراوي (١٨٨٥ - ١٩٣٩) يعد اول من انصرف بجد نحو شعر الاطفال ، فأبدع مقطوعات شعرية يتناسب كثير منها مع مستويات الاطفال الادراكية واللغوية من خلال منظوماته الشعرية « سمير الاطفال للبنين »^(١٠) و « سمير الاطفال للبنات »^(١١) وكل منهما في ثلاثة اجزاء ، ثم « اغاني الاطفال »^(١٢) في اربعة

اجزاء • كما كتب عددا من القصص المنشورة • ولكن شعره في الغالب - كان شعرا تعليميا •

واذا سارعنا الخطى ، ونحن نستعرض دواوين الاطفال ، فلا بد ان نتوقف عند شاعر قصد التوجه الى الاطفال بعد ان فقد ثقته في جيله - كما يبدو - هو الاستاذ سليمان العيسى • وقدم هذا الشاعر مقطوعات تفوق مستوى ادراك الاطفال ، واستخدام الفاظا يصعب على الاطفال تبين معانيها • ويبدو ان الاستاذ العيسى منتبه الى ذلك ، حيث يقول :

« ربما تعمدت الرمز ، والصعوبة في الالفاظ ، والغرابة في بعض الصور ، ربما كانت بعض العبارات فوق سن الطفل ، كل ذلك اتعمده واقصده في كثير من الاناشيد لايماضي بقدرة الطفولة على الالتقاط ، والادراك بالفطرة ؛ صغارنا يفهمون باحساسهم المتخفف اكثر مما يفهم الكبار احيانا بعقولهم الصلبة المرهقة ... وهدف اخر •• اريده من هذه الكتابة لعله اهم ما يدفعني الى ان يكون تناجي كله شعرا حتى الان •• انه الموسيقى •• اريد ان يغني الصغار • للحفظ والغناء •• اكتب لهم اناشيدي ومسرحياتي الشعرية قبل ان تكتب للقراءة ، والفهم ، والتفكير •• ولتبق بعض الصور صعبة غامضة •• لتظل في اعماق الطفل كنزا صغيرا يشع ويتفتح باستمرار ، ويوحى له على مر الاعوام •• عندما يكبر ستكون له هذه الاسرار الغامضة زادا له ، وذخيرة متواضعة ، يضيف اليها ما يشاء ويبنى فوقها ما يشاء » (١٣)

ولكننا نعلم ان الغرض من تقديم الشعر للاطفال هو خلق استجابات ذهنية لديهم تجعلهم في موقع جديد ، يشاركون فيه الشاعر حالاته الوجدانية يوم ابداع مقطوعته ، ويتذوقون مواقع الجمال عن طريق الصور الملهمة والافكار الجميلة التي تدفع بهم الى التأمل والتفكير ، وتهيئ لهم فرص الاستمتاع ، لا تقديم صيغ يحفظونها دون ان يتبنوا ما فيها من ايحاءات • واحتواء الشعر على افكار او كلمات غامضة تسبب اعاقة التلقائية في تقبل الافكار والقيم والمفاهيم ، وتحول دون معايشة الاطفال للشعر والتأثر به •

وحفظ الشعر ليس الا مهمة جانبية من مهام شعر الاطفال * واستعدادهم لحفظ قصيدة ما ، لا يعني انها تلائم اذواقهم ومداركهم * وحتى لو استعادوها مرة تلو مرة ، ، فان هذا لا يعبر عن تذوقهم لها ، خاصة وان علماء النفس يؤكدون ان للطفل قدرة على التذكر الآلي *

ووضوح التذكر الآلي Rote memory عند الاطفال الصغار يفسر لنا قدرتهم على استرجاع الاناشيد دون اى فهم للمعنى ، ويرجع تفضيلهم للاسترجاع الذي لا يقوى على الفهم الى ان قدراتهم العقلية محدودة ، ولهذا يلجأون الى التذكر الاسترجاعي الآلي - ولكن حين ينمو الطفل عقليا ، وتكون مادة الحفظ في مستوى ادراكه ، نجده يفضل التذكر القائم على الفهم ، وهو يبذل في الحفظ مجهودا اقل في حفظ المادة غير المفهومة^(١٤) *

وتذوق الشيء معناه - كما يقول د * ستانلي جاكسون - ادراك قيمته ادراكا يجعلنا نشعر به شعورا شخصيا مباشرا ، وفي نفس الوقت نسعر حياله برابطة وجدانية ، تدفعنا الى تقديره وحبه والاندماج فيه بحرارة * واذا كان التذوق امراً يغلب عليه الوجدان او الانفعال ، فانه الى جانب ذلك ايضا ينصل بالتفكير ويحتاج الى قدر من الفهم ، ولهذا نكون اكثر استعدادا لتذوق الشيء اذا فهمنا معناه^(١٥) *

ونحن لا ننفي ان كثيرا من كلمات شعر الاطفال التي لا يعرف لها الطفل معنى بادية بدء ، قد تصبح ضمن قاموسه اللغوي والادراكي حين يستطیع ايقاعات القصيدة وموسيقاها ويفهم افكارها ومعانيها * الا ان اقحام كلمات والفاظ وافكار تفوق المستوى النفسي والاجتماعي والادبي للطفل فان ذلك يحول دون فهم الطفل للشعر ومن ثم عدم الانفعال به *

ويمكن القول ان شعرا للاطفال لم يظهر في واقعنا الادبي بعد ، وكان الشاعر سليمان العيسى قد اكد ذلك منذ بضع سنوات حين قال : « ادبنا العربي يكاد ان يكون فراغا فراغا مجزئا من ادب الاطفال ولا سيما شعر الاطفال »^(١٦) *

وبسبب ذلك هناك من يدعو الى انتقاء بعض القصائد الشعرية البسيطة التي يمكن العثور عليها في تراثنا الشعري القديم او المعاصر * ولكن هذا الشعر لم يكتب اساسا للاطفال حتى وان بدت فيه بعض ملامح البساطة ، ولم يراع الشعراء فيه مستويات الاطفال الادراكية والخيالية ، يضاف الى ذلك ان الصور الحسية والذهنية التي رسمت فيه غير متواجدة اليوم في واقع الاطفال ، ان لم تكن بعيدة عنه كل البعد *

والواقع اننا نجد اليوم في بلدان العالم المتقدمة ألوانا رائعة من شعر الاطفال ، يستمتعون به من خلال الاذاعة المسموعة والمرئية التي استطاعت ان تخلق جمهورا من الاطفال يستعذبون سماعه ، خاصة ، حين ترافقه الموسيقى التصويرية او المؤثرات الضوئية او الرسوم المعبرة ، فتزيد من حرارته ودفقه * كما ان الكتب والمجلات تقدم للاطفال فيضا من المقطوعات والقصص الشعرية ، ويتولى مخرجو تلك الكتب والمجلات بعث الحياة فيها عن طريق اخراجها اخراجا يجتذب الاطفال ، مستعينين بالرسوم الملونة التي يبدعها فنانون كبار لا مجرد رسامين لا يمتلكون غير المهارة اليدوية في الرسم *

واكثر الوان شعر الاطفال شيوعا هو الشعر القصصي *

واذا كان من الضروري الاشارة الى القسامات العامة للشعر المناسب للاطفال ، فاننا نكتفي بايراد الجوانب التالية :

— استخدام الكلمات التي يتسع لها قاموس الاطفال اللغوي والادراكي ، وان تكون الكلمات ذات انسجام خاص *

— ان يتجانس اللفظ مع المعنى ، اي ان يكون اللفظ رقيقا في المواقف الرقيقة ، وان يكون قويا في المواقف القوية * وان يتناسب اللفظ مع المعنى ، بعيدا عن الحشو المخل ، والقصور الذي لا يفي بالمعنى *

— ان يطفح شعر الاطفال بالايقاع والموسيقى اللذين يوحيان بمعان تتجاوز المعنى الذي تدل عليه الالفاظ *

— ان يحمل افكاراً وقيماً تمتد الاطفال بالنجارب والخبرات ، وتجعلهم اكثر احساساً بالحياة وان تكون تلك الافكار واضحة ، يستطيع الطفل ان يدركها •

— ان يشيع الخيال المنشئ في شعر الاطفال ، لان ابرز ما يميز المعاني في الشعر انها تنقل الاطفال الى آفاق رحبية •

— ان يكون شعر الاطفال الصغار مرتبطاً بحواس الطفل والخيالات المستندة الى تلك الحواس ، وان يكون شعر الاطفال الكبار مرتبطاً بالخبرات والصور الذهنية العامة •

— ان تكشف كل مقطوعة شعرية فكرة او جانباً من جوانب الجمال في الحياة والطبيعة •

— ان لا يتسع شعر الاطفال للعواطف والانفعالات الحادة كالحزن والقلق واليأس والحب المشبوب ، وما الى ذلك •

— ان تتوفر فيه الجاذبية التي تدعو الاطفال الى التعاطف مع ايقاعاته وافكاره وما ينطوي عليه من انفعالات ، من خلال الحيوية التي يضفيها الشاعر والصور الحسية والذهنية التي يرسمها والصيغ الطليعية كالاستفهام والنداء التي يدخلها ، فتجعل الطفل اكثر انشداداً •

— ان تكون لغة شعر الاطفال لغة عربية فصيحة بسيطة •

— ان يتلاءم شعر الاطفال ، شكلاً ومضموناً ، مع مستويات نمو الاطفال الادبي والعقلي والعاطفي والاجتماعي • لان لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من الشعر •

الفصل الثالث

مُوسِيقَى الْأَطْفَالِ وَأَغَانِيهِمْ

كثيرا ما كان هشام ، الذى لم يبلغ الثالثة من عمره بعد ، يردد لوحده ، عبارة « حبك .. حبك .. حبك نار » وكنت اتساءل :

هشام .. هذا الذى يحيا اليوم بداية مرحلة الواقعية والخيال المحدود بالبيئة يعني هذه الاغنية .. فما الذى يا ترى يفهم منها !؟ *

انه يفهم شيئا عن كلمة « حبك » لانها تتكرر امامه كل يوم مرات عديدة، وخاصة حين يغرقه اخوه بالقبلات ويكرر على مسمعية « احبك » .. انه اذن يفهم الحب كشئ رائع ... ولكن ما الذى يفهمه حين يقترن الحب بالنار .. النار التي نحذره دوما من خطرها ؟ !

لا شك ان ذلك محيّر لنا مثلما هو محيّر لهشام الصغير ، خاصة وانه ما يزال في مرحلة من الادراك يربط بين الكلمات والمفاهيم البسيطة ربطا ماديا لا منطقيا . *

اذن ، نحن اوقعنا الطفل في حيرة ، في وقت ينبغي لنا فيه ان نجنبه مثل هذه المواقف في مثل هذا العمر ، اضافة الى اننا فرضنا عليه كلمات من خارج قاموسه اللغوي *

واطفالنا « طربا » يطربون لاغاني الكبار ، ويرددونها بكل ما فيها من افكار مهزوزة ، وعواطف ماجنة ، وانغام ناشزة ، اضافة الى انها لا تناسب طفولتهم ولا تناسب حناجرهم ولا امكانياتهم في الاداء بدل ترديدهم لكلمات منغمة جميلة ، والحانا رخيصة عذبة خاصة بهم تعشق في نفوسهم قيما جمالية وتسسو بعواطفهم ، وتثير في وجدانهم نوازع فنية ، وتنمي اخيلتهم ، وتنزع عن نفوسهم رواسب من العواطف الغامضة او الحزينة ، وتحرك احساساتهم ومشاعرهم وتمنحهم لونا من المتعة *

ومن حق الاطفال ان يتسابقوا الى سماع اغاني الكبار وترديدها لانهم لم يجدوا اغانيهم الخاصة ، فظلوا نلسآى لا يجدون ماتستمرئه اخيلتهم ، ولا ما تستطيه مسامعهم غير ذلك السيل الغريب عنهم والذي لا يسكن الا ان يزيد في فقرهم الى التخيل والتذوق والاستمتاع *

واغاني الكبار هي تعبير عن آلام الكبار وآمالهم وتجاربهم وذاكراتهم ، وفي كثير من الاحيان تبدو تلك الآلام والذكريات والتجارب والآمال خليعة ماجنة * فقد حلت كثير من الاغاني الكبار في وطننا العربي مفاهيم وافكاراً رخيصة وانطوت على انفعالات متشنجة وعواطف سقيمة وخيالات هشة *

رمثل هذا الفيض الذي يتدفق على مسامع الاطفال ذو اثر ضار في الطفولة ، بل وحتى لو توفرت اغان لل كبار تصور الحياة تصويرا امينا ، وتجسها في كلام جليل ولحن عذب ، وصوت ساحر ، فهي اغان لل كبار وحدهم ، لان لأغاني الاطفال خصائص تسيها كثير من القسّات عن اغاني الكبار *

والموسيقى هي لغة النغم التي تتخذ لها شكلا فنيا خاصا من اشكال

التعبير ، او هي شعر يتخذ من الانغام بدلا عن الالفاظ * فانغام الموسيقى هي عبارات لحنية تنطوي على ما للكلمات من معان * وعلى هذا فالموسيقى هي بناء ادبي يخاطب عقول الناس ومناعهم فتتحرك له وتتأثر به *
وهذا اللون الادبي له بنيانه الخاص وخصائصه المتميزة وقدراته الواسعة التي لا تتوفر لغيره من الاجناس *

ومع اننا نسمي الموسيقى لغة - لان اللغة ، اية لغة ، تتألف من كلمات تعبر عن رموز ذات دلالة ، والانغام هي الاخرى لون من تلك الرموز ذات الدلالة - الا ان هذه اللغة الموسيقية تتجاوز حدود اللغة التي قد تقف عند حد معين في التعبير عما يجيش في النفس * * كما انها من جانب اخر لغة يفهمها الناس دون الاستعانة بقاموس او معجم * فانت قد تنتشي لموسيقى ابدعتها مخيلة فنان حتى لو كنت تجهل لغته ، لذا قيل عن الموسيقى انها لغة عالمية ، تحدث الناس جميعا كبارا وصغارا ، متخطية قيود الزمان والمكان *

والموسيقى تهديء من المشاعر المتشنجة ، وتخفف من اعباء الانسان ، كما انها تلهب الروح الوطنية ، وكذا يمكن ان تكون وسيلة لتغيير الافكار ، ومصدرا للالهام ، ومن ذلك ما حدث في بروكسل حينما انصتت الجماهير الى إحدى الاوبرات التي شجنتهم بالالهام فهرعوا ليشعلوها ثورة عارمة انتهت بانفصال بلجيكا عن هولندا (١) *

وتعتبر الموسيقى مصدرا غنيا بالبهجة سواء اكان الفرد مجرد مستمع ام كان يقوم بدور ايجابي في العزف والغناء ، والسلوك الايقاعي يرمز للكثير من نشاطاتنا في الحياة * *

كما ان الطلب في سبيل الكشف عن قيمة الموسيقى كوسيلة علاجية مصاحبة * فسنلما وجد الطب العقلي ان للموسيقى اثرا فعالا في حالات الامراض العقلية ، كذلك وجد في الصناعة ان الانتاج يزداد عن طريق رفع الموسيقى للروح المعنوية وقتل الملل * ويذكر علماء وظائف الاعضاء ان الجزء

الأكبر مما نسميه بالتعب هو في الغالب ظاهرة عقلية أكثر من كونها جسمية،
وانه علامة من علامات الملل أكثر من كونه تعباً عضلياً ، وتلعب الموسيقى دوراً
في تخفيفه * (٢)

ويذكر المربون أن الموسيقى أداة من أدوات التربية الخلقية والحسية
والعاطفية ، ووسيلة من وسائل التعليم *

والأغنية مظهر من مظاهر الموسيقى تستعين عادة بالشعر إلى جانب
الأنغام *

الموسيقى

والأطفال

يطرق الغناء أذان الأطفال منذ أيام المهد الأولى ، عن طريق ما يسمى
بأغاني المهد أو أغاني الترقيص ، حيث ينصت الأطفال إلى أصوات الأمهات
اللواتي يغنين أغنيات ذات إيقاع رتيب في الغالب ، لتهديئة الأطفال وبث
الطمأنينة في نفوسهم وذر النوم في عيونهم *

وهذه الأغنيات تشيع في جميع بلدان العالم ، وتتناول أقاصيص شعرية
قصيرة منعمة أو مجرد تصويت لحني *

ويحفل تراثنا الشعبي بوافر من هذه الأغنيات ، وهي تتناول ، في غالبيتها
قيماً ومفاهيم أخلاقية وآمالاً وتخيلات حاملة * وفي أحيان أخرى تنطوي على
مضامين مرعبة أو يائسة أو حزينة *

وتبدأ حاسة السمع وظيفتها بعد أيام من ولادة الطفل ، ولكن التأثر بالموسيقى
عزفاً أم غناء ، يختلف من طفل إلى آخر ، ولكن جميع الأطفال الأسوياء ،
جسدياً وعقلياً ، يتأثرون بها ، بشكل أو بآخر خلال الأشهر الأولى من
أعمارهم *

ويجد الأطفال لذة في تقليدهم لبعض الأصوات * وقد أظهرت التجارب
أن الأطفال ذوي الاستعداد الموسيقي يمكنهم ترديد النغمات الموسيقية

القصيرة في النهر الثامن او التاسع من اعمارهم^(٣) . اما الاطفال الاعتياديون فانهم يبدأون تقليد الاصوات مع بداية العام الثاني من اعمارهم .

وحين يوقع الطفل بعض الايقاعات او يردد بعض الانغام او الاغنيات ، فانه يمارس لونا من ألوان اللعب في الاصوات ، واللعب في حد ذاته حاجة من حاجاته الاساسية له دوره في اثراء عالمه المادي والخيالي .

كما ان اللعب ، بوجه عام ، يعبر عن الحالة النفسية للطفل تعبيراً صادقاً لما يمتاز به من صفات الحرية والتلقائية المصحوبة بالمتعة وهو يدفع الطفل الى الاستمتاع والفحص والتنقيب والابتكار ، ويكسبه الخبرة تلو الاخرى ، ويسهم في نموه . ولهذا يعتبر اللعب وسيلة للنمو ، وهو رمز للصحة النفسية السليمة ، اضافة الى كونه نوعاً من انواع العلاج النفسي لانه وسيلة لمعالجة الاطفال غير الاسوياء بتعديل سلوكهم وحل مشكلاتهم^(٤) .

والاطفال ، في صغرهم لا يكتفون بمحاكاة بعض الاصوات بل يتعدون ذلك الى اصدار اصوات منغمة تعبيراً عما يختلج في نفوسهم من انفعالات كما هو الحال في تعبيرهم عن الفرح او السعادة مثلاً .

ولكن هذه الاشكال من التعبير هي تعبيرات بدائية او بسيطة ، وقد تظل البدائية والبساطة تلازمها اذا لم يتم العمل على تنميتها تنمية سليمة .

والمؤثرات السمعية التي تتناهى الى مسامع الاطفال في صغرهم تعمل رويداً على تكوين اذواقهم الموسيقية . ومن هنا يبدو دور البيئة التي يحيا فيها الطفل في تشكيل ذوقه للموسيقى .

والمعروف انه من النادر ان نجد طفلاً لا يمتلك القدرة على التأثر بالموسيقى ، لذا فان ابراز هذه القدرة يتوقف على ما يستمع اليه في صغره ، حيث ان ذاكرة الطفل الفتية تسجل على السواء اللحن الجميل واللحن الرديء بغير تمييز ، لذا كان من الاهمية بمكان اشباعه بالموسيقى الطيبة حتى يصبح ذا

ذوق جميل ، وان تبعد عن اذنيه كل شاعرية ملتوية ، وكل ما هو رخيص^(٥) .
والاطفال الذين تتسع في بيوتهم او بيئاتهم اغنيات رديئة يكون لها اثرها السيء
في تربية حواس سمعهم *

ولا شك ان الطفل يستقبل في بيئته اصواتا مخلفة ، منها ما هي اصوات
موسيقية ، ومنها ما هي غير ذلك * وتربية حاسة السمع ترتبط بتكوين شخصية
الطفل ، وبدون هذه التربية يفتقد الطفل ذكاءه السعي * والمرحلة المهمة في
نمو الطفل موسيقيا هي مرحلة ادراكه تركيب الاصوات وتركيب الجمل
الموسيقية وعلاقتها ببعضها ، ويترتب على ذلك استمتاعه بالموسيقى التي
يسمعا ، ونسوقدرته الذهنية على اكتشاف الجمال فيها * والحكم على العمل
الموسيقى الجيد او الرديء * ولا يستطيع الطفل ان يصل الى هذه المرحلة
من نمو شخصيته الموسيقية الا اذا مر بمرحلة تربية وظائف السمع بنجاح *
وهكذا فان تربية الوظائف السمعية هي القاعدة الاساسية لتربية الحاسة
الموسيقية الكامنة في الطفل^(٦) *

وتنمية ذوق الطفل تبدأ منذ عسر مبكر ، ويمكن ان نعوده وهو في
مرحلة « الواقعية والخيال المحدود بالبيئة » على التمييز بين درجات وانواع
الاصوات الرقيقة ، وذلك عن طريق تعويد اذنيه على سماع الموسيقى والاصوات
الصادرة عن الطبيعة والكلام المنغم واللقاء الحسن * ولكن حسن استقبال
الموسيقى من خلال الاذن بشكل صحيح لا يكفي لتنمية الاحساس
الموسيقى ، اذ لابد من ان يلزم ذلك تاثير نفسي داخلي ، « وهناك موسيقيون
قد تدربت آذانهم تدريبا غاية في الجودة ، ولكنهم مع ذلك لا يحبون الموسيقى
حبا حقيقيا ، ولا يحسون اثرها في اعماق نفوسهم ، وهناك آخرون لم تدرب
آذانهم ذلك التدرب الموسيقي ، ولكنهم رغم هذا النقص الموسيقي في حاسة
سمعهم يعتبرون فنانين حقيقيين سماعا ونتاجا واداء »^(٧)

وموسيقى الطفل تعمل على انضاج شخصيته ، وتكاملها بوجه عام ، وعلى
انضاج الجانب الوجداني بشكل خاص * * حيث انها تربي ذلك الجانب

وتعمقه بالخبرات الحية * وتعدده للتناغم مع المعاني والقيم المجسدة في العمل الموسيقي الاصيل * وهذا امر له اهميته ، فكما اننا نعمل على تنمية الجانب العقلي من شخصيات اطفالنا ، وتنمية الجانب الاجتماعي منها ، يتعين ان ننمي ، فضلا عن ذلك ، الجانب الوجداني ، ذلك لان الجوانب الثلاثة مرتبطة ومتكاملة ، واذا ما حدث تخلف في واحد منها تآثر الجانبان الاخران واختل توازن الشخصية (٨) *

ويدخل في اطار ذلك كون موسيقى الطفل اداة تطبع ضمائر الاطفال وامزجتهم بطابع فني ، وتنمي احساساتهم بالجمال * وتهيء الفرص لحسن استخدام اوقات الفراغ ، واكتشاف الامكانيات والطاقات * وحين يشارك الطفل في الاغاني الجماعية فانه يكتسب شعورا بكيانه كوحدة لها دورها في الجماعة *

يضاف الى ذلك ان الموسيقى تشيع البهجة في نفوس الاطفال ، وتشبع ميلهم الى الايقاع والحركة ، وتثري خيالهم * وتزيد قوة تعبيرهم الادبي واللغوي *

اما عن قيمة الموسيقى في التربية فانها ذات شأن ، وقد ادرك ارسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) منذ حين قيمة الموسيقى في هذا المجال ، فتحدث عن ذلك حديثا مسهبا ، حيث قال عن الغاية الاساسية للموسيقى ، بانها وسيلة للاستمتاع العقلي ، وان لها مع ذلك مزايا خلقية ، لانها تبث في النفس الشجاعة والاقدام ، والميل الى الرقة والعطف في التعامل ، وتثير العواطف والانفعالات الطيبة * وعلى هذا فهو يرى ان من الموسيقى ما هو متعة وتهذيب للعقل ، ومنها ما هو مقوم للاخلاق ، ومنها ما هو مروح للنفس ومهدىء للاعصاب * (٩)

وقال افلاطون (٢٠٥ - ٢٧٠) في كتابه الجمهورية :

« ان الموسيقى علم تجب معالجته كالرياضة البدنية ، فالاولى تهذب النفس وتصلح ما فسد منها والاخرى تقوي الجسد » ، وقال : « ان

الموسيقى غذاء النفس ، ومبعث الاتزان وهي منحة آلهة الفنون الحرة التي تحول فينا من شاذ متنقل الى محكم ثابت ، وترد كل تنافر الى جناس متناسب ، وتبصرنا طريق الهدى » . كما قال « اننا نعلق اهمية قصوى على التربية الموسيقية لان الايقاع والتناسب يغوصان الى ابعاد الاعماق من اغوار الروح ، ويسيطران اقوى سيطرة عليها ، حاملين رقة السمائل ، ومؤثرين في الانسان ما يجعله رقيق السمائل اذا احسن المنهل »

وتعنى بلدان العالم المتقدمة اليوم بموسيقى الاطفال ، حيث تدرس التربية الموسيقية كمنهج دراسي في المدارس ، اضافة الى اهتمامها بانتاج الاغاني لتقدم من خلال محطات الراديو والتلفزيون او تقدم لهم في نواديهم واماكن تجمعاتهم . كما تطبع في كتب جذابة ملونة مع النوتات الموسيقية المبسطة .

وكان مؤتمر التربية الموسيقية الذي نظمته اليونسكو في بروكسل عام ١٩٤٨ قد بحث موضوع التربية الموسيقية في مدارس العالم ، واصدر توصيات تؤكد على ضرورة الاهتمام بالموسيقى ودعمها من قبل الجهات المختصة نظرا لاهميتها التربوية ، حتى ان المؤتمر ذهب الى ابعاد من ذلك ، فافرد بحوثا خاصة حول اثر الموسيقى في التربية وتقويم الجانحين .

وعالج هذا الموضوع المؤتمر الثاني للمجمع العربي للموسيقى الذي عقد في طرابلس (ليبيا) عام ١٩٧٣ . وكانت توصيته الاولى الموجهة الى وزارات التربية في الوطن العربي : ان تعطي مادة التربية الموسيقية من الاهتمام في المدارس ما تعطي لمادة اللغة العربية .

الموسيقى

المناسبة للطفل

- من المناسب بناء موسيقى ترافق اوجه نشاط مختلفة كالاعمال والالعب والرقصات والتمثيلات والمسرحيات والقصص الشعري .
- من المناسب بناء موسيقى واغنيات جماعية .

- من المناسب بناء موسيقى تستهدف تربية الاذن قبل كل شيء للاطفال الصغار ، لان التذوق الموسيقي يعتمد على خبرة حاسة السمع .
- من المناسب بناء موسيقى تستهدف تهذيب الالفاظ والكلمات ومثل هذه الاغاني تصلح للاطفال الصغار ايضا ، حيث تساعد على نطق الالفاظ والكلمات بشكل صحيح .
- من الممكن تهذيب كلمات بعض الاغاني الشعبية والاستفادة من الحانها الدافقة . . ويستمتع الاطفال بمثل هذه الاغاني لانها قريبة اليهم .
- من الضروري ايجاد مقطوعات موسيقية للاطفال ، لا تستعين بوسائل تعبير اضافية كاللغات ، بل تكتفي بالاداء الموسيقي وحده .
- يترتب ان تتلاءم الحان الاغاني واذواق جمهور الاطفال ، مع العمل على الارتفاع بمستويات اذواقهم شيئا فشيئا ، ولا شك ان للالحان اهمية كبيرة في اغنية الطفل ، وكثيرا ما يستمتع الاطفال بترديد اغان ذات ألحان جميلة رغم انهم لا يفهمون معاني كلماتها .
- ينبغي ان تتميز الالحان بالحركة كي تحتفظ الموسيقى بقوتها على التعبير . ويستمتع الاطفال كثيرا بالحركة والايقاع .
- ان تخرج اغاني الاطفال في معانيها عما ألفناه — نحن من اغان ذات نوازع فردية ضيقة .
- ان تتناسب موسيقى الاطفال غناء وعزفا مع مراحل نمو الاطفال الحسي والادراكي والوجداني . لان ما يناسب الاطفال في مرحلة الطفولة المبكرة لا يناسب الاطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة .
- ان تحمل كلمات الاغاني معاني صادقة تجسم الحياة بكلام جميل عذب . وان تكون الاصوات المؤدية للغناء ساحرة جذابة .
- ان تفيض اغاني الاطفال بكلماتها وحبها بالمرح والتفاؤل . . وان تكون

كلماتها وتعابيرها يسيرة يسهل على الاطفال فهمها ، وان توحى اليهم بعبان وافكار وصور قريبة الى عالمهم وافاق خيالانهم * وان تكون طافحة بالامل والقوة والنفة بعيدا عن كل ما يثير احزان الطفولة ويدعوها الى الاتكالية والخمول والتحسر *

– ان تتناسب الاغاني التي يؤديها الاطفال مع المستوى الادائي اضافة الى المستوى الادراكي لهم *

– ان يكون اسلوب الاغاني سلسا واضحا حافلا بالصور الجميلة المشرقة *

– ان تتناول موضوعات ومعان وشخصيات واسماء محبة الى الطفولة *

وهنا لابد ان نشير الى ان اغاني الاطفال ليس بالضرورة ان يغنيها الاطفال انفسهم * بل ان احب الاغنيات اليهم هي التي يغنيها الكبار *

البَابُ الرَّابِعُ

وَسَائِرُ الرُّطَقَاتِ إِلَى الْوَبْهَمِ

الفصل الاول

صحافة الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

يقال ان اول صحيفة للاطفال اصدرها بين ١٧٤٧ - ١٧٩١ في فرنسا اديب لم يفصح عن اسمه ، واتخذ اسما مستعارا هو « صديق الاطفال » واطلق نفس الاسم على الصحيفة ، وخالف ذلك الاديب في كتاباته منهج اتباع جان جاك روسو الذين كانوا يحرصون على التربية الاستقلالية الطبيعية . وامتازت كتاباته بالسهولة والرشاقة . وقد نقل عن طريق صحيفته الى الاطفال الفرنسيين قصص الاطفال في البلدان الاخرى من اللغات المختلفة . وبذلك استطاعت ان تسد فراغا كبيرا من ميول الاطفال ، وان تشبع رغبتهم في القراءة المسلية الممتعة بعيدا عن النصائح والارشادات الاخلاقية والتعليمية . وكانت هذه المجلة بعثا لحركة الكتابة للاطفال (١) .

ولكن اكثر الذين يتحدثون عن نسأة صحافة الاطفال يقولون ان اول صحيفة للاطفال في العالم ظهرت عام ١٨٣٠ في فرنسا . وبعد حين اصدر بولتيزر ملحقا لجريدته « العالم World » عام ١٨٩٦ في الولايات المتحدة الامريكية ، يضم رسوما لمغامرات طفل في شوارع نيويورك .

وقد سبق ذلك صدور صحف خاصة بالتلاميذ تحت اشراف هيئات علمية او تربوية تعنى باخبار المدارس والدراسة وتستهدف غرس المعلومات العلمية والادبية والفنية في اذهان التلاميذ .

وفي الوقت الذي كانت فيه اكثر الصحف الاولى مجرد صحف تسلية او اشبه بشرائط فكاهية يقبل عليها الكبار المتعبون في شبه قراءة او قراءة يسيرة لا عناء فيها ، كانت الصحف الاخرى صحافة مدرسية . اما صحافة الاطفال العامة ، فيبدو انها ظاهرة عصرية لم يلتفت اليها احد الا بعد ان تغيرت النظرة الى الطفل باعتباره كائنا له خصائصه المتميزة .

وتتضح اليوم فوارق عديدة بين الصحف المدرسية وصحف الاطفال العامة . . وتحديدنا لما تعنيه الصحافة المدرسية تضع لنا بعض مؤشرات تلك الفوارق .

فالصحافة المدرسية ، التي تتولى اصدارها المدارس ، تعني بوجه خاص بالحياة المدرسية ، باعتبارها مجتمعا متميزا ، كما ان هذه الصحف تلتزم - في الغالب - بمادة صحفية محددة ، تستهدف تطوير الحياة المدرسية وتربية الطلاب تربية فكرية الى جانب التعليم والثقافة والترويح . وبعض الصحف المدرسية تخطت اسوار المدرسة الى البيئة . والذي يميز هذه الصحف انها تخاطب جمهورا قريبا الى التجانس من جوانب عديدة . ويشارك المعلمون والتلاميذ ، عادة ، في تحريرها . وهناك صحف مدرسية تتولى اصدارها جهات تعليمية او معلمون او مربون وتوزع ، في الغالب ، على تلاميذ وطلبة المدارس . واذا كانت صحافة الكبار هي واحدة من الادوات الفاعلة في تكوين

الرأي العام ، فان صحافة الاطفال هي اداة من أدوات تشكيل الطفولة ،
وتهيئتها لتكون طاقة خلاقة ، في حاضرها ومستقبلها •

ولصحافة الاطفال خصائص تميزها عن بقية وسائط مخاطبة الطفولة
منها : كونها فنا بصريا يعتمد على الكلمة المطبوعة والصورة واللون ، وهذه
العناصر تتميز بالثبات حيث يستطيع الطفل ان يقرأها أو يتمعن فيها أو
يستمتع بها مرة بعد مرة ، في أي وقت يناسبه ، وحسب ذوقه •• كما ان
الانتظام الدوري هو خصيصة ذات أهمية في صحف الاطفال ، لانه يميزها
عن الكتابة المتقطعة المتباعدة •

ولصحافة الاطفال ، باعتبارها وسيطا من وسائط مخاطبة الطفولة
ظروفها الخاصة ، وهذه الظروف ، تفرض - بين ما تفرض - اسلوبا خاصا
بها ، يتنعر الطفل بخفته وسهولته وجماله ، وتوحي له الكلمة المطبوعة
بالفكرة المانعة المؤثرة ، وتهذب الصورة ذوقه ، وتتيح لخياله أن ينطلق ،
وتغري الالوان بصره ، وعند هذا تكون الصحيفة رفيقة حبيبة للطفل ، تقدم
له الحقيقة والفكرة دون أن تتعبه او ترهقه ، بل هي تدخل المتعة معها الى
نفسه • والاطفال يطمحون الى معرفة الحقائق دائما ، ولكنهم يريدونها دون
عناء كبير ، تستعين صحف الاطفال بمختلف الفنون الادبية والتشكيلية لتبدو
امام الطفل مشوقة مغرية يسيرة •

ولصحافة الاطفال دورها البالغ في تنمية الطفولة عقليا وعاطفيا
 واجتماعيا وادبيا ، لانها اداة توجيه ، واعلام ، وامتناع ، وتنمية للذوق
الفني ، وتكوين عادات ، ونقل قيم ومعلومات وافكار وحقائق ، واجابة
لاسئلة الاطفال ، واشباع لخيالاتهم ، وتنمية ميولهم القرائية • وهي بهذا
تؤلف أبرز أدوات تشكيل ثقافة الطفل ، في وقت اصبحت الثقافة فيه ابرز
الخصائص التي تميز هذا الفرد عن ذاك وهذا الشعب عن ذاك •

المبحث الثاني

انواع صحف الاطفال

هناك صور مختلفة ومتعددة لصحف الاطفال ++ فبالنسبة الى الشكل تقسم الى مجلات وجرائد ، وبالنسبة الى المضمون تقسم الى صحف جامعة ، واخرى هزلية ، وثالثة اخبارية ، ورابعة رياضية +++ ، وبالنسبة الى الجهات التي تتولى اصدارها هناك صحف تصدر عن الهيئات والمنظمات واخرى تصدر عن شركات للنشر بقصد الربح ++

أما بالنسبة الى مراحل نمو الاطفال ، فهناك صحف خاصة بالاطفال في مرحلة الواقعية والخيال المحدد بالبيئة (٣ - ٦ سنوات) ، واخرى للاطفال في مرحلتي الخيال المنطلق والبطولة (٦ - ١٢) وثالثة للاطفال في مرحلة المثالية أو الرومانسية (من ١٢ الى نهاية مرحلة الطفولة) .

ونجد صحفا خاصة بالبنات على نطاق محدود .

ونتناول فيما يلي بعض انواع صحف الاطفال ، ونشير الى اننا لم نتبع اساسا محددًا في تصنيفنا هذا ، بل اكتفينا بتناول أكثر التسميات

شيوعا * مع العلم ان هناك تصنيفات من حيث الموضوع ، واخرى من حيث الاسلوب ، وثالثة من حيث أعمار الاطفال *

الصحف الجامعة :

وهذه الصحف هي من أكثر صحف الاطفال شيوعا ، وتعنى في العادة بنشر المغامرات والقصص والمسلسلات المصورة والطرائف والفكاهات والمسابقات والمعلومات العامة والاخبار والتحقيقات والاعمدة القصيرة * وتشكل الصحيفة الجامعة أو صحيفة المنوعات اضمامة ملونة يتبارى الاطفال لاحتضانها *

وهذه الصحف التي تعتمد على التنوع لا تريد للملل ان يتسرب الى نفوس الاطفال ، بل تريد أن تنقلهم من هنا الى هناك في أوقات قصيرة كي يظل شوقهم في تجدد مستمر * والتنوع لايعني الاختيار العشوائي لأشتات متفرقة ، كما قد يحسب البعض ، بل يمثل لوحة متكاملة تمتزج فيها الالوان الادبية والفنية بصورة متناغمة يجعلها في مجملها قطعة أدبية وفنية تثير ذوق وخيال وذهن الطفل ، دون أن يتسرب اليه شيء من السأم *

والتنوع لايشمل المضمون وحده ، بل يتعداه الى الشكل ، اسلوبا ولغة ، كما يشمل أيضا اخراج المواد على صفحات المجلة ، ويصل التنوع أحيانا الى الالوان والرسوم والحروف *

ويشارك في تحرير هذه الصحف عديد من الكتاب والمحربين والفنانين ، كل يبدع بأسلوبه الخاص ، دون الخروج على الخط العام ، ولكن بعض الصحف الجامعة تكتفي بتوزيع موضوعاتها دون التنوع بالاساليب والاشكال الفنية *

صحف المسلسلات المصورة :

يجد الاطفال في البلدان الغربية ، بوجه خاص ، في أسواق الكتب والمجلات فيضا من صحف الهزليات المصورة Comics * وهذه الصحف

تعتمد على النكتة السريعة التي كثيرا ما تكون مقلبا او خدعة او محاولة يائسة ، وقد لا تكون الا مغامرة أو جريمة ، وقوامها في العادة الرسوم المتتابعة التي تمثل كل واحدة مشهدا كاملا مع مسمع قصير مطبوع ، منها ما يضحك ومنها ما لا يضحك .

واساس الهزليات باعتبارها سلسلة من الرسوم ، هو الصورة الهزلية المفردة ، وهذه الاخيرة كانت قد دخلت الصحافة الامريكية في السادس عشر من شباط عام ١٨٩٦ ، حينما نشرت صحيفة World مسلسلا مصورا (٢) . ورغم ان صحف الهزليات المصورة هي من الصحف الشائعة كثيرا في أميركا واوروبا وبعض البلدان النامية ، الا انها تواجه نقدا شديدا يصل الى حد القول انها تفسد خيال الاطفال .

وهنا ، ننبه الى ان تقبل الاطفال لهذه الصحف وتسابقهم من اجل الحصول عليها لا يعني انها مناسبة لهم ، لان الاطفال لا يمتلكون القدرة على تبين مواطن الضرر فيها .

ان الصور المتتابعة التي تملأ صفحاتها ، تبلبل ذهن الطفل وتربكه ، اضافة الى ان الرسوم المتجاوزة بهذه الشاكلة تضعف بعضها بعضا ، وبذلك تفقد الرسوم قيمتها الجمالية .

وهي أيضا ، تحد من خيال الطفل في مشاهد محددة تكون في الغالب واضحة كل الموضوع بحيث يسهل على الطفل فهمها ، دون الرجوع الى المادة المكتوبة الى جانبها . ولهذا آثاره الضارة في الطفل ، لان السرد الذي يرافق الرسوم الذي يتحدث به الابطال يكون عادة خاطفا وسريعا ، وقد لا يشكل اسلوبا ادبيا يجد فيه الطفل ما يمتعه كما لا يجد فيه ما يثري ثقافته .

. يضاف الى ذلك ان الهزليات المصورة تقوّت على الطفل فرصة اثناء قاموسه اللغوي . وخطر من ذلك انه بمرور الزمن يعتاد على القراءات السريعة العابرة ، ويكتفي بالمشاهدة دون القراءات الجادة المطلوبة .

وفي اميركا واوروبا صحيات عالية ضد صحافة الكوميكس ، وهذه الصيحات تقول ان خيال الاطفال قد اصاب بالمرض لاسباب عديدة من ابرزها هذا اللون من الثقافة التي تمثل ارخص ثقافات العصر •
ويقول نانس لارك في كتابه « دليل الالباء الى قراءات الالباء » وهو يتساءل :

« لماذا يقرأ الاطفال مجلات الكوميكس ؟

ثم يجيب «

اولا : لان مجلات الكوميكس ترضي رغبة الطفل في الحركة والمغامرة
ثانيا : الحوادث تتحرك بسرعة ، والحوادث الاعتراضية قليلة وقصيرة وهذا يعني اشباعا •

ثالثا : انها سهلة القراءة ، بل ان الامي يستطيع فهم القصة من الرسوم والصور •

رابعا : ان من الميسور الحصول عليها بارخص الاسعار ، لان مادتها رخيصة

خامسا : ان الجميع يقبلون عليها • فتحكم الاطفال هنا نفسية القطيع ، حتى ان الذي لا يقرأها يصبح غريبا •

سادسا : ان هناك اطفالا كثيرين لا يجدون شيئا اخر يقرأونه ، فهم لا يعرفون شيئا عن الكتب او كيفية الحصول عليها •

وفي كتاب « الاطفال والكتب » اشارت مؤلفته الامريكية ماري هيل ان مجلات الكوميكس قد تضاغت وزاد فيضها ، وغمرت الاسواق من اجل الربح المادي على حساب الاطفال المتوترين ، حيث يقرأها من الاطفال من الاولاد بين (٦ سنوات الى ١١ سنة) ٩٥٪ ومن البنات ٩١٪ ومن الرجال ٤١٪ ومن النساء ٢٨٪ وتشير المؤلفة ، الى ان تلك الصحف تدرب الاطفال على ارضاء

رغباتهم السريعة الملحة تم ينتهي استمتاعهم بها بانهاء القراءة، دون ان ترسب في نفوسهم قيمة انسانية واحدة ، كما انها لا تدربهم على القراءة الجادة والبحث والدراسة * * ، وقد تؤدي بهم الى ان يخلطوا بين الواقع والخيال ، ويصبحوا اشبه بالبلهاء والمعتوهين^(٣) *

والمشكلة الكبيرة هي ان هذا الاسلوب قد سيطر على صحافة الاطفال في بعض البلدان النامية ، ومن بينها اقطارنا العربية ، حيث نجد صحفا في القاهرة وبيروت وغيرها من العواصم العربية تتولى اغراق الاطفال بهذا الفيض من الثقافة الرخيصة *

وتتخذ كثير من المسلسلات المصورة من الحيوانات ابطلا لها مثل الرسوم التي تنتجها شركة والت دزني وتغرق بها مجلات كثيرة في العالم *

ويلاحظ ان المسلسلات المصورة اخذت تنتشر في الصحافة الى حد كبير بعد ان ظهرت افلام الكارتون ولاقت اقبال الاطفال * * ولكن النجاح الذي تحقق لافلام الكارتون لا يسكن ان يتحقق للمسلسلات المصورة من خلال الصحف ، نظرا لاختلاف طبيعة وقدرات الفلم عن طبيعة وقدرات الصحيفة *

وعلى اية حال فان هذا اللون وما يشابهه من الحكايات السهلة رغم انها تصنف في قائمة الادب ، الا انها لا ترتبط بالادب الا برابط رقيق^(٤) *

صحف الاطفال الاخبارية :

تعنى صحافة الاطفال الاخبارية بالانباء وتفسيراتها بشكل خاص ، ولكنها لا تقتصر على ذلك ، اذ نجد في مثل هذه الصحف الى جانب ذلك : قصصا. وحكايات وطرائف وتقارير وتعليقات ورسوما كاريكاتيرية وتحقيقات صحفية * ولكن الغلبة تظل في مثل هذه الصحف للطابع الاخباري *

ويتصور البعض ان الاخبار ، كأخبار ، لا تهم الاطفال ، وهكذا يتصور الاطفال ايضا * * ولكن الاخبار في الواقع ليست حوادث مجردة ، بل هي تصوير ذهني لتلك الحوادث وتقدير عن المواقف والافكار *

والحوادث ، في حد ذاتها ، قد لا تعني شيئا كثيرا ، ولكن بفضل الصور الذهنية التي تشكلها لها من خلال الصياغة المناسبة يمكن ان نجعلها مادة حية ترضي فضول الاطفال وتروي تعطشهم لمعرفة العالم الذي يحيون فيه ، اذا ما تجاوزنا الحوادث ذاتها الى كشف المعاني الجوهرية لها •

ويظل الاطفال في حاجة الى الاخبار ماداموا يتصفون بالفضول والقلق والخوف ، اذ ان هذه العوامل هي في مقدمة اسباب ظهور الاخبار وانتشارها • وقد قيل في تعريف الخبر انه تسجيل لمحاولات الانسان المثابرة من اجل اختراق ستر ذلك الغموض البعيد الذي يكتنف افقه •

والصحف الاخبارية تعني ، في العادة ، بأخبار الاطفال ونشاطاتهم والعابهم ومبتكراتهم وهواياتهم في كل مكان • ومع هذا فليست مثل هذه الاخبار هي احب ما يريده الاطفال ، لان الاطفال ليسوا اصحاب قضية ، لذا لا يلتفت كثير منهم الى اخبار الاطفال الآخرين قدر ما يعنون بالصور المصاحبة للاخبار • وكل خبر قد يهم قطاعا من الناس ، ولكن ليس هناك خبر يثير انتباه الجميع في كل مكان (٥) •

ولذا ، لاكتفي هذه الصحف بأخبار الاطفال في الدنيا فقط ، بل تتعدى ذلك الى نشر اخبار الابطال والبطولات ، مستندة الى ميل الاطفال الشديد لان يكونوا قريين من هؤلاء الابطال ، وخير وسيلة لاقامة هذه القربى هي نقل الاخبار والتقارير عنهم •

وتعنى هذه الصحف عناية خاصة باستعراض النشاطات المختلفة في شتى ميادين الحياة العامة كالرياضة والسياسة والعلوم والفنون وشؤون البيت والمدرسة ، وكل ما يرتبط بشكل او باخر بحياة الاطفال من بعيد او قريب •

ومن اولى مزايا الخبر ، ان يتجاوب مع عامل الوقت ، وتظل معايير تقييم الخبر في جديته ، وپروزه ، وضخامته ، وغرابته ، ونتائجه المرتقبة ،

ومسأسه بعالم الطفل واهتماماته وخيالاته ، كما يظل تأثيره في : الصياغة المناسبة والصور الذهنية التي نرسمها له ، ولا شك ان اي خبر لا يمكن ان نقدمه للاطفال بنفس الصيغة والصور الذهنية التي نقدمه بها الى الكبار ، وليس هذا حسب بل اننا ونحن نتحدث عن الطفل والخبر لابد ان ننزع من اذهاننا كثيرا مما علق بها عن الخبر بمفاهيمنا نحن الكبار ، لان بعض الاخبار التي يتلف الكبار لالتهامها تبدو باهتة اذا ما قدمت للاطفال وما يزال الكبار يولون الاخبار «الرقطاء» عناية خاصة » ولهذا وجدنا وكالات الانباء العالمية عموما تميل الى التركيز على اخبار الحروب وصراع القوى والكوارث الطبيعية بدلا من التركيز على اخبار التطورات الايجابية» (٦) .

والمعروف ان هناك مذهبين اساسيين في نشر الخبر في صحف الكبار ، الاول يعتمد اولا واخيرا على اثاره القراء بالاستناد الى عنصرين هما غرابة الاخبار والسمة الدرامية لها ، والثاني يعنى بالاخبار ذاتها وفقا لما لها من اهمية . وصحافة الاطفال لابد لها ان تجمع بين المذهبين معا عن طريق الاهتمام بالاثارة بقدر والاهتمام بطبيعة الخبر ذاته بقدر اخر . . اي ان لا تقدم للاطفال من الاخبار ما يشبع فضولهم الى الغرابة فقط ، بل نسعى من اجل اثارتهم باخبار ذات اهمية وقيمة تجعلهم اكثر احاطة بالعالم واكثر تحمسا لمزيد من المعرفة . ومن الضروري ان نضفي دوما - من خلال الصحف الاخبارية - الى حياة الاطفال الطمأنينة والثراء النفسي والابتعاد عما يقلقهم ويبعث الفزع في نفوسهم .

ومن خصائص الصحافة الاخبارية البساطة في الصياغة والتعبير كي لا يجد الطفل صعوبة وجفافا فيها .

وعملية التبسيط كثيرا ما تكون اصعب من الخلق والابتكار الفني ذاته ، ولذلك لا يقوم بمهمة التبسيط سوى مبدعين من نوع جديد ، يتقنون الفن الصحفي ، ويهضمون المسائل العويصة ، ويحولون غوامضها بحيث يستطيعون الحديث عن اعظم الحقائق باسبب الالفاظ . ومن لا يستطيع هضم المادة

يسرف في العادة ، في استخدام المصطلحات ويعجز عن الايضاح ، بل قد يبلغ به الامر ان يقول النوافه والبديهاب في اعقد الالفاظ واشق المصطلحات واصعب العبارات ، فضلا عن ان عملية الهضم نفسها لا تكفي ، وذلك لان التبسيط بتعرض لدى الهاضمين لخطر ين كيرين هما الايجاز الغامض او الاطناب المخل * . لذا كان لزاما استخدام الاسلوب الذي يحافظ على المضمون ويسكن المعنى في اللفظ المناسب * .

وصحافة الاطفال ، لم يتيسر لها النجاح لولا تطور الفن الصحفي وتفوقه في خلق اسلوب جديد للتبسيط والتجسيد والمرحة الخلاقة للمعاني ، اضافة الى تطور لغة صحافة الطفل في حدود المحصول اللغوي للاطفال (٧) * .

ويلاحظ ان كثيرا من صحف الاطفال الاخبارية في العالم قد انحدرت نحو الهاوية ، ففي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية ، اضطرت كثير من صحف الاطفال الاخبارية الى التوقف ، بعد ان صارت من اجل البقاء سنوات عديدة ولم ينتشلها من مصيرها المحتوم التجاؤها الى اجراء المسابقات واعتمادها على مراسلين من الاطفال والكبار * .

ومع هذا فان هناك صحف اطفال اخبارية كثيرة في مختلف بلدان العالم تحظى بحب الاطفال ، ومنها ما يصدر على شكل مجلات اسبوعية انيقة ، ومنها ما يصدر على شكل جرائد نصفية Tabloid وهي تتناول اضافة الى الاخبار التعليقات والاعمدة والقصص والمسابقات واللقاءات مع الشخصيات الاجتماعية والفنية والادبية التي يعرفها الاطفال او التي ينبغي لهم ان يعرفوا عنها ، وتجيّب عن اسئلة الاطفال ورسائلهم ومكالماتهم الهاتفية عبر ابواب خاصة * .

ومن بين الصحف الاخبارية مجلة American Newspaper Boys وقد انشئت عام ١٩٢٧ وهي شهرية للاطفال بين ١٢-١٧ سنة - ومجلة American Newspaper and Weekly News Review وهي اسبوعية

انستت في واشنطن عام ١٩٣١ وتتوقف في اشهر العطلة الصيفية ومجلة
Australian Children's Newspaper الاسترالية التي انستت عام ١٩٥٣
وتوزيعها نحو ٢٠٠٠٠٠ نسخة ومجلة Canadian High News

وانستت عام ١٩٤٠ في تورنتو في كندا وهي شهرية مخصصة للصبيان بين
١٦ - ٢٠ سنة ومجلة News Time الامريكية التي انستت عام ١٩٥٢
وتصدر اسبوعيا للاطفال بين ١١ - ١٢ سنة (٨)

صحف الاطفال الرياضية :

الاطفال يحبون الرياضة باعتبارها لونا من الوان اللعب المنظم ، وترنو
نفوسهم الى البطولة الرياضية ويهرهم ابطال الرياضة •

وما تزال صحف الاطفال الرياضية ضئيلة العدد في العالم ، لان صحفهم
الجامعة تفتح صفحاتها لمزيد من اخبار السباقات الرياضية ، وتجري مقابلات
مع ابطال ونجوم الرياضة والمدرسين الرياضيين والهواة •

وتقدم مثل هذه الصحف اضافة الى ذلك تمرينات رياضية تصاحبها
الرسوم والصور ، لتعرف الاطفال بانواع الالعاب المختلفة وقواعدها
الصحيحة •

وتتردد دور النشر في اصدار صحف رياضية في العالم ، استنادا الى رأي
يقول ان الاطفال لا يشعرون بحاجة الى متابعة الشؤون الرياضية بقدر ما
يشعرون بالحاجة الى ممارسة الرياضة ذاتها •• يضاف الى ذلك ان دور النشر
تحقق في صحف الكوميكس وصحف المنوعات ارباحا اكبر •

ومن صحف الاطفال الرياضية المعروفة صحيفة Sport Junier الفرنسية
وصحيفة البطل Champion الانكليزية ، ولكن هاتين الصحيفتين تنشران الى
جانب الشؤون الرياضية قصصا ومسلسلات ومنوعات مختلفة ، ويقرأها
الصغار والكبار معا •

صحف الاطفال الصادرة عن الحكومات والاحزاب والمنظمات :

تعنى الاحزاب والتنظيمات السياسية والدينية في كثير من بلدان العالم باصدار صحف خاصة بالاطفال *

ففي ايطاليا يشرف الحزب الشيوعي على اكثر من صحيفة للاطفال وكذا الحال بالنسبة الى الحزب الشيوعي الفرنسي ، يقابل ذلك قيام احزاب وتنظيمات اخرى باصدار عشرات الصحف للاطفال ، منها الحركات الكاثوليكية التي تتولى اصدار عشرات الصحف عن طريق التنظيمات التابعة لها كتنظيمات الكشف والحركة المسيحية للاطفال والشبيبة الكاثوليكية وحركة نشر الايمان اما الحركات البروتستانتية فتتولى هي الاخرى نشر صحف عن طريق حركات الكشف ونشر الايمان التابعة لها ، يضاف الى ذلك عشرات الصحف الاخرى الصادرة عن تنظيمات اليهود والصهاينة والحركات العلمانية *

وفي البلدان الاشتراكية تشرف السلطة على اصدار صحف الاطفال من خلال المنظمات الحزبية والاجتماعية الاخرى *

فصحافة الاطفال في الاتحاد السوفيتي تتلقف الطفل منذ نعومة اظفاره ، لكي تعرفه بزعماء البلاد منذ الثالثة من عمره ، وهناك صحف تصدر للاطفال بين الثانية والرابعة من العمر ، كما ان هناك صحفا اخرى تصدر للاطفال بين الرابعة والسابعة ، اما صحيفة الطلائع اليومية (Pioneer Skaya Pravda) فهي تصدر للاطفال بين العاشرة والخامسة عشرة من اعمارهم ، ويبلغ توزيعها اكثر من ثلاثة عشر مليون نسخة ، وهو اعلى توزيع لاية صحيفة في الاتحاد السوفيتي ^(٩) بل هو اعلى توزيع لاية صحيفة في العالم ، اذ ان صحيفة ازفستيا Izvestia التي يبلغ توزيعها اكثر من ثمانية ملايين نسخة هي اوسع صحيفة في العالم كله * ^(٩)

وتحرص صحيفة الطلائع على متابعة اخبار العالم واحداثه ، وتتلقى عشرات الآلاف من الرسائل يوميا يستفسر فيها مرسلوها عن العديد من المسائل والمشاكل الداخلية والخارجية في مجالات السياسة والاجتماع ، وتعمل الصحيفة على تسهيل عملية تبادل المراسلات بين اطفال الاتحاد السوفيتي وبلدان العالم الاخرى ، كذلك تعد الى اقامة المسابقات بين قرائها وقراء صحف الاطفال في البلدان الاشتراكية الاخرى ، وتبادل معارض الاطفال الفنية وتبادل الفرق الرياضية للاطفال * (١٠)

. وفي لقاء صحفي مع رئيسة تحرير صحيفة الطلائع سئلت فيه عن الصفة المميزة لهذه الصحيفة فردت قائلة (١١) :

« بوسعي ان اقول انها - قبل كل شىء اخر - تستجيب لمطالب جمهور قرائها * ان الاطفال يمتنون بشدة الآراء المكررة ، ويكرهون المواعظ المضجرة ، ولا يتسامحون اطلاقا في عدم الاخلاص ، وسرعان ما يشعرون بخيبة الامل في المعلمين المملين غير الموهوبين » *

وحين سئلت : لقد تحدثت الآن عن عدم الاخلاص * * فهل من الصواب - من الناحية التربوية - التحدث الى الاطفال بصراحة مطلقة عن جميع الاشياء المعقدة والتناقضات الملاحظة في الحياة ؟ الا يؤدي النقد من جانب الكبار الى تقويض نفوذهم ؟

اجابت :

اتنا ناقشنا هذه « المخاطر » مرات عديدة قبل ان نقرر نهائيا ان علينا ان نفعل ذلك ، بل ينبغي عمل ذلك ، لان الطفل سيثق بجريدتنا اذا ما وثقت الجريدة فيه * * ان الاطفال يكتبون لنا ، ويسألون النصح * ويتعين علينا ان نرد على كل رسالة وان نقدم لهم العون ايضا ، وعندما يعامل البالغون - حتى ولو كانوا من المعلمين - الاطفال بطريقة خاطئة ، فنحن لا نغفهم من الحساب ، وحيانا تكون انتقاداتنا غير فعالة بطريقة كافية * وفي هذه الحالة نلجأ الى

مواصلة النقد في العمود الخاص الذي نشره تحت عنوان « ييونيير سكايا
برافد تطلب الكلمة » والذي طلبنا من كل من « برافدا » و « ازفستيا » و
« كومسومولسكايا » ان تنشرها لنا » .

وبالاضافة الى صحيفة اللاتائع اليومية تصدر المنظمة في بعض
الجمهوريات ذات الحكم الذاتي ٢٨ صحيفة لللاتائع بتسعة عشر لغة من لغات
الاتحاد السوفيتي ، وكل طبعة منها تزيد على ١٧ مليون نسخة ، يضاف الى
ذلك ٣٥ مجلة لللاتائع .

ومن بين تلك المجلات ، مجلة 'Molodizh'-Mira التي اسست عام ١٩٤٦
والتي تصدر بعدة لغات ، ومجلة Tekhnika-Molodo Diozhi التي اسست عام
١٩٣٣ ويبلغ توزيعها نحو مليون ونصف ، ومجلة Byarotka التي اسست
عام ١٩٢٤ ، ومجلة Pioneer التي تصدر بلغات متعددة منذ عام ١٩٢٤ ،
ومجلة Pionyeriya التي بدأت الصدور ابتداء من عام ١٩٦٧ (١٢) .

وهناك مجلة باسم « مورزيلكا » كانت قد صدرت عام ١٩٢٥ ، وكان
يطبع منها في عامها الاول خمس وعشرون الف نسخة ، لكنها اليوم تطبع اكثر
من خمسة ملايين وستمئة الف نسخة (١٣) .

والبلدان الاشتراكية عموما تعنى عناية فائقة بصحافة الاطفال ، ويقوم
العمل فيها على اسس عملية ، حيث يتولى شؤونها مختصون في مختلف
المجالات .

وتتواجد الصحف لمختلف اطوار الطفولة بما في ذلك المعدة للاطفال
الصغار الذين لم يلتحقوا بالمدرسة ، حيث تركز هذه الصحف على تنمية
هوايات الاطفال وغرس قيم وعادات طيبة في نفوسهم .

ومع بداية دخول الاطفال الى المدارس تقدم لهم صحف
تعليمية تعتمد على الالعب في شرح المواد مع العناية بالتوجيه

الاخلاقي وبث الوعي الاجتماعي والسياسي بين الاطفال ، ويدو فيها الاهتمام واضحاً بمحاولة تنمية قيم اخلاقية ترسخ في اذهان الاطفال ممثلاً : حب الوطن وحب السلام واحترام الشخصيات التي تبني الاشتراكية والسلام ، ومع الاهتمام بالعلوم عامة * الى جانب العمل على غرس النفرة في نفوس الاطفال من كل ما هو سيء وضار ، ولكن غرس النفرة والكراهية يأتي في مراحل متأخرة بعد دعم عاطفة الحب نحو القيم الرفيعة .

وفي مراحل الطفولة المتأخرة تصدر صحف تفيض بالقصص المنتقاة ، مع العناية ببث روح الابتكار عن طريق المسابقات والهدايا كنماذج الطائرات والاجهزة الميكانيكية . وتقدم الهدايا لاهداف تربوية وتعليمية ، تمهد لمهارات النمو .

كما تحرص صحف البلدان الاشتراكية الخاصة بالاطفال على تقديم ابطال القصص ممن يتجسد فيهم العمل من اجل خير الانسانية . ويلاحظ ان حماية السلام ، مثلاً ، تظهر كثيراً كبطل من ابطال قصص الاطفال اذ تقوم بمغامرات من اجل السلام والخير . * اضافة الى ابراز بطولات من شخصيات معروفة في الادب والتاريخ كنماذج للتضحية والوطنية ، وابرار بطولات الشعوب المكافحة ، ومن خلال ذلك يستكشف الاطفال بانفسهم معاني البطولات (١٤)

وتفسح صحف منظمات الطلائع للطلّاعين نشر نتائجهم الفكرية ، وخاصة القصص والقصائد والتعليقات على الاحداث والمسرحيات والافلام وبرامج الاذاعة والتلفزيون .

وتعنى البلدان الاشتراكية بتطوير قدرات كتّاب صحف الاطفال بمختلف الوسائل الممكنة بما في ذلك اقامة دورات تدريبية وتنظيم سفرات لهم ، وما الى ذلك .

وتقدم صحافة الاطفال في البلدان الاشتراكية احياناً افكاراً اجتماعية وسياسية بصورة مباشرة . * اضافة الى الصيغ غير المباشرة الاخرى (١٥) .

ويمكن القول ان صحف الاطفال في البلدان الاشتراكية تتخذ في فلسفتها منهاجاً اخلاقياً وتربوياً واحداً .

ففي المانيا الديمقراطية مؤسسة صحفية متخصصة في اصدار نحو ٣٠ مجلة وجريدة وهي مؤسسة عالم الشباب Junge Welt وتتولى اصدار تلك الصحف للاطفال قبل سن المدرسة وحتى نهاية مرحلة الطفولة ، كما ان نفس هذه المؤسسة تتولى اصدار صحف للمراهقين والشباب حتى سن الثلاثين . وتوزع هذه الصحف ملايين من النسخ ، بل ان مجلة بومي Puumi توزع ما يزيد على المليون نسخة .

ومن المجلات التعليمية مجلة A.B.C. وهي مجلة نصف شهرية للاطفال بين السادسة والعاشرة ، وتعنى بتعليم الاطفال الحروف والحساب من خلال اللعب ، اضافة الى احتوائها على قصص قصيرة واعمدة صحفية ومقالات ويبلغ توزيعها نحو ٦٥٠٠٠ ر ٦٥ نسخة (١٦) .

وتصدر للاطفال بين العاشرة والرابعة عشرة مجلة (امرح وغن) ومجلة (فروزى) ومجلة (تيلمان) .

وتصدر مجلة علمية هي Jugend and Technic وتطبع بالالمانية وتضم مختصرات بالروسية وقد صدرت عام ١٩٥٣ في برلين الشرقية . ومجلة أخرى هي Junge Generation صدرت ابتداء من عام ١٩٤٧ (١٧) .

ويجد الاطفال في أوروبا واميركا مئات الصحف الدينية ، وتتولى اصدارها في الغالب ، الطوائف والمذاهب الدينية المتعددة ، فاليهود والكاثوليك والبروتستانت وغيرهم يصدرون صحف الاطفال مستهدفين غرس الوعي الديني في نفوس الاطفال منذ نعومة اظفارهم ، ويلاحظ ان أغلب تلك الصحف لاتعبراً للخسائر المادية التي تنفقها ما دامت تعمل بين جمهور الاطفال لوجه الله !

ويلاحظ ان أغلب صحف الاطفال الدينية تهتم ببث القيم والاخلاقيات،
او تهتم بالقضايا الفنية والادبية ، لذا ليس بالوسع اكتشاف هوية مثل هذه
الصحف بسهولة *

ومن بين الصحف الدينية في اميركا صحيفة Adventure
للاطفال بين ٩ - ١٢ سنة ، وتصدرها ابتداء من عام ١٩٦٢ « مدارس الاحد
للكنيسة المعمودية» في ولاية تنسي، وصحيفة Adventure Time التي تصدر
عن دار نشر الكنيسة المعمودية في بنسلفانيا للاطفال بين ٩-١٢ سنة (١٨) ،
وفي ايطاليا تصدر صحف دينية لمختلف الطوائف منها صحيفة
Note Dipastorale Giovanile

ومن بين المجلات الدينية الهولندية للاطفال مجلة Aktie ، وتصدرها
جمعية شباب المسيح في هولندا * ومجلة Zo التي تتناول جوانب فنية
كشؤون السينما والمسرح اضافة الى طابعها الديني العام (١٩) *
ومن المجلات الدينية البلجيكية Nos Routes للاطفال في حدود
الثامنة (٢٠) *

ومن المجلات الدينية في المانيا الغربية مجلة Bremer Missionchiff
التي تصدرها احدى البعثات التبشيرية *
ومن المجلات اليهودية الكثيرة العدد في انحاء اميركا واوروبا الغربية مجلة
Olomein'u Our World التي تصدر باللغتين العبرية والانكليزية في
نيويورك منذ عام ١٩٤٥ للاطفال في حدود الثامنة عن جمعية التوراة (٢١) *
وفي جنوب افريقيا عدة مجلات دينية منها مجلة Ubaqa' Lwabantwana
الصادرة بلغة الزولو ، وهي نصف شهرية للاطفال بين ٧ - ١٢ سنة ، ويصدرها
اتحاد الانجيل ومجلة Ons Zfug التي تصدرها الكنيسة الهولندية الاصلاحية
منذ عام ١٩٥١ (٢٢) *

وتصدر في الكونغو مجلة دينية للأطفال منذ عام ١٩٤٤ هي مجلة
Nenolai Imani باللغتين السواحلية والفرنسية (٢٣) *

صحف الاطفال التجارية :

أكثر صحف الاطفال في اميركا واوروبا الغربية هي صحف تجارية تتولى
اصدارها دور نشر تكون ، في الغالب ، غير متخصصة بصحف الاطفال ،
بل تصدر هذه الصحف مع ما تصدره من صحف مصورة للراشدين •

وتتوخى دور النشر في العادة الربح المادي قبل كل شيء ، لذا فهي
تعمل من اجل امداد الطفولة بكل ما يجتذبها ، مستغلة تعلق الاطفال بالاثارة •

وتحتكر دور النشر اصدار مئات من صحف الاطفال في اوروبا الغربية
واميركا ، كما ان بعض دور النشر في البلدان النامية تتولى اصدار مثل هذه
الصحف • ويزيد عدد الصحف التجارية الخاصة بالاطفال في البلدان
الرأسمالية والنامية عن ثلاثة الاف مجلة وجريدة •

ومن ابرز المجلات التجارية : ميكى ماوس ، وطرزان ، وسوبرمان ،
وسبرو ، وتان تان •

ومن الصحف التجارية ماهي صحف كوميكس ، او صحف قصص
ومغامرات ، أو صحف جامعة او صحف اخبارية او رياضية •

وابرز هذه الصحف ، ليس لها رسالة اجتماعية او تربوية ، لان همها
الاول هو الحصول على أكبر قدر من الارباح ، ومن هنا جاء اعتمادها على
الاثارة والمبالغة والتهويل مستعينة بالرسوم الكثيرة - في الغالب - على شكل
مسلسلات مصورة •

ومع ان الصحف التجارية التي تطبع لها نسخ كثيرة في بلدان متعددة
تحقق كثيرا من الارباح ، الا ان بعض الصحف الاخرى التي تصدر بطبعة
واحدة تواجه أحيانا أزمات مادية ، لذا اغلقت خلال السنوات الاخيرة عدة

مجلات أو دمجت معاً ، وكمثل على ذلك دمج مجلة Adventure مع مجلة Rover في مجلة واحدة هي مجلة Rover and Adventure ثم دمج ثم مجلة The Wizard معها بعد أن أغلقت لحين ، واصبح الاسم الجديد لها Rover and Adventure Wizard والذي سرعان ما استبدل باسم Rover and Wizard ويبدو انها اتخذت هذه الاسماء المتغيرة لفترات غير بعيدة لتحتفظ بالقراء الاصليين لكل مجلة كي لا يتحولوا الى مجلات جديدة حتى استقرت باسمها النهائي (٢٤) .

وتستعين صحف الاطفال التجارية بمختلف الوسائل لجذب الاطفال من خلال التركيز على المواد المشوقة ونشر الاشرطة المصورة .

صحف البنات :

بسبب اختلاف سرعة النمو الجسمي والعقلي والعاطفي ، واختلاف الميول بين الاولاد والبنات في كل مرحلة ، اتجهت بعض هيئات النشر الى اصدار مجلات خاصة بالبنات وخاصة لمن هن في مرحلة الطفولة المتأخرة ، حيث تتضح الفوارق بين الجنسين بشكل بارز .

وهذه الصحف تلبي أولاع البنات ، لذا نجد هذه الصحف ذات جاذبية خاصة في قصصها ومقالاتها ورسومها وصورها .

والمعروف ان البنات يقرأن اكثر من الاولاد ، لذا تحمل صحفهن مادة مكتوبة كافية نسبة الى صحف الاطفال العامة .

والاولاد يولعون بالمغامرات والقصص البوليسية ، اما البنات فهن لا يحفلن كثيرا بها .

ويميل الاولاد الى قراءة المواد العلمية وقصص الرحلات عبر البحار ، وبين الكواكب والنجوم ، أما البنات فهن يفضلن قراءة سير المشاهير من

الرجال والنساء ، والروايات الخيالية ، وقصص الحيوان ، وهن يظهرن بما يتعلق بالبيت والحياة المنزلية .

ومن بين صحف البنات صحيفة Flipteen Magazine التي تأسست عام ١٩٦٤ في نيويورك وهي للبنات بين ١٣ - ١٩ سنة ويبلغ توزيعها نحو ٥٠٠.٠٠٠ نسخة ومجلة IN, for girl of today, the Woman of tomorrow وقد تأسست عام ١٩٦٥ في اميركا ، ومجلة Young Miss التي كانت تسمى ؛ All Girls وقد صدرت عام ١٩٥٣ ومجلة American Girl ويبلغ توزيعها نحو مليون نسخة وتصدر في نيويورك وكانت قد انشئت عام ١٩١٧ ولها طبعة على طريقة برايل للعميان (٢٥) .

صحف الاطفال وفق اطوار الطفولة

تختص كل صحيفة من صحف الاطفال بطور معين من اطوار الطفولة، وليس هناك صحيفة يمكن ان تناسب مرحلة الطفولة بجميع اطوارها . . وقد سبق ان اشرنا الى ان اولى خصائص ادب الاطفال ، انه يتناسب مع كل طور من اطوار الطفولة . فما يصلح للاطفال في طور الواقعية لا يصلح للاطفال في طور البطولة . . وهكذا .

وعلى هذا نجد ان كل صحيفة من صحف الاطفال تتوجه الى جزء من جمهور الاطفال ، وقد تعلن الصحيفة ذلك على صفحتها الاولى كان تقول « للاطفال من ٦ - ٨ سنوات » مثلاً ، او « من ٩ - ١٢ » وقد تضر ذلك ولكن في كلتا الحالتين يضع محرورها لذلك حساباً . . اما الصحف التي تعلن انها لمن هم ب ٧ الى ٧٧ سنة او بين ٨ الى ٨٨ سنة فهي تطلق نكتة باردة . . مع انها تعني انها للاطفال الذين تزيد اعمارهم عن السابعة او الثامنة ويمكن للكبار ان يجدوا فيها المتعة « والكبار يؤلفون جزءاً من قارئ ادب الاطفال اضافة الى ان الطفولة تظل في نفوس بعض الكبار » (٢٦)

وهناك مجلات كثيرة للأطفال الصغار الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد ، وهذه المجلات تعتمد على الرسوم والصور ، وحين تستعين بالكتابة ، فهذا يعنى ان الكبار مدعوون الى قراءتها ليعيدوا روايتها للأطفال الصغار .

من بين مجلات الاطفال الصغار صحيفة Bilanz التي تصدر في النمسا ، وتوزع نحو ٤٥ الف نسخة في حجم التابلويد Tabloid وهي مخصصة للأطفال في سن الرابعة وصحيفة Blue Triangle التي اسست في لندن عام ١٨٨٤ ، وهي مخصصة للأطفال في سن الثالثة وصحيفة Canton التي اسست عام ١٩٦٦ وصحيفة Dal Buco Della Sperratura اللتان تصدران في ايطاليا للأطفال في حدود الرابعة . وصحيفة Funzel لمن هم في الثالثة ، وصحيفة Freier Blick التي تصدر على مقاس تابلويد وهاتان الصحيفتان تصدران في المانيا الغربية (٢٧)

اما الاطفال الذين يبدأون القراءة في نحو السادسة فلهم صحافة خاصة بهم ، وكمثال على ذلك مجلة ABC. Zeiting التي انشئت في برلين الشرقية عام ١٩٤٧ للأطفال بين ٦ - ٨ سنوات ، ويبلغ توزيعها نحو ٦٥٠ ألف نسخة . ومجلة Canteceleer المخصصة لاطفال السادسة في هولندا والتي يبلغ توزيعها نحو ٦٠٠ نسخة وصحيفة Giselaner المخصصة لاطفال السادسة ، وقد اسست عام ١٩٥٥ في المانيا الغربية ويبلغ توزيعها نحو ٩٠٠ نسخة (٢٨) .

وللأطفال بين السادسة والسابعة تصدر صحف عديدة منها Roadrunner الاسبوعية التي بدأت الصدور منذ عام ١٩٦٩ ، وصحيفة She's Josie التي يبلغ توزيعها نحو خمسة ملايين نسخة ، وكلتا هما تصدران في اميركا .

وتصدر صحف للأطفال الذين لا تتجاوز اعمارهم التاسعة منها صحيفة Deryn التي اسست في ويلز عام ١٩٦٣ وصحيفة OKKI التي اسست في

هولندا عام ١٩٥٣ ومجلة Champuk التي تصدر بالانكليزية والهندية في نيودلهي منذ عام ١٩٦٦ لمن هم بين السادسة والتاسعة *

ولما بعد ذلك تصدر صحف اخرى مثل مجلة Adventurer الانكليزية التي بدأت الصدور منذ عام ١٨٩٢ للأطفال بين ٩ - ١٤ سنة ومجلة Cymru'rplant في ويلز لمن هم بين ٩-١٢ سنة ، وصحيفة Czechoslovak Youth التي تصدر بالجيكية والانكليزية في براغ لمن هم في العاشرة منذ عام ١٩٦٥ ، وصحيفة Find Ingout التي ابتدأت الصدور في انكلترا منذ عام ١٩٥٩ لمن هم بين ٨ - ١٢ سنة ومجلة مجلتي العراقية التي بدأت الصدور منذ نهاية عام ١٩٦٩ لمن هم بين ٩ - ١٢ سنة ، ومجلة Freundschaft النمساوية التي اسست عام ١٩٢١ لمن هم بين ٨ - ١٢ سنة والبالغ توزيعها نحو ٤٨ الف نسخة * ومجلة Friponnet-Marisette الفرنسية الاسبوعية المخصصة للأطفال بين ٨ - ١٤ سنة * وكانت قد بدأت الصدور منذ عام ١٩٤٥ ، ومجلة Fun for Middlers الامريكية لمن هم بين ٨ - ٩ سنوات ، والمجلة الاسبوعية الامريكية Worlds of Cheer التي بدأت الصدور منذ عام ١٨٧٦ لمن هم بين ٩ - ١٤ سنة *

وللاطوار التالية نجد صحفا اخرى خاصة ايضا منها على سبيل المثال مجلة Action الامريكية لمن هم بين ١٢ - ١٤ سنة وجريدة المزار العراقية لمن هم بين ١١ - ١٤ سنة ، ومجلة Accenton Youth الامريكية لمن هم بين ١٢ - ١٥ سنة ومجلة Youth التي اسست في ويلز عام ١٩٤٠ لمن هم بعد الرابعة عشرة ، ومجلة Jeugd الهولندية التي اسست عام ١٩٢٢ لمن هم بين ١٢ - ١٦ سنة *

وهناك صحيفة تتولى اصدار صحف متعددة لتغطي مرحلة الطفولة بجميع اطوارها * (٢٩)

ويلاحظ ان هذه الصحف لم تتبع اطوارا محددة بسنوات ثابتة وفق ما اشرنا اليه في باب « جمهور الاطفال » * ويعود ذلك الى تداخل تلك الاطوار الى حد ما ، كما ان تحديد بدايات ونهايات هذه الاطوار تختلف باختلاف البيئات والثقافات *

وهناك صحف كثيرة ذات طابع فني ، حيث تعنى بشؤون الافلام والسينما والمسرح وغيرها من الفنون منها صحيفة Diskus لمن في الثامنة من اعمارهم ، وقد اسست عام ١٩٥٠ في المانيا الغربية على شكل تابلويد وصحيفة His World التي انشئت عام ١٩٦٧ في هوليدود ، وصحيفة Jevnesse and Deux Mille الفرنسية ، وصحيفة الكندية ، وصحيفة Childrens Theatre Review الامريكية *

ومجلات اخرى ذات طابع علمي منها صحيفة Tekhnika Molodo Diozhi السوفيتية التي توزع نحو مليون ونصف نسخة وقد انشئت عام ١٩٣٣ * وهناك صحف خاصة بالعميان تكتب على طريقة بريل Braille منها صحيفة Illuminator التي بدأت الصدور في امريكا منذ عام ١٩١٠ للاطفال في سن الثالثة ، عن مدرسة بنسلفانا الغربية وصحيفة اخرى اسست عام ١٩١١ (عددا أيلول وحزيران) في نيويورك (٣٠) *

وهناك مجلات للاطفال تصدر طبغات خاصة للعميان منها صحيفة American Girl وصحيفة Current Events التي اسست عام ١٩٠٢ وصحيفة Curren Science وصحيفة Jack and Jill Magazine وكلها صحف امريكية *

وهناك عدد من مجلات الاطفال الصم ، منها مجلة Vriend التي انشئت عام ١٩٠٦ في هولندا (٣١) *

المبحث الثالث

الفنون الصحفية

في صحافة الاطفال

تستوعب صحافة الاطفال الواناً ادبية وصفية متعددة ، ولكن هناك من يرى ان صحف الاطفال ينبغي ان تقتصر على التسلية والهزليات والثرثرات الضاحكة والالغاز والمسابقات .. ولكن هذا الاتجاه لا يقوم على اساس صحيح .. لان للطفولة ميزاتها وخصائصها وحاجاتها التي لا يمكن لتلك الالوان وحدها ان تلبّيها *

وتنقل صحافة الاطفال مضامينها ، في العادة ، عبر الوان ادبية وصحفية متعددة ، من ابرزها : القصة ، والشعر ، والخبر ، والتحقيق الصحفي ، والحديث الصحفي والمقال ، والعمود *

وقد تناولنا القصة والشعر والخبر ، وتتناول فيما يلي بعض الالوان الصحفية *

– التحقيق الصحفي :

السؤال الذي يردده الاطفال باستمرار مبدوءاً بكلمة الاستفهام لماذا ؟
يجيب عنه التحقيق الصحفي •

وصعوبة التحقيق الصحفي تكمن في : كيف نقدم الجواب للاطفال بطريقة مقبولة عن كثير من الاسرار والحقائق والمعاني والمفاهيم بأسلوب سلس ولغة مشوقة ، بحيث يستطيعون من خلاله استجلاء الاجابة عما يتغل اذهانهم ، ويزدادون احاطة بالبيئة والعالم •

ونحن نعلم ان الاطفال يستمتعون ببعض الاخبار ، وينشّدون الى سماعها ، ولكنهم ، في الغالب ، بعد كل خبر يساءلون : لماذا ؟ لماذا حدث هذا ؟ ولماذا لم يحدث ذاك • كما انهم يساءلون مثل هذا التساؤل بعد ان تنهائى اليهم معلومات وحقائق ومفاهيم غير متكاملة ويكّون الجواب ما نسميه بالتحقيق الصحفي

والحياة حافلة بالحوادث والوقائع ، ويجهل الاطفال جوانب متعددة عنها ، والمناهج الدراسية لا يمكن لها ان تعنى كثيرا بمثل هذه الوقائع والحوادث التي تحيط بعالم الطفل ، لذا توجد التحقيق الصحفي في صحافة الاطفال كأحد الالوان الفنية لتفسير هذه الوقائع والحوادث واسباب وقوعها والمشاركين في صنعها •

ويتناسب التفسير الذي يرد ضمن التحقيق الصحفي مع قدرات الطفل العقلية والنفسية والعاطفية والاجتماعية ، كما يخضع للقيم والمبادئ التي يريدها المجتمع لاطفاله • ويتعامل التحقيق الصحفي ، في العادة ، مع حوادث ومنسكلات واقعية ، لذا كان هذا اللون الصحفي ابعدا ما يكون عن الخيال •

والتحقيق الصحفي لا يكتفي بسلاسة الاسلوب او بساطة التراكيب والتشويق والاثارة ، بل يستعين بالصور من اجل ان تكون الحقائق المحمولة بين طياته اكثر وضوحا وطرافة وجاذبية •

وتتعدد انواع التحقيق الصحفي ، حيث نجد تحقيقات تفسيرية
وارشادية ، وتعليمية ، وتحقيقات امتاع وتسلية ولكن التحقيق الصحفي
الجيد هو الذي يجمع جميع او بعض هذه الجوانب مرة واحدة *
ومن اكثر قوالب التحقيق الصحفي ملاءمة للاطفال هو الذي يتخذ قالب
القصة *

ـ الحديث الصحفي :

في نفوس الاطفال حب شديد لاستطلاع احوال الاخرين ، والوقوف
على اسرارهم ، لذا تراههم يلصقون باذانهم عند الابواب ، وينظرون من
شقوقها او من مداخل مفاتيحها ، محاولين ان يسمعوا ويروا ما يدور بين
الناس من صراع *

ويحمل الاطفال اعجابا بالقادة والمبدعين والمغامرين ، ويسرهم ان
يطلعوا على احوالهم وافكارهم ، ولهذا كان الحديث الصحفي فنا محببا
للاطفال *

والحديث الصحفي يستطيع ان ينقل الاطفال عبر الزمان والمكان
ليجعلهم وكأنهم امام الشخصيات والحوادث *

ومع ان الحديث الصحفي مع الشخصيات البارزة له اهمية خاصة ،
الا انه يمكن ان يتم ايضا مع شخصيات اعتيادية حققت نجاحا معيناً في مجال
معين ، او حتى مع المغمورين الذين يمكن ان يجد الاطفال في افكارهم
ونشأتهم ما يدعوهم الى التأمل والتفكير *

ولا يتعرف الاطفال من خلال الحديث الصحفي على هذه الشخصيات
وانماط تفكيرهم ، وما يحملون من قيم ومفاهيم ووجهات نظر فحسب ،
بل يتعرفون الى المثل التي قادتهم الى النجاح ، والصعاب التي اعترضتهم ،
والاساليب التي استعانوا بها لتذليل تلك الصعاب *

والاحاديث الصحفية مع الشخصيات المحبوبة تمتع الاطفال ، وتدفعهم الى التمثل بها ، ولهذا تحرص صحف الاطفال على اجرائها مع الشخصيات الناجحة كي تكون اداة الهام للطفولة ، رغم ان الاطفال يرحبون بان يتعرفوا على حياة وتفكير الاشرار واللصوص والفاشلين •

ونحن نجد ان كثيرا من الادباء والكتاب والعلماء حين يستعيدون ذكريات طفولتهم يشيرون الى تأثيرهم بدرجات مختلفة بشخصيات معينة ، فهذا شاعر تأثر في طفولته بشاعر مبدع ، وهذا عالم كان في طفولته قد تأثر بشيء من افكار ونظرات عالم معين ، وهكذا •

والحديث الصحفي ، ليس مجرد اسئلة واجوبة ، بل هو عملية حوار درامي تتكشف من خلاله الافكار والانطباعات ، ويكون بطلاه ، في الغالب اثنان هما المحرر والشخصية • ولكن يمكن ان يتم الحديث مع أكثر من شخصية واحدة •

وتهناك احاديث صحفية للرأي ، تتضح من خلالها الافكار ووجهات النظر والتأملات ، وأحاديث التسلية لامتناع الاطفال واسعادهم ، واخرى للاخبار والحقائق وتتم من خلال لقاء مع مختص او شاهد عيان •

ويساغ الحديث الصحفي المناسب للطفل على شكل قصة اخبارية ، تشتمل على مقدمة مثيرة •

والذي يكسب الحديث الصحفي الجاذبية هو نبض الحياة فيه ، ويتمثل ذلك في عرض افكار جديدة ، وغرابة الحديث من النصائح والارشادات المباشرة ، وتصوير الشخصية تصويرا معبرا ، بحيث يجد الطفل نفسه وكأنه قبالة المتحدث •

— المقال :

ليس بالوسع تحديد اطار ثابت لمقال الطفل ، ذلك لان المقال لا يرتبط بقالب تعبيرية محدد ، ولا يلتزم شكلا ادبيا معيناً •

وابرز ما يميز المقال ، هو انه يخاطب الطفل مخاطبة الصديق للصديق، ينقل له الفكرة أو الرأي بدعة وهدوء وسلاسة وكأن علاقة وطيدة قد قامت بين الكاتب والطفل منذ امد مديد ، ومهدت للاول ان يتحدث الى الثاني حديثا وديا مباشرا *

وكاتب المقال يتحدث الاطفال عن كل شيء ، من وجهة نظر فيها شيء من الموضوعية وشيء من الذاتية ، وهي ليست نظرة الباحث او العالم او المحاضر او الدارس ، لان المقال ليس بحثاً علمياً ولا محاضرة ولا درساً او قصة ، بل هو نظرة جديدة تتعامل مع خيال وذوق واحساسات الطفل *

ويتضح في ثنايا المقال ، عادة ، ما ينهم عن احترام الكاتب لشخصيات وقدرات الاطفال ، من خلال التساؤل الذي يطرحه عليهم احيانا ، او استطلاع ارائهم في فكرة او موقف ، او وضعهم في موضوع الحكم ازاء قضية ، او اثارتههم لاهداء ارائهم ، او اجراء ما يشبه المسامرة معهم ، دون املاء او استعلاء * ولكن ، مع كل هذا يظل المقال تعبيراً عن رأي الكاتب ، ولكنه ليس تعبيراً ذاتياً بقدر ما هو تعبير عن الوجدان الجماعي *

لذا لا يغالي كاتب المقال في استعراض عواطفه وانفعالاته بشكل مثير ، وكانت الادبية الانكليزية فرنجينا وولف تقول :

« .. ان المقال يجب ان يبدأ بداية تملك مناسع القارئ ، وتوقظه من سباته حتى يشارك الكاتب خبراته الشائقة المدهشة الغريبة ، بل ان الكاتب قد يصطحب صديقه القارئ محلقين في عالم الخيال ، او انهما قد يغوصان معا باحثين عن دور الحكمة ولكن على اية حال لا يجوز اثاره القارئ اثاراً ما » (٣٢)

واسلوب المقال هو اسلوب بسيط يخلو من التعقيد ، وكان ديفو الذي تقبل الاطفال بعض ما كتب ، يقول :

« اذا سألتني سائل عن الاسلوب الذي اكتبه قلت انه الذي اذا تحدثت

به الى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافا عظيما في قواهم العقلية -
عدا البله والمجانين - فانهم جميعا يفهمون ما اقول » ♦

وهناك انماط متعددة من المقالات منها المقال الكاريكاتيري الذي
يجسد رأيا ما او مفهوما ما في سرعة وسخرية ، ولكن بقوة وجاذبية ، ويعتمد
على تجسيم بعض عيوب الاشياء او الشخصيات او الافكار او القيم ♦
والنمط الثاني هو مقال الاعتراف الذي يتضمن خواطر او حوادث او طرائف
يصادفها الكاتب ويضفي عليها لمسات وابعادا اجتماعية وانسانية ليجد فيها
الاطفال الهاما ومتعة وتعبيرا للحياة وتصويرا للنفس الانسانية ♦

اما المقال العلمي ، فيتميز بانه يستمد من العلوم العامة مادته ، ويجد
الاطفال فيه حقائق وافكارا ممتعة ، يزيد الكاتب في قوة تأثيرها بفضل
الوشائج التي يقيمها بينها وبين الحياة ، والحيوية التي يضفيها عليها ،
والصور العقلية والخيالية التي يرسمها لها ♦

ويطمح بعض كتاب المقال العلمي الى امداد الاطفال بمعلومات وحقائق
غزيرة ، ورغم شرعية هذا الطموح ، الا ان الاطفال لا يتقبلونه برضى ، لذا
لابد من الانتباه الى انه ليس المهم اغراق الاطفال بالمعلومات والحقائق
والافكار العلمية من خلال المقال العلمي ، بل المهم هو اشباع الطفل بغذاء
علمي وفني وخيالي يقوده الى التفكير اولا والثقة بقدرة الانسان الخلاقة
ثانيا ، وبفاعلية العلم المبدعة ثالثا ♦

والمقال العلمي الجيد هو الذي يتعد كثيرا عن استخدام المصطلحات
العلمية ، على اساس ان ذلك عبء لا قبل للاطفال به ♦ والاطفال في - لغتهم
العادية - يميلون الى الابتعاد عن المصطلحات وخاصة في مراحل اعمارهم
الاولى ، فهم حين يريدون وصف شئ صلب يكتفون بالقول (انه مثل
الحديد) مثلا اذ هم يوحون بالمعنى فقط ♦

يضاف الى ذلك ان المقال العلمي الجيد يتضمن معلومات وحقائق وآراء

وافكارا علمية بشكل مبسط ، تبدو امام الاطفال واضحة ممتعة ، لان
الاطفال يكرهون المواد الجافة او المعقدة ++ ولكنهم بنفس الوقت ينفرون
من المواد الساذجة لانهم يجدون في ذلك احتقارا لقدراتهم *

العمود :

هو لون من ألوان المقال ، ولكنه يتخذ له عنوانا ثابتا ، ومكانا ثابتا في
الصحيفة ، وهو يتناول موضوعات مختلفة ببساطة وايجاز ، فهناك عمود
سياسي واخر رياضي وثالث فني +++ وقد يتناول فكرة صغيرة توحىها
مشكلة من مشاكل الاطفال او رسالة من رسائلهم او مكالمة من مكالماتهم
الهاتفية او خبر من الاخبار يعرفه الاطفال من قبل ، او شأن من شؤون
الصحيفة ، وهذا الاخير في العادة ، يكتبه رئيس التحرير ضمن العمود
الرئيس *

وعلى هذا يمكن ان تكون اية قضية ارتبطت بعقول واخيلة الاطفال او
يمكن لها ان ترتبط موضوعا للعمود الصحفي *

المبحث الرابع

اخراج صحف الاطفال

يتألف البناء الشكلي للصحيفة ، مجلة كانت ام جريدة من وحدات على الورق ، وهذه الوحدات هي مجموع الحروف والصور والرسوم والفواصل والهوامش والاطر والنقوش والمساحات الكائنة بين السطور والفراغات الاخرى والمساحات اللونية .

وشؤون هذه الوحدات ينتظم في فن التايوغرافيا او فن الوحدات المطبوعة . ويؤلف الاخراج الصحفي جانبا من هذا الفن ، اذ يتناول طرق اختيار وتوزيع هذه الوحدات على الصفحات لتؤدي اهدافا أدبية وفنية وثقافية معينة ، تتمثل في جمال الصفحات ووضوح مضامينها ودقتها وصدقها في التعبير وسهولة قراءتها .

والاخراج الصحفي ، مع انه فن قائم بذاته ، الا انه يستند الى حصائل ومستخلصات الفن التشكيلي من جهة ، وعلم نفس الجمهور القارئ ،

وعلم وظائف الاعضاء ، وبصورة خاصة ما يتعلق بحاسة البصر من جهة أخرى • والقراءة - في حد ذاتها - ليست مهارة تربوية فقط بل هي عملية عضوية •

والمخرج الصحفي الفنان هو الذي يحول المادة المخطوطة الى مادة مطبوعة نابضة بالحياة والجاذبية عن طريق توزيع الوحدات على الصفحة البيضاء ليجعل منها لوحة فنية ذات جمال ، ومعنى ، وشخصية •

ولكن المخرج ، رغم انه فنان ، له حرية في ابداع فنه ، الا ان الحرية الحقة هي التي تفرض مزيدا من المسؤوليات والضوابط •• وتتمثل هذه المسؤوليات والضوابط في اعتبارات تمليها الاسس الصحفية والادبية والنفسية والفسولوجية والجمالية •• ويظل الابتكار تحت مظلة هذه الضوابط هو الاساس في صحة الاخراج •

ويراعي مخرجو صحافة الاطفال الاسس النفسية والفسولوجية والفنية للاخراج الصحفي ، بما في ذلك ميول الاطفال واذواقهم وقصر فترة انتباههم والالوان التي ترتاح لها عيونهم •••

فعلى صعيد الاسس الصحفية او الفنية يراعي المخرجون الهدف الموضوع للمادة الصحفية بحيث يمكن له أن يبرز بوضوح • ولهذا يدس المخرجون انوفهم بين ثنايا المادة المخطوطة ليتذوقوا رائحتها قبل اي شيء ، ومن ثم يقررون هيكل الهندسة المناسبة للصفحات والالوان وفقا لذلك •

وتدخل ضمن الاسس النفسية والفولوجية للاخراج احجام الحروف المناسبة والالوان والفراغات والعناوين التي تناسب قدرات الاطفال الذهنية والعاطفية والحسية ، بما في ذلك قدرات حاسة بصر الطفل •

وفي جميع الحالات يهدف المخرجون الصحفيون الى تشكيل وحدة فنية تناسب قدرات الطفل على استخدام عينيه وتيسر له القراءة وتنمي قابلياته على التذوق الفني ، وتساعد على تكوين صور ذهنية ايجابية •

وتتميز الوحدة الفنية التي ينشدها المخرجون ، في العادة ، عناصر ذات أهمية منها : التوازن ، سواء أكان متماثلا ام متباينا • والايقاع ، الذي يسهل انتقال عيني الطفل بين الكلمات والسطور والمساحات اللونية والصور والعناوين والصفحات دون تعثر او ملل • والتناسب والانسجام من خلال توافق الوحدات الطباعية وتناغم بعضها مع البعض ومع الالوان التي تظهر بها •

وعلى هذا فلا بد أن يكون اخراج صحافة الاطفال متميزا عن صحافة الكبار ، ما دام جمهور الاطفال يختلف عن جمهور الكبار ، وما دامت المواد الصحفية المقدمة للاطفال تختلف من حيث مضمونها واسلوبها عن المواد المقدمة للكبار • • ولاشك ان شكل ومضمون صحيفة الطفل شيان مترابطان ومتفاعلان ، يكمل احدهما الآخر ، ولا يمكن لمضمون الصحيفة ان يترك أثره المطلوب في الطفل الا من خلال شكل فني يغري الطفل ويجذبه • وشكل الصحيفة يخدم مضمونها في العادة •

الرسوم :

تمثل الرسوم في صحافة الاطفال وحدة طباعية اساسية ، وتشمل الصور الفوتوغرافية ، والاشكال المرسومة كالرسوم الكاريكاتيرية والواقعية ، والتوضيحية •

ومع اننا نتناول الرسوم ضمن باب الاخبار الصحفي الا انها في الواقع ليست عنصرا اخراجيا فحسب ، بل هي مادة صحفية حية ، لها قيمة جمالية واعلامية وثقافية كبيرة • وقد تفوق المادة المكتوبة في تأثيرها - في بعض الاحيان - كما انها كثيرا ما تفوق الاشياء التي تصورها في قدرتها على توضيح كثير من الوقائع والمفاهيم • لذا لم يقتصر استخدامها على الصحافة بل تعدتها الى السينما والتلفزيون والمسرح •

ومنذ فجر التاريخ كان الانسان يسجل على الصخر برسوم ملونة قصته مع الطبيعة القاسية وكواسرها الضارية • وبذا كان الانسان قد عاش

عصر الرسم قبل ان يعيش أي عصر آخر •• وعبر مسيرة الانسانية الطويلة ظلت الرسوم - لغة وفناً - اداة للتعبير والتصوير • ورغم مرور الاحقاب الطويلة الا ان الانسانية ما تزال تحيا ذات العصر •

وقد قدرت الانسانية منذ أزمان متقدمة اهمية الفنون التعبيرية كالرسم والنحت كوسائل تزيد من كفاءة الاتصال بين المربي والدارس ، واعتبر شيرون Ciero (١٠٦ ق م - ٣٤ ق م) للرسوم اهمية كبرى في الاتصال لانها تساعد على تذكر المجردات • وقال سينكا Seneca (٤ ق م - ٦٥ م) ان الناس يصدقون الرؤية أكثر من تصديقهم الكلام • لذلك اهتم بالرسوم على الرمل في التعليم (٣٣) •

والرسوم الجميلة الملونة تربي ذوق الطفل ، وتلفت نظره الى مواطن الجمال فيها ، والى انسجام الالوان واتساقها • كما انها اداة لتربية حاسة البصر • والبصر هو الذي يطلع الاطفال على المؤثرات الضوئية ، وعلى ألوان الاشياء واشكالها وامتداداتها وابعادها •• والعين التي أحسن تمرينها تستطيع ان تدرك فروقا لونية لاتدركها العين غير المدربة •

كما ان الرسوم تغني المعلومات المقدمة للطفل بالاحساسات المقابلة • ففي قصة من القصص لا يكفي عرض القصة بالمادة المطبوعة بل لابد من أن ترافقها الرسوم • وفي معركة بطولية ، لا يكفي سرد البطولات سردا ، بل لابد من أن يصاحب ذلك تصوير يقطر بالحياة ، ويصدق هذا بالنسبة الى المفاهيم والمثل التي لابد ان ترافقها مدلولات حسية • والاطفال لا يفهمون المجردات فهما حقيقيا ، ولا يحبون الخوض فيها • والاحساس الذي تتركه في ذهن الطفل هو اساس المعرفة ، ولولا هذا الاحساس لما عرفنا شيئا عن العالم الخارجي ، ولما استطعنا دراسة ومعرفة قوانينه واستخدامها لصالحنا •• والاستناد الى الاحساس في التربية سواء اكان عن طريق الرسوم ام غيرها هو مرحلة من مراحل التربية ينتقل بعدها الطفل الى التعليم المجرد عن

المحسوسات ، ولكن كلما كانت تربية الطفل الحسية قوية ، كان تعليمه المجرد - فيما بعد - اسهل منالا واقرب الى النجاح^(٣٤) .

فالرسم تعين خيال الطفل على الانطلاق وتشكل صور ذهنية عن المواقف والافكار . وهذه النقطة على جانب كبيرة من الدقة ، لان الرسوم التي يرسمها رسامون مبتدئون او غير متخصصين في الرسم للاطفال ، او مجرد رسامين مهرة يفتقدون الى الروح والذوق الفني ، كل هؤلاء يمكن ان يؤثروا تأثيرا سلبا في ذهن الطفل وخيالاته ، لانهم يجسسون خيالات الاطفال في افاق محدودة .

وما يرسمه الاطفال بأنفسهم هو نوع من التعبير ، وبسبب اعتماد الطفل على الرسم في ذلك ، اضافة الى ما للرسوم من تأثير في نفسه ، فقد اعتمدت وسائل ثقافة الطفل - بما فيها كتب الاطفال ومجلاتهم - على الصورة المرسومة اعتمادا كبيرا . واستعانت - الى حد ما - بالصور الفوتوغرافية ايضا . وقد ذهب البعض الى القول ان الرسوم والصور تناسب الطفل اكثر من اللغة المكتوبة او الكلام المباشر ، ذلك ان الكلمة المكتوبة تستدعي بعض الجهد لقراءتها وفهمها ، في الوقت الذي لا تستدعي فيه الصورة كل ذلك ، لان الطفل يجد المتعة في التطلع الى الصورة .

ولهذا تصدر في البلدان المختلفة صحف وكتب لا تضم غير صفحات قليلة تعتمد على الصور والرسوم فقط . وهذه الصورة والرسوم بمجموعها تؤلف في الغالب قصصا قصيرة او معلومات عن اداب المائدة او الطريق او عن عالم الحيوان ، ويتقبلها الاطفال الصغار الذين تتراوح اعمارهم سن ٣ - ٦ سنوات بشغف عظيم ، لانهم يستطيعون قراءتها من خلال رسومها ، خاصة وان الرسوم والصور تفوق الكلمة في قوة تأثيرها وسهولة فهمها ، وطول فترة التأثير بها ، لانها تخاطب عيني الطفل وفكره وذوقه وخياله .

وبوسع الاطفال اليوم في مختلف اعمارهم ان يفهموا كثيرا من القصص المصورة ، حتى وان كانوا لا يعرفون اللغة التي تصدر بها تلك المجلات او

الكتب ، معتمدين على الرسوم وما تحمله من تعبيرات ومعان • ففي مجلة ايطالية مصورة للاطفال - مثلا - يستطيع الطفل العربي ان يتعرف الى مضامين كثير من القصص بمجرد التمعن في رسومها حتى وان كان يجهل لغة الطليان •

وقراءة صورة ليست بتلك السهولة دائما ، وكثير من الصور يقف الكبار امامها حيارى لفترة غير قصيرة ، لان الصورة في حد ذاتها ليست الشيء ذاته بل هي تمثيل للشيء • لذا وجب ان تكون الصورة المقدمة للطفل بسيطة ، واضحة ، خالية من كثير من التعقيدات والتفاصيل المربكة ، وان تتناسب وخبرات الطفل ومعلوماته وقدراته • والمعنى ليس في الصورة ذاتها بقدر ما هو في من يشاهدها • وهي ليست الا مثير بصري يوحى بالمعاني ويرتبطها •

وما يزال بعض رجال التربية عندنا يتخوفون من تسلل الاتجاهات الحديثة في كتب الاطفال ومجلاتهم ، ولكن التجارب التي اجريت في الخارج اثبتت ان الطفل يرحب بمختلف الالوان الفنية الجميلة ، فكتب ، الاطفال ومجلاتهم الحديثة هي في الواقع معارض متجولة يشاهد فيها الطفل احداث الاتجاهات والمدارس والمذاهب الفنية • وهذا يهيء له ان يتعرف الى لغة العصر في المجال الفني • (٣٥)

واذا كانت صحف الاطفال الصغار (٣ - ٦ سنوات) تعتمد على الرسوم وحدها ، فان الانسجام والتوازن بين المادة المكتوبة والرسوم لا بد ان يتوافر للاطفال بعد سن السادسة •

والرسوم باعتبارها عناصر بصرية تعتمد على نمو حاسة البصر ، كما تعتمد على قدرات الطفل العقلية عموما ، اضافة الى اعتمادها على مدى ثقافة الطفل ، لان فهم الرسم يرتبط بثقافة الطفل نفسه ، شأنه في ذلك شأن اللغة اللفظية ، بل يسمى البعض الرسوم : لغة غير لفظية • ، وهي بهذا ابعد من ان تكون وسيلة من وسائل التعبير الجمالي فقط •

واكثر الرسوم شيوعا في صحافة الاطفال هي الرسوم الكارتونية
Cartoons ، والكاريكاتيرية Caricature ويقصد بالرسوم الكارتونية
تلك التي تعبر عن افكار وحوادث ومواقف في الوقت الذي يصور
الكاريكاتير الشخصيات قبل اي شيء اخر . ويلاحظ ان كثيرين يريدون
الرسوم الكاريكاتيرية كلاً من الرسوم الكارتونية والكاريكاتيرية ، مصدر
هذا الخلط اعتماد اللونين على اساس واحدة في الرسم .

وتعتمد الرسوم الكاريكاتيرية على ابراز السمات الواضحة او الشاذة،
ويقال ان اصل كلمة كاريكاتير مأخوذة من كلمة لاتينية تفيد معنى الرسم
الذي يبالغ في ابراز العيوب ، لكن هناك رأيا يقول انها مأخوذة عن كلمة
كاريكير الايطالية التي تفيد معنى : يبالغ .

واهم ما يميز الكاريكاتير هو قوة تأثيره الانفعالي الراجع الى قوة
التعبير وعنفه وعمقه ، وقد يعالج الكاريكاتير موضوعا كاملا او قصة او
حادثا او تعليقا على حادثة بالسخرة او التمجيد او الهجاء او التأييد او المدح
او الذم . (٣٦)

ويعاب على الكاريكاتير انه يتحيز الى جانب واحد من الموضوعات
الشائكة التي تختلف فيها وجهات النظر بأن يضخم بعض العناصر ويتفقه
العناصر المضادة ، وبذلك فهو يضل ، اذ يوجي بعدم وجود وجهة نظر غير
الوجهة التي يمثلها ، بينما توجد في الواقع وجهات نظر متباينة . (٣٧)

والرسوم الكارتونية والكاريكاتيرية تناسب الموضوعات ذات الطابع
الهزلي او المرح .

وتشيع الى جانب هذا اللون من الرسوم الوان اخرى في صحافة وكتب
الاطفال منها الرسوم الواقعية التي تناسب المضامين التاريخية والعلمية
والثقافية ، والرسوم الزخرفية التي تناسب الموضوعات الخيالية او الشعبية .

خصائص

الرسوم المناسبة للأطفال :

تتميز الرسوم المناسبة للأطفال في مجلاتهم بمجموعة من الميزات ، من أبرزها :

- ان تكون الصور والرسوم جميلة من وجهة النظر الفنية .
- ان تناسب مستويات نمو الاطفال العاطفية والعقلية والفنية والحسية .
- ان تستخدم الالوان فيها ، مع مراعاة درجات التباين اللونية ، وفي حالة اظهار الاضواء والظلال ينبغي مراعاة الدقة التي تفرضها على اللوحة .
- ان تعبر الصور والرسوم عن الفكرة الرئيسة وافكار الثانوية الاخرى بشكل دقيق .
- ان تكون الرسوم معبرة عن البيئة التي تعبر عنها المادة المكتوبة زمانيا ومكانيا .
- ان يتم التوازن بين المادة المكتوبة وبين الرسوم . فليس من المناسب ان تغطي الصور على المادة المكتوبة كما هو الحال في صحف المسلسلات الهزلية Comics التي تحصر خيالات الاطفال في افاق محدودة ، وتجعلهم فيما بعد مجرد باحثين عن القوالب الجاهزة التي لا تستوجب شيئا من العناء . لان رسوم المسلسلات الهزلية لا تستلزم في العادة غير قراءة سطور قليلة الى جانب الرسوم التي تتضح من خلالها وقائع وحوادث القصص .
- ان تشكل الرسوم مع المادة المكتوبة وحدة فنية متكاملة من خلال الترابط الوثيق بينهما .

الالوان :

تدرك الاشكال من خلال الالوان . . واللون خاصية ضوئية بصرية ، تعتمد على انعكاس موجات الضوء على السطوح . والاجسام التي تعكس

كل الموجات تبدو بيضاء ، بينما تبدو الاجسام التي تمتص كل الموجات سوداء •

وتستقبل حاسة البصر الالوان من خلال انعكاس الموجات ذات الترددات المختلفة ، وتتأثر الخلايا العصبية بها ، وتنقلها عبر العصب البصري الى المخ •

وللون دور مهم جدا في الفن ، لان له اثرا مباشرا في الحواس • وربما وضع اللون في مجموعة متوالية تتقابل ومجال الانفعالات ، فيتقابل اللون الاحمر مع الغضب ، والاصفر مع الفرح ، والازرق مع السوء ، وهكذا •• واغلب الظن ان هناك تفسيراً فسيولوجياً بسيطاً لهذا التقابل ، حيث ان العامل الذي يحدد السرور ، او عدم الارتياح ، هو عدد الذبذبات التي تصطدم بها موجات او اشعة الضوء شبكية العين •• كما ان للون نواحيه السيكولوجية ، فبعض الناس يحبون ، او يكرهون ألواناً معينة لانهم يربطون بينها وبين ما يحبون ، او يكرهون ، فهم يحبون اللون الاخضر مثلاً، لانهم يربطون بينه وبين الربيع ، او يحبون اللون الازرق لانه يذكرهم بالسما •• وهم يكرهون اللون الاحمر لما له من ارتباط عندهم بالخطر • (٣٨)

ويختلف تأثير الالوان في النفوس باختلاف الثقافات والمجتمعات كما يختلف باختلاف خبرات الافراد واحساساتهم وانفعالاتهم فيما يتصل بالالوان المختلفة ، ويفضل اغلب الاطفال الالوان الدافئة الزاهية ، بينما يفضل الكبار الالوان الهادئة • وهناك بوجه عام ، الوان تبعث على السرور والبهجة ، اذ تجلب الهدوء والارتياح الى النفس ، بينما هناك ألوان اخرى تثير في النفس الكتابة • فاللون الاحمر من الالوان المثيرة التي ترمز الى القوة والعنف والدم وشدة التأثير ، وهو رغم ذلك لون يفضله الكثيرون ويرتاحون اليه ، لانه من الالوان الزاهية المشرقة • واللون الازرق يرمز الى الصفاء والهدوء ، وكذا الحال بالنسبة الى اللون الاخضر ، فهو لون مهديء وترتاح

الى رؤيته النفس • ويبعث الاصفر في النفس البهجة والفرح ، بينما تبعث
الالوان البنفسجية القاتمة والسوداء شيئا من الكآبة (٣٩) • وتعتبر الالوان
الأرجوانية عن الخصوبة والرخاء • ولكن المخرج الصحفي او الرسام
لا يعتبر هذه الارتباطات قوانين قاطعة • (٤٠)

ولا تستخدم الالوان لمجرد النواحي الجمالية وحدها ، بل تستخدم
لتسهم في تحقيق التمييز بين مكونات الاشياء ، وإبراز العناصر المهمة ،
وتسهيل ادراك العلاقات وتأكيداتها ، وزيادة واقعية الخبرات وجذب الانتباه،
والتشويق • (٤١)

والاطفال يختلفون في استجاباتهم للالوان ، فبعضهم يميلون الى
الالوان الصارخة كاللون الاحمر والالوان القريبة منه ، وبعضهم يميلون الى
الالوان الهادئة كالخضراء والزرقاء •

وتلون كثير من الرسوم بغير ألوانها الاعتيادية تبعاً للضوء او تعبيرا
عن حالات وظروف نفسية معينة ، كتلوين بعض الوجوه باللون الاحمر
تعبيرا عن العنف والقسوة ، او باللون الاخضر المزرق تعبيرا على الحقد •

الفصل الثاني

كتب الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

كل منا يتذكر - ولا شك - لقاءه الاول مع الكتاب ، وهو ، في الغالب ، لقاء مع الكتاب المدرسي ، الذي لم يكن جذابا ، وكان في لغته وموضوعاته واسلوبه كثير من الجفاف ، كما كان يخلو من الصور والرسوم والالوان الجميلة * . ولو كان الكتاب الاول ملائما لمستويات عقولنا وميولنا ونسونا اللغوي ، جذابا ، زاهيا ، لادخل السرور الى نفوسنا ولا صبح اكثر تأثيرا فنيا ، ولوجدناه كبارجة كبيرة تنقلنا الى عوالم اخرى * وجواد يطوي بنا شيئا من الازمنة واخرى من الامكنة ، وشاشة تعرض لنا ألوانا من الفنون تنمي أذواقنا الفنية ، وتجعلنا اكثر احساسا بالجمال *

ولا شك ان لتلك العلاقة بينا في طفولتنا وبين الكتاب اثارها الواضحة
فينا اليوم * ألم تروا اولئك الذين يعزفون عن الكتب
اليوم عزوف الذباب عن نسيج العنكب ! ألم تروا اولئك الذين يجمعون
الكتب لغرض الجمع ، او اولئك الذين لا يحسنون اختيار ما يقرأون ، او
اولئك الذين يرددون ما قرأوه في الاندية والمجالس كالبيغاوات دون ان
تكون لقراءاتهم تأثير في حياتهم ! ؟ * ان هؤلاء جميعا لم تكن لقاءاتهم
الاولى مع الكتاب حميمة - في الغالب - لان الكتاب لم يقدم نفسه اليهم في
طفولته كرفيق مهيب *

وكم من مرة كانت الكتب الاولى سببا في اقبال الاطفال على القراءة
الواعية المستمرة ، مثلما كانت في مرات اخرى سببا في نفرة اطفال اخرين
وعزوفهم عن القراءة * * ولاشك ان للكتاب نفسه وللظروف المصاحبة
لتقديمه الى الطفل اثرها الفاعل في هذا او ذاك *

كتب الاطفال الاولى تضع لهم خطواتهم على طريق معرفة الناس ، سواء
اكانوا يقيمون حوالهم ام بعيدا عنهم ، حيث يقفون عند طباعهم وعاداتهم
وعواطفهم وطموحاتهم واهتماماتهم واعمالهم وحضارتهم ، كما انها تفتح
اذهانهم على ما اعتدنا - نحن الكبار - ان نسميه « خيرا » وذلك الذي نسميه
« شرا » ، فتنمو مقدرتهم على اتخاذ المواقف الصائبة *

ويعتاد الاطفال - من خلال الكتب - على الكلمة المطبوعة التي تفتح
امامهم عوالم من الصور وتنمي قوة خيالاتهم (٤٢) *

ومن خلال هذا او ذاك يقف الطفل عند مواقف جديدة غير التي
يصادفها في بيئته كل يوم فتتنامى رويدا رويدا حواسه ومداركه وتتطور
ملكة تفكيره *

ان اي مثقف لا يستطيع الا ان يشير الى ما لا يقل عن كتاب واحد كان
له الاثر الكبير في حياته بشكل ما *

ويرى الخبير الفرنسي « مورييس فلورانت » ان كتب الاطفال تقودهم الى التفكير والتأمل وطرح الاسئلة على انفسهم وعلى الآخرين ؛ او بمعنى اخر تؤهلهم للمرحلة التالية التي هي مرحلة المراهقة •

ويرى ان الهدف الاساس لقراءة الكتب هو تأمين الارتباط المستمر بين نمو الطفل الجسدي ونمو تفكيره وادراكه مع تجنبه اي انقطاع يمكن ان يحصل في نمو شخصيته لدى انتقاله من مرحلة الى مرحلة ، خاصة وان العصر الراهن يحتاج بصورة دائمة الى زيادة معلومات الطفل التي يمكن ان يليها الكتاب وينمي الرغبة في اكتساب معارف جديدة • (٤٣)

ويشير الشاعر الفرنسي بول ايلوار الى ان الكتاب يعطي القارئ العلوم والمعلومات والانفعالات ، وان الكتاب اذا قرئ من قبل شخصين فانه يقيم جسرا يربط بينهما ، ويستطيع هذا الشخصان اللذان اطلعا على الكتاب مثلا ان يختلفا في تقييمهما له من خلال الاختلاف الايديولوجي والاجتماعي والديني ولكن الكتاب يستطيع ان يقربهما بعضهما الى بعض بالرغم من ذلك لانهما سيحصلان معا على ثروة مشتركة •

وللكتاب تأثيره في الطفل لما له من قدرة على تغذية الصفات الانسانية النبيلة في نفسه ، وتمكينه من تذوق الجمال وتقييمه ، وتعريفه الى كثير من المعارف والقيم ، اضافة الى امتاعه وادخال السرور الى قلبه •

ويؤكد الخبير الفرنسي فلورانت ، ان قدرة الكتاب تنبع من كونه يقدم الافكار والقيم والمفاهيم والمعلومات الى الاطفال مثبتة على الورق ، حيث يتيسر لهم ان يتعاملوا معها وقتا طويلا باناة وتوأدة ، كما يمكن لهم ان يعودوا اليه في اي وقت يشاءون ، في حين لا يتهيا لهم ذلك من خلال الاذاعة او التلفزيون او السينما او المسرح ، اذ كثيرا ما تغيب عن اذهانهم الصور والقيم بعد وقت غير طويل •

وللكتاب ميزة اخرى انه يبقى بالاضافة الى ذلك الوسيلة التي يمكن

اصطحابها في لحظات الوحدة واوراق الراحة لتدخل في نفس الطفل الانس وتزوده بشتى العلوم والمعارف والصور •

والذي يميز كتاب الطفل عن مجلته هو ان الكتاب يضم لونا ادبيا معينا في الوقت الذي تشكل المجلة اضمامة ملونة من القصص والصور الادبية الاخرى والاخبار ، ولا يمكن لاحدهما ان يكون بديلا عن الاخر لان لكل منهما دوره في حياة الطفولة •

وهناك مطبوعات تأخذ من الكتاب مادته ومن المجلة الصدور في مواعيد ثابتة ، وهي في هذه الحالة تأخذ حالة وسطا بين الكتاب والمجلة ، حيث تصدر في سلاسل متلاحقة ، تأخذ كل سلسلة موضوعا معينا ، ففي الوقت الذي تتناول فيه سلسلة معينة موضوع الاتصالات بين الناس منذ اقدم العصور ابتداءا بالحمار حتى مركبات الفضاء - مثلاً - ، تتناول سلسلة اخرى موضوعا اخر كالفضاء مبتدئة بتصورات الانسان الخرافية عن الفضاء وصولا الى معارف الانسان الحديثة عن الكون •

وتقسم كتب الاطفال من حيث مضامينها الى : كتب قصصية ، وهي التي تتضمن قصة او مجموعة من القصص سواء كانت قصصا واقعية ام خيالية ام بوليسية ام تاريخية ام علمية ام اجتماعية ام دينية ، او كتب علمية ، وتستهدف ايصال الافكار العلمية للاطفال والاجابة عن تساؤلاتهم في مجالات العلوم عموما ، وكثيرا ما تتخذ هذه الكتب شكل سؤال او جواب او تتخذ بناء ادبيا قريبا الى القصة ، او على شكل رحلات علمية بين البقاع والبحار والمحيطات او بعيدا في الاجواء بين السحب ، او في الفضاء بين الكواكب والنجوم والمجرات • والكتب الدينية ، وتسمى الى تبسيط المعلومات الدينية للاطفال ، وتستعين في العادة بسرد قصص الانبياء والوقائع والمثل والحكم الدينية ، ومثل هذه الكتب اذا لم تقدم مضامينها بشكل ادبي وسليم فانها قد تلقي في نفوس الاطفال الصغار الخوف والهلع خاصة اذا

تضمنت قصصا عن الاولياء والجان وغيرها من الامور التي لا يمكن تقديم كل الاجابات للاطفال عنها بشكل مقنع حيث ان تظل تلك الجوانب مبهمه امام الاطفال ويظلون يتساءلون عنها بالحاح * وكتب الشعر والاغاني والانشيد، وكتب الحوليات ، ودوائر المعارف والمعاجم المصورة ، وكتب الرحلات ، والكتب التاريخية وكتب المشاهير *

ومن جانب آخر تقسم كتب الاطفال وفقا لمراحل نمو الاطفال ، حيث نجد كتباً خاصة بالاطفال الذين ما يزالون دون سن المدرسة ويطلق عليها كتب الاطفال الصغار ، وكتب اخرى للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ٦ - ١٢ سنة ، وكتب اخرى لمن هم اكبر من ١٢ سنة *

المبحث الثاني

كتب الاطفال الصغار

في تقديمنا لفصل « قراءات الاطفال » اشرنا الى العوامل الاساسية التي تؤثر في مدى استجابة الطفل للكتاب . وقد قسمت تلك الاستجابات ابتداءً من السنة الثالثة . ووجدنا أن مراحل نمو الاطفال عقليا وعاطفيا ونفسيا واجتماعيا ولغويا من جانب ، وطبيعة البيئة التي يحيا فيها الطفل والاستعداد الذي يكتسبه الطفل من تلك البيئة من جانب آخر ، تقرر نوع وطبيعة استجابة الطفل نحو الكتب .

والسنوات التي تسبق دخول الطفل الى المدرسة تشكل مرحلة حاسمة من حياته ، لما لها من تأثير كبير في مستقبله ، وتشير البحوث والدراسات النفسية والاجتماعية ان الطفل يمر في هذه الفترة بمرحلة تربوية تفوق خطورتها أية مرحلة تربوية مقبلة .

ومن هنا تتأتى خطورة الثقافة للطفل خلال هذه المرحلة ، وخطورة توجيهه توجيهها سليما ، ولكن اذا كان من اكبر الاخطاء التبكير بتوجيهه

الطفل توجيهها مقنناً قبل الموعد المناسب او تأخير توجيهه الى ما بعد فوات الوقت الملائم ، فان هناك خطأ آخر لا يقل خطورة هو : الخطأ في طرق واساليب التوجيه •

وقد نشأ خلال السنوات الاخيرة اهتمام جدي بهذه المرحلة في بلدان العالم المتقدمة ، على وجه الخصوص ، فأنتجت الافلام القصيرة التي يستطيع الاطفال الصغار فهمها ، وقدمت لهم برامج تلفزيونية ومسرحيات وكتب ومجلات •

وبهذا ظهرت اضافة جديدة من ادب الاطفال لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة ولم يدخلوا المدارس بعد •• واطلق على هذه الاضافة : أدب الاطفال الصغار •

واذا كانت صورة هذا الادب واضحة بعض الوضوح من خلال التلفزيون والمسرح ، فهي من خلال الكتاب والمجلة تثير التساؤل : اذ كيف يمكن لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد أن « يقرأوا » الكتب والمجلات ؟!

والاجابة عن ذلك يسيرة ، ذلك ان كتب الاطفال الصغار تعتمد على الصورة قبل الكلمة ، حيث يجد الاطفال كتاباً في صفحات قليلة يزدان بالرسوم الجميلة المتتالية التي تشكل في مجملها قصة قصيرة او فكرة بسيطة صغيرة • ويستطيع الطفل في هذا العمر من فهم عدد غير قليل من تلك القصص والافكار بنفسه ، ولكن في كثير من الاحيان يتولى الاب او الام معاونة الطفل في تقليب صفحات الكتاب ، ومتابعة وقائع القصة أو تبين الفكرة التي تعبر عنها الرسوم •

وبعض كتب الاطفال الصغار تكتفي بالرسوم وحدها عندما تستطيع الرسوم ابراز حوادث القصة وفكرتها ، وفي احيان اخرى تكتفي بكلمة واحدة او مجموعة كلمات في الصفحة الواحدة ، لتكون عوناً للام او الاب

في قراءة حوادث ومضمون القصة ، وحيانا تنصدر الكتاب مجموعة من السطور ، هي القصة بكاملها ، بينما تحوي الصفحات الاخرى رسوم القصة فقط .

وكتب الاطفال الصغار ، ذات اشكال جذابة ، ورسومها زاهية ، وصفحاتها سميكة مصنوعة من الورق والمقوى او القماش او البلاستيك . ولا تقتصر كتب الاطفال الصغار على القصص المثورة ، بل تتوفر كتب تتناول موضوعات متعددة كالشعر والغناء والمعلومات .

ومن كتب الاطفال الصغار ما لها مزايا اللعبة ، كالكتب التي تطوى طياً ، أو تفك وتشكل تشكيلات مختلفة ، والكتب التي يمكن للطفل أن يحولها الى مجسمات كالقطارات والسيارات والعمارات ، وترفق مع بعض هذه الكتب دمي صغيرة تتحرك بين أقسام القطارات او السيارات او العمارات ، كما ترفق مع بعض الكتب دمي عديدة تمثل كل أشخاص القصة ، بحيث يتسنى للطفل أن يستعيد القصة من خلال الدمي ، ويرتبها شخصية بعد شخصية حسب ظهورها في القصة ، معتمدا في ذلك على رسوم الكتاب ذاتها .

وقد يستهين البعض بأهمية الكتب للاطفال في هذه المرحلة ، واولئك ، ولاشك ، يجهلون تأثيرها القوي في نفوس الاطفال . فهي تنمي في أعماقهم أفكارا واتجاهات نفسية واحساسات وخبرات جديدة ، وتقوي قدراتهم على الملاحظة الدقيقة ، وتفتح أمامهم آفاقا واسعة من المعرفة والاكتشافات ، وتعد واحدة من المنبهات القوية المحيطة بالطفل .

فمن خلال نقل الراشد - أما كان ام أبا أم أخا أكبر - الى الطفل مضامين الكتاب ، يتزايد نمو الطفل اللغوي ازديادا واضحا ، حيث يتعرف الى مفردات وتعابير جديدة ، اضافة الى تعرفه الى نطق الكلمات بشكل صحيح ، وقد لايتهيأ للطفل ذلك كله في هذا العمر دون الكتاب .

والاصغاء ، الذي يقولون عنه انه فن ، يمكن ان يعتاده الطفل منذ

صغره ، عن هذا السبيل ، لان مضمون الكتاب الجيد يجذب الطفل ويسحره ، فينتبه ، بكل جوارحه ، الى ما ينقل اليه منه ، ولا شك ان الاصغاء الجيد هو الاساس الذي يتيح للطفل تقبل قيم ومفاهيم وافكار كثيرة في مستقبل حياته .

يضاف الى ذلك ان علاقة تعاطف متينة تقوم بين الطفل والراشد ، أبا كان أم أم أخا أكبر ، حين يجد الطفل من يعنى به ، ويقدم له قصصا وأفكارا لذيذة ، واجابات عن كثير من التساؤلات التي قد تعن له . وهذه العلاقة هي أساس الشعور بالثقة بين الطفل ومن حوله ، وهي كفيلة بالاسهام في منحه الثقة كي يجتاز اساليب مرحلة الطفولة الاولى .

ومن خلال الصور المعبرة يستوحي الطفل خيالات تزيد في آفاقه ، حيث تفتح له السبيل لتخيل صور تفوق تلك التي يراها ، وبمرور الوقت يبدأ في توقع نتائج معينة ، ويصدر أحكاما ، ويكتسب قدرة على فهم العلاقات بين الاسباب والنتائج الى حد ما .

وفوق هذا وذاك فهي تنمي الذوق الفني لدى الاطفال من خلال صورها الجميلة التي تشكل الوانا من الفنون التشكيلية .

وهذه كلها تضاف الى دور هذه الكتب في تنمية علاقة وطيدة بين الطفل والكتاب قبل سن المدرسة . والطفل الذي تقع عيناه على الكتب لأول مرة عند دخوله المدرسة يميل الى الربط بين الكتب وبين وضعه الجديد الذي كثيرا ما يهاب منه او يرفضه ، وعند ذاك تظل النفرة بينه وبين الكتاب مستمرة حتى بعد انهاؤه دراسته .

ولا شك ان مادة الكتاب ، في هذه المرحلة ، من حياة الطفل ، تلعب دورا بارزا في تنمية احساس رقيق لدى الطفل ينم عن رضاه عن نفسه أولا وعن الكتاب ثانيا . وعليه ينبغي ان لا تكون مادة الكتاب ساذجة دون مستوى الطفل او صعبة لا تتسع لها قدراته ، لان سذاجتها تجعله يستهين بالكتاب ، و تفقد في نفسه روح التحدي ، ولا يجد في الكتاب تلبية لحاجة

من حاجاته • وصعوبتها توقع الكتاب في دائرة فقرة الطفل ، وعند ذلك قد تكون العلاقة - عندما يساء تقديم الكتاب المناسب للطفل - نقطة افتراق بين الطفل والكتاب في وقت يراد للطفل فيه ان يشعر بحاجة طبيعية الى رفقة دائمة مع الكتاب ، والاستمرار في التعلم ، استنادا الى الخبرات السعيدة الاولى •

ويمكن من خلال هذه الكتب تناول حكايات صغيرة ، قصيرة ، ابطالها في الغالب ، من الحيوانات ، كما يمكن تناول معلومات عامة ، وكل ما يفرس فيهم قيم الاعتماد على النفس والمثابرة والشجاعة ، وحسب الطبيعة والرفق بالحيوان ، وحسب الوالدين ، وآداب المائدة والمحادثة ، والنظافة ، فضلا عن اسباغ روح المرح على حياة الاطفال •

ان تكوين العادات الصحيحة لدى الاطفال من اهم اغراض التربية الخلقية ، لان كثيرا من جوانب السلوك تقوم عليها • ومعاونة الطفل منذ نعومة اظفاره على تكوين العادات السليمة من خلال الكتب - الى جانب ادوات ووسائل اخرى - هي من اساسيات توجيه الاطفال •

ويستلزم الحذر الشديد والدقة في مخاطبة الطفولة في هذا العمر ، لان اكتساب الطفل لاي عادة سيئة سيكون لها تأثير سلبي كبير في نفسه ، اضافة الى ان تعلم عادة سيئة في البداية يعرقل كثيرا من العادات الطيبة • وتصحيح اية عادة سيئة يستغرق وقتا طويلا وقد لا تؤدي المساعي الى نتيجة مجدية •• ان الاطفال في هذا العمر يمتلكون مرونة واستعدادا تمهيدان لانشاء العادات والقيم الطيبة •

والمؤسف اننا لا نجد كتباً لاطفال هذه المرحلة من مراحل الطفولة في الوطن العربي وقد نجد احيانا كتباً مترجمة فقط ، هي في حد ذاتها غير مناسبة لاطفالنا •

والطريف ان بعض كتب الاطفال لهذه المرحلة في بعض بلدان تتناول موضوعات غريبة • ففي السويد مثلاً تصدر كتب للاطفال الصغار تتحدث عن كثير من جوانب الحياة ، بما في ذلك قضايا الجنس (٤٤) •

المبحث الثالث

كتب الاطفال في العالم

بعد اختراع الطباعة ، صدرت كتب عديدة تضم حكايات شعبية وخرافات ، وكان في مقدمتها خرافات ايسوب التي طبعت بين عامي ١٤٧٥ - ١٤٨٠ •

ولم تكن تلك الخرافات الشعبية مخصصة للاطفال ، ولكن كان يمكن لهم ان يجدوا في بعضها شيئاً من المتعة • وقد أدخلت بعض تلك الخرافات والحكايات في المناهج الدراسية المقررة •

واعقب ذلك صدور كتب دينية عديدة منها على سبيل المثال كتاب « وصية لابن » لفرانسيس اوزبون عام ١٦٥٦ •

وفي عام ١٦٥٨ صدر اول كتاب مصور للاطفال •

وبعد ترجمة الف ليلة وليلة الى اللغات الاوربية ابتداء من عام ١٧٠٤ ، وغيرها من الحكايات والاقصاص العريية ، والشرقية عموماً ، اخذ

الكتاب الاوربيون ينسجون قصصا للاطفال من وحي تلك الحكايات والاقاصيص *

ورغم ذلك ، فان اهتماما حقيقيا بكتب الاطفال لم يكن ظاهرا آنذاك * بل ان جان جاك روسو اكتفى بكتاب واحد هو « روبنسون كروسو » للطفل « أميل » *

واول من اصدر مجموعة وفيرة من كتب الاطفال هو الناشر والاديب جون نيوبيري (١٧١٣ - ١٧٦٧) اذ تولى مع عدد من المؤلفين تبسيط عدد كبير من قصص الكبار وتقديمها الى الاطفال في سلاسل كتبه ، منها رحلات جاليفر ، وروبينسون كروسو ، وغيرها من القصص والحكايات الشعبية والخرافات *

ولكن مع بدايات هذا القرن حدث تغير هائل في عالم ثقافة الطفل وكتبه ومجلاته * ويصل الاهتمام بكتب الاطفال اليوم مرتبة متقدمة * ففي الاتحاد السوفيتي يجد ٧٠ مليون طفل يتكلمون ٥٧ لغة ما معدله ٣ كتاب جديد لكل طفل ، وهذه النسبة توازي ما يصدر من كتب الاطفال في انكلترا تسع مرات ، وفي الولايات المتحدة الامريكية اربع مرات * ورسوم تلك الكتب في الغالب ، ذات طابع واقعي بعيد عن التجريدية * وتتولى اصدارها عشرات الدور المتخصصة بنشر كتب الاطفال ، ينصرف فيها عدد كبير من الكتاب والرسمين والعلماء والمربين والمختصين بشؤون الطباعة * وتصدر هذه الدور في العام الواحد ما يزيد عن الف وخمسمئة كتاب بملايين النسخ ، منها الكتب القصصية ، والكتب العامة ، والكتب العلمية المبسطة والعلمية الخيالية ، وكتب الشعر ، وكتب الفنون التشكيلية والموسيقية ، والكتب التي تتحدث عن مشاهير العالم في مجالات الفكر المختلفة ، وكتب الرحلات وتطبع بعض هذه الكتب باكثر من ٣٠٠ ألف نسخة * (٤٥)

ومن بين هذه الكتب ما هو مترجم عن لغات اخرى ، ومن ابرز الكتاب الذين يترجم لهم هناك الكتاب الانكليزي والامريكي ، والفنلندي والهنود

والبولنديين والبلغار ، وغيرهم • وفي عام ١٩٦٤ ترجمت كتب اطفال من ٧٢ لغة الى مختلف اللغات في الاتحاد السوفيتي

هذا ، مع العلم ، دار النشر الاولى لكتب الاطفال ، قد انشئت خلال الايام الصعبة لمولد الاتحاد السوفيتي ، وكانت اول دار نشر لكتب الاطفال في العالم • ويزيد اجمالي الكتب التي صدرت عنها وعن الدور السبعين الاخرى المتخصصة بالنشر للاطفال ، حتى الان اكثر من ٤٥٠٠ مليون نسخة •

وتركز الكتب التي تصدرها دور النشر السوفيتية على تغذية صفات العطف ، وامداد الاطفال بالقابلية على تقييم الجمال وتشويقهم الى الوقوف على ما ضيهم وحاضرهم ، وادخال السرور الى نفوسهم ، لكي ينشئوا فيهم القوة والشجاعة وحب العمل الجماعي وحب الانسان ، مع تعريفهم بدولتهم ، وكان مكسيم غوركي يقول :

« يجب ان نكتب للاطفال كما نكتب للكبار • ولكن يجب ان نبذل عناية خاصة واهتماما كبيرا بما نكتب للاطفال ، فالاطفال يتطلعون الى شيء مثير وغير عادي •• فلنقدم لهم هذا الجديد ••

وفي المانيا الديمقراطية تعمل (دار نشر الاطفال - برلين) على اصدار كتب خاصة بالاطفال ، لمختلف مراحل الطفولة ، وهي تستعين بكبار المؤلفين والرسامين والمختصين بشؤون الكتب والمكتبات • وكانت هذه الدار قد اسست عام ١٩٤٩ ، واصدرت منذ ذلك التاريخ هذه الدار اواسط عام ١٩٦٦ اكثر من ٨٥ مليون كتاب • وقد احتفلت هذه الدار عام ١٩٧٤ بالعيد الخامس والعشرين لتأسيسها ، واصلت عن انتاجها ١٢٥ مليون نسخة من كتب الاطفال •

ورغم ان اهتمام الدول الاشتراكية بكتب الاطفال اوسع واكبر بكثير من اهتمام البلدان الغربية بوجه عام ، الا ان شركات واتحادات دور النشر

الغربية تقوم بدور كبير في اصدار الوان الكتب الخاصة بالاطفال ، وهي في غالبيتها ذات طابع تجاري ، باستثناء الكتب التي تتولى التنظيمات الدينية والسياسية اصدارها .

ففي انكلترا تقوم دور النشر الخاصة بنشاط واسع لنشر الكتب التعليمية وكتب الاطفال ، حيث ان وزارة التربية هناك لا تقرر كتباً معينة على التلاميذ في اغلب المواد ، بل تضع المناهج ثم تقيم المعارض الدائمة للكتب التعليمية ليطلع عليها المعلمون لاختيار افضل الكتب التي تعالج الموضوعات الواردة في المناهج ، وهم يختارون اكثر من كتاب في كل مادة كي لا يتحول التلاميذ الى ما يشبه الآلة الحافظة او آلة التسجيل ، كما انهم لا يفرضون اتجاهها معينة او وجهة نظر محددة في اي من المواد ، ويدربون الاطفال على تجميع المعلومات من عدة كتب ، ويعملون على تنمية قراءات الاطفال ودفعهم الى بذل الجهد لالتقاط المواد الدراسية من بين صفحات كتب عديدة ، كي لا يصبحوا سلبين او مجرد متلقين . اذ يرون ان كتاباً واحداً مقررًا يجعل من الكتاب مقدساً ، وهمهم هو تحطيم قدسية كتاب واحد ، وعدم احاطة كتاب ، مهما كانت قيمته بهالة من القدسية التي تحول بين الطفل وبين كتب اخرى وكتاب اخرين .

وعليه ، لا تتضح هناك فوارق كبيرة بين الكتاب المدرسي وبين الكتاب الثقافي ، حيث انهما يتداخلان ويتمزجان في كثير من المواد مثل اللغات والعلوم والاجتماعيات والرياضيات ولكن الى جانب ذلك تتوفر كتب اخرى ، تباع في حوانيت الكتب ، ويشتريها الاباء والاطفال وتزود بها المكتبات المدرسية ، وتشتمل على القصص والحكايات وشؤون المعرفة الاخرى » (٤٦)

وفي ايطاليا يلاحظ ان ٨٠٪ من كتب الاطفال مترجمة عن مؤلفات لكتاب غير طليان ، فالكتب المقدمة لهم غريبة عنهم ، وكثير منها ، اما

مجموعات من المعارف والمعلومات المدرسية ، كدوائر المعارف ، او مجموعات من القصص المليئة بالمغامرات التي تدور اغلبها حول الحرب العالمية الثانية ، وبالذات في الفترة التي احتل فيها النازيون ايطاليا ، وتستهدف هذه القصص تأكيد معنى سياسي : هو ان ايطاليا تقاوم النازية والفاشية ، وانها كانت مع الحرية . . وذلك بهدف ربط عجلة البلاد والاطفال بالغرب والفكر الغربي . (٤٧)

وتتدفق على ايطاليا كتب المسلسلات والمغامرات الامريكية التي تعمل على تخريب عقول الاطفال .

المبحث الرابع .

كتب الاطفال في الوطن العربي

في الوقت الذي عم العالم كله اهتمام واسع بكتب الاطفال ، ظل الطفل العربي دون كتاب خاص به . . . واذا اردنا ان نقول الحقيقة كلها ، فان كتباً قليلة صدرت للاطفال بمبادرات شخصية بادية الامر وقد استغلت مؤسسات « ثقافية » اجنبية ذلك الجذب في عالم ثقافة الطفل العربي ، فعملت على نشر عدد من الكتب المترجمة ، وتعاونت مع مؤسسات نشر عربية في هذا المجال ، واغدقت على بعض الكتاب والمترجمين بالاموال كي ييسروا لها هذه المهام . ولم تكن تلك المؤسسات « الثقافية » الاجنبية تريد للطفل العربي ان ينمو نموا سليما ، ولا شك ، بل كانت تهدف الى تكريس الاتكالية والانانية والابالية في نفوسهم ، وتسريب المفاهيم الاقليمية الى قلوبهم الغضة ، وابعادهم عن واقعهم ، ليشبّوا ، فيما بعد ، غرباء عن الحياة ، متمردين ، ناقلين ، جبناء لا تربطهم وحدة فكرية او ثقافية محددة الابعاد بقدر ما تمزقهم اشئان من الافكار والمفاهيم المتناقضة .

وبذلك ، وجدت تلك الكتب الطريق الى قطاع محدود من الاطفال .

وكانت حجة القائمين على اصدارها ، واولئك الذين فتحوا اذرعهم لها - من غير الاطفال - : ان اطفالنا وجدوا فيها كثيرا من اللذة * ولكن هذه الذريعة مردودة ، لان تلك « اللذة » التي تحملها تلك الكتب المترجمة منبعا « المخدر » *

وهذا لا يعني اننا نريد حجب كتب الاطفال الاجنبية عموما عن اطفالنا ومنع ترجمتها الى اللغة العربية ، ولكننا نشير هنا الى اتجاه كانت قد خطت له « جهات » انشئت بالاساس في بعض الاقطار العربية لتتولى تسهيل مهام الغزو الثقافي ، فانتقت من كتب الاطفال الغربية ما يحقق لها ذلك *

هذا بالنسبة الى بعض كتب الاطفال الاجنبية التي رشح بها اطفالنا رشقات خفيفة ناعمة كانت شديدة الوقع في تأثيرها *

وكان يوازي هذا الاتجاه ، اتجاه اخر لا يقل ضررا عن الاتجاه الاول ، وهو تقديم اشقات متفرقة من حكايات العرب وايامهم ومعاركهم وامثالهم بشكل عشوائي ، لم يستند الى اسس سليمة تتفق مع قدرات الاطفال العقلية والخيالية واللغوية ، ولم تجر عمليات انتقاء وتنقية مناسبة لتلك الحكايات والايام والمعارك والاقوال والامثال ، بل قدمت بكل ما فيها من جفاف ومن قيم سلفية ، واحيانا كثيرة ، بلغة عربية غير معاصرة * وقد كان لهذا اثره في عزوف الاطفال عن قراءتها *

وفوق هذا وذاك ، فقد صدرت بعض كتب المعلومات والمعارف العامة ذات الطابع المدرسي ، وقد قيل عنها انها كتب اطفال * لكن الاطفال لم يأبهوا لها كثيرا لانهم لم يجدوا فيها ما يجتذبهم *

ولكن لا بد من الاشارة الى ان كتبنا ذات مضامين تراثية واخرى مترجمة صدرت بمستوى جيد ، ولكنها كانت نادرة الى حد بعيد *

وخلال السنوات الاخيرة ، وبالذات عند مطلع السبعينات بدأ الوعي باهمية كتاب الطفل يتسع فوجدنا مؤسسات عربية تعنى بشؤون كتاب الطفل

في العراق وتونس ولبنان ، وهذه العناية يمكن ان تكون منطلقا لاصدار كتاب الطفل المناسب *

وفي المؤتمر الاول لثقافة الطفل الذي عقدته وزارة التربية والتعليم في مصر من ١٤ الى ١٦ مارس ١٩٧٠ تنبه المؤتمر الى ذلك الفيض من كتب الاطفال الذي لم يكن يشتمل الا على عدد قليل مناسب ، حيث جاء في توصيات ذلك المؤتمر :

[لو حاولنا احصاء الكتب الصادرة باللغة العربية لوجدنا ان عددها نسبيا غير قليل ، ولكن اغلبها تتميز بطابعه الضعيف * لذا فان المؤتمر يناشد العاملين في ميدان اصدار كتب الاطفال من مؤلفين ورسامين وناشرين ومن اليهم ان يجعلوا لمعايير الجودة والاتقان المكانة الاولى من اهتمامهم بصرف النظر عن « عدد » الكتب التي يصدرونها] *

والواقع ان كتاب الطفل يواجه مشاكل خاصة به ، اضافة الى ان مشكلة الكتاب بوجه عام تؤثر هي الاخرى على كتاب الطفل ، بما في ذلك قلة انتاج الكتب ككل في الوطن العربي *

والاحصائيات بهذا الشأن تشير الى ان انتاج الكتب في الوطن العربي يبلغ حوالي خمسة الاف كتاب في السنة اي ١/ من المجموع العالمي الذي بلغ عام ١٩٦٩ حوالي نصف مليون كتاب ، وهناك فجوة فيما يخص الكتب العلمية ، اذ ان ٤٠٠ كتاب فني كل عام لا يلبي حاجة الاقطار العربية التي تواجه مشاكل التطور والتنمية * (٤٨)

وعلى هذا فان معدل الانتاج السنوي في الوطن العربي يبلغ ٤٠ كتابا لكل مليون نسمة مقابل المعدل العالمي البالغ ١٤٠ كتابا ، وعدد النسخ ٤٠٠ لكل فرد مقابل المعدل العالمي البالغ ٣٣٣ *

وفي عام ١٩٧٠ كانت كتب الادب والكتب العامة تمثل ٢٠٪ من المجموع او حوالي الف كتاب ، طبع منها ثلاثة ملايين نسخة بينما كان ينبغي

ان تصل الى اربعة الاف كتاب بثمانية عشرة مليون نسخة حسب حاجات الحد
الادنى . (٤٩)

وفي عام ١٩٧٠ بلغ عدد الاطفال دون سن الخامسة عشرة ٥٤ مليونا في
الوطن العربي او ٤٥٪ من مجموع السكان ، منهم ٣٢ مليونا يمكنهم
القراءة ، وهم يحتاجون الى ما لا يقل عن ١٥٠٠ كتاب سنويا باثنين وثلاثين
مليون نسخة .

عيوب اخرى في كتب الاطفال في الوطن العربي :

اضافة الى ضعف مستوى كتب الاطفال في الوطن العربي عموما ،
وضالة عددها نسبة الى سعة جمهور الاطفال ، هناك جوانب ضعف اخرى ،
من ابرزها :

١ - نحن نعلم ان كل طور من اطوار الطفولة له خصائصه وحاجاته
الخاصة ، وهذه الخصائص والحاجات تفرض لكتاب الطفل في كل مرحلة
شكلا ومضمونا ، يتناسب وقدرات الطفل النفسية والاجتماعية والعقلية
واللغوية .

ولكن هذا الجانب الاساسي في ادب الاطفال غائب الى حد بعيد ، فما
تزال كتب الاطفال ذات طابع شامل . ففي كتاب واحد نجد قصة يمكن ان
تصلح لاولئك الذين لم يصلوا سن المدرسة الى جانب قصة اخرى لا تصلح
الا لاولئك الذين شارفوا على اعتاب المراهقة ، بل قد نجد الى جانب ذلك
قصة ثالثة لا تصلح للطفولة اساسا . وهذا لا ينطبق على كتب القصص
وحدها بل يتعداها الى جميع الالوان الادبية التي يجدها الطفل في كتابه .
فهذا كتاب « ديني » نجد في الفصل الاول ما يرعب الطفولة ويفزعها عن
طريق ايراد غيبيات لا يمكن ان يستوعبها الطفل ، وفي الفصل الثاني كلام عن
الجنة التي تجري من تحتها الانهار ، والنار الموقدة وفي الفصل الرابع عودة
الى ما هو مفزع ومخيف من خلال كلام ينطوي على ما معناه : ان الموت آت
اليكم ياتاركبي الصلاة .

ونجد كتابا آخر ذا صبغة علمية يتناول فصولا عن « اصل الانسان » يقول ان اجدادنا كانوا قرودا يتسلقون الشجر ويرقصون • ولا شك ان الطفل غير قادر على فهم مثل هذه الامور •

ويمكن ان نجد أمثلة كثيرة تكشف لنا عن عدم توافق مضامين كتب الاطفال مع مراحل نموهم •

يضاف الى ذلك اننا نجد كتباً لا تتلاءم في لغتها واسلوبها مع ذخيرة الطفل اللغوية ، ونجد اخرى تتحدث بلغة بدائية ساذجة في الوقت الذي ينبغي فيه ان تتناسب الالفاظ والعبارات طرديا مع الحصيلة اللغوية للطفل • اما بالنسبة الى كتب الاطفال الصغار التي تقدم لأولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد ، فان دارا للنشر لم تجرؤ حتى اليوم على اصدارها لان بعض تلك الدور تتوخى الربح المادي ، وهي لا تريد ان تجازف في بدايات لا تتوقع لها مثل ذلك الربح •

٢ - هناك كثير من الكتب الصادرة للاطفال لا تلتزم الدقة العلمية ، وحجة بعض كتابها ، اننا يمكن ان نقدم للاطفال ما يمتعهم ويسليهم دون اعتبار لتلك الدقة ، ولكن من قال ان التحرر من الالتزام العلمي هو سبب لامتناع الاطفال وتسليتهم •• ان الكتابة الفنية للاطفال توجب مزيدا من الالتزام بالدقة • والكتاب المجيد هو الذي يلتزم هذا الجانب ، ويضفي عليه ما يمتع الاطفال وما يثيرهم وما يجذبهم • ونحن حين نقدم المعلومات والافكار الخاطئة للاطفال سنواجه صعوبة بالغة في تصحيحها في مستقبل الايام ، فضلا عن ان تلك المعلومات الخاطئة التي تقدم للطفل لا تتيح له ان يتعرف على الحياة تعرفا صحيحا •

٣ - ومن حيث النسل ، وما يزال اخراج كثير من كتب الاطفال العربية ضعيفا ، فاغلب الكتب المترجمة تنقل الرسوم الاصلية ، وبعض تلك الرسوم تصور جوانب من الحياة والتفكير والعادات والازياء تختلف عما هو متعارف عليه بيننا •

وبعضها ، لا تستعين بالرسوم اطلاقا ، وهذا نقص كبير ، لان للرسوم دورها الكبير في تنمية الذوق الفني للطفل ومساعدته على تكوين صور ذهنية جديدة لمضمون الكتاب ، اضافة الى ان الرسوم والالوان تبعث في نفس الطفل الرضى •

وبعضها الاخر ، تستعين بالرسوم ، ولكنها تجعل منها خلفية للكتابة ، وفي هذه الحالة قد تغطي الكتابة على الرسوم ، او قد تغطي الوان الرسوم ، على الكتابة وبذا تفقد الصورة تأثيرها •

وكثير من تلك الكتب تطبع بحروف ناعمة يضجر الطفل من قراءتها ، واخرى تزيد في تعقيد القراءة عن طريق تشكيل او اخطر الكلمات في الوقت الذي ينبغي فيه تشكيل الكلمات الصعبة التي يمكن ان تؤدي دون تشكيل الى معنى اخر •

ومع ان هناك دور نشر عربية عديدة اخرجت كتب ذات طباعة انيقة ورسوم جذابة الا ان هـ...! لم يجنبها الوقوع في اخطاء ادبية وفنية وعلمية عديدة •

ويصف احد الفنانين المشرفين على احدى سلاسل كتب الاطفال الحديثة، كتب الاطفال العربية •

« •• انها تحمل قصصا فاشية •• والكتاب يسقط على الطفل من فوق ، فاللغة ليست لغته ، والصور او الرسوم ليست من عالمه ، والخط ايضا غريب عنه ، حيث نختار لغة معقدة ، ورسوما تزيينية او توضيحية لافكار تربوية قديمة وخط رقعي او نسخي معقد ايضا » (٥٠)

المبحث الخامس

شكل الكتاب

حين يقف طفل عند مجموعة من كتب الاطفال ، في حوانيت البيع ، نجد انه يلقي بنظره اليها فترة قصيرة ، ثم يمد يده لالتقاط واحد منها . . . ويبدأ في تأمل غلافه وتقليب صفحاته ، وقد يعيده الى موضعه ليلتقط كتابا اخر ، ويتطلع الى غلافه ويقلب صفحاته ، ويتأمل رسومه الداخلية .

تري ، ما الذي يدفع الطفل الى التقاط هذا الكتاب ، ثم ما الذي يدفعه بعد ذلك الى اعادته لالتقاط كتاب اخر .

في البداية قد يستهويه جمال الغلاف ، او حجم الكتاب او عنوانه

وبعد ان يقلب صفحاته ، قد لا يجد فيه الطباعة الانيقة التي تجتذبه ، او الرسوم التي تشوقه ، او الالوان التي تسحره ، او الورق الذي يستهويه ، فيلقى به جانبا ، وقد يجد هذه كلها اضافة الى المضمون الذي يشوقه ، فيختزن الكتاب برفق .

اذن ، هذا يعني ان الاطفال يريدون كتبهم جميلة ، ذات احجام مناسبة،

وطباعة اتيقة ، وحروف واضحة ، واغلفة قادرة على الاحتمال •• اي ان يكون اخراجها جيدا وتصنيعها ممتازا اضافة الى المضمون الجيد •

والاخراج الجيد هو التعبير الشكلي الصادق الجميل عن المضمون ، وهذا يعني ان الاخراج الجيد يهدف الى اغراض جمالية كجاذبية الكتاب ، واخرى تطبيقية تحقق الوضوح والدقة والصدق في التعبير وسهولة القراءة ويسر الفهم •

ويحتل اخراج الكتاب اهمية في استهواء الطفل ، وفي تنمية ميله لقراءته، لذا اهتمت مؤسسات النشر المختلفة باخراج كتب الاطفال اخراجا انيقا جذابا وامسى اخراج كتب الاطفال عملية صناعية فنية •

اما الجوانب الاساسية التي يستند اليها اخراج كتب الاطفال فهي :

اولا : جاذبية الغلاف ، واللوانه ، وحركته :

الغلاف الجميل ، هو الوجه الذي يطل على الاطفال ، فتسرههم اطلالته ، فينجذبون نحوه ، وكثير من الاطفال ينتقون كتبهم لجمال اغلفتها •

ومن المناسب ان يكون في غلاف الكتاب شيء كثير من التعبير عن مضمون الكتاب ، وان تكون اللوانه متناسقة بدرجة عالية ، وان يكون تصميمه مبسطا خاليا من التعقيد ، وان يثير في مجمله شيئا من مكان الطفل او يلبي شيئا من حاجاته النفسية •

ويراعى ان تكون اغلفة كتب الاطفال متينة كي لا تكون عرضة للتلف السريع •

ثانيا - جمال تصميم الصفحات الداخلية :

لا يشكل الغلاف النسيء الرئيس في الكتاب ، مادام الطفل سيطوي بعد حين صفحة الغلاف الاولى منتقلا الى صفحاته الداخلية ، والطفل سرعان ما يلقي بالكتاب جانبا اذا لم يجد في صفحاته الداخلية ما يلبي له حاجاته في

التذوق الفني الجميل * * وعليه ، لابد ان يكون تصميم الصفحات خاليا من التعقيد ، وان تزدان الصفحات بالرسوم المناسبة التي تزيد في وقع الكلمة المكتوبة ، وتمنحها ابعادا جديدة * .

ومن الضروري وضع الرسوم في اماكنها المناسبة على الصفحات ، وان تكون متفقة في تفاصيلها الى حد ما مع النص المكتوب ، وهذا لا يعني اننا ندعو الى الاتفاق الكامل ، لان الرسوم في كتب الاطفال ، ليست وسائل ايضاح بقدر ما هي لمسات فنية اخرى تضيف على النص الادبي قوة تعبير وجاذبية * .

اما الالوان ، فمن الضروري مراعاة تناسبها مع مراحل نمو الاطفال وبيئاتهم وحياتهم الاجتماعية ، اضافة الى تناسق الالوان ذاتها * .

ويجد الاطفال في بعض بلدان العالم كتباً على جانب من الاناقة ، فقد صنع بعضها من البلاستيك ، واخرى من القماش المعطر ، او ورق المقوى الصقيل * . وصدرت في باريس عام ١٩٧١ مجموعة من الكتب جميع حروفها من صور الحيوانات والزهور الملونة التي تزيد في استمتاع الطفل بالقراءة وتنمي ذوقه الفني * .

وهجرت بعض دور النشر اصدار الكتب بشكلها المستطيل المألوف ولجأت الى اصدار بعضها على شكل حيوانات واشجار ودمى وما الى ذلك * .

وتدخل ضمن جمال الصفحات الداخلية ، اضافة الى التوزيع المتناسب بين الرسوم والكلمات ثلاثة عناصر اساسية هي : علامات الوقف ، وشكل الكلمات ، والحروف * .

ويلاحظ ان كثيرا من كتب الاطفال العربية ، تغفل علامات الوقف اغفالا تاما ، وتبدو مادة الكتاب ، وكأنها جملة واحدة لا تنتهي الا مع نهاية الكتاب * .

ان علامات الوقف ، لا تمنح الصفحات جمالا فحسب ، بل تحمل معنى

خاصاً في حد ذاتها ، كما انها تفك ما يترآى للطفل من تشابك بين الجمل ونقوده الى ادراك الجمل واحدة بعد الاخرى ، فالاطفال يحبون الجمل القصيرة الواضحة ، ويحرصون على ان يحصلوا على النتائج بسرعة .

والا لا يبرر لنا الاكثار من علامات الوقف ، ولكن يمكن الاكتفاء بالنقطة الدالة على الوقف التام في نهاية الجملة ، والنقطتين الواحدة على الاخرى بعد فعل القول ، والفاصلة الدالة على الوقف القصير ، اضافة الى علامتي الاستفهام والتعجب . . .

ومن الضروري الالتزام بقواعد ثابتة للتنقيط ، لان هذا يساعد الطفل على ان يفهم ما يقرأه بسرعة .

اما ضبط الكلمات بالشكل فهي تؤلف صعوبة من صعوبات القراءة للاطفال ، لانها تعرقل انطلاقتهم في القراءة . ولكن هذا لا يعني ان تتجاهل الضبط الصحيح للكلمات ، وعليه فان الامر يستلزم الدقة الفائقة في ضبط بعض الكلمات بالشكل والتي يمكن ان يقع فيها الطفل في الخطأ لو تركت دون تشكيل .

اما بالنسبة الى الحروف ، فيلاحظ ان بعض كتب الاطفال تطبع بحروف ناعمة او تخط بخطوط صغيرة ، ولكن هذا يؤذي عيون الاطفال ، لان المعروف ان نمو العصب البصري ، والتوافق الحركي البصري ، غير مكتمل لدى الاطفال ، لذا وجب الالتزام بهذه الحقيقة البيولوجية بتقديم الكتب لمن هم دون العاشرة بخط الخطاط او بينط كبير (٣٦) وان يتم التدرج بعد ذلك في ابناط المطبعة . (٥١)

ومع هذا ، يظل خط الخطاط في كتب الاطفال اكثر جمالا اذا ما تفنن الخطاط في رسم خطوطه ، وابتعد عن الالتزام بالانماط التقليدية للخطوط في مراحل الطفولة المتأخرة . . ولكن بالنسبة الى الاطفال الصغار من المناسب اما تكون الخطوط قريبة من حروف المطابع الى حد كبير كي لا يحس الطفل الصغير بفروق كبيرة بين الحروف التي يجدها في كتابه المدرسي ، وكتابته الاخر الذي يقرأه قراءة حرة .

المبحث السادس

موسوعات ومعاجم ومفكرات الاطفال

لقد اتسعت آفاق المعرفة اتساعا واسعا ، ولم يعد بإمكان اي كان ان يلهم ببعض من هذه الجوانب مرة واحدة ، لذا كان من الضروري ان يتيسر المستودع الذي يضم خلاصات وافية لمختلف الحقائق والمفاهيم والافكار والمعلومات الادبية والعلمية والفنية والتاريخية وسير الاعلام ، وغير ذلك من جوانب المعرفة ، وهذا المستودع هو الموسوعة او دائرة المعارف .

وهناك نوعان من دوائر المعارف ، منها تحمل معلومات عامة موجزة ، دون الاقتصار على تقديم تعريف للكلمة او تقديم لمعناها بل يتعدى الامر ذلك الى تناول وصف شامل للمسمى او المصطلح ، بما في ذلك تاريخه وعلاقته مع المسميات او المعطيات الاخرى . . ومثل هذه الموسوعات هي الموسوعات العامة .

اما النوع الاخر منها فهو الموسوعات المتخصصة التي تتناول فرعا

واحدا من فروع المعرفة ، كموسوعة خاصة بالحيوانات ، او الزهور ، او الطائرات او الاجهزة البيتية او سير الادباء والعلماء وما الى ذلك •

وهناك موسوعات تجمع بين النوعين ، وهي الموسوعات الاستعراضية التي تتناول نشوء وتطور جانب واحد من الانشطة الانسانية ، كنسوء وتطور الاختراعات والاكتشافات ، وما الى ذلك •

ويشير مؤرخو التاريخ الثقافي ان صدور دائرة المعارف البريطانية «بريتانیکا» عام ١٧٧١ ودائرة المعارف الفرنسية «انسكلوبيدي» في الاعوام بين ١٧٥١ - ١٧٧٢ ، ودائرة المعارف الالمانية « بروكهاوس » بين الاعوام ١٧٩٦ - ١٨٠٨ ودائرة المعارف الامريكية ، « امريكانا » بين الاعوام ١٨٢٩ - ١٨٣٣ كانت تعتبر من الاحداث المهمة في حياة تلك الشعوب •

وقد عنت الامم المتقدمة باصدار الموسوعات للاطفال لما لها من أهمية في ثقافة الطفل ، حيث يستطيع الرجوع اليها لاستجلاء ما يستغلق عليه من الافكار والمعلومات •

ورغم اهمية الموسوعات للاطفال ، الا اننا في وطننا العربي ، لم نرؤ ظمأ اطفالنا بدائرة معارف عربية ، وكل ما صدر من موسوعات صغيرة لهم كان ترجمة لموسوعات اجنبية عملت بعض المؤسسات الاجنبية على تقديمها لاطفالنا تغذية للغزو الفكري وهي في مجملها غير قريبة الى بيئات اطفالنا •

والاطفال مشغوفون بالاستطلاع ، كثيرو التساؤل ، يشعرون بحاجة دائمة الى ان يعرفوا كثيرا من الحقائق والمعلومات • ولا شك ان الموسوعات تروي ظمأهم وتجيب عن تساؤلاتهم بسهولة ويسر ودقة •

والاطفال يشعرون طيلة فترة طفولتهم بشيء من الغربة عن واقعهم والعالم • وهذه الغربة لا تخف وطأتها الا عن طريق تعرفهم الى كل ما يعن في خواطرهم •• وحين نضع موسوعة بين يدي الطفل ، فاننا نعمل على شده

الى واقعه ♦♦ ونعرفه الى الدنيا وشعوبها واحياؤها النباتية والحيوانية
وجغرافيتها وتأريخها ♦♦

يضاف الى ذلك ان الموسوعات في حد ذاتها تقود الطفل الى التنقيب
والبحث كما تقوده الى تساؤلات جديدة يمكن ان يجد لها اجابة بين
صفحاتها ♦

والموسوعات المعدة للاطفال تأخذ في اعتبارها قدرات الطفل وفق
مراحل نموه المختلفة ، حيث تصدر موسوعات للاطفال الصغار ، واخرى
للاطفال متوسطي الاعمار ، وثالثة للاطفال الكبار ♦

المعاجم :

قد لا يستعين كثير من الكبار بالمعاجم اللغوية ، ولكن الاطفال جميعا
بحاجة ماسة اليها لانها تحتوي على معاني الكلمات المستخدمة في ادب
الاطفال وفي المناهج الدراسية وفي حياتهم الاجتماعية ، مشروحة شرحا مبسطا
وافيا ، يستطيعون من خلالها ان يتبينوا جميع الدلالات التي ترمز اليها كل
كلمة ♦

ولم نكتف بعض معاجم الاطفال بايراد ما تعنيه الكلمة من دلالات ،
بل تعدت ذلك الى التعرض لاشتقاقاتها ، او جمعها وتثنيها ، وتعريف
الافعال ، وادخال الكلمة في جملة مفيدة ♦

واستعانت المعاجم بالرسوم والصور التي تزيد في ايضاح الدلالات
وكل معجم يعد لمرحلة معينة من مراحل الطفولة ♦

المفكرات :

ويدخل ضمن هذا الفصل نوع اخر من كتب الاطفال هو « المفكرات »
التي تخصص لكل يوم من ايام السنة صفحة واحدة تحمل في اعلاها تاريخ

ذلك اليوم بتقويم واحد او اكثر * وتخصص مساحة مناسبة على الصفحة
لقصة قصيرة او فكرة موحية او معلومة لها ارتباط بذلك التاريخ ، الى جانب
رسوم معبرة وتخصص المساحة الباقية من الصفحة للطفل ليسجل فيها
مواعيده او برنامج عمله او ذكرياته .. وهذه المفكرات مقسمة حسب
مراحل نمو الاطفال حيث يستخدم الطفل في السنة السابعة مثلا غير المفكرة
التي يستخدمها طفل في الثامنة ، وهكذا *

واطفالنا في الوطن العربي لم يجدوا بعد معاجم ومفكرات خاصة بهم *

الفصل الثالث

مَسْرَحُ الْأَطْفَالِ

المبحث الاول

نظرة عامة

العمل المسرحي شكل آخر من اشكال الادب ، ومع هذا فهو يستعين بالفنون والاداب جميعا ويقدمها متناغمة على خشبته في انساق وانسجام .

ومع ان المسرحية في الاساس هي قصة او رواية ، الا ان للقصة او الرواية افاقا واسعة بينما ترتبط المسرحية بامكانيات المسرح وامكانيات ممثليه افاقا واسعة بينما ترتبط المسرحية بامكانيات المسرح وامكانيات ممثليه وقدرات جمهوره ، بينما يمكن للقصص ان يذهب الى ابعد من هذه الحدود . وكثيرا ما يتجاوز حدود الزمان والمكان . ولكن القصة او الرواية تتخذ لها شكلا فنيا من خلال المسرح والممثلين والجمهور ، ويضفي المخرج على هذه

العناصر كلها ، بدرجات متفاوتة ، صورا فكرية وفنية ، تجعل الاطفال أمام عالم ينبض بالحياة وتشيع فيه الانوار والاضواء والمناظر والازياء سحرا اخاذا ، في وقت يلقي الطفل القصة او الرواية وسط آفاق خياله هو .

من المناسب هنا ان نفرق بين مسرح الاطفال والمسرح المدرسي ، فالمسرح المدرسي هو اشبه ما يكون بمختبر تجارب او معرض لنشاطات التلاميذ ، وهو جزء من بقية جوانب المنهج المدرسي ، ويهدف الى اغراض تربوية منها : الكشف عن قدرات التلاميذ وتطويرها ، وتنمية العمل الجماعي التعاوني ، وتنمية اتجاهات اجتماعية مرغوب فيها ، والتوعية القومية بالبيئة والحياة ، وتنمية ميول التلاميذ والاستخدام المثمر لافاق فراغهم ، وخدمة العملية التعليمية . وسوف نرى ان مسرح الاطفال يستهدف اغراضا اخرى ، ويستعين بوسائل واساليب مختلفة .

المسرح

ولعب الاطفال :

في لغات كثيرة يعني التمثيل واللعب معنى واحدا ، ولا عجب في هذا ، فكم يقترب اللعب من التمثيل .

وبولع الاطفال باللعب ، لذا كان التمثيل لديهم ولعا اخر ، بل هم في لعبهم يمثّلون . ويذهب البعض الى القول ان الكبار يتعلمون فن التمثيل من الاطفال .

ونحن الكبار نلعب - ولا شك - ولكن لعبنا - في اكثر الاحايين - هو لعب عابث ، ان لم يكن نكوصا الى فترات الطفولة . اما لعب الاطفال فهو لعب هادف ، لانهم يلعبون من اجل ان يختبروا العالم ويكتشفوا خباياه ويمضوا في عمليات النمو ، وعليه فما نطلق عليه « لعب اطفال » لا يمثل عبثا حقيقيا .

وللعب اهمية في تكوين شخصية الطفل ، وقد كان الكاتب الكبير

مكسيم غوركي يصف لعب الاطفال بأنه وسيلتهم الى ادراك العالم الذي يعيشون فيه والذي يتطلب منهم ان يغيروه فيما بعد .

وحيثما نجد تجمعا للاطفال نجد نشاطا تلقائيا له بعض ابعاد العمل المسرحي ، حيث تختلط فيه الحركات والاصوات .

ويرى كثير من علماء النفس ان التمثيل من اهم الوسائل التي تستخدم لتحقيق الشفاء النفسي ، فقيام المرء بتمثيل دور ما في احدى التمثيلات او قيامه بمشاهدة تلك التمثيلية ، يؤديان عادة ، الى نقص التوتر النفسي وتخفيف حدة الانفعالات المكبوتة ، وذلك عندما يندمج الممثل او المتفرج في جو التمثيلية ويتقمص دورا معينا . ويلاحظ ان بعض التمثيلات تزيد الاعصاب توترا اذا كان المتفرج غير راض عن الفكرة التي يشاهدها ، او اذا كان الممثل غير راض عن الدور الذي يقوم به . اي أن التنفيس عن الانفعالات الحادة المكبوتة لا يحدث في التمثيلات الا اذا رضى المتفرج او الممثل عن المواقف والشخصيات التي تؤثر فيه . ومن الظواهر النفسية التي يمكن معالجتها عن طريق التمثيل الخجل والانطواء وعيوب النطق (١) .

وقد يرتبط معنى التمثيل في اذهان البعض على انه وسيلة تقتصر على الترويح ، والتسلية ، وهذا الفهم قاصر ، بطبيعة الحال ، لان التمثيلات وسائل اتصال فعالة للتعبير عن فكرة او مفهوم او شعور معين ، وهي تعتمد في ذلك على اللغة وحركات الجسم وتعبيرات الوجه والاشارات واسلوب الكلام . وكل ذلك يجعل منها وسيلة ذات قوة اجتماعية هائلة للاعلام والثقيف والتأثير والتوجيه الى جانب الترويح والتسلية الهادفة . (٢)

ويقرر علماء النفس والتربية ان الحيوانات التي هي اقدر على التعلم تكون كذلك اقدر على اللعب . اما تلك التي لا تهتدي الا بفرائزها الموروثة فانها لا تعرف اللعب ، فصغارها تسلك مسلك كبارها من اول امرها ، دون ان تستطيع اضافة شئ جديد الى حكمة جنسها . اما الحيوانات التي تلعب ، فتلك هي الحيوانات المستطلعة الفاحصة المنقبة ،

وهي تكتسب الخبرة في لعبها ، وتزيد خبرتها كلما زاد حظها من اللعب • اما اقرب الحيوانات الينا وهي القردة ، فهي مثلنا تحتفظ بالليل الى اللعب حتى بعد البلوغ ، بيد انه ليس بين صغار الحيوانات ما يشبه صغار الانسان في حرية لعبه ، ودوام رغبته وتفننه في اساليبه • ويوحى ذلك ان في اللعب معنى بليغاً باعتباره وسيلة لنمو الحيوان القابل للتعلم • ويرى البعض ان لعب الاطفال هو الوسيلة التي تنتهجها الطبيعة في تربية الفرد • ويمكن النظر الى اللعب على انه رمز للصحة النفسية ، فاذا لم يقبل عليه فرد ، كان ذلك دليلاً على عيب فطري او مرض نفسي • (٣)

واللعب يكسب الاطفال المهارة او القوة او الفهم • فالطفل يشارك اقرانه في اعداد الخطط وفي تنفيذها ، ووضع القواعد ، واصدار الاحكام ، وما الى ذلك • وهذا ما يعينه على الاستقلال عن الكبار • ويقول احد المربين ان وراء كل لعبة مغزى اكبر مما تراه العين •

المسرح

والاطفال :

تعتبر القصة من احب الوان الادب الى الاطفال ، ولما كانت المسرحية هي « قصة ممسحة ذات هدف » كما يعرفها ارسطو ، فهي ولا شك ذات تأثير فاعل في الطفولة ، لان القصة في هذه الحالة تقدم الى الاطفال من خلال الحركة بعد ان يضفي اليها فنانون عديدون لمسات من اذهانهم وعواطفهم ، ويجعلوا منها شيئاً اخر يدب ويتحرك بقوة ، تحيط به هالات فنية جميلة وسط اجواء دنيا اخرى تنقل الاطفال اليها ، وتترك قدراً كبيراً من الاثر في نفوسهم •

والمسرح يحرك مشاعر الاطفال واذهانهم ، ويغذيهم فنيا وادبيا ووجدانيا ، وهم باعتبارههم - جمهورا - يشكلون بُعداً اساسياً من ابعاد العمل الدرامي الذي يستند الى الممثل والمخرج - اذا استثنينا المؤلف حيث حل محله المخرج - لذا يؤلف مسرح الاطفال علاقة متسقة بين الابعاد الثلاثة : المخرج ، والممثل ، وجمهور الاطفال •

وبسبب التشكيلة التي يتألف منها العمل المسرحي تراه يجمع بين
الادب والفن معا ، فالرواية او القصة ، لاتمثل عملا دراميا ما لم تنتظم في
تمثيل وحوار واخراج مسرحي .. اي انها ترتدي رداء اخر يجعلها تزداد
حيوية وتصبح اقوى تأثيرا *

ومدى تأثير المسرح في الاطفال واضح كل الوضوح ، فهم يبدون ردود
فعل شديدة حيال الاعمال الدرامية التي يشاهدونها ، وكثيرا ما يستغرقون في
الضحك او يجهشون بالبكاء - اثناء العرض - او يصابون بالفرح او يولون
هاربين ، او يختبئون تحت المقاعد او يطلقون صرخات عالية ، تبعا للمواقف
الدرامية . ولا شك انهم لا يمكن ان يتأثروا بهذه الحدة لو قرأوا قصة
المسرحية ذاتها بين دفعتي كتاب *

ويغلب على الاطفال الطابع الاندماجي ، والمسرح بخصائصه الدرامية
يساعدهم على هذا ، لانه يريهم الحوادث امامهم ، في اماكنها ، وبأشخاصها ،
بالاضافة الى مناظره وديكوراته ، واضاءاته الساحرة ، التي تتعاون جمعا على
نقل الطفل الى العالم الذي يسعده ان يراه .. اي ان عوامل الايهام المسرحي
تتعاون مع خيال الطفل ، وموقفه الاندماجي ، وحالات التعاطف
الدرامي الى ان تصل به الى قمة المتعة والانفعال والتأثر اذا احسن الربط بينها،
وروعيت الخصائص التربوية والسيكولوجية والفنية المختلفة ، بالاضافة الى
خصائص المسرح كوسيط يقدم للاطفال لونا من ادبهم على صورة نص مسرحي
جيد . (٤)

ومعلوم ان دور الممثل ان يوهم الجمهور ان ما يجري امام احساساتهم
هو حقيقي ، ودور المتفرج - في هذا المجال - هو ان يوهم نفسه بان ما يجري
امامه هو حقيقي ، وكلا الدورين لذيذ ممتع . (٥)

وتتوفر في مسرح الاطفال عوامل متعددة ، منها الايهام المسرحي ،
وخيالات الاطفال ، ومواقفهم الانفعالية ، واندماجهم وتعاطفهم . وهذه كلها

تجعل من المسرح ذي تأثير كبير في غرس القيم الجديدة في أعماق الاطفال •
حيث يفوق المسرح في تأثيره في الطفولة وسائط الادب الاخرى، فالمعروف ان لوتين
من التفكير يغلبان على الاطفال هما التفكير الحسي الذي يعتمد على الاشياء
المللموسة ، والتفكير الصوري الذي يعتمد على تكوين صور حسية ، اما التفكير
المعنوي المجرد فلا يبلغه الاطفال الا في سنوات طفولتهم الاخيرة • والمسرح
بهذا اكثر ملائمة للاطفال من الوسائط الاخرى ، لانه يضع امامهم الوقائع
والاشخاص والافكار بشكل مجسد ، وملموس ، ومرئي ، ومسموع ،
في الوقت الذي يقدم الكتاب والمجلة صورا مكتوبة او مرسومة وتقدم
الاذاعة صورا مسموعة ، ويقدم التلفزيون والسينما صورا مرئية ومسموعة
فقط •

وهنا لابد من الاشارة الى ان افعال الاطفال الشديد مع وقائع العمل
المسرحي ، لا يعني انهم لا يفرقون بين ما هو واقع وما هو مجرد عمل
درامي ، انما يكمن ذلك كله في شدة ارادتهم في التقمص والمحاكاة
والتعاطف والاندماج - اي انهم يندمجون بالادوار ويضعون انفسهم ضمن
بعض المواقف ويعايشون الاجواء الانفعالية •

ويمكن القول ان مسرح الاطفال ، هو احد الوسائط الفاعلة في تنمية
الاطفال عقليا وعاطفيا وجماليا ولغويا وثقافيا • او هو احد ادوات تشكيل
ثقافة الطفل • فهو ينقل للاطفال ، بلغة محببة - ثرا ام شعرا - ، وبتمثيل
بارع ، والقاء ممتع ، الافكار والمفاهيم والقيم ضمن اطر فنية حافلة بالموسيقى
والغناء والرقص •

والمسرح يضع المرايا امام الاطفال ليروا من خلالها واقعهم ، ويدفعهم
الى ان يدركوا ان لهم دورا في تغيير ذلك الواقع ، ويقودهم الى التفكير ،
واحترام المثل النبيلة والالتزام بها ، وازدراء المفاهيم البالية ، واشباعهم
بروح الكفاح والوطنية ، وتوسيع مداركهم ، وتهذيب وجدانهم ، وارهاف
احساساتهم وعواطفهم ، وايقاظ شعورهم ، وامتاعهم ، وادخال الجمال الى
حياتهم ، واعدادهم لان يكونوا طاقات خلاقة منتجة •

وقد كتب مارك توين عن مسرح الاطفال يقول :

« اعتقد ان مسرح الاطفال من اعظم مكتشفات القرن العشرين ، وان قيمته التعليمية الكبيرة - التي لا تبدو واضحة او مفهومة في الوقت الحاضر - سوف تتجلى قريباً . انه اقوى معلم للاخلاق ، وخير دافع الى السلوك الطيب اهدت اليه عبقرية الانسان . لان دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة ، او في البيت بطريقة مملة ، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحساس ، وتصل مباشرة الى قلوب الاطفال التي تعتبر انسب وعاء لهذه الدروس . ان كتب الاخلاق لا يتعدى تأثيرها العقل ، وقلما تصل اليه بعد رحلتها الطويلة الباهتة ، ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الاطفال ، فانها لا تتوقف في منتصف الطريق ، بل تمضي الى غايتها » .

وليس هذا فقط ، بل يضع المسرح الاطفال وجهها لوجه امام تجارب جديدة ، ويحفزهم الى التطلع نحو تجارب اخرى . وبذا يوسع من آفاق حياتهم . فضلا عن اجابته على آلاف التساؤلات التي تدور في اذهانهم ، بطريقة شيقة وفي صورة فنية واضحة تعتمد على الالياءات الخفية التي تتسلل الى نفوسهم بدعة .

يضاف الى ذلك كله ان عرض المسرحيات للاطفال يخلق منهم في المستقبل جمهورا مسرحيا ناضجا ، يتذوق منها الرفيع ، ويزدري منها الرديء . ولا شك ان ازمة مسرح الكبار اليوم في الوطن العربي تعود في كثير من اسبابها الى ان جمهور الكبار اليوم لم يتدرب في طفولته على التذوق المسرحي الفني . لذا نجد جمهور الكبار يتدافع لمشاهدة المسرحيات القميئة او المبتذلة . ولا شك ان الجمهور الذي يتقبل المسرحيات الرخيصة يعجز عن وضع الاسس لايجاد مسرح رفيع !

موضوع

مسرحيات الاطفال :

من يحاول ان يستعرض بعض المسرحيات المقدمة للاطفال ، في اي

يلد من بلدان العالم ، يجد بينها ما يتوخى هدفا تعليميا او ثقافيا عاما ، او فكاهيا او وطنيا او اخلاقيا * . حتى ذهب البعض الى تقسيم مسرحيات الاطفال وفقا لموضوعها * ولكن الناقد ، - وحتى الطفل المتفرج - لا يمكن ان يقف عند هدف واحد فقط ، لاية مسرحية ناجحة ، لاننا قد نجد في مسرحية ترفيحية قيما اخلاقية ، ونجد في مسرحية تعليمية مفاهيم سياسية وقومية * .

ومن هذا يتضح ان مسرحية الطفل يمكن ان تتوخى اكثر من هدف واحد في آن واحد ، ولكنها قد تركز على هدف معين بشكل يفوق تركيزها على بقية الاهداف ، فيمسي الاول هدفا مركزيا للمسرحية ، وتصبح الاخرى اهدافا ثانوية * وفي كل حالة ينبغي ان يظل الهدف الرئيس متكاملا ، وتظل الاهداف الثانوية مترابطة كي لا تبدو المسرحية امام الطفل مفككة او مشوشة * .

ويلاحظ ان بعضهم يرى ان المسرحيات الفكاهية هي من احب المسرحيات الى الاطفال ، ولكن هذا الرأي تعوزه الصحة ، فقد وجد ان المسرحيات الفكاهية اقل تأثيراً في جمهور الاطفال من المسرحيات الجادة التي تشتمل على بعض المشاهد الفكاهية ، ذلك ان عرض مشاهدة لمسرحية تتضمن فيضا من الفكاهة تجعل الاطفال يتأففون ، انهم يفضلون كثيرا ضحكة عابرة في مسرحية جادة * (٦)

والمعروف ان أولئك الذين يترددون على المسرح من اجل الضحك وحده، لا يؤلفون جمهورا مسرحيا بالمعنى الصحيح ، وعلى هذا ، وما دمنا نسعى الى تنمية شخصية جمهور المسرح من الاطفال ، وجب الابتعاد عن المغالاة في الاضحاك ليكون للمسرح جمهوره من الاطفال الذين يحافظون على ديمومته ويثرونه ، لا مجرد جمهور عابر * .

وتقول ناثاليا ساتز اول مديرة لمسرح الاطفال في موسكو :

« علينا ان لا نستهدف بن خلال مسرح الاطفال خلق مجموعة من

المشاهدين المتفرجين بل ان تكون من الاجيال الجديدة مناضلين ، بناءً ،
مناضلين للدفاع عن الوطن ، وبناءً لصرح مجده » •

وجاء في العدد الاول (١٩٧١) من مجلة « مسرح الطفولة والشباب »
التي تصدرها الجمعية الدولية لمسرح الطفولة والشباب في ايطاليا عن
تاريخ الحركة المسرحية للطفل في ايطاليا ، ان (جيسي جراتتو) اهتمت
عام ١٩٥٩ بإنشاء مسرح للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين خمسة اعوام الى
عشرة ، وكان اهتمامها في اختيار النص المناسب ليس للطفل فقط وانما للآب
والأم اللذين يصطحبان الطفل الى المسرح • وقد ركزت جيسي على المسرحيات
التي كان لها رنين وصدى في المشاعر مثل « سندريلا » و « الاميرة الجميلة
النائمة » وبدأت بعرضها فلاقى اقبالا وبعد ذلك قدمت مسرحيات من تأليفها
هي ، وحازت على نجاح كبير ، واكتسبت ثقة الآباء والامهات واقبال
الاطفال • فقد كانت تستخدم لغة سهلة وتستحوذ على الجمهور بالمواقف
الحركية الطريفة المسلية • وتميزت كتاباتها بالمهارة الفنية ، فكانت تضحك
المشاهدين من اول المسرحية الى اخرها مع ان المسرحية ليست كوميدية •
وكافت تمزج بين الخير والشر وبين مواقف البهجة والحزن ، وتخلق جوا
مريحا يجذب الكبار والصغار ويثبت في نفوسهم بعد العرض لمدة طويلة ،
وكان هذا سر نجاح مسرح الاطفال في ميلان • (٧)

وهنا لا بد من التحذير من اغراق اجواء مسرحيات الاطفال بالحزن او
التعاسة التي تبكيهم وتجعلهم يكرهون الحياة • « ولكن لمسات الحزن
الرفيعة تصقل شخصية الطفل وتجعله قادرا على تحمل ما قد يصادفه في
الواقع من صدمات » • (٨)

بعد هذا هل يمكن ان تحفز الدراما المتفرجين الصغار على التفكير في
قضايا سياسية ؟

بالتأكيد ينبغي ان تحتل مسرحيات الافكار مكانا في مسرح الاطفال
بما ان لا تكمن في هذه الافكار ذات مسحة دعائية واضحة ، ذلك ان كثيرا

من المسائل ذات العلاقة بالسلام والتي يهتم بها الكبار قد لا تؤثر في الاطفال لافتقارهم الى التجربة ، ولكن المسرحية التي تعمل على تدعيم حسن الجوار داخل الوطن وخارجه ، والتي تناهض الحرب قد تكون ذات تأثير في الطفولة اذا كان في موضوعها وشخصياتها ما يتمتع الاطفال • وهذا يعني ضرورة توافر الوعظ امام العرض المشوق • وفي مسرح الاطفال السوفيتي يتلقى الاطفال مبادئ الاشتراكية ، ومساوىء الرأسمالية ، وشرف العمل ، وثقافة التمييز العنصري • (٩)

وبشكل عام تصاغ كل الافكار والمشكلات الاجتماعية والمثل الاخلاقية من خلال المسرح صياغة تلقي في نفوس الاطفال كثيرا من المتعة بعيدا عن الصيغ التعليمية الصريحة ، لانها في الحالة الاخيرة تقود الطفل الى الملل وتثير شكوكه •

وما دما نتحدث عن موضوعات مسرح الاطفال ، فان من المناسب انؤكد ضرورة توخي غرس الافكار والعادات الجديدة ومحاربة الاوهام والخرافات والتقاليد البالية وتنمية اذواق الاطفال وتحريك ضمائرهم نحو الخير ، وترغيبهم المثل العليا والقيم كالشجاعة الوطنية مع الاهتمام بما يحفزهم على التفكير الخلاق •

والمرحيات الجيدة تثير عواطف كثيرة مثل الشفقة ، والاحتقار ، والخوف ، والفزع ، والاعجاب ، واذا اثرت هذه العواطف بطريقة سليمة - وهو امر على جانب كبير من الاهمية - فانها تنمي في الطفل الاحساسات الطيبة والادراكات السليمة ، اما اذا اثرت بطريقة رخيصة ، وعلى مستويات زائفة ، او بصورة مبتذلة ، فقد تسبب ضررا • وليس من حق احد ان يثير مشاعر الاطفال بطريقة رخيصة ، ان ذلك اسوأ ضياع في اوقاتهم ، واسوأ هدر لقدراتهم ، انه جريمة في حقهم • (١٠)

وهناك مسرحيات لا ترمي الى هدف واضح ، وكتاب مثل هذه المسرحيات يرون ان الهدف لا يكمن في المسرحية ذاتها ، بل في جذب انتباه

الطفل فترة من الزمن في لهو برىء ليس فيه شىء من الضرر ، ولكننا نرى ان من الضروري ان نتذكر دوما ان الاطفال بحاجة ماسة الى من يساعدهم على النمو السليم ، كما ان المسرح ، سواء كان للصغار ام للكبار ، يعبر عن صراع من اجل حياة افضل وليس وسيلة للهرب من الحياة .

اما بالنسبة الى مواقف العنف في العمل المسرحي ، فان ذلك يتوقف على الجرعة التي تقدم للاطفال ، ولا شك ان تعلم الطفل للعنف - في حدود معقولة - أمر ضروري لاستخدامه عند الحاجة ، كالدفاع عن النفس ، مثلا ، ولكن العنف ينبغي ان لا يخرج عن الحدود المرسومة له ، لان الامعان في العنف في العمل المسرحي يولد الخوف لدى الطفل . (١١)

وليس المهم ان تكون افكار المسرحية خارقة او ان تكون حافلة بالاحداث والافكار الغريبة ، لقد كان اتنون تشيكوف يتعد دوما عن هذه النماذج في مسرحياته ، ويدعو الى الابتعاد عن هذه النماذج حيث كتب في اكتوبر ١٨٨٧ الى شقيقه بمناسبة اتمام مسرحية « رايفانوف » وهي اول مسرحياته يقول .

« ان كتاب المسرح عندنا يملأون مسرحياتهم . بالملائكة والاشرار والمهرجين .. وانا لا ادري اين يجدون هؤلاء في روسيا .. ولكني اختلف عنهم ، فليس في مسرحيتي ملاك او شرير واحد ولو ان بها بعض المهرجين » (١٢)

ويعزف الاطفال عن المسرحيات ذات السمة الغرامية ، بل ان مشهد الغرام القصير الذي لا يؤذي الشعور يبدو في نظر الاطفال سخيفا . ويدهش كثير من الممثلين حين يلمسون رد الفعل الذي تحدثه مثل هذه المشاهد ، اما لماذا لا يستسيغها الاطفال ، رغم مداومتهم على مشاهد افلام الكبار ، فأمر لا يمكن تفسيره . ان اقحام مشاهد الغرام يفسد جو المسرحية ، والاطفال الصغار لا يعيرونها التفاتا ، ومن الثامنة الى الثانية عشر ينظرون اليها بازدراء ، اما الاطفال من الحادية عشرة الى الخامسة عشرة فيخرجون من رؤيتها .. وليس

معنى هذا ان « الجمال النائم » لا يمكن ان تتزوج من الامير وتعيش معه في سعادة ، انها نهاية سارة ، فمن حق شخص المسرحية ان يتحدثوا عن الحب اذا كان على مستوى رفيع ولكن اذا حدث ان تعاق رجل وفتاة ، بغض النظر عن اتقانهما لهذا الدور ، فان موجة من الاستياء تسود بين الاطفال • (١٣)

وتنتهي مسرحيات الاطفال عادة نهايات عادلة ، هذا ، اذا لم يهدف المؤلف الى اثاره المتفرجين لتصحيح خطأ او اثاره الشفقة على مسكين • ولدى الاطفال احساس قوي بالعدالة ، ويرتاحون الى المسرحية التي يوزع فيها الثواب والعقاب بالقسطاس على من يستحقونه ، ومسرحيات الكبار ، بالطبع ، لا تراعي هذا الامر بالرغم من ان اغلب المتفرجين الكبار يفضلون النهايات السعيدة • ويحاول كثير من المؤلفين رسم الحياة على حقيقتها - والحياة لا تخلو ، احيانا ، من المظالم •

فهل معنى اختيار المسرحيات التي تتميز بالعدالة المثالية للاطفال اننا نعطيهم صورة غير صحيحة للحياة ؟ واذا كان الامر كذلك ، فلماذا لا تقدم لهم مسرحيات تهيئهم لما سيواجهونه في الحياة ؟ ولماذا لا تقدم لهم صورة واقعية حتى لا يختلط عليهم الامر في المستقبل ؟

ان الاسباب التي تدعو الى تجنب هذا ، معقولة ، اولها ، ان الطفل يحتاج الى ان يعرف اولا المقاييس الصحيحة للعدالة قبل ان يستطيع الحكم على الاعمال الطيبة والشريرة ، واذا ما اقحم الطفل في موقف يكون الخزي جزاء من يعمل الخير ، وينال الغشاش احترام المجتمع ، التبس عليه الامر • ان الطفل ليس على استعداد لتقبل مثل هذه المظالم • ولاداع لان يواجهه الطفل كل حقائق الحياة المرة • والطفولة هي المرحلة التي يقوى فيها ادراك الطفل وميوله السليمة واحساسه بالقيم حتى يستطيع مواجهة الواقع حين يصادفه • ولكي يتحقق هذا ينبغي ان يتعرض الطفل لكل ما هو جميل وسار ومثالي • (١٤)

وقد كتب احد المعنيين بشؤون مسارح الاطفال يقول « اننا لا نريد

الكثير من النهايات السعيدة التي تحمل المتفرج على الاستكانة ، وتجعل شعاره ، حسن ، كل شيء قد سار على ما يرام • ان كل مسرحية يجب ان تقدم دافعا الى تطوير احساس المبادأة لدى الاطفال »

ان مثل هذه العاطفة تكون معقولة اذا كانت نهاية المسرحية تدعو الى التفكير لا الى التواكل • ومجمل القول ان اهم ما في الامر هو ان المشاركة الوجدانية ينبغي ان تثار في الموقف المناسب ، والمسرحية الهادئة التي تخلو من شرير قد لا تتيح فرصة اثارة العطف على ما هو جميل والكراه لما هو قبيح •

التمثيل المسرحي

للاطفال :

للتمثيل اهميته الكبرى في مسرحيات الاطفال • فالاطفال - رغم ان بعض هفوات الممثلين قد تفوت عليهم - الا انهم شديداً التأثر بالتمثيل البارع • اما التمثيل الضعيف ، فانهم سرعان ما يعزفون عنه •

ويشير المسرحي الروسي قسطنطين ستانلافسكي ان « التمثيل امام الاطفال يشبه التمثيل امام الكبار ، على ان يكون بصورة افضل وواضح وانقى ، ويقبل الاطفال على مسرحهم وكأنهم ذاهبون للاحتفال بعيد ، وهم يشهدون على خشبته اعمالاً لمؤلفين كبار »

ويمكن تقسيم مسرح الاطفال من حيث ممثلوه الى :

- مسرحيات يمثل فيها الاطفال وحدهم •
- مسرحيات يمثل فيها الاطفال الى جانب الكبار
- مسرحيات يمثل فيها الكبار وحدهم
- مسرحيات تتولى العرائس اداء الادوار

وتستعين المسارح المدرسية - في العادة بالاطفال وحدهم كممثلين ، كما ان بعض المسارح في بعض بلدان العالم تقصر التمثيل على الاطفال وحدهم

ايضا ، ولكن الاطفال لا يمتلكون القدرة على بعث كل ما تحمل المسرحية من نبض مهما برعوا في التمثيل ، لان نقص خبراتهم وعدم نضوجهم الجسدي والعقلي واللغوي تقف في طريقهم لتقديم ادوار مؤثرة على خشبة المسرح .

وقد دلت التجارب المتعددة في مختلف بلاد العالم ان انجح المسرحيات هي التي يقدمها الكبار البالغون للاطفال ، لان المسرح الذي يقدمه الكبار للاطفال هو المسرح القادر على تقديم قيم فنية مرتفعة ، وهو المسرح الذي يمكن ان ينقل فكر وفن المؤلف والمخرج الى المشاهدين الصغار ولكن لوحظ ايضا ، انه في معظم المسرحيات التي فازت بأعجاب الاطفال ، كان يشترك في بطولتها من البالغين من يبدو مظهرهم وكأنهم في الخامسة عشرة او ما حولها وذلك كجزء من العمل ، على ان تكون عناصر العمل المسرحي قريبة من الطفل ومن عالمه (١٥) .

وقد لوحظ ان ظهور الاطفال على خشبة المسرح يدعم في نفوسهم اسطورة او عقدة « النجوم » .

يقول سبرجي اوبرازتسوف ، مخرج مسرح الدمى المركزي في موسكو ، والذي يحمل لقب فنان الشعب السوفيتي (١٦)

« ... كنت في حوالي الثامنة عشرة عندما عملت مدرسا للرسم في احدى مدارس موسكو . كانت في المدرسة فرقة للتمثيل ، والمسرحية المختارة هي حكاية فيها شخصيات الملك والاميرة والمهرج وشخصيات اخرى . واختار المخرج لدور الاميرة اجمل فتاة في المدرسة ولدور المهرج فتى بدينا قصير القامة » كانت الفتاة لا تزيد عن الثانية عشرة من العمر ولم تدرك حتى ذلك الوقت انها بمثل ذلك الجمال ، ولم يكن الصبيان قد انتبهوا الى جمالها كذلك . . . ألبسوها ثوبا طويلا من الموسلين الابيض ووضعوا على رأسها تاجا مذهبا من الكارتون بعد ان حلوا ضفائرها الطويلة واسدلوها على ظهرها ، وعندما ظهرت على المسرح ذهل الجميع لجمالها الباهر .

في اليوم التالي لم نعد الفتاة بقادرة على تعود تلك التلميذة البسيطة الخجولة مثلما كانت . * لقد اصبحت محط انظار الاعجاب ، ودخل الزيف الى علاقاتها بالآخرين وعلاقة الآخرين بها - واصبح الموقف يهدد مستقبل الطفلة نفسها ، اذ كيف تتمكن من مواصلة حياة الطفولة البريئة المرحلة حتى تبلغ سن الرشد ، اذا كان لها هذا العدد من المعجيين وهي ما تزال في الثانية عشرة ؟ !

اما الطفل البدين فقد مثل دور المهرج ببراعة * كان يستطيع بحركة واحدة باصبعه الصغير ان يحرك القاعة بالضحك * لقد حقق في ادائه ما يدعى بـ « النجاح » ، ولكن الامر استمر في اليوم التالي ايضا * واصبح من الصعب ان يفصل عن ذلك « النجاح » ويعود تلميذا اعتياديا بين مئات التلاميذ * * اخذ يؤدي حركات دوره في التمثيلية وهو يتقافز اثناء سيره ، ويلقي النكت المتواصلة في الصف وفي القسم الداخلي حتى غدا من الصعب ان تدخل معه في اي حديث جاد * وكل من يمارس مهنة التعليم يعرف جيدا اولئك الصغار الذين يستمرئون عملية اضحائك الصف الى درجة مهينة للنفس «

« هناك اسلوبان متعارضان للتمثيل الاول هو ان تستخدم اليدين والقدمين والعينين والقلب لتكشف جمال شخصية جوليت ، وهذا هو سبيل الفن ، والناني ان تستخدم جوليت لتكشف عن جمال اليدين والقدمين والعينين والقلب ، وهذا هو المتاجرة بالفن ، * * وقد يجيء هذا الاخير بشكل تلقائي لاواع ، وقد يتقبله الجمهور ، ولكن هذه الروح الاستعراضية تقتل موهبة الممثل *

هذا لا ينطبق على الممثل فقط بل يشمل المخرج والفنان والكاتب * وادراك هذه النقطة الحساسة يكتسب اهمية قصوى بالنسبة للمسؤول عن تربية الاطفال بالوسائل الفنية *

ان اختيار طفل ما لاداء دور معين بسبب من مظهره الخارجي هو جريمة يحق الاطفال *

والغرور مرض خطير غير قابل للشفاء في اغلب الاحيان ، ويمكن للغرور ان يحطم العلماء والساسة والفنانين * * والغرور في الفن ولا سيما فيما يتعلق بالاطفال ، مثل كومة من القش يمكن ان تحرق اية مقدرة او موهبة تقترب منها * * يقول المخرج كونستانتين ستانسلافسكي : « يجب على المرء ان يحب الفن في ذاته ، لا ان يحب ذاته في الفن » فكيف يجوز لاحد ان يفعل العكس فيعلم الاطفال « ان يحبوا انفسهم في الفن ؟ »

وعلى اية حال فان تاثيرات سلبية عديدة تصيب الاطفال الذين يمثلون ، سواء كان ذلك للمسرح ام للتلفزيون ام للاذاعة ، حيث لا يلبثون ان يصبحوا شديدي الثقة في انفسهم ، متصنعين ، او مبالغين في رقتهم ، ثم لا يلبثون ان يصابوا بالاحباط بعد ان يفقدوا اهتمام الناس بهم فيما بعد .

والطفل ، حين يمثل ، يعبر عن ذاته ، كنوع من انواع اللعب ، او كوسيلة للتنفس عن طاقاته الابتكارية الخلاقة ، وهو حين يمثل دور الام او الاب - مثلا - فانه ينفذ بخياله الى موقفهما ازاءه ، ويكتسب شيئا من الفهم لاقوالهما وافعالهما ، ويحس كأن مقدرتهما ومواهبهما العظيمة - في نظره - قد انتقلت اليه . وهكذا يستطيع الطفل ، عندما يمثل ، ان يقوم بالاعمال او يتلبس بالاحوال التي يحس في عالم الحقيقة انه عاجز عن فعلها او ادراكها . لهذا ، فالطفل ، عندما يمثل ، انما يعبر عن نفسه ، ولا يعبر عما يريد المؤلف ، ولا ما يهدف اليه المخرج ، ولا ما يجب ان ينقله الممثل الى جمهوره المشاهدين بعكس الممثل المحترف البالغ ، القادر تماما على ان ينقل الى الطفل المشاهد كل القيم والمفاهيم التي تنطوي عليها المسرحية .

ويؤكد المخرجون المسرحيون الذين تعاملوا مع ممثلين من الاطفال ان الطفل الممثل يؤدي دوره في كل ليلة بأسلوب مختلف حسب مزاجه وحالته النفسية ، رغم توصيات وتوجيهات المخرج اليومية ، ودون اية سيطرة واعية بقصد توصيل فكر وفن المؤلف والمخرج الى المشاهدين * * يضاف الى ذلك ان الطفل ، حين يقف على خشبة المسرح ، يحس ، عادة ، ان المسرح مسرحه

وحده ، وان المشاهدين حضروا لرؤيته هو * ورغم استمرار التدريب ، فكثيرا ما يسيطر على الطفل المنزل هذا الاحساس ، مما يفسد العرض او يفككه ، في حين ان من اهم اهداف مسرح الطفل هو مساعدة الاطفال على صقل تذوقهم للفنون ، عند المزج بين المغزى والمتعة الفنية * وعلى هذا فان الاداء الفني المتفوق لا يمكن ان يتوفر الا من خلال ممثلين كبار * (١٧)

ولا يمكن للمسرح ان يؤدي دوره الا من خلال التعاطف بين الجمهور والممثلين ، والاطفال الممثلون يبعجزون عن نقل الاطفال المشاهدين الى مستوى التعاطف ، يضاف الى ذلك ان الاطفال اكثر تأثرا بالكبار من تأثرهم بأقرانهم ، لذا فهم يستجيبون ، ومن ثم يتعاطفون مع الممثلين الكبار اثناء العرض المسرحي *

وهذا لا يعني ان يحرم الاطفال من ممارسة التمثيل المسرحي لان للتمثيل دوره في تنمية قدرات الطفل ، ولكن المجال المناسب لقيام الاطفال بهذا النشاط هو المسرح المدرسي الذي يمكن ان يساهم فيه اكبر قدر من الاطفال ، بل قد يساهم الاطفال جميعهم من خلال مشاركتهم الفعلية في التمثيل ، انطلاقا من الرأي القائل ان ليس من المناسب ان يظل الطفل مجرد متعلق او متفرج * وفي هذه الحالة يشارك الاطفال في العمل والغناء والأنشاد وتتحول قاعة المسرح المدرسي الى حلبة فعلية يشارك فيها الجميع *

وتعتمد بعض المسارح الى استخدام كبار لهم اصوات اطفال ، او يظهرون على المسرح في ثياب اطفال ، ويلاحظ ان الاطفال المتفرجين لا يسألون عن اعمار الممثلين *

وهناك رأي اخر هو ان المجموعة المشتركة من الممثلين الكبار والاطفال هي افضل الصيغ من ناحية المظهر ، وان اكثر المسارح التي جربت الصيغ الثلاث في اختيار الممثلين اهتمت الى ان المجموعة المشتركة هي خير ما يرضى المتفرجين *

ولكن هناك مسرحيات لا يصح الا ان يمثلها الكبار وحدهم *

فالمسرحيات التي تستلزم مقدرة عالية من الاداء لا يمكن للاطفال اجادتها ، حتى وان كانت فكرتها بسيطة ، فليس كل الافكار التي يفهمها الاطفال يستطيعون التعبير عنها على خشبة المسرح وليس كل الحركات التي يستوعبونها يقدرّون على القيام بها •

وفي حديث لمدير المسرح المركزي للاطفال بموسكو ، يقول :

« المسرح المركزي للاطفال يضم بعض الممثلين المبتدئين - من الكبار - الى جانب ممثليه القدامى ذوي الخبرة • والمبتدئون ، مع انهم متخرجون في المعاهد العليا للتمثيل الا انهم مستمرّون في دراساتهم في المسرح ، حيث يتدربون بانتظام على اصول النطق وحركات الجسم وتربية الصوت والالقاء، اذ انه رغم ان الاصول الاساسية لفن التمثيل واحدة بالنسبة الى ممثل الكبار وممثل الاطفال ، الا ان الممثل في مسارح الاطفال يجب ان يكون بارعا في رسم شخصيات الاطفال وشخصيات الروايات الخرافية وروايات الجان ، وغيرها من الشخصيات التي قل ان تصادفها في مسرح الكبار • وهناك بنوع خاص صعوبة في مهمة الممثلة التي تقوم بادوار الاطفال ، فليس من السهل العثور على النمط الملائم لهذه الادوار من بين الممثلات ، والممثلة الملائمة من ناحية الهيئة والصوت قد لا تتوفر فيها بقية الصفات اللازمة ، اذ لا يكفي ان تقلد مظهر الطفل وطرقه • واذا كان تصوير الدور لا يعدو مظهره الخارجي فإن المشاهدين كثيرا ما يلاقون صعوبة في التخلص من فكرة ان الولد الممثل هو امرأة • ومهما اتقن المكياج والملابس فانه بلا شك امرأة ، والمتفرج الصغير الصريح لا يتردد في الاعراب عن احتقاره لهذه الفتاة التي تلبس ملابس الفتى ، وعندما يتحقق من انه خدع في هذه النقطة فانه يتشكك في كل الحوادث التي تجري على المسرح ، وهذا يقلل من القيمة التربوية للرواية دون اي اعتبار لمدى براعة الممثلة في فنّها • ولكي تكون شخصية من هذا النوع مقنعة فمن الضروري ان تجمع بين الصور الخارجية للدور والصور الحقيقية لما في داخل نفس الطفل ، اي لنفسيته ومنطق سلوكه •

وكل شخص قوي الملاحظة يعرف ان عقلية الولد وتعبيره عن انفعالاته وطريقة استجابته تختلف تماما عن البنت - ولكي تنجح الممثلة في ادوار الصبيان عليها ان تعمل بجلد وصبر ، وان تدرس دراسة جدية سيكولوجية الاولاد ، وان تلاحظ بعناية تامة الاسباب الداخلية التي تجعل الاولاد يتصرفون تصرفا مختلفا عن البنات حين يوضع الجميع في ظروف متماثلة .

ولكن المعرفة التامة بالظواهر المميزة لعقلية وسلوك واعمال الاولاد ليست وحدها الاساس الذي تركز عليه الممثلة في تصوير الشخصية التي رسمها المؤلف . بل عليها ان تبحث عن المميزات الخاصة الجديدة دائما التي تمكنها ان تعطي تعبيراً ملموساً لفكرة رواية معينة . وحيث فقط تستطيع الممثلة ان تخلق صورة فنية لا مجرد تقليد .

ولقد نجحت كثيرات من الممثلات اللواتي يمثلن أدوار الصبيان نجاحاً كبيراً وأعطين صوراً مقنعة لدرجة ان المتفرجين من الاطفال لم يكونوا هم الذين يعتقدون انهن - فعلاً - اولاد ، بل كان المتفرجون الكبار يعتقدون ذلك أيضاً .

ومن الادوار الصعبة أيضاً في مسارح الاطفال دور الولد أو البنت التي تكبر في فصول الرواية المختلفة ، كأن ينمو البطل نمواً تدريجياً متغيراً من تلميذ في المدرسة الى شاب ، ففي هذه الحالة يجب ان يمثل الدور نفس الممثل أو الممثلة ، اذ أن المتفرج سيلاحظ التغير فوراً - ويجب أن تعطى هذه الادوار للممثل الشاب الذي يجيد تمثيل الاطفال والكبار بنفس المهارة والاقناع .

ومن أهم ما يفيد الممثلات والممثلين في كسب المهارة في التمثيل لادوار الاطفال الاتصال المستمر بمتفرجيهم . وثمة أدوار صعبة أخرى هي تمثيل الجماد او الحيوان ، وفي هذه الحالة يلعب المكياج والملابس وإعداد المسرح دوراً مهماً في نجاح المشهد ، وقد قدم المسرح المركزي للاطفال في موسكو ادواراً كان تعاطف الاطفال معها شديداً الى درجة ان المسرح تلقى

رسائل كثيرة من التلاميذ معنونة لا بأسماء الممثلين ، بل بأسماء الشخصيات كأن يقول « عزيزي الكلب زوخا » أو عزيزي « الحصان الاحدب » (١٨) .

شخصيات

مسرح الاطفال :

شخصيات أية مسرحية هي عنصر اساسي لها . ويتولى الممثلون تجسيد الشخصيات على خشبة المسرح بكل ما تحمل من أفكار وصفات نفسية وجسدية .

وما دام الممثلون أدوات نابضة لنقل الاحساسات والافكار الى الجمهور ، فان الدقة في تجسيدهم للشخصيات بحيث يتأثر الطفل انفعاليا بحركاتهم وسكناتهم تمنح المسرحية بعدا اساسيا من ابعاد نجاحها . وهذا يحتم أن تكون اقوال وافعال كل ممثل متفقة والصفات الجسدية والنفسية والاجتماعية لاية شخصية في المسرحية ، كما يحتم ان يبلغ الممثل بالفكرة الى المستوى الذي يحرك عواطف المشاهدين ويشد انتباههم ويستولي على اهتماماتهم ، وعند ذاك فقط ، يشعر الاطفال بشعور الشخصيات ذاتها ، ويتجاوبون معها ، وينحازون الى جانب من جوانب الصراع ، وينشدون الانتصار لهذا الجانب .

وكما هو الحال في القصص ، يستلزم الامر أن تكون الشخصيات واضحة للاطفال ، وتكون على قدر قليل من الدهاء والتعقيد ، وان يكشف مظهرها عما تنطوي عليه من افكار ، او تكون خطوطها من الواضح بحيث يكون من السهل عليهم ادراك حقيقتها ، والاطفال تستهويهم شخصيات الابطال النبلاء ، والشخصيات النسائية الشجاعة المحبوبة التي تستطيع أن تحقق ما يحققه الرجال الابطال والتي تستطيع التغلب على العقبات ، كما انهم يحبون الشخصيات الغريبة والهزلية والشريرة ، ويريدون كذلك أن يروا الابطال انتصر على الشرير وتنزل العقاب به ، وهم لا يفرون كثيرا

بين المسرحيات التي تشتمل شخصياتها على اطفال او التي تخلو منهم ،
ويلاحظ ان اكثر مسرحيات الاطفال شهرة ليس بين شخصياتها اطفال (١٩) .

الحوار

المسرحي

الحوار عنصر ذو أهمية بالغة في أية مسرحية ، لانه اداة التعبير عما
تنطوي عليه من صور وافكار .

ومن خلال الحوار يمكن تقييم اسلوب المسرحية ادبيا .
ويعتمد الحوار على الحيوية والحركة والصوت ، ويمنحه الممثلون
هذه الابعاد .

والحوار المناسب للاطفال يشابه الحوار المؤلف بين الناس من حيث
قصر عباراته واتضاحها ودقتها .

والحوار الطويل يبدو امام الاطفال اشبه ما يكون بالمواعظ والخطب
والمناقشات الباردة التي تلقى على مسامعهم دون أن يستطيعوا احتمالها ،
فتموت الحياة على المسرح .

والاطفال يتفاعلون مع الاحداث المرئية في المسرح اكثر من تفاعلهم مع
الحوار المسرحي ، وهذا يوجب ان يتم التوازي بين ما يترأى أمام أعين
الاطفال وبين ما يتناهى الى مسامعهم ، وان لا يكون الاهتمام بجانب على
حساب جانب آخر .

وطبيعة المسرح لا تتيح لجمهور الاطفال فرصا لملاحقة المعاني والتعابير ،
وهذا يقضي أن تخلو لغة المسرح من كل تعقيد او استنطاد او غموض ،
وان تكون معبرة ومركزة . ونحن نعلم ان اللغة السلسلة المعبرة تنفذ الى ذهن
الطفل يسر دون أن تبعث في نفسه الملل او الارهاق أو تجره الى الشرود
الذهني .

وهنا لابد من التساؤل عن الفصحى والعامية في مسرح الاطفال ، أيهما ينبغي أن تكون لها الارجحية ؟!

ونرى جواباً على هذا انه اذا كنا نرى من اللازم استخدام لغة فصيحة بسيطة في كتب ومجلات الاطفال ، فان من الممكن الاستعانة بالعامية القرية الى الفصحى في بعض المسرحيات التي تستمد موضوعاتها من بيئة الطفل او البيئة الشعبية . فكما ان من الضروري أن يرتدي الممثلون - في هذا اللون من المسرحيات - ثيابا شعبية ، ويغنون اغان شعبية ، ويستعينون بالامثال والحكم الشعبية فيها كذلك يمكن استخدام اللهجة الشعبية فيها . وهذا يصح - الى حد ما - بالنسبة الى المسرحيات الضاحكة ايضا .

اما في المسرحيات ذات الطابع العلمي او التاريخي أو الادبي او الاجتماعي فيقتضي استخدام اللغة البسيطة ، ومن هنا جاء التركيز على استخدام اللغة الفصيحة في المسرح المدرسي .

شروط

اخرى

يضاف الى ما ذكرنا ، وجوب توفر شروط اخرى في العمل المسرحي المناسب للاطفال :

- ان تتناسب المسرحيات (في اشكالها ومضامينها) مع نمو الاطفال عقليا ونفسيا واجتماعيا ولغويا . وهذا يعني أن تكون للاطفال ابتداء من الخامسة او السادسة وحتى الحادية عشرة او الثانية عشرة مسرحياتهم ، وان تكون للاطفال بعد هذا السن مسرحياتهم . فالمسرحيات التي يتقبلها اطفال مرحلة الخيال المنطلق قد تبدو تافهة امام اطفال المرحلة التالية .

وهذا يعني ان تتلاءم المسرحيات مع حاجات ورغبات وقدرات الاطفال في كل مرحلة .

- أن يكون الحدث الرئيس في المسرحية محسوسا واضحا ، وان تكون

الاحداث الاخرى مكمله أو مفصلة للحدث الرئيس ، مع الابتعاد عن افتعال
الحوادث الفرعية ، لان الحدث الرئيس لا يمكن له أن يتبلور ويتصاعد
بشكل سليم الا من خلال تتابع الوقائع والحوادث الفرعية بصورة منطقية
محكمة . وبهذا البناء وحده تخلق المسرحية من الحوادث المعقدة والمصطنعة .
والاطفال سريعو الانتباه الى أية فجوة تتخلل الحوادث .

— ان لا تكون المسرحية في نصها بعيدة عن تصورات الطفل وعن عالمه ،
أو تكون مجرد تلفيقات أو مجرد آراء يستلمها المؤلف فيصبها في قالب
مسرحي ، متصورا انها ذات شأن . . الا أن أول ما يقتضيه مسرح الاطفال
نصاً يتلاءم مع قدراتهم ويمنحهم خبرة مسرحية .

— انتقاء عناصر مسرحية كفوءة على مستوى المخرجين والمنفذين والممثلين
والموسيقيين والمغنين والمصممين . لان النص المسرحي لا يتاح له ان يتحول
الى قوة نابضة بالحياة على المسرح الا من خلال تلك العناصر . فبالنسبة الى
الممثلين لابد من توفر قدرات خاصة فيهم تؤهلهم لمخاطبة الاطفال ونقلهم من
مجرد متلقين الى متعاطفين مع الممثلين . ومن انطب المسرحيات تلك التي
يؤديها الكبار ، الا اذا كانت هناك أدوار معدة اساسا لادائها من قبل
الاطفال . وفي هذه الحالة الاخيرة ، يجب ان لا تقحم المواقف والمتصرفات
على الممثلين الاطفال اقحاما في ادوار لا قبل لهم بها .

— ان لا يبالغ في اظهار الاشرار باشكال منفردة مخافة ان يتصور الاطفال
خطأً ان الشر يرتبط بالمظهر الخارجي .

— ان يتم التوازن بين مراحل تطور المسرحية ، دون الاطناب في
المساهد التي لا تستلزم ذلك ، او الاختصار في مشهد آخر الى درجة تخل
بالمعنى او لا تهئ للطفل فرصة ملاحقة الافكار او الاستمتاع والتعاطف .

— الابتعاد عن المواعظ او الاسلوب الخطابي الذي يثير جزع الاطفال،
وينقلهم من كونهم بعداً مسرحيا كجمهور من أولى خصائصه التعاطف الى
مجرد متفرجين .

— ان يكون النص نابضا بالحياة ، مثيرا لخيال الطفل وتفكيره وان
لا تكون مشاهدته وكأنها مألوفة يمكن للطفل ان يتوقع مجرياتها مقدما
وكانها سلسلة من الافكار النمطية •

— ان تراعى في المسرحية قدرات الاطفال على التركيز والانتباه ، اذ
المعروف ان صبر الاطفال قصير ، وهذا يستوجب انطواء المسرحية على
مواقف مثيرة او مقلقة او مفاجئة ، او مواقف ترقب او مفارقات او احزان
أو افراح • وتؤلف هذه المواقف أدوات شد الى المشاهد المسرحية واحدا اثر
آخر ، تاركة الاطفال يتوقعون لنتيجة المسرحية اكثر من حكم حتى آخر
الملحظات •

— استثمار حب الاطفال للطبيعة والحياة لتنمية حبهم للعلم والانسانية
وازدراءهم لكل الافكار التي لا تريد للانسانية السلام والرفاه والسعادة عن
طريق تنمية عواطف الحب عموما • • واعلاء تعلق الاطفال بالخيال عن طريق
تسريب الافكار والمواقف الخيالية الى مسرحياتهم ، على أن لا يكون ذلك
بشكل مفتعل ، لان افتعال المواقف الخيالية يثير سخرية الاطفال ، وتتقف
خيالاتهم رافضة الانسياق اليها •

— ان يتفنن الفنيون في شد الطفل من خلال استخدام الانارة والرسوم
والاغاني والموسيقى وغيرها من الامكانيات المسرحية لخلق عالم جديد
ساحر جذاب • • وان يكون الديكور المسرحي مريحا ذا تراكيب بسيطة
والوان زاهية متوازنة • ويمكن اظهار اكسسوارات مبالغ فيها في احجامها
والوانها او اسباغ صفات انسانية او حيوانية عليها كناطقها او تحريكها • •
وهذا يعني ان يكون الاخراج شيقا واضحا •

— مراعاة الابعاد الزمانية والمكانية في المسرحيات التاريخية وما يرتبط
بتلك الابعاد من ظروف ومعتقدات •

المبحث الثاني

مسرح الاطفال في العالم

اهتمت دول العالم المتقدمة بمسارح الاطفال اهتماما بالغاً ، وتقف البلدان الاشتراكية في مقدمة دول العالم في هذا الميدان .

ونتناول ملامح سريعة عن مدى اهتمام بعض البلدان بمسارح الاطفال .

الاتحاد السوفيتي :

لم تكن مسارح الاطفال في الاتحاد السوفيتي نتيجة جهود فردية ، بل كانت قضية الدولة السوفيتية ذاتها ، حيث عنيت الدولة السوفيتية وهي ما تزال فنية بقضية الطفولة وافتتحت اول مسرح دائم للاطفال في موسكو في الذكرى الاولى لثورة اكتوبر في وقت كانت فيه الدولة تعاني من آثار الدمار والجوع بسبب الحرب .

ويزيد عدد مسارح الاطفال في الاتحاد السوفيتي عن ٤٧ مسرحاً

(بشرياً) واكثر من ١١٠ مسارح للعرائس اضافة الى مسارح مزارع الدولة الجماعية ، وهي تنتشر في كافة الجمهوريات •

وهذه المسارح هي مسارح محترفين ، ولكل مسرح فرفة من الفنانين والفنيين اضافة الى عدد من كتاب الاطفال والمعنيين بشؤون الطفولة •

وتتوالى البحوث في الاتحاد السوفيتي لدراسة جمهور الاطفال دراسة منظمة ، ليققوا على ميوله وعواطفه واتجاهاته ، ومع ذلك فان المخرجين لا يترددون عن حذف او اضافة بعض المقاطع بعد العروض الاولى قبل الاستمرار في العرض استنادا الى مدى استجابة الاطفال لها •

والمسرح المركزي للاطفال في موسكو هو نموذج لجميع مسارح الاطفال في البلاد ، وهناك عديد من المسارح المماثلة له ، وله صلات وطيدة بمسارح الاطفال كلها ، حيث يعينهم في عملهم الفني وينظم مؤتمرات للمشتغلين فيها في الاقاليم ، ويبحث بالمستشارين عند الضرورة ، وله متحف خاص به يضم معروضات كثيرة تبين تطور تاريخ مسارح الاطفال •

وتقول فالتين كوليسايف ، مديرة المسرح المركزي للاطفال :

« ان المسرح يحدث جمهوره عن معنى الحياة • ، انه يحدثهم حديثا جادا واحيانا حديثا قاسيا ••• والمتفرج الصغير ما زالت امامه حياة حافلة بالعمل المفيد والجوانب المختلفة من التجارب المثيرة ، ولن تكون هذه الحياة سهلة كالسفينة في البحر الهادي ، لذا يجب ان نعدده له •

يجب أن نريه الحياة كما هي على حقيقتها دون أن نخفي عنه جوانبها المظلمة ، ولقد نصح « بلنسكي » الكتاب الذين يكتبون للاطفال قائلًا :

« لا تشوهوا الحقيقة ولا تفقروا عليها ولا تزينوها ، ارسوا الحياة كما هي ، على حقيقتها ، بكل ما فيها من سحر وكل ما فيها من عبوس قاس ونحن المشتغلين بالمسرح نعمل بهذه النصيحة •

ومسارح الاطفال تشتمل على طائفة مختلفة من الروايات والعروض اكثر من مسارح الكبار ، فتشمل برامجها روايات سوفيتية معاصرة عن الحياة في الاتحاد السوفيتي ، وروايات عن موضوعات الحياة الاجنبية ، واخرى مأخوذة من روايات الحوريات والجن الشعبية . كما ان بعض الروايات مأخوذة من الروايات الكلاسيكية الروسية والاوربية ، والبعض الآخر تاريخي او عن الثورة او روايات المغامرات او الروايات العلمية او تمثيلات مأخوذة من الاعمال الادبية المؤلفة للاطفال والشباب .

وهذه جميعها تدور حول أنماط وألوان مختلفة من الشخصيات ، بعضها كبير والآخر صغير ، وبعضها معاصر او قديم ومنها شخصيات الحيوانات او الطيور أو قوى الطبيعة او شخصيات حكايات الجن كالسحرة والحوريات والتنين والوحوش الهائلة .

ويكتب لمسرح الاطفال عدد من اكبر الكتاب السوفيت ، حيث ضرب لهم هذا المثل من قبل الكاتبان البارزان الكس تولستوي وكونستانتين ترينيف اللذان ما زالت رواياتهما الممتازة تعرض حتى اليوم في مسارح الاطفال » .

في المانيا الديمقراطية

وفي المانيا الديمقراطية افتتح اول مسرح للاطفال بمدينة لايبزك عام ١٩٤٦ تحت اسم « مسرح العالم الفني » رغم ان آثار الحرب ماتزال ثقيلة على صدور الناس . وكان من بين اهداف ذلك المسرح ازالة الذكريات المؤلمة للحرب من نفوس الاطفال والبدء فنيا وانسانيا لتحمل مسؤوليات الحياة الجديدة .

ولم يكن لفن المسرح في المانيا الديمقراطية آنذاك تراث وتقاليد توفر له أن ينمو ويتطور ويتغلب على المشكلات التي تواجهه ، ولكن الايمان بقضية

هذا الفن في تنمية الطفولة كان له الاثر في مضي المسرح بخطوات عريضة ،
كما أن المسرح السوفيتي قدم العون للمسرح الجديد •

وجمهور هذا المسرح مقسم الى ثلاث فئات ، تتراوح أعمار الفئة الاولى
بين ٥ - ٨ سنوات ، وتقدم لهم حكايات بسيطة ممسحة ، ومسرحيات
موسيقية او ايجائية مبسطة عن الاوبرا والباليه • والفئة الثانية تتراوح
اعمارهم بين ٩ - ١٢ سنة ، وتقدم لهم مسرحيات تتناول واقع الحياة
ومسرحيات مغامرات ، اضافة الى المسرحيات الموسيقية ، أما الفئة الثالثة
فتتراوح أعمارهم بين ١٣ - ١٤ سنة ، وتقدم لهم مسرحيات كلاسيكية واخرى
معاصرة • وهذه الاعمال اضافة الى اسهامها في تنمية شخصياتهم فانها تؤهلهم
ليكونوا جمهورا واعيا للمسرح فيما بعد •

ولكن هذه الحدود بين مراحل الطفولة ليست فاصلة او حدية او مطلقة
بل تتداخل وتتشابك ، ويراعى المعنيون بالطفولة هذا الجانب •

وديكور هذا المسرح بسيط ساحر ، وموسيقاه مثيرة ، وممثلوه على
جانب من الحيوية والخفة والمهارة ، يتحدثون بأسلوب ممتع وبسيط
ومدروس ، لذا يكون التجاوب بين جمهور الاطفال وممثلي المسرح على اشداه •
ويتضح الصراع بين الخير والشر في اغلب المسرحيات • ويندر ان تعرض
مسرحية لا يجد الاطفال فيها ما يؤصل الصدق والشجاعة والاخلاص وحب
العمل والحياة والحرية والسلام والألفة بين الناس والرفق بالحيوان والعناية
بالنبات •

وفي عام ١٩٥١ افتتح معرض الصداقة في برلين الشرقية كمسرح مركزي
للاطفال والشبان ، وكانت اولى مسرحياته « انك الانسان المناسب » لغوستاف
فون فانجنهايم •

وقد اكتسب هذا المسرح بسرعة سمعة شهيرة ، وتمكن من ايجاد
مجموعة ثمينة من المؤلفات المسرحية الخاصة به ، وتكوين فرقة من الفنانين
القديرين وجذب جماهير من الاطفال والشباب •

ويمتلك المسرح الى جانب الاقسام المسرحية التقليدية ، قسما تربويا خاصا ، مهمته تحليل سلوك الاطفال ونفسياتهم وقدراتهم على الاستيعاب في مختلف مراحل نموهم ، لان نفسيات وسلوك وقدرات الاطفال في تبدل مستمر ، وردود فعل البيئة المتبدلة تحت شروط الثورة العلمية - التكنيكية تؤثر ، هي الاخرى ، في سلوك وقدرات الاطفال * ويقوم القسم التربوي بمراقبة سلوك الاطفال في قاعات المسرح اثناء العروض ، وفي فترات الاستراحة ، وفي صالات المسرح كأساس للدراسات الموضوعية عنهم (٢٠) *

وتنتشر المسارح الاخرى في جميع المدن الالمانية الديمقراطية * وهذه المسارح في مجملها تتولى الى جانب العروض المسرحية نشاطات اجتماعية متعددة منها قيام الممثلين والفنانين بزيارات مستمرة الى المدارس لتوضيح أهداف المسارح للمعلمين والتلاميذ ، والاستئناس بأرائهم حول ما عرض ويعرض من مسرحيات * كما تعقد المسارح ندوات اخرى في منظمات الطلاب *

الولايات المتحدة الامريكية :

انشىء أول مسرح للاطفال عام ١٩٠٣ ، وكان مسرحا تعليميا ، يشرف عليه الاتحاد التعليمي في نيويورك * ولكن هذا المسرح لم يستمر غير بضع سنوات *

وانشأت بعد ذلك مؤسسات وجمعيات مختلفة مسارح للاطفال منها جمعية الناشئين التي قدمت أول عمل مسرحي لها عام ١٩٢٢ ، وهي مسرحية « اليس في بلاد العجائب » ، وبعد ذلك تولت هذه الجمعية امداد فروعها في بعض الولايات المتحدة بالبرامج المسرحية * كما انشأت بعض الكليات والجامعات والمدارس المهنية مسارح للاطفال * وحتى الجامعات والكليات والمدارس التي لا تشرف على مسارح خاصة بها تتولى كل موسم تقديم مسرحية لاطفال المنطقة * ومن جانب آخر فان عددا من الجامعات والكليات بدأت

أخيرا في تدريس منهج مسرح الاطفال لتخريج فنانين ومتخصصين في هذا الميدان .

وللمجالس البلدية في الولايات المتحدة مسارحها الخاصة بالاطفال

وهناك مسارح أهلية ثابتة واخرى تنتقل بين المدن والقرى .

أما مسرح الاطفال العالمي الذي أسس عام ١٩٤٧ فله نشاط مسرحي في جميع الولايات .

ويقول الكاتب الامريكي وينفريد وارد في كتابه عن مسرح الاطفال .

« .. غالبا ما يكون الفرق كبيرا بين المسرحيات التي يعتقد الكبار انها تستهوي الاطفال ، وبين المسرحيات التي تستهويهم بالفعل . ففي الماضي كثيرا ما كانت جباعات السيدات تقدم مسرحيات خيالية عن اطفال يصعدون الى القمر ويلعبون مع سكان الكواكب ، ثم يستيقظون ليجدوا ان كل ماحدث كان مجرد حلم . أو غيرها من المسرحيات الخفيفة التي تنقصها الحيوية والموضوع الجيد الذي يستميل قلوب الاطفال .. ورغم ان كثيرا من المسرحيات الركيكة التافهة ما تزال تقدم للاطفال حتى الان ، الا ان مستواها يتجه الى الارتفاع » .

ويضيف الكاتب قائلا :

« .. ونحن في اميركا ، لم نصل الى الحد الذي ينظر فيه الى مسرح الاطفال نظرة جادة ، ونشعر بالزهو حين نقدم لاطفالنا بعض حفلات ترويحية بعد ظهر أيام السبت ، ونقنع بتقديم مسرحيات يستطيعون بها الهرب ، فترة قصيرة ، من عالم الواقع الى مغامرات ساحرة في عالم الخيال .

وما من شك في ان الخطوات التي قطعناها في طريق مسرح الاطفال كانت سريعة . فمن لاشيء منذ سنوات قليلة ، استطعنا ان نقدم كل عام عدة مئات من المسرحيات في مختلف انحاء البلاد وادخلنا الفرحة الى قلوب مئات

الآلاف من الاطفال • وهذا العمل عظيم وجدير بالتقدير ، ولكن ما يزال
أمامنا شوط طويل للغاية •

ونحن في حاجة الى فهم اكثر عمقا للاولاد والبنات ، ولابد لنا من دراسة
جمهور المتفرجين دراسة علمية متصلة والاستفادة منها ، وهذا يتطلب اخراج
مسرحيات لمستويات معينة من السن بدلا من اخراجها للاطفال عامة •
ومسرحيات الكبار قد تستهوي من تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة الى
السبعين ، اما بالنسبة لمسرحيات الاطفال فان فارق ثلاث سنوات في السن
يجعل المسرحية ثلاثم مستوى معين دون غيره •

وزيادة العناية باخراج مسرحياتنا وانتاجها سوف يصون الصورة الوهمية
في خيال المتفرجين ، ويبعث الحياة في القصة • ونظرا لاننا نعمل للاطفال
لذا ينبغي أن لا نقدم لهم انتاجا هزيلا ، وتقديم أقضى ما نستطيع من اخراج
متقن وتمثيل صادق وانتاج رائع • ينبغي أن يكون المستوى الذي يحافظ
عليه كل مسرح للاطفال في هذه البلاد •

فاذا درسنا متفرجينا دراسة دقيقة ، واخرجنا مسرحياتنا اخراجا جميلا ،
فاننا نشجع على تأليف المزيد من المسرحيات الجيدة • اتنا نريد لمسرحنا
مسرحيات اكثر جمالا واعمق دلالة ، بعضها مليء بالآراء والافكار التي تعين
أطفالنا على تفسير الحياة تفسيرا اكثر صدقا ، وبناء مجتمع أفضل ، واخرى
لأثراء جماعاتنا بتنمية احساسها بالجمال وتذوقها الواعي للفن ، وكلها تملأ
قلوب أولادنا وبناتنا بفرحة غامرة » •

البلدان الاوربية الغربية :

في البلدان الغربية الاوربية لم نجد اهتماما على مستوى عال بمسرح
الاطفال • ويبدو ان في مقدمة اسباب ذلك انه يفترض في مسرح الاطفال أن

تكون اسعار تذاكر الدخول زهيدة ، لذا عزفت الدور التجارية عن انشاء
مسارح للاطفال نظرا لما يستلزمه من تكاليف تعجز الموارد عن ايفائها •
ولكن المسارح المدرسية تقوم بنشاط مسرحي واسع في جميع المدارس
وعلى مختلف المراحل الدراسية •
ومن جانب آخر فان مواسم ومهرجانات مسرحية كبيرة تنظم للاطفال
في جميع البلدان الاوربية الغربية •

المبحث الثالث

مسرح الدمى

الدمية في حياة الطفل

عرف الانسان الدمية قبل أن تظهر ممثلة على المسرح بزمن بعيد *
ولعبت أنثراً في حياته منذ عصور ما قبل التاريخ *

وهذه آلاف الدمى الصغيرة التي تمثل مختلف الاحياء وجدت في آثار
الانسان القديم في بلاد ما بين النهرين يعود تاريخها الى الالف السادس قبل
الميلاد * واذا كان الانسان قد استخدم هذه الدمى الصغيرة لاغراض طقوسية
دينية ام استخدمها الاطفال للهو واللعب ، أم كحوز تنظيم في القلائد لتفعل
فعلا سحريا يحمي حاملها من الشرور والاذى ! فانها ، ولا شك ، كانت تعني
شيئا كبيرا بالنسبة الى الانسان آنذاك ، ناهيك عن المنحوتات التي كانت
تمثل الرجال والنساء من الآلهة والملوك الذين كانوا ينتصبون في المعابد ،
يتعبد لها الناس ويتبركون بها ويقدمون لها القرابين *

وما يزال المنقبون بين الآثار القديمة يعثرون على دمى صغيرة تمثل :

محتلف الحيوانات • وقد عثر في مصر على دمي ذات أذرع وارجل متحركة ،
مما دعا الباحثين الى التساؤل فيما اذا كانت هذه الدمى المفصلية تسير الى أن
هناك مسارح دمي في تلك الفترات الغابرة في التاريخ •

وذكر ارسطو خبر دمي تتحرك تلقائيا اذا أسقط عليها الرمل أو الزئبق ،
وقارن هوراس التساؤل الروماني بين الانسان والدمى الخشبية التي تتحرك
بشد الخيوط •

ووجدت مجاميع ضخمة من دمي معدنية لجنود وفرسان ومصارعين
وعربات وانواع مختلفة من الحيوانات في ايطاليا في مقبرة للاطفال تعود
للاتروسكيين القدماء • وكان قد عثر قبل ذلك في مصر على دمي في مقابر
بعض الاطفال تعود الى ما قبل الميلاد بمئة وخمسين سنة قبل الميلاد •

واطفال اليوم أشد تعلقاً بالدمى من ذي قبل ، بعد أن تطور صنع
الدمى ، واصبحت ذات اشكال جذابة • وهاهم الاطفال اليوم يقضون مع
دماهم أوقاتا طويلة • • ومنهم من يسعده ان ترافقه دماه حتى عند خروجه
من البيت ، بل منهم من يصطحب دماه الى مدرسته في الايام الاولى لدخوله
المدرسة كي يبعدوا عن انفسهم الشعور بالغربة في المحيط الجديد •

والدمية رفيقة الطفل منذ مراحل طفولته الاولى ، وهو يضي عليها
كثيرا من المشاعر والاحساسات ، ويحدثها ، ويضاحكها ، ويدغدغها ، واحيانا
يغضب عليها فيخاصمها ثم لا تلبث سورة غضبه أن تهدأ فيعود اليها يتعامل
معه برفق كأنها صديق وفي •

وهذا القرب بين الطفل والدمية يجعل الطفل يستمتع بحركات الدمية
ورقصاتها واغنياتها ، كما يتقبل ما تقوله له برضا بالغ ، بل ان كثيرا من
النصائح التي يعزف عنها الطفل ، في العادة في حين يسمعه من انسان ، فانه
يتقبلها حين تحدثه بها الدمية المحببة • ومن هنا يتضح الاثر النفسي لمسرح
الدمى • اذ ان خيال الطفل يجعل من الدمية حية حياة كاملة •

ومن جانب آخر يميل الاطفال الى تجريد الانباء من تفاصيلها وتحليل تراكييها الى عناصر اولية - وهذا ما يبدو جليا في اسلوب رسومهم - ولهذا كان تمثيل الدمى مؤثرا في الطفولة ، لان حركة الدمى هي حركة ميكانيكية ومحللة الى عناصرها الحركية الاولى والى اصولها التسكيلة * فضلا عن ان الدمى من حيث تكوينها كشخصيات مسرحية هي بالضرورة شخصيات مثبتة أي كل منها احادية الصفة (٢١) .

مسرح الدمى

مسرح الدمى هو امتداد للدمى التي لعب بها الاطفال اولاً ، ولتلك التي عبر بها الانسان في فجر التاريخ عن عالم الروح وما فوق الواقع ، فأسبغ عليها مهابة وقداسة - هي في رأيه - لا يمكن ان ينالها الا الآلهة والملوك والامراء * .

ويؤكد المؤرخ شارلس نور ييه انه ليس هناك ما يمنع من أن يكون الطفل قد حدد لاطراف دميته وسائل تحريكها لكي يمنحها اكبر قسط من الواقعية ، وذلك لان الطفل يرى دائما دميته كائنا حيا ، ويتعامل معها على هذا الاساس (٢٢) .

وعلى أية حال ، فان الدمية التي « تمثل » على المسرح اليوم هي غير دمية اولئك الذين أسبغوا عليها القداسة ، وهي غير الدمية التي يلهو بها الاطفال ، لان الدمية في هذا اللون المسرحي هي كائن خارق الحيوية ، يفكر ، ويخطط ، وينفذ ، ويتحرك ، ويتكلم ، ويجب عن كل الاسئلة ، ويحل العقد والمشكلات ويشارك في مختلف البطولات * .

ويقوم مسرح الدمى على بعث الحياة في الدمية * وهذه الحياة لا تسحر الاطفال وحدهم بل تثير نفوس الكبار أيضا ، لذا فان مسرح الدمى في نشأته الاولى لم يكن للاطفال ، بل كان للكبار ، وما يزال الكبار يجدون في عروضه متعة كبيرة ، بل أن بعض مسارح الدمى مخصصة للكبار وحدهم * .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أدى لاعب العرائس الروسي الشهير سيرجي ابرازوف الكثير من العروض العرائسية امام الجنود في جبهات القتال •

ويتميز مسرح الدمى بطغيان الخيال الذي يبتكره الفنان ، انه عالم من الفانتازيا تتسع آفاقه الى حيث تتسع آفاق خيالات الفنان ، وعلى هذا يقال عنه انه مسرح الخوارق ، لان من المؤلف أن نجد فيه الخارق للمألوف •

والدمية على المسرح ليست صورة أخرى من الانسان ، تقلده وتحاكيه ، تماما مثلما هي ليست لعبة للاطفال ، بل هي هيكلي يمثل وفق ما يريده الفنان تمثيلا غير اعتيادي ، لان الدمى لا يمكن ان تتحرك وتعبّر بنفس الطريقة التي يتحرك ويعبر بها الممثل • كما أن الممثل لا يمكن أن يقلدها • • وهذه ميزة ذات أهمية لانها تجعل من الدمية وسيلة تعبير مكتملة « بما توحى به من دلالات رمزية وبما تنطوي عليه من امكانيات تعبيرية ، وهي بهذا تكون أقوى تأثيرا من الممثل بكل آدميته وطاقته البشرية • وهذا جوردن كريج الذي كان يحلم أن يكون مثله مثل الدمية ، بل وان يتفوق عليها ، وهذا ما أسماه بالدمية الخارقة » (٢٣) وعلى هذا الاساس اكتسب مسرح الدمى ميزة عن المسرح البشري •

فاذا كان المسرح البشري بامكانياته ، ومقوماته ، ومناظره ، ومؤثراته الضوئية والصوتية ، وحيله المختلفة ، يتفق مع تفكير الاطفال الحسي ، ويستطيع أن ينقلهم الى العالم الساحر الخلاب ، الذي يسعدهم أن يعيشوا فيه •

واذا كانت المسرحية الناجحة تستطيع أن تستغل عوامل الايهام المسرحي لتجسم امام الاطفال ما يتراءى لهم في خيالهم الايهامي أو خيالهم الابداعي ، وتصل بهم الى درجات كبيرة من الاندماج والتعاطف الدرامي مما يرتفع بهم الى قمة الثقة والسرور •

اذا كان هذا يصدق على المسرح بصفة عامة فانه اكثر ما يكون صدقا بالنسبة الى مسرح الدمى بصفة خاصة ، ذلك لان الفرق بين المسرح (البشري)

ومسرح الدمى يكمن في نوع الممثلين ، فهم في المسرح الاول بسر ، لهم صفات واصوات وامكانيات البشر ، ولا يستطيع (الماكياج) ، ولا تستطيع الملابس وامكانيات الاخراج ، بصفة عامة ، ان تعدل من هذه الصفات البشرية الا الى قدر محدود .

اما في المسرح الثاني ، فان الممثلين مخلوقات خيالية ، ابدعها خيال المؤلف ، وصنعها موهبة الفنان ، وحركتها ارادة المخرج ، في إطار واسع من الحرية في مجال الابداع الفني لا نظير له في المسرح الآدمي ، وهذا يتيح لمسرح الدمى ان يسبح في عالم الخيال ، مما يصعب تنفيذه على المسرح (البشري) بالاشخاص العاديين^(٢٤) .

وهناك من يتصور ان مسرح الدمى يبدأ من حيث تنتهي امكانيات المسرح البشري ، ولكن مسرح الدمى لون فني له خصائصه المتميزة ، ويعتمد على النواحي البصرية اكثر مما يعتمد على الحوار اللفظي ، وتزداد قوة هذا الفن واقترابه من خصائصه كلما زادت امكانية مزيئاته في التعبير عن المضمون^(٢٥) .

ويستخدم مسرح العرائس اليوم في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية في كثير من بلدان العالم ، حيث تتم مسرحية المناهج ، واصبح بالامكان تقديم العلوم والتاريخ والاداب وغيرهما من خلاله . ويتيح للتلاميذ فرصا للنعاون والعمل الخلاق فيما يتصل بالرسم ، وصناعة الدمى ، واعداد الملابس المناسبة ، واعداد الحوار ، وفي عرضها ، وفي اداء الموسيقى المصاحبة للعرض ، وغير ذلك من النشاط المتصل بهذا اللون .

واستخدام الدمى يوفر للتلاميذ خبرات تعليمية ممتازة ، اضافة تسليتهم والترويح عنهم ، ومن جانب آخر فان هذا الفن يشكل طريقة مؤثرة في التعبير عن الافكار والموضوعات المختلفة^(٢٦) .

وتصعب على الدمى التعبيرات والحركات الاعتيادية ، لانها بطيئة .

- سواء في تركيبها أم نحريكها - تزرع نحو البساطة أو التهويل ، لكي تركز وتوضح خصائص معينة • لذلك فمن اهم ما يجب مراعاته في الدمية ان تكون على طبيعتها ، وهذا لا يتأتى الا اذا صممت بعد دراسة مستفيضة للشخصية وعلاقتها بالشخصيات الاخرى ، وجو المنطقة التي تعبر عنه المسرحية ، وجو العصر الذي تحدث فيه (٢٧) •

وطبيعة الدمى البعيدة عن طبيعة الممثلين في المسرح (البشري) تفرض أن تكون لها خصائصها وفقا للدور الذي تؤديه ، وان تكون اصواتها خاصة بها ، أي أن لا تكون اصواتا اعتيادية • ويميل محركو الدمى الى التكلم من حناجرهم أو انوفهم • ولكن بظهور الآلات الحديدية أمكن التحكم آليا بالصوت الآدمي • وكان لاعبو الدمى القدماء يستخدمون زمارات مختلفة الاطوال والاحجام لاجراج أصوات متميزة عن الاصوات الاعتيادية •

ومن الدمى ماهي قفازية تلبس باليد وتحركها الاصابع ، وهي صغيرة في العادة ، ومنها ما هي ذات خيوط تحرك بخيوط أو أسلاك رفيعة من الاعلى أو الاسفل • أما خيال الظل أو ظل الخيال فان عرائسه تصنع من جلود ، ويوضع خلف سارة بيضاء ومن خلفها مصباح ، فتنعكس ظلال تلك الدمى على الستارة ليراها المساهدون من الجهة الاخرى •

الفصل الرابع

برامج الأطفال في الإذاعة

المبحث الاول

نظرة عامة

يوم قال الشاعر العربي : ان « الاذن تعشق قبل العين أحياناً » كان على حق ، لان الاذن اداة استماع فني ذات شأن .

وبرنامج الاطفال في الاذاعة هو فن مسموع ، يعتمد على الاذن ، في الاساس ، وحين يحمل مضمونا ثريا ويتخذ شكلا فنيا جميلا ويطرق آذان الاطفال بهدوء ودعة ، ويتناغم مع احساساتهم ، فإنه ، ولاشك ، يسهم في تشكيل وجدانهم ومعاونتهم على النمو السليم .

وبرامج الاطفال في الاذاعة مجال آخر من مجالات الاتصال بجمهور الاطفال . وعلى ذلك ، فمضامينها تؤلف جزءاً من أدب الاطفال .

والاذاعة تعتمد على الصوت فقط ، اي انها تعتمد على حاسة السمع ،
وحين تنطلق الاصوات عبر الاثير ، فإن حاسة البصر قد تعطي المجال للاذن
لالتقاطها لتتحول فيما بعد الى صور حسية وذهنية ترسمها المخيلة ، وقد
لا تعطي مثل هذا المجال حين تكون مشغولة في التطلع الى شئ آخر شاغلة
معها الذهن . والاستماع ، في حد ذاته ، يتطلب شيئاً من الجهد ، اذ نادراً
ما يستطيع الفرد الانصراف الى الاستمتاع دون ان يجد نفسه قد انشغل
بنشاط مرئي آخر .

وعلى هذا ، ومن اجل ان تحول الاذاعة دون انشغال الطفل بعيداً عنها،
ينبغي لها أن تستولي على مشاعره ، ولن يتهياً لها ذلك الا من خلال الاصوات
الحية والكلمات المعبرة والمؤثرات الصوتية الدافقة والمضامين المثيرة .

والاذاعة اداة اجتماعية فريدة ، ذلك ان المذيع أعمى وأصم مع جمهوره،
والمستمع كذلك أعمى وأصم وأبكم مع المذيع ، ومع ذلك فان قوة الاصوات
تستطيع أن توحى بصور خيالية هي أكثر من أن تعوض من عدم توفر
الرؤية . ذلك ان الصورة تتكون في ذهن السامع دون أن تتقيد بتفاصيل
محددة ، فهي لذلك صورة كاملة ، لان السامع يستطيع أن يكتفي حسب
ذوقه الخاص^(١) .

لذا فالصوت الاذاعي يتحمل اعباء ثقيلة من أجل أن يشد بأذني الطفل
اليه رغم افتقاره الى الاضواء والديكور وحركات الممثلين وتعبيرات
وجوههم . ومع هذا توفّر له تقديم ألوان فنية زاخرة من أدب الاطفال ،
وبهذا استطاع أن يسد ما يعانيه من نقص بابرار صور صوتية تهى للطفل
أن يفهم ما يجري خلف المايكروفون من وقائع .

وبفضل ما اضافته الاذاعة للكلمات والاصوات البشرية والحيوانية
والمؤثرات الصوتية من أبعاد جديدة استطاعت ان تحمل بالثقافة بعيداً
متجاوزة حواجز زمانية ومكانية ، وان تحمل بها عريضا مخاطبة كل الاجناس

البسرة وكل الاعمار ، بمن فيهم الاطفال ، اينما وجدوا . وبذا اتفعل الاطفال
بالكلمات وتغنوا بالنغمات المسابة عبر الانير .

شكل ضمون

برنامج الاطفال

الاسلوب غير المباشر في المخاطبة الاعلامية والاتصال الثقافي ضرورة
أساسية بوجه عام . والطفل ، بسبب حساسيته المرهفة لا يطبق الاستماع ،
بله الأمتثال ، لما يقدم له بشكل مباشر ، خاصة وان الطفل في مجتمعنا هو
« رجل متعب » لانه يحيا في بيئته ومدرسته تحت سماء من النصائح
والارشادات والتوجيهات الآمرة المنفرة ، وهو كثيرا ما يقف حياها حائرا
لا يجد الا أن يتحداها ويمرق عليها . فضلا عن أن كثيرا من المضامين التي
يتلقاها الطفل ، وفق الصيغ المباشرة او الخطائية ، لا تلبث ان تغيب عن
ذاكرته بعد حين . وعندما تعاد اليه من جديد ، يجد نفسه مدفوعا الى النفرة
منها بينما هو يتقبل تكرار المواد الادبية المائعة وكثيرا ما يلح من اجل ان تعاد
عليه مرة بعد مرة . فهو يلحف عليك من اجل ن تعيد له رواية قصة اعجبته
كلما وجدك على استعداد لذلك ، واحيانا لا يوفق في التعرف الى استعدادك
للاواية فتزجره ، وعند ذاك يضطر الى السكوت ، ولكنه ما ان يستوحي
استعدادك بعد ذلك حتى يطالبك من جديد .

وليس بالوسع تحديد صيغ ثابتة الابعاد لطريقة مخاطبة الطفل من
خلال البرنامج الاذاعي ، ويظل للقدرة الادبية والذوق السليم دوره الكبير
في تحديد ذلك . ويسكن القول أن أفضل الصيغ هو الشكل القصصي ،
سواء كان مروياً أم مسنلاً أم مسرحاً أم على شكل ديالوج قصير مثير ،
كما يمكن تقديم الاخبار والمعلومات والحوادث على شكل قصصي .

ولما كان الطفل كثير النشود ولا يقوى على الانتباه الطويل ، لذا كان
من الضروري أن تكون مسامع البرنامج موجزة ومكثفة ، وان يجد الطفل
في كل فقرة ما يشد انتباهه وما يدعوه الى متابعة الفقرة التالية . والروح

الخفيفة التي يخفق بها البرنامج واجواء المرح تقيم بين الطفل والبرنامج معبرا لا تقوى أية موجة عابرة على اجتياحه *

والايجاز في النص الاذاعي لا يبيح لنا ان نختصر الى الحد الذي يمسي فيه من الصعب على الطفل ان يقف على ما نريد بسهولة ، لذا وجب أن يقرن الايجاز بالوضوح لان الطفل يصاب بقرف شديد حين يجد مادة مقدمة له لا يقوى على فهمها ، كما اننا حين نغالي في الشرح والتفصيل نجد - بعد حين - اننا نتحدث الى انفسنا ، فقد عزف عنا الطفل وتبرم *

ولغة البرنامج الاذاعي هي لغة بسيطة في العادة ، خالية من الالفاظ الغريبة والتركيبات اللغوية المعقدة دون الوصول الى حد السذاجة ، لان الطفل يرى في ذلك استصغارا لشأنه وامتهانا لذكائه *

وبرامج الاطفال ، شأنها شأن كل ألوان ادب الاطفال ، يتعين ان تتحدد وفق مراحل العمر شكلا ومضمونا ، لان اهتمامات وميول وقدرات وحاجات الاطفال تختلف من طور الى طور *

أما فقرات برنامج الطفل فليس بالوسع وضع اطار ثابت للقسمات لها . ولكن من الضروري أن يكون للبرنامج خط فكري متكامل ، والا تحول الى مجرد متفرقات متنوعة او مختارات لا تربط بينها رابطة ولا يجمعها هدف مشترك ، وحتى ان كان بين تلك المختارات المتفرقة ما هو مفيد ومؤثر فان ذلك لا يشفع لبرنامج لا تخضع فقراته في مجملها لفلسفة واضحة *

والكتابة للاذاعة بوجه عام ، لون ادبي له أبعاده وخصائصه المتميزة ، بل هناك من يذهب الى القول انه فن قائم بذاته ، اما الكتابة للاطفال من خلال الاذاعة ، فهي جانب من هذا الفن ، وهي ولاشك اكثر الجوانب صعوبة *

ومن الالوان الادبية التي يمكن تناولها في برامج الاذاعة ما يلي :

- المسرحيات :

لاتتيح الاذاعة تقديم كل الالوان المسرحية لاعتمادها على الصوت وحده . ولكن هذا لا يمنع من تقديم المسرحيات والالوان التمثيلية الاخرى التي تعد أساسا للاذاعة . وهي تتميز عادة بحبكة بسيطة تهىء للاطفال فرصة متابعة احداثها والاستمتاع بها ، كما تتميز بالقصر ، وبالاثارة ، والحركة السريعة ، ووضوح الحوادث ، ووضوح الفكرة ، مع الابتعاد عن الاسلوب المباشر في نقل القيم والافكار .

وبالوسع تناول الحوادث والشخصيات الخيالية اضافة الى الواقعية ، مع الحرص على عدم شحن الالوان التمثيلية بالكثير من الاثارة التي تصل الى مستوى التوتر ، لانها في هذه الحالة تعطي مردودا سلبا .

- القصة :

يمكن تناول كل الالوان القصصية ضمن برامج الاطفال ، على أن تتم صياغتها واخراجها بما يناسب امكانيات الاذاعة .

ويتخذ تقديم القصة عبر المايكروفون اشكالا متعددة منها القصة المقروءة ، والقصة المروية (التي تعتمد على الراوي) والقصة المستندة الى الحوار .

وفي هذه الحالات جميعها لابد ان يكون الالتقاء انسيايا ومعبرا ، وان تستخدم الامكانيات الصوتية بطريقة فنية . كالموسيقى التصويرية والموسيقى الخلفية والمؤثرات الصوتية والاغاني . وطبيعة القصة تفرض اسلوب الاخراج المناسب وتقرر الاصوات المناسبة ، لكي تصل الى الطفل نابضة حية تحمل المعاني والقيم .

وهنا لابد من الاشارة الى ان كثيرا من الشخصيات الخيالية التي يصعب تصويرها من خلال التلفزيون يمكن التعبير عنها من خلال الاذاعة عن طريق الرواية مع الاستعانة باصواتها . كما ان الاذاعة تهىء للاطفال الفرصة

لتشكيل الصور الذهنية عن تلك النسخات وفقا لمستويات نموهم العقلية والعاطفية ، وخبراتهم الثقافية •

ـ الشعر :

الشعر يهز الاطفال ويؤثر في نفوسهم ، والاذاعة هي الوسيلة الفضلى لتقديم الشعر للاطفال •

وتتضمن برامج الاطفال ، في العادة ، قصائد يقرأها الاطفال بأنفسهم ، مجتمعين او فرادى ، اضافة الى ما يقرأه لهم الكبار بطريقة منعمة •

والقصائد المقدمة للاطفال قبل السادسة من اعمارهم تركز على الايقاع والموسيقية أكثر من تركيزها على المعاني •

وتسهم القصائد الشعرية في تدريب اذني الطفل على الاستماع اضافة الى ما تحمله من معان اخلاقية وادبية وفنية ، وما تشيعه في نفسه من التبات والثقة والمرح •

فقرات اخرى :

وتتسع برامج الاطفال في الاذاعة ، اضافة الى ذلك ، للاغاني والالعب والمسابقات والاختبار والهوايات والريورتاجات الاذاعية والمقابلات •

مقدمو البرنامج :

هناك من يدعو الى أن يتولى الاطفال وحدهم تلاوة فقرات البرنامج من اوله الى آخره •• وهذا خطأ كبير وقعت فيه كثير من الاذاعات ، وما تزال بعض الاذاعات تقع فيه حتى اليوم • والملاحظ ان الاطفال يتعلقون بكثير من الكبار من مقدمي برامجهم في اذاعات كثيرة في العالم ، ذلك ان هؤلاء وفقوا في ان يقيموا صداقة بينهم وبين جمهورهم من الاطفال عبر المذيع ، مثل شخصية ساندمان التي تتخذ شكل رجل في الراديو ودمية في التلفزيون في المانيا الديمقراطية ، وشخصية بايون كوليخانوفيتش في اذاعة بيلوروسيا •

والاطفال في العادة ينتظرون القصة او الحكاية او المعلومة او الفكرة من رجل او امرأة ، ذلك لانهم ينصرون ان هؤلاء وحدهم يحفظون القصص والحكايات ويعرفون الحقائق والمعلومات ، وهم يستبعدون ان يكون افرانهم الاطفال من مقدمي البرامج على بينة بما يقال في هذا المجال مادامت تلك الفقرة المقدمة جديدة على الطفل مثيرة له *

ومما يتيح لنا في الوطن العربي فرصة أكبر في هذا الميدان ، هو أن ظاهرة احترام الصغير للكبير في مجتمعنا ما تزال قوية ، وبالتالي فان الطفل يعني بما يقال له من الكبار اكثر من عنايته بما يقال له من انداده ، يضاف الى ذلك ان الاطفال الذين يتولون تقديم البرامج كثيرا ما يتعرضون لما يسمى « اسطورة النجوم » *

وهناك من يقول « على مقدم برنامج الاطفال من الكبار ان يكون لديه الاستعداد لنسيان عمره وما يستتبع هذا العمر من احترام ووقار » ولكن هؤلاء يقولون جزءاً من الحقيقة ، فقد اتضح امر اولئك الذين كانوا « يتطافلون » أو « يتصابون » وهم يقدمون برامج الاطفال * واذا كان قد تهيأ لأولئك الذين اتوا بتلك « المقولة » ان شاهدوا الاطفال يتجمعون حول مثل « متطافل » أو متصاب وهم يتضحكون ، فهم ولا نسك يضحكون عليه وهو يطم ببوزه ، وجين يمدون باعناقهم نحوه فهم ، ولا شك ، يراقبون أذنيه وهما ترتفعان وتنخفضان ، أو رقبتة وهي تهتز ذات اليمين وذات الشمال ، وهم ، بلا ريب ، سعداء ، وسر سعادتهم لا فيما يقدم لهم ، بل بهذا المشهد الذي لا يمكن أن يتواتر أمامهم كثيرا ، هذا بالنسبة الى الاطفال الذين يتجمعون حول « المقدم » في الاستوديو ، اما اولئك الذين ينتظر ان يكونوا قبالة الراديو يستمعون ، فقد تتصور - أيها القارئ الكريم - انني أقول عنهم مساكين ، ولكن لا ، لانك لن تجددهم الا بعيدا عن الراديو ، مادام لكل منهم ساقان يمكن ان تجريا سريعا ، بل

لكل منهم من الامل ما يمكن لائنين منها فقط ان تسكت الراديو الى الابد .

ان الطفل يسعده أن تقيم معه صداقة متينة ، وان تحبه وان تحترمه ، وان لا تترفع عليه ، وهو لا يريد ان تقلل من شأن شخصيته وتخطبه وكأنه ما يزال مخلوقا ساذجا لا يقدر على فهمك كما انه لا يريد من الآخرين ان يقللوا من شأن انفسهم ، لذا فهو لا يريد من مقدم البرنامج الكبير ان يضرب وقار كبره عرض الحائط ، وهو يستهين به ان هو ارتضى التضحية بكبريائه . . انه يريد محترما له وصديقا حميما لا يتعالى عليه .

يضاف الى ذلك ان مقدم البرنامج الناجح هو الذي يجيد اللقاء والتحدث الى الاطفال وييدي استمناعه بما يقرأ دون افتعال او تكلف ويستطيع من خلال صوته ان يبعث في النص شيئا من الحيوية والتشويق . وفي بعض الاذاعات يتم انتقاء مقدمي برامج الاطفال بحذر وعناية ، وتقام لهم دورات خاصة قبل ان تنتقل اصواتهم الى اسماع الاطفال .

أما بالنسبة الى المقدمين الصغار فقد لوحظ انهم كثيرا ما يصبحون شديدي الثقة بانفسهم ، متصنعين ، او مبالغين في رقتهم ، وقد يتأصل في نفوسهم الشعور بالعظمة حين يجدون اقراهم يستمعون اليهم باعجاب واكبار ، ومن جانب آخر قد يصابون عندما يشبون ، بخيبة أمل او احباط ، لانهم يجدون انفسهم في طفولتهم « كباراً » ثم لا يلبثون بعد أن يشبوا أن يجدوا انفسهم بمستوى اقراهم او أقل منهم . . ولهذا تحترس كثير من الاذاعات من قيام الاطفال بتقديم البرامج .

ولكن لضرورات فنية وادبية يقتضي الامر اشراك الاطفال في تقديم البرامج الى جانب الكبار .

ولا يدخل ضمن التحذير الذي نوردته مشاركة الاطفال في برامج

الالعب والمسابقات والانشيد ، ذلك ان مشاركة هؤلاء هي مشاركات غير متواصلة ، في الغالب كما انها ليست حكرا لطائفة محددة من الاطفال •

اخراج

برامج الاطفال :

مهمة المخرج الاذاعي هي نقل المادة المكتوبة الى كلمات واصوات ، أو بعث الحياة في النص المكتوب وتحويله الى لوحة فنية تنبض بالقوة والاثارة والتشويق •

والبرنامج الجيد هو الذي ينقل الطفل الى اجوائه ليعيش فيها للحظات ، وهذا لا يتم الا بآثارة الطفل وتشويقه ودغدغة خيالاته الرحية • ولما كان البعض قد أطلق على الاذاعة اسم « الاداة العرجاء » بعد ظهور التلفزيون ، فان الاخراج الجيد من خلال الاذاعة لا يضع لها عكازة متينة بدل الساق المنسلولة ، بل يمنحها ساقا جديدة سليمة ، مادام لها لسان قادر على ايصال الصوت الى المسامع وسط موكب مهيب يسهم المخرج في قيادته لتصبح في موقع لا يضارع التلفزيون حين يخاطب الاطفال فحسب بل تتخطاه قوة وتأثيرا • فالاصوات البشرية والمؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية والامكانيات الاخرى المتاحة للاذاعة يمكنها اذا ما استخدمت بشكل فني ان تسحر الاطفال وتشبع خيالهم • والتلفزيون ، ان كان بوسعه ان ينقل الصورة بصدق بالغ فان من الصعوبة ابراز الصور الخيالية التي تهفو اليها نفوس الاطفال • والاطفال يرسمون ، في العادة ، صورا خيالية للشخص والحوادث والمواقع من خلال ما يتناهى الى مسامعهم ، أما التلفزيون فانه يضيق الخناق على آفاق الاطفال ويسارع الى تقديمها جاهزة في وقت يطلقها الراديو من عقالها •

وما نلمسه اليوم من تدافع الاطفال امام الشاشة الصغيرة ، وعزوفهم عن الراديو ، لا يقلل من صحة تلك الحقيقة ، لان الخلل الرئيس هو في برامج الاطفال من حيث النص والاخراج ، لا في الجهاز نفسه كوسيط •

ومتى ما تهيأت للاطفال برامج اذاعية تتكامل فيها الابعاد الاساسية فانهم
ولا شك سيجدون فيها ضالة من ضالاتهم •

ولا شك ان اخراج البرنامج الاذاعي أصعب بكثير من اخراج
البرنامج التلفزيوني ، لان على المخرج الاذاعي أن يعوض عن الحاسة
الناقصة وهي البصر وان يخلق الصور في ذهن الطفل ويمده بالعوامل التي
تساعده على تخيلها ورسمها في الوقت الذي تتوفر فيه للمخرج التلفزيوني
امكانيات أخرى كثيرة تعتمد على حاسة البصر •

مواصفات اخرى :

أشرنا الى بعض مزايا البرنامج الناجح ، ونشير في أدناه الى بعض
آخر ، رغم انه ليست هناك قواعد ثابتة محددة ، لكن ما نشير اليه ليس الا
مبادئ عامة :

- ان يثير الاطفال ويجتذبهم ، وان لاتصل الاثارة الى حد التوتر

- لما كانت البرامج عموما تتميز بطبيعة سريعة لايمكن استعادتها أو
التمعن فيها كما هو الحال في الكتاب او المجلة ، لذا وجب أن تتميز المادة
بالوضوح •

- حيث انه من المستبعد أن يترقب الطفل موعد البرنامج ، لذا لابد من
ان تكون مقدمة البرنامج مشوقة ومثيرة • وان يكون لحنه المميز جذابا ،
ومن المستحسن ان تسبق برنامج الاطفال مجموعة من اغاني الاطفال
الجميلة •

- أن يستمر شد الطفل الى برنامجيه ، لان الطفل سريع الشرود
والانشغال بأمور أخرى غير الاستماع ، وحيث ان تركيز الانتباه لا يمكن
أن يكون الا في موضوع واحد ، لذا فان انصراف الطفل عن متابعة البرنامج
أمر محتمل ان لم يكن البرنامج قد استولى على مشاعر الطفل منذ البداية
حتى النهاية •

- أن يكون البرنامج وحدة متكاملة ، وان لا تحشر أية مادة حشرا ،
لان الطفل سرعان ما يدرك انها دخيلة ومفتعلة •

- أن تستهدف كل مادة اثارة تفكير الطفل ، اضافة الى ما تنطوي
عليه من قيم وافكار ومبادئ ومعلومات ، لان هناك خشية دائمة من أن
يكون برامج الاطفال اداة لتعطيل قدرات الاطفال على التفكير الخلاق ،
حين يخضعون تفكيرهم لما يستمعون اليه ويتقبلون ما فيها دون مناقشة أو
تحصن باعتبارها صادرة عن يتوسم فيهم الاطفال الخبرة والمعرفة •

- ان تتناسب مضامين البرامج واشكالها مع حصائل الاطفال اللغوية
ومستويات نهم العقلية والعاطفية والنفسية والاجتماعية •

- ان تكون المعلومات والافكار دقيقة وصحيحة ، لان اكتشاف
الاطفال للخطأ يفقدنهم الثقة ببرنامجهن • كما ان اكتساب الطفل لخطأ من
الاطفاء يستلزم جهودا مضنية لتصحيحه • ولاشك أن من اسباب عدم
نجاح خطط الارشاد الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية لدى الكبار يعود الى
الطرق الخاطئة في الصغر التي غرست في عقولهم مفاهيم وافكارا خاطئة •

- ان تقدم البرامج في الاوقات المناسبة التي يستطيع اكبر عدد من
الاطفال الاستماع اليها •

- ان يستخدم المخرج كل الامكانيات المتاحة للاذاعة من اجل بعث
الحياة في النص وتشكيل لوحة متناسقة مؤثرة منه •

- ان تكون الشخصيات صادقة ومعبرة ، وان يتم الابتعاد عن اقحام
شخصيات مثالية او كاملة ، لان مثل هذه الشخصيات لا وجود لها ،
والاطفال شديدا القدرة على التمييز • ويستحسن ان تكون لكل شخصية
طريقة خاصة في الكلام والتعبير عن نفسها ، كي لا يبدو البرنامج راكدا •

المبحث الثاني

برامج الاطفال في العالم

في اذاعات العالم برامج متعددة للاطفال على مختلف اطوار نموهم *

ففي اذاعة المانيا الديمقراطية برامج مخصصة للاطفال في مرحلة من العمر بين ٥ - ١٠ سنوات ، وبرنامج للاطفال بين ١١ - ١٤ سنة ، وهو برنامج الطلائع * أما الاطفال الذين تقل اعمارهم عن الخامسة فلهم برنامجهم الخاص الذي يتضمن فقرات ثقافية مسلية ، وهو مخصص للاطفال الذين لاينتظمون في رياض الاطفال ، ويسعى الى أن يجعلهم بمستوى اقرانهم في رياض الاطفال ، ليكونوا على استعداد لدخول المدرسة *

وهناك برنامج اسبوعي عن الريف يتناول كل ما يتعلق بالزراعة الحديثة وحياة الفلاحين وحياة النبات والاهتمام بها *

أما برامج الاطفال السياسية فهي تتناول كفاح الشعوب من اجل حريتها ، وتشجع الاطفال على أن يكونوا ايجابيين ازاء اطفال الشعوب الاخرى ، وتتحدث لهم عن اصدقائهم واعدائهم ، اضافة الى تناولها لكثير

من الامور السياسية بسكل يتناسب ووعيهم * يضاف الى ذلك برامج القصص والحكايات والتمثيلات والاغاني *

ومن أحب الشخصيات الى الاطفال شخصية (ساندمان) وهو يظهر في الاذاعة كرجل يحدث الاطفال وينشر النوم في عيونهم وفي التلفزيون يمثل دور دمية (٢) *

واذاعة بولندا تقدم ٤٠ دقيقة للاطفال كل يوم بالاضافة الى اربع ساعات يوم الاحد ، وهذه النسبة تشكل ٢٠٪ من الارسلال العام وتخضع هذه البرامج لخطة سنوية عامة ، واخرى تفصيلية كل ستة اشهر تناقش مع منظمة الطلائع ووزارتي الثقافة والتعليم *

وتتميز برامج الاطفال في بولندا بكثرة اللقاءات والمناقشات الحية مع الاطفال ، وهذه اللقاءات تقدم في الغالب على الهواء دون تسجيل سابق *

وتعنى برامج اخرى للاطفال بالعلم وانتصاراته *

ومن البرامج التي استطاعت جذب انتباه آلاف الاطفال ، برنامج اخباري يقدم تفسيراً للأحداث المحلية والعالمية ، ويركز على علاقة بلادهم بالدول الاخرى ، كما يقدم عرضاً للمقالات الصحفية المهمة بأسلوب مبسط (٣) *

وفي رومانيا اذاعة خاصة بالاطفال واخرى بالشباب ، وهي موزعة بحيث ينال كل فريق من الاعمار عناية خاصة * فهناك ، مثلاً ، برامج خاصة بالاطفال الذين لم يبلغوا سن الالتحاق بالمدرسة ، وبرامج خاصة بالكشافة والتلاميذ ، وبرامج تزيد في دعم المعرفة التي يحصلون عليها في المدرسة ، وتقوية حبهم لتاريخ بلادهم القديم والحديث ، وحبهم لقادتهم الحاليين واسلافهم ممن اضاءوا ظلمات التاريخ القديم بأعمالهم البطولية التي تحفز همم الاطفال اضافة الى برامج تسعى لغرس روح العمل في نفوس الاطفال وتعرفهم بجمال بلادهم وتقوي في نفوسهم محبة الآخرين (٤) *

وفي الاتحاد السوفيتي يبلغ حجم متوسط برامج الاطفال اليومية التي تذاع من راديو موسكو عشر ساعات . وكانت البرامج الاذاعية للاطفال قد بدأت بصورة منتظمة ابتداءً من عام ١٩٥١ .

وتحتل البرامج الفنية مكانا هاما في برامج الاطفال ، وتقدم لهم اكثر الاعمال الادبية للكتاب المعروفين ، اضافة الى القصص والحكايات وبرامج لهواة الرحلات العلمية . وهناك برامج لم تصبها الشيخوخة رغم مضي عشرات السنين على مواصلة اذاعتها . (٥)

وفي جمهورية هنغريا الشعبية تقدم الاذاعة برامج قصص وحكايات بعنوان « تصبحون على خير » وتقدم مرتين في الاسبوع برنامجا بعنوان « اليوم تسمعون حكاية من .. » وتستغرق الحكاية بين خمس دقائق الى عشر دقائق .

وتقدم الاذاعة اضافة الى ذلك تمثيلات وقصصا على شكل اوبرات ، حيث يؤلف كبار الملحنين الموسيقى لتصاحب القصص ، وتسجل الحانهم مع فرق الاطفال واوركسترا الاذاعة الهنغارية السمفونية ، وتستغرق الاوبرا ما بين ٤٠ الى ٦٠ دقيقة ، وتصبح بعض الاغاني فيها ذات طابع جماهيري تتردد على افواه الاطفال ، فضلا عن برامج المسرحيات والالعاب والمباريات والحزورات ، وبرامج رسائل المستمعين ، واخرى صحفية واخبارية وموسيقية .

وجاء في التقرير المقدم من قسم الاطفال بالاذاعة الهنغارية الى حلقة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون التي نظمها اتحاد اذاعات الدول العربية في القاهرة عام ١٩٧١ عن مضمون البرامج :

ان الاهداف التي تسعى اليها هذه البرامج هي :

١ - مسائل اخلاقية عامة :

وتتضمن الموضوعات الآتية : احترام الآباء والمعلمين والكبار ، ومفاهيم أخلاقية أخرى متنوعة ، مثل العطف والمحبة والمروءة والنجدة ، والتميز بين الخير والشر وتقدير العمل .. الخ *

٢ - انا نضع في اعتبارنا فئات السن عندما نتعرض لهذا الموضوع * ولهذا يمكن تفسير الموضوعات الآتية تفسيرات متفاوتة، وبطريقة غير مباشرة، حسب فئة العمر : الإحساس بالجماعة ، تقاليد الحياة الجماعية ، الاشتراك في حركات الأطفال ، تقدير العمل ، اختيار المهنة ، النشاط اليومي والمشاركة في العمل اليومي ، ممارسة مختلف أشكال الحياة .. الخ *

٣ - الوطنية والاشتراكية :

تساعد الموضوعات السابقة على تنمية النزعة الاشتراكية ، ولكننا نحاول التأثير في الأطفال بتقديم نماذج نوعية * فمثلا ، عن طريق برامج مأخوذة من واقع بيئاتهم ، ومن واقع أحداث بلدهم ، ومن تاريخ الأمة المجرية ، وتاريخ الحركة العمالية ، تقوم البرامج بجمع المواد الشيقة وتعرضها عرضا شيقا بلغة جميلة سليمة تشجع الأطفال على استخدام اللغة المجرية استخداما صحيحا ، وتبذل عناية كبرى لتعرف الأطفال بتاريخ ربع القرن الأخير ، وتطور هغاريًا في مجال التحرر والاشتراكية ، وحملهم على احترام ما قدمه آباؤهم وعلى مواصلة الجهود في سبيل التطور والتقدم *

٤ - المفهوم الدولي :

لا ينفصل هذا الموضوع عن الموضوعات السابقة ، لأن المواطن لا يمكنه أن يكون مواطنا حقا إلا إذا عرف الشعوب الأخرى ، واحترمها ، وتعرف إلى مساكلها ، ولهذا يكون من المهم ، حسب فئات العمر ، أن يعرف الأطفال ثقافة شعوب العالم ، وأن يتعدوا عن كل نوع من أنواع التفرقة العنصرية ، وأن يحترموا الاتحاد السوفيتي وأن يعجبوا به * وبأن يعتزوا باتتسابهم إلى المجتمع الاشتراكي ، وبارتباط بلادهم بصداقات مع كثير من البلاد الأخرى ،

وفي الوقت نفسه يجب ان يفهم الاطفال معنى الظلم عبر التاريخ ، وان يدينوا كل شكل من اشكال العدوان ، وان يعبروا بطريقتهم وبوسائلهم الخاصة عن تضامنهم مع الذين يحتاجون الى المساعدة .

ويشير التقرير الى ان هناك قصصا وحكايات تستغرق خمس او عشر دقائق ، وتحقيقات تستغرق بين عشرين الى ثلاثين دقيقة وموضوعات فنية تتراوح بين ثلاثين الى ستين دقيقة ، وبرامج مركبة مدتها ساعة كاملة . ومن اهم ملامح البرامج المركبة ان هناك عنصرا موحدا يربط بين الموضوعات المختلفة التي تتركب منها هذه البرامج . اي هناك وحدة عضوية بين الحكايات والفقرات الموسيقية والمجلة الفنية القصيرة . وجولة الدقائق العشرة والمسرحية القصيرة وبرنامج الموسيقى المقدم من الموسيقيين البارزين ضمن برنامج مركب قوامه ساعة واحدة . وتعاد اذاعة بعض البرامج بصورة منتظمة لتمكين الاطفال من الاستماع اليها نظرا لان الدوام المدرسي مزدوج .

يضاف الى هذه البرامج برامج اخرى تعليمية » .

الفصل الخامس

برامج الأطفال في التلفزيون

المبحث الاول

نظرة عامة

التلفزيون دخل اكثر البيوت ، واجتذب اكثر الناس ، سواء كانوا مدفوعين اليه للاستماع ام « لقتل » الوقت ام كانوا يلتمسون فيه بديلا عن النشاط الواقعي الذي يرنون الى تحقيقه عن هذا الطريق او ذاك .. وارتبطت به العيون برباط قد يكون متينا ، وقد يكون رقيقا واهيا .. ومع هذا فهو اداة تأثير في هؤلاء جميعا .

وتتجهى للتلفزيون عناصر عديدة ، نزيد في متانة المعبر بينه وبين عيون الناس واذهائهم . فصوره التي تبدو واضحة ، والمجال المتاح للمخرج لان يبعث في تلك لصور ابعادا ومعالم جديدة ، اضافة الى قدرة التلفزيون على ان

ينتقل بعيدا عن غرفة البث ليسجل مشاهد حية في اي مكان كانت ، ويعرض افلاما سينمائية الى جانب افلامه الخاصة ، وقدرته على مخاطبة الناس جميعا ، حتى اولئك الصغار الذين لم تتح لهم اعصارهم ان يتعلموا القراءة والكتابة . كل هذه وغيرها الكثير وضعت في موقع رفيع بين اجهزة الثقافة .

يعتمد التلفزيون على حاستين هما السمع والبصر ، وهما تستقبلان الصورة والحركة والصوت ، ويؤكد علماء النفس انه كلما ازداد عدد الحواس التي يمكن استخدامها في تلقي فكرة معينة ، ادى ذلك الى دعسها وتقويتها وتثبيتها في ذهن المتلقي « وتشير بعض نتائج البحوث ان ٩٨٪ من معرفتنا نكتسبها عن طريق حاستي البصر والسمع ، وان استيعاب الفرد للمعلومات يزداد بنسبة ٣٥٪ عند استخدام الصورة والصوت ، وان مدة احتفاظه بهذه المعلومات تزداد بنسبة ٥٥٪ » (٦)

وفي الوقت الذي تتوفر للاذاعة ثلاثة عناصر هي الصوت البشري والموسيقى والمؤثرات الصوتية يمتلك التلفزيون اضافة الى ذلك عناصر اخرى منها المؤثرات البصرية والحيل السينمائية وتوزيع الاضاءة ، ومزجات الصور وما الى ذلك .

وبفضل الصورة حظى التلفزيون بثقة مشاهديه وتصديقهم له ، لان الصورة من الوسائل التي كلما يرقى اليها الشك ، وحين ترتبط الصورة بالحركة والصوت فان ذلك اكثر مدعاة الى الثقة . يضاف الى ان بوسع التلفزيون التركيز على التفاصيل مما يزيد في قدرته على الاقناع .

ويستولي التلفزيون على متاعر مشاهديه الى حد ما ، في الوقت الذي لا يحول فيه الراديو دون انشغال مستمعيه فكريا او يدويا وبالتالي شرودهم عنه .

التلفزيون والاطفال

المؤشرات القوية التي نوميء الى اثر التلفزيون في الكبار ، تدل الابهام قائما لتشير الى ان اثر التلفزيون في الاطفال اشد واسرع من تأثيره في الكبار .

لذا نرى الاطفال يتجمعون قبالة ، وهم يتركون مقاعدهم ، عند عرض مادة مثيرة ، ليربضوا قريبا منه جلوسا على الارض ، وكثيرا ما يمدون باعناقهم اليه وكأنهم يريدون ان يكونوا اكثر قربا من مشاهدته . وهم يتجاوبون مع حوادثه ، ويتقمصون شخصياته ، ويقلدون كثيرا من الحركات التي تأتي بها الشخصيات المؤثرة .

وتشير احصائيات عديدة من مختلف بلدان العالم ان متوسط ما يقضيه الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ست سنوات الى ستة عشر سنة امام الشاشة الصغيرة نحو ٢ - ١ - ٢٤ ساعة اسبوعيا .

وييسر التلفزيون للطفل ، بسبب جمعه بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية ، الاستيعاب من خلاله ، لما لهذا الجهاز من قدرة على تحويل المجردات الى محسوسات ، خاصة وان الاطفال اقدر على ادراك المحسوسات .
ويؤثر التلفزيون في الاطفال باكثر من طريقة منها :

- التلفزيون يكسب الاطفال انماطا من السلوك الاجتماعي في حياتهم الاعتيادية ويبتهم المحدودة . كما انه يلعب دورا مهما - سلبيا ام ايجابيا - في عملية التكيف الاجتماعي التي تسهم فيها الاجهزة الاخرى كالاسرة والبيئة .

- يسهم التلفزيون في بلورة وتغيير الاتجاهات ، ولا يتم ذلك بالاساليب المباشرة ، بل باثارة ردود افعال عاطفية لدى الاطفال من خلال تقديم درامي ذكي ، عن طريق موازنة الافكار المقدمة وتقرير مدى جاذبيتها ونوعيتها ، وطبيعة الشخصيات التي تقدمها . مع العلم ان لكل طفل قابليته الخاصة للتأثر بالتلفزيون . (٧)

ويهيء التلفزيون للاطفال ان يتعرفوا الى اشياء كثيرة منذ صغرهم ، منها ما هي في محيطهم ومنها ما هي بعيدة عنه . والمادة من خلال التلفزيون تمثل بديلا للخبرة الحقيقية فالطفل الذي لاتتاح له مشاهدة حياة الحيوان في

غابة كثيفة ، او سفينة ضخمة تشق عباب البحر ، او مسابقة في قيادة السيارات ، يمكن ان يشاهدها من خلال الشاشة الصغيرة .

وتسير بعض الدراسات الى ان الاطفال الصغار الذين يتابعون مشاهدة التلفزيون (*) يسبقون اقرانهم في التعرف الى كثير من الحقائق والمعلومات بما يوازي عاما واحدا ، ولكنهم يفقدون هذه الاسبقية خلال ستة الاعوام الاولى حين يمتزجون بالحياة الاجتماعية .

وعملية مشاهدة الطفل للتلفزيون عملية معقدة تجمع بين احتياجات وافتعالات نفسية عديدة منها الكبت والاعلاء والنقل والتبرير والايحاء والاستهواء والمحاكاة والتقمص .

والتلفزيون ببرامجه وافلامه ، يزود الطفل بخبرات واقعية ، واخرى متحررة عن الواقع . ويجد في الخبرات الأخيرة هروبا من واقعته الذي قد يلاقي فيه بعض القيود ، وتنفسيا عن الدوافع التي لا يجد لها مخرجا في حياته ، كما ان برامج الخيال تشبع كثيرا من رغباته ، اي ان التلفزيون ليس وسيلة تزود الطفل بالمعلومات والافكار والقيم ، فحسب ، بل هو ، الى جانب ذلك يسهم في تشكيل لون من ألوان السلوك . لذا يقال عن اطفال اليوم انهم اول جيل ينشئه ويربيه ثلاثة آباء ، هم : الاب ، الام ، التلفزيون .

لقد غير التلفزيون من حياة الاطفال ، كما غير من عادات الاسرة كلها ، فمغادرتهم البيت قلت ، واخذوا يسهرون اكثر من ذي قبل واصبح هذا الجهاز بمثابة وسيلة للتسلية لا تبارى . اما بالنسبة الى تأثير التلفزيون في حياة الطفل المدرسية ، فقد اجريت دراسات كثيرة حول الموضوع منها

(*) اجري الدكتور باني الناصر والدكتور عبد الجبار توفيق البياتي عام ١٩٧٣ دراسة عن استقصاء عادات تلاميذ المرحلة الابتدائية في مشاهدة البرامج التلفزيونية وما يفضلونه منها ، ونشرت في جزئين عن مركز البحوث التربوية والنفسية في جامعة بغداد ، ويمكن للمقارئ ان يرجع اليها للتعرف الى بعض المؤثرات الخاصة بتلقي الاطفال للتلفزيون في العراق

دراسة في شيكاغو اجريت عام ١٩٥١ دلت على ان ٦٩٪ من تلاميذ المدارس كانوا ينجزون واجباتهم المدرسية قبل مشاهدة التلفزيون ، و ٨٪ كانوا ينجزونها بين البرامج المختلفة ، و ٢٪ كانوا ينجزونها اثناء مشاهدتهم . اما الباقون فقد كانت اجاباتهم غامضة .

وفي بحث اخر اعترف خمس التلاميذ بان التلفزيون كان يؤدي بهم الى الاسراع في انجاز واجباتهم حتى يستطيعوا مشاهدة برامجهم المفضلة واما الى الهائهم اذا حاولوا انجازها . اما الاربعة اخماس الباقية فقد ذكروا ان التلفزيون لا يعطلهم بحال من الاحوال . ووجد ان ثلث التلاميذ يؤكدون ان التلفزيون قد ادى الى الاقلال من الكتب التي كانوا يقرأونها . اما الثلثان الاخران فقد قررا ان عادة القراءة لم تتأثر بالتلفزيون . كما ان التلفزيون قد اثر في كثير من التلاميذ في اختيار الكتب والمجلات التي يفضلونها ، فقد اوحى الى اكثر من ١٢٪ منهم بموضوعات جديدة ، وبالتالي بانواع جديدة من الكتب والمجلات ، واصبحوا يقرأونها بعد ان كانوا لا يعرفونها ، او يعرفون ، ولكنهم كانوا منصرفين عنها . كما دل بحث اخر على ان التلفزيون قد غرس هوايات جديدة في ١/٣ عدد الاطفال وأدى الى تغيير في هواياتهم القديمة . ولكن نسبة من التلاميذ قد اجابت بأن التلفزيون قد قضى على هواياتهم نهائيا دون توجيههم نحو هوايات اخرى تقوم مقامها . وعلى العكس من ذلك وجد ان اربعة اخماس التلاميذ يؤكدون انهم درسوا اشياء كثيرة وعرفوا امورا كثيرة عن طريق التلفزيون . فالبنت اجبن انهن قد تعلمن كثيرا عن الطهي والحياسة والاقتصاد المنزلي وتحسين مظهرهن ، اما الاولاد فقد تعلموا كيف يقتنون بعض الحيوانات (٨) .

وفي بحث اخر اجاب ٣١٪ من التلاميذ ان التلفزيون قد ساعدهم على انجاز واجباتهم البيتية المدرسية بفضل ما ينشره من ثقافة . ولوحظ ان نسب من اجابوا بأن التلفزيون يساعدهم على انجاز واجباتهم البيتية أكثر ارتفاعا لدى التلاميذ الذين تتراوح اعمارهم بين ١٠ - ١٢ سنة . كما اكيد

البحث على القراءة اذ اجاب *خمسا التلاميذ ان اقبالهم على القراءة قد قل ،
وخمسان احران اجابا بان الاقبال على القراءة قد استمر كما هو بلا زيادة
ولا نقصان ، بينما اجاب الخمس الاخير ان الاقبال قد ازداد * (٩)

ومن الاثار المهمة ان التلفزيون بحجزه الاطفال في المنزل بعيدا عن
زملائهم الذين يلعبون معهم في الشارع وفي النادي انما يقضي على جانب
كبير من جوانب التنشئة الاجتماعية للطفل ، لان الطفل من سن العاشرة الى
الثانية عشرة سيتعلم الشيء الكثير من اختلاطه بزملائه خارج البيت في جو
لا يتحقق في المنزل ، كما ان المواد التي يكتسبها عن طريق تفاعله مع زملائه
لا يمكن ان يكتسبها من تفاعله مع افراد أسرته ، لان العلاقة بينه وبين افراد
الاسرة تؤدي بتفاعله معهم الى اكتساب مواد اخرى غير تلك التي يكتسبها
من تفاعله مع اقاربه خارج البيت * فتفاعله مع افراد الاسرة يقوي فيه رغبته في
المشاركة الوجدانية مثلا ، ومن ثم الشفقة والعطف واحترام الوالدين * اما
تفاعله مع اقاربه خارج البيت فيعوده على التعامل مع الآخرين وكيفية مواعده
بين موافقهم وموافقهم ، مما يكون له اثر في تشكيل شخصيته * وعلى أية
حال فان حرمان الطفل من اللعب مع اقاربه وتفاعله معهم يقلل من فرص
تقوية نزعة الاجتماعية وتنشئته ، يضاف الى ذلك ان مشاهدة التلفزيون في
البيت في جو من السكون المطبق من شأنه ان يقلل من فرص التفاعل بين
افراد الاسرة وفرص تفاعل الاطفال مع آبائهم واخوانهم مما يؤدي الى نقص
في تنشئتهم اجتماعيا عن طريق الاسرة * (١٠)

وكانت قد اجريت دراسة لاختيار الفروض السببية لتأثيرات التلفزيون
في الاطفال في انكلترا ما بين ١٩٥٦ ، ١٩٦٥ ، وبلغ حجم العينة ٤٧٣ طفلا ،
تتراوح اعمارهم بين ١٣ ، ١٤ عاما و ٤٥٤ طفلا ، تتراوح اعمارهم بين ١٠ ،
١١ عاما ممن اعتادوا على مشاهدة التلفزيون ، وقورن هؤلاء الاطفال مع
اطفال مجموعات لها نفس الاهمية ، ومكونة من اطفال من نفس السن
والجنس ومن نفس المستوى العقلي والذهني ، ومن نفس البيئة الاجتماعية

مع فرق انهم لا يشاهدون التلفزيون ، كما درس الباحثون حالة ٣٧٦ طفلا من « نورفتش » قبل وبعد حصول عائلاتهم على جهاز التلفزيون ، وكان هؤلاء الاطفال يجيبون عن بعض الاستقصاءات ، وهم بصدد قراءة ما بين ايديهم من صحف ، كما وضعت اسئلة لمعلمي هؤلاء الاطفال ، وتم تحليل محتوى البرامج التلفزيونية * ونرى من المناسب ان ننقل موجزا على شكل سؤال وجواب لاهم نتائج هذا البحث :

س - من هم الاطفال الذين يشاهدون التلفزيون في سن مبكرة جدا ؟
ج - انهم الاطفال الذين تكون لهم رغبة شديدة في انواع التسلية الجاهزة *

س - كم يخصص الاطفال من الوقت في الاسبوع لمشاهدة التلفزيون ؟
ج - من ١١ الى ١٣ ساعة في الاسبوع لدى الفريقين ، أي ان الوقت المخصص لمشاهدة التلفزيون يتعدى الوقت المخصص لأي نشاط آخر من أنشطة اوقات الفراغ *

س - ما هي العوامل التي تؤدي الى التقليل من الاهتمام الموجه الى التلفزيون ومن الوقت الذي يقضى أمام الشاشة ؟
ج - هذه العوامل هي ذكاء كبير وحياة نشيطة والمثال الذي يعطيه الآباء للابناء *

س - هل يتتبع الاطفال عددا كبيرا من البرامج الموجهة الى الكبار ؟
ج - نعم *

س - أي نوع من البرامج يفضلها الاطفال ؟

ج - ثلاثة ارباع الاطفال يفضلون البرامج الموجهة الى الكبار وبوجه خاص قصص الاجرام المثيرة والمشوقة ، اما اهتمامهم بالبرامج السياسية والافلام التي تعتمد على وثائق واقعية وبالمناقشات فقليل * وحتى البرنامج

الذي يقدره الجمهور اكبر تقدير لم يلتفت اليه غير ثلث مجموع الاطفال *
س - هل يمكن تنمية ذوق الاطفال بأن تقدم لهم افلاما نعرف مسبقا
ان اهتمامهم بها قليل ؟

ج - لقد لوحظ ان الاطفال ، عندما لايتوفرون الا على شبكة واحدة
للتلفزيون ، ينتهون الى مشاهدة وتقدير برامج لم يكونوا بحكم العادة
ليختاروها من تلقاء أنفسهم *

س - ما الذي يستهوي الاطفال ويروقههم في التلفزيون ؟

ج - وجود التلفزيون دائما في متناول الاطفال يسمح لهم بقتل
الوقت * المتعة الحاصلة من الاطلاع على الاخبار * * * الموضوعات والبرامج
المألوفة او الاعتيادية تطمئن الاطفال وتمنحهم الشعور بنوع من الاطمئنان
والاستقرار * * * التلفزيون يدخل التغيير ، ويحرض ويشوق * * * ويتيح
الفرصة للانعقاد والافلات * * * وللتعرف على النفس * * * ويظهر للاطفال
شخصيات لطيفة ومحبة يشعرون معها بالتعاطف *

س - الى أي حد تتأثر افكار الطفل بما يشاهده على شاشة التلفزيون ؟

ج - ان قيم التلفزيون في الاطفال تؤثر تأثيرا قويا عندما تقدم لهم في
شكل دراما ، وعندما تكون لهذه القيم علاقة بافكار أو بقيم تكون حساسيتهم
مستعدة لقبولها ، وعندما لا يكون بإمكان الطفل الحصول على أخبار او
معلومات في الموضوع من أبويه أو زملائه الاطفال *

س - ما الذي يخيف الاطفال في برامج التلفزيون ؟

ج - ان ما يخيف الاطفال هو التشخيص الواقعي للعنف ، وليس
العنف الذي يصاغ في قوالب فنية * وكذا الاحداث الخيالية لبرامج
« الرعب » أو البرامج المخصصة للمجالات الخارقة للعادة * والطفل يخاف
بسهولة اكبر عندما يتفرج وحده في الظلام *

س - ما هي انماط السلوك العدائي التي تحمل - اكثر من غيرها -
الاطفال على الاضطراب ؟

ج - نادرا ما يكون ذلك عائدا الى استعمال الاسلحة النارية بل يعود
ذلك بوجه خاص الى استعمال الخناجر او السكاكين وغيرها من الآلات
الحادة او القاطعة ، وكل ما يجعل الحيوانات في خطر *

س - هل تجعل هذه البرامج الاطفال عدوانيين ؟

ج - ليس هناك ما يبرهن على هذا ، الا انه لا يوجد كذلك شيء يبرهن
ان لهذه البرامج تأثيرا حسنا على الاطفال *

س - هل يحسن التلفزيون المستوى العام للمعلومات ؟

ج - نعم ، وبصورة واضحة ، وذلك عند صغار الاطفال او قليلي
الذكاء فقط *

س - ما هي آثار التلفزيون في العمل المدرسي ؟

ج - يلاحظ ان المشاهدين من الاطفال الاذكياء ، يميلون الى القيام
بعمل أقل جودة من العمل الذي يقوم به الاطفال الآخرون *

س - ما هو أثر التلفزيون في أوقات الفراغ :

ج - يلاحظ ان أصغر المشاهدين سنا يقل ترددهم على السينما ،
ويلاحظ ان جميع الاطفال قد انقطعوا عن الاستماع للراديو خلال فترات
من الوقت ، وذلك عندما أصبح في امكانهم مشاهدة التلفزيون ، كما ان
مطالعة الكتب قد تضاءلت بدورها في البداية ، غير انها عادت الى مستوى
عادي بعد ذلك ، يضاعف التلفزيون ميل الطفل الى استقبال الآخرين عنده
في البيت ، كما اتضح ان الزمالات الطارئة وغير الراسخة تعاني بعض الفتور *

س - ما هي آثار التلفزيون في حياة الاسرة *

ج - يجعل التلفزيون افراد الاسرة يرتبطون بالبيت ارتباطا أكبر ، دون أن يزيد في توطيد الروابط التي تجمعهم *

س - هل يجعل التلفزيون الاطفال راكدين ؟

ج - لم يكتشف الباحثون اية صحة على وجود مثل هذا الاثر *

س - هل يجعل التلفزيون الاطفال اكثر نشاطا وفاعلية ، وهل يدفعهم الى صنع بعض الاشياء والى المشاركة في بعض المسابقات والى زيادة بعض الاماكن المهمة ، والى الانصراف الى هوايات جديدة ؟

ج - لا ، بوجه عام *

س - ما هي آثار التلفزيون في الراحة في الليل وفي البصر ؟

ج - يلاحظ في داخل الأسر التي تملك جهاز التلفزيون ، أن الاطفال ينامون بوجه عام في وقت متأخر بعشرين دقيقة * غير انهم يطفئون الانوار بصفة أسرع ولا يلعبون الا قليلا في فراش النوم * ولا يوجد ، من بين الاطفال الذين لهم بصر ضعيف ، عدد من بين المشاهدين اكثر منه من بين الاطفال الآخرين (١١) *

ومهما يكن من حال فان نتائج حدية لايمكن الوصول اليها عن أثر التلفزيون في الاطفال ، لان أي دراسة من هذا القبيل تستلزم اتباع أكثر من منهج علمي في البحث ، كما تستلزم اتساع اطر البحوث لأبعاد زمانية طويلة ، لان تأثيرات التلفزيون تؤلف مجمل التراكمات التي تترسب في نفوس الاطفال على آماد غير قصيرة * يضاف الى ذلك صعوبة دراسة هذه التأثيرات في حد ذاتها ، وفيما اذا كانت بالفعل كآثار للتلفزيون وحده ، فضلا عن احتمال ، اختلاف هذه التأثيرات في البيئات المختلفة مما لا يقطع بصحة تعميمها * ولكن القول الذي يبدو أكثر معقولة هو ان التلفزيون يقوي من الصفات الموجودة لدى الطفل أصلا ، فالاطفال الكسالى يجدون فيه فرصة للمبالاة والسلبية ، والاطفال الاذكياء يجدون فيه فرصة ذهنية لاشباع خيالهم

وتنمية عواطفهم ، ولغتهم ومعارفهم • وكل طفل يتأثر فيه بشكل يختلف عن الآخر •

وتلافياً لما قد يتعرض له الاطفال من سلبيات نتيجة انشدادهم الى برامج التلفزيون العامة ، هناك من يدعو الى أن تتم مشاهدة الاطفال للبرامج تحت اشراف ذويهم • ولكن هذا الاسلوب يبدو غير عملي لاسباب عديدة تتعلق بالاطفال من جهة ، وبذويهم من جهة اخرى ، اضافة الى ارتباطها بطبيعة التلفزيون نفسه •

أما الحل الأمثل الذي نراه ، فهو الاتساع في رقعة البرامج المخصصة للاطفال ، واثراء هذه البرامج بمواد خصيصية مشوقة ، والعسل على اجتذاب الاطفال اليها بشتى السبل ، واشباع الاطفال بكل الالوان الفنية التي تتناسب ومستويات نموهم كي تزيد من تعلقهم ببرامجهم وتطفيء ظمأهم الى برامج الكبار • الى جانب قضية أخرى ذات أهمية ، وهي : ان نضع في حسابنا عند وضع برامج الكبار أن جمهورا غفيرا من الاطفال يتلقونها ، وعليه لابد من تهذيبها حماية لهم •

برامج الاطفال :

أمام برامج الاطفال في التلفزيون مجالات واسعة تغني الاطفال ثقافيا وتثري حياتهم ، وتزيد في متعتهم • فالقصص والحكايات والتمثيلات والمسرحيات والشعر والموسيقى والغناء والاخبار والمسابقات والالعاب الفردية والجماعية والهوايات وسير الابطال والمبدعين ، كلها نتيج لثقافتهم ان تنمو وتتلور ، وتسهم في تنمية قدراتهم اللغوية والعاطفية والاجتماعية والنفسية ، وتشارك في تربيتهم الخلقية ، وتشيع في نفوسهم البهجة ، وتدفعهم الى التفكير الانشائي •

وبرنامج الاطفال الجيد ، هو الذي يشيع شيئا من خيالات الاطفال ويجعلهم اكثر احاطة ببيئتهم وعالمهم الذي يعيشون فيه ويلتزم باسس منها :

– ان يتسع البرنامج لالوان أدب الاطفال المناسبة للتلفزيون ليشكل
اضمانة ملونة ، وان تراعى فيه الخصائص الفنية لكل لون ادبي نسبة الى
امكانيات التلفزيون *

– ان تستخدم امكانيات التلفزيون بشكل فني دقيق بما يتفق ومراحل
نمو الطفولة ، كأستخدام المؤثرات البصرية والحيل السينمائية ، وان تشجع
الحركة والحيوية في البرنامج كله *

– ان تتخذ البرامج لها خطا فكريا واضحا ، وان لاتحشر أية مادة
حشرا مهما كان لها من أهمية *

– ان تستخدم اللغة العربية الفصيحة السهلة التي تناسب ثروة الاطفال
اللغوية ، وان لاتستخدم اللهجة المحلية الا في أضيق نطاق *

– ان تنتقى الموضوعات الخيالية بحذر ودقة لتنمية ملكة الخيال
التكويني لدى الاطفال بما لايتيح المجال للجنوح الى مستوى التوهم
والخيال الهدام *

– ان لا تكون الاثارة التي ينبغي أن تتميز بها البرامج على حساب
استدرار انتباه الاطفال واجتذابهم الى مستوى الانقياد *

– أن يتم الابتعاد عن الاسلوب الخطابي والتعليمي ، وان تكون
المسرحة الفنية هي الاسلوب الاكثر شيوعا *

– ان يتلاءم ، شكلا ومضمونا – مع مستويات نمو الاطفال ، وهذا
يقتضي أن يكون هناك لوانان من البرامج على الاقل ، لون للاطفال الذين
تتراوح أعمارهم بين ٣ – ٦ سنوات ، ولون آخر لمن هم بين ٦ – ١٢ سنة *

والاكتفاء بتقديم برامج لمرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة فقط (بين
٦ – ١٢ سنة) يجعل الاطفال الصغار في حيرة تبلب أفكارهم في حالة

مشاهدتهم لها ، وفي حالة عزوفهم عنها فاننا في هذه الحالة نكون قد ارتضينا التضحية بوسيلة هامة يسكن للاطفال الصغار أن ينتفعوا بها .

وفي حالة تقديم برامج للاطفال الصغار فقط نكون بهذا قد ارتضينا للاطفال الكبار السخرية منها ومن ثم العزوف عنها .

وهناك من يدعو الى برامج عامة تلائم كل أذواق الاطفال على مختلف مراحل طفولتهم . ولكن هذه الدعوة تضاعف المشكلة لانها تسبب نفور الاطفال عموما منها او عدم تعلقهم بها . يضاف الى أن اعداد برامج للاطفال تلائم كل الاطفال هو أمر غير ممكن أساسا ، لاختلاف الاطفال وفق أطوار نسوهم المختلفة من جوانب عديدة .

وعلى هذا فهناك آراء تؤكد على أن تصمم البرامج الموجهة الى الاطفال دون السادسة من العمر بحيث تحقق اهدافا ابرزها (١٢) :

١ - « ندعيم التواصل الوجداني بين الطفل ووالديه واخوته المحيطين به .

٢ - تنمية احساسه بالثقة في الذات وفي الآخرين .

٣ - نعرف الطفل على جنسه (ذكر ام انثى) وتوحيده معه .

٤ - مساعدته على تكوين مفاهيم بسيطة عن الواقع المادي والواقع الاجتماعي .

٥ - استخدام القواعد البسيطة المتعلقة بالامن والسلامة والصحة .

٦ - تعلم التمييز بين ما هو مقبول (صواب) وما هو غير مقبول (خطأ) ، واحترام القواعد والنظام .

وان تستهدف البرامج الموجهة الى الاطفال من ٦ - ١٢ سنة تحقيق أهداف ابرزها .

١ - ان يكتسب الطفل معرفة أشمل وفهما أعمق للعالم المادي والاجتماعي *

٢ - مساعدة الطفل على تكوين اتجاهات سوية نحو فكرته عن ذاته *

٣ - ان يتعلم دورا اجتماعيا ذكريا او انثويا مناسباً ، مع مراعاة عدم تمجيد جنس وتحقير جنس آخر *

٤ - معاونة الطفل على ترقى الضمير والاخلاق وتكوين مقياس مدرج من القيم *

٥ - تنمية اتجاهات سوية نحو المجموعات والمنظمات الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع الوطني الذي يعيش فيه الطفل ، وتشجيعه على الانتماء الى بعضها بقدر طاقته ومستوى نضجه *

٦ - تعلم الحصول على مكانة بين رفقاء السن الواحدة والمحافظة عليها *

٧ - تعلم الاخذ والعطاء والمشاركة في المسؤولية *

٨ - تنمية اطراد تقدم الطفل في انجاز الاستقلال الشخصي » *

يضاف الى ذلك ضرورة تنمية عواطف الطفل وتهذيب ضميره وانفعالاته على مراحل متتابعة ابتداء من مرحلة ما قبل المدرسة مروراً بالمرحلة المتوسطة وانتهاءً بالمرحلة الاخيرة ويدخل في اطار ذلك تنمية حب الوطن وحب القادة المخلصين والعلماء المبدعين والعاملين المخلصين والامناء وحب الامل الوطنية وحب العمل الخلاق ، وما الى ذلك * اضافة الى تهذيب الضمير والعواطف والانفعالات الاخرى كالخوف والغضب وما اليها *

ومن الضروري تناول كل ما من شأنه تنمية عقل وجسم الطفل وتربيته بوليتكنيكيا عن طريق تعريفه بالمبادئ الاساسية للعمل والصناعات ، وتنشئته عليها *

- ان يكون الساملون في ميدان برامج الاطفال عموما مؤهلين لعملهم ، سواء كانوا كتابا أم مخرجين أم ممثلين أو مقدمين ام فنيين اخرين ويقتضي هذا ان يكونوا ذى بيئة من سيكولوجية الطفولة وحاجاتها واهتماماتها •
- مراعاة الشمول في برامج الاطفال بحيث تحقق ثقافة عامة للاطفال في جميع المجالات ، وتدريبهم على التفكير الانشائي
- ان يكون مقدمو البرامج على درجة عالية من الثقافة واللباقة والقدرة على التحدث بسلاسة ، وان تبنى من الاساس علائق حميمة بينهم وبين الاطفال •

المبحث الثاني

شكل ومضمون أدب الاطفال

شهدت السنوات الاخيرة اهتمام محطات التلفزيون ببرامج الاطفال اهتماما بالغا حتى اطلق على طفل اليوم انه الطفل الالكتروني لاعتماد جوانب من نموه على التلفزيون بشكل من الاشكال * ونعرض صورا سريعة عن بعض برامج الاطفال في عدد من بلدان العالم :

في الاتحاد السوفيتي :

تذاع البرامج التلفزيونية في الاتحاد السوفيتي من أعلى برج في العالم ، وتبث من أكثر من ١٢٠ ستوديو ، وتشاهد في مساحة يشغلها ٧٠٪ من الشعب السوفيتي *

وتخاطب برامج الاطفال جمهورا تتراوح اعمارهم بين ٤ - ١٧ سنة لتنشئتهم واعدادهم للدفاع عن الوطن وغرس الولاء التام للمجتمع *

وكانت برامج الاطفال قد بدأت في الاتحاد السوفيتي بصورة منتظمة ابتداء من عام ١٩٥١ * ويتم التخطيط لهذه البرامج استنادا الى دراسة جمهور

الاطفال وحصائل علم نفس الطفل وخبرات التعليم ، ويساهم في اعدادها
كتاب كبار *

وجاء في البحث الذي قدمه فيكتور كريتكوف مدير برامج الاطفال في
الاتحاد السوفيتي الى حلقة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون الذي نظم
تحت اشراف اتحاد اذاعات الدول العربية :

« . . عند اعداد البرامج فاننا نوفق بين نشاطنا ونشاطات المؤسسات
الحزبية ومؤسسات منظمة الكومسومول (الشباب) والهيئات العلمية
 واجهزة التعليم والصحة العامة * وكقاعدة عامة يساهم في هذه البرامج اكثر
الكتاب شهرة كما يسهم فيها العلماء ، والقادة العسكريون البارزون
وابطال الرياضة المعروفون *

وتوجد ضمن برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون السوفيتي برامج
سياسية واجتماعية وبرامج علمية وموسيقية ورياضية ، وهناك برامج
تلفزيونية لذوي الاعمار الصغيرة من الاطفال ، وهي تنمي قدرتهم على
التصور ، وتوقظ فيهم الخيال والميل الى التكنيك ، ولهذه البرامج صفة
التسلية واللعب » *

وتذاع برامج الاطفال على محطة التلفزيون المركزية على ثلاث قنوات في
اليوم ، وتذاع هذه البرامج في الصباح والمساء ، كما تقدم قصة مدتها ربع
ساعة كل مساء *

ومن بين تلك البرامج « الايدي الماهرة » الذي يستهدف ان يكتسب
الاطفال حب العمل ، وهو يعلم الاطفال الصغار على اللعب والاشياء المسلية
من الورق والخشب والبلاستيك *

ومن اكثر البرامج شهرة ذلك الذي يذاع ايام الاحد ويسمى « المنبه »
وهو يضم العديد من الطرائف والاغاني والرقصات ، ويستهدف خلق مزاج
طيب نشط في العائلة وخاصة لدى الاطفال »

وهذا البرنامج مذاع في العاترة مسباحا ، ولا يرد له اثار ايجابية من اوعية
مسيرة عاما ويبحث الاطفال في احابيه السادية والنازيه في الاكاديمية ما يفسد
وعلى عكس اغلب محطات التلفزيون في اوروبا فان التلفزيون في السويد
الامارة والمناف والبشر ، وخاصة في نوجبه الى الاطفال (١٣) .

وسمحت برنامج الاطفال في الاتحاد السوفيتي ابداء من عام ١٩٧٩
اسلوبا دوجا حيث بدأت مذاع تحت عنوان « بويو اريو ناك » و
ارايونك الى البطل الصغير .

في ألمانيا الديمقراطية :

جاء في البعد الذي قدمه سييجفريد بوييم الى « اوقات الاطفال » :

« . . . نحن نعتقد اعتقادا راسخا ان برنامج الاطفال الاسرائيلي يربط
اولا وقبل كل شيء ، ان يلم الاطفال المسافر الى الدولة التي نريهم بحالها
وافكار ومواقف واعمال العمال والفلاحين وارتقاء امة . نحن الامم المتحدة
تأسس فاعرة السعيب العامل في نتائج علاقتهم بالسياسة بارتقاء امة
وانسانية . . . »

فالمجتمع الانساني محتاج لاناس يعملون بايمان بيات تدار على تطوير
الحياة ، فبالعمل وحده يستطيع الانسان ان يطور نفسه ويبتغى اذنيه
وهذا المفهوم هو منطلق العاملين في برامجنا المتأخرة بالنسبة بالاطفال . . .
ونحن نحاول ان نختار موضوعات واساليب لبرامجنا تتفق تنابا عمليا في
المجالين العقلي والاجتماعي . . . »

والشرط الاساسي الذي يخدم هذا الغرض هو الاحساس المرهف ،
والاسلوب الواضح ، واللغة التصويرية المفهومة ، والمزج المقنع بين الصوت
والصورة . وهذه جميعا تؤدي الى ايجاد موقف فعال ، فعند تحديد الهدف
العلمي لبرنامج اذاعي يجب عدم الوقوف عند حد صياغة الموضوع والمشكلة

والسراج ، بل يجب على "مخرج البرنامج ومن يسئل معه ان يحاولوا الرد على هذا السؤال : ما امر هذا البرنامج في عقل السامع ونفكيره وسعوره ؟

وتتحدى القول ان كفاح الطبقة الكادحة يترك برسات رافضة على سمرنا . والتلفزيون الاشتراكي ، كأداة للطبقة العاملة ، يجب ان يتشكل كنوع هذه الطبقة عندرا اساسيا في برامجها ، ومن الواضح ان الخدمة الاشتراكية لابد ان تكون غالبة على جميع برامج التلفزيون .

• ترى مساهمة برامج الاعمال على شاشنة التلفزيون الاحداث الاجتماعية المهمة لتطور بلادنا والبلدان الصديقة كما يرون مهرجانات الشباب والطلبة وابدلال الرياضة والمهرجانات ولقاءات الثقافة .

• ونحن نتف اليوم في بداية الطريق ، مرحلة جديدة من التقدم ، فقد خلقنا في بيئورتنا في هذه السنوات نظاما متقدما من الاشتراكية نبرز فيه الثورة العلمية والفنية .

• وفي هذه المهمة التاريخية اسئلة عديدة للمسؤولين في الصحافة والفن ، وتتنبى برامج التلفزيون - واصل هذه الاسئلة - هو ما هي المحتويات والاهداف والاساليب التي نحتاج اليها لكي تكون برامج الاطفال في التلفزيون مسايرة لمتطلبات المجتمع في السنين القادمة .

• ولا شك في ان التلفزيون لا سكن ان يثل نشاطا الا بادخال افكار جديدة بصفة مستمرة ، والانتاج اليومي للافكار الجديدة هو بمثابة الخبز اليومي لرجال التلفزيون . ولكن ذلك لا يكفي ، فعلى اساس تقدمنا الاشتراكي المخطط مسبقا يجب اعداد انواع جديدة من البرامج وخلق شخصيات جديدة يتعاطف معها الاطفال المشاهدون .

• هناك برامج معدة لطلاب المدارس ومقسمة وفقا للاعمار وبرامج خاصة للاطفال واخرى للشباب . ويقدم التلفزيون تحية المساء للاطفال في برنامج مدته من خمس دقائق الى سبع دقائق يضم حكايات وتجارب وملاحظات ،

ويقوم « رجل الرمال » وهو اسم البرنامج واسم الشخصية الاسطورية التي يقوم عليها البرنامج بذر الرمال في عيون الاطفال كي يخلدوا الى النوم بهدوء * * ويعد هذا البرنامج من احب البرامج للاطفال ، ويعتبر جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية لآلاف العائلات *

وهناك سلسلة اخرى للاطفال تعرض في نهاية كل اسبوع بعنوان « المعلم الخياط يروي الاقاصيص » ويتضمن صورا متحركة من جميع انحاء العالم في اطار جديد متنوع يظهر فيه المعلم - وهو شخصية خرافية ألمانية بصحبة الدمى - وقد ثبت منذ امد بعيد التأثير الكبير للدمى في الاطفال ، ولدينا عائلة كبيرة من هذه الدمى تمتلك قلوب الاطفال الصغار ، وهي تظهر في حلقات « صديقي الجندي » والحلقات التي يشترك فيها ممثلون معروفون مع الدمى ، وتتناول مشاكل الطبيعة والمجتمع *

وبالنسبة الى البرامج المخصصة لفئات الاطفال من الاعمار المتوسطة تقدم برامج ومسلسلات منها مجلة الرواد « صندوق الدنيا المعاصر » وتعتمد على عرض جهود الاطفال انفسهم ، ومهمتها المساعدة في تعليم الاطفال ، وتنظيم تبادل الخبرات بين الاطفال ، وعرض افلام تتصل بجميع الميادين كالسياسة والتكنولوجيا والثقافة والرياضة * وتقوم بالتعريف بحياة الاطفال في البلاد الاخرى *

اما المسلسلة الاخرى فعنوانها « مع البروفسور فليمريتش » وتقدم فيها بصورة رئيسية افلام تعليمية وتسجيلية ويقوم البروفسور فليمريتش بشرح الافلام للاطفال * وهو يقدم لهم النصائح والارشادات اثناء ذلك *

اضافة الى برامج اخرى رياضية وفنية وموسيقية *

ويقدم التلفزيون حوالي ١٥٠٠ دقيقة في الشهر للاطفال بمعدل نصف ساعة كل مساء ، وفي ايام السبت والاحد يقدم برنامج صباحي اخر امده

ساعة واحدة ، بالاضافة الى البرنامج اليومي الذي يستمر من خمس الى ست دقائق والذي يتولى « ساندمان » تقديمه •

وتهتم برامج الاطفال في التلفزيون بتقديم البرامج الخاصة بالالعاب الجماعية ، داخل المنزل وخارجه ايمانا منهم بان الاطفال يتعلمون الكثير من خلال اللعب •

والتلفزيون يقدم خطته التفصيلية ، ويتم التنسيق بين هذه الخطة ، وخطة برامج الابطال في الاذاعة ، وذلك باشراف الاجهزة المختلفة مثل منظمة الطلائع والشباب ووزارة التعليم ووزارة الثقافة^(١٤) •

وقد سئلت احدى المعنيات بشؤون برامج الاطفال في التلفزيون في المانيا الديمقراطية عن أهم الخصائص التي يجب أن تتوفر لبرنامج ناجح للاطفال ، فقالت :

« ان يكون برنامجا واضحا ، يتناول موضوعا ، ويعالجه بوضوح ، وينجح في أن يصل بالموضوع الى الطفل •• وان يتوفر له عنصر التسلية ، وفي نفس الوقت يتهيا له ان يشجع الاطفال على التفكير ، ويضم شيئا من العلم ، ويعطيهم خيلا يبدأون منه التفكير والبحث ومعرفة أشياء جديدة •• ومن عوامل نجاح البرنامج أيضا ان يحس الطفل ان له صديقا في البرنامج يستطيع ان يثق به » •

وحين سئلت عن أهم الصفات التي يجب توفرها في مقدم برامج الاطفال ، أجابت :

« اهم اساس بالنسبة الى مذيع الاطفال ان لا تكون صلته بالبرنامج مجرد رغبة في الظهور على الشاشة الصغيرة ، بل يجب ان يحركه ويدفعه للعمل حب حقيقي للأطفال ••• المهم ان لا يظهر في البرنامج ليقول كلمات يحفظها أو يقرأها •• الافضل أن يكون قادرا على الارتباط بالاطفال وفهمهم ، وعقد صلات شخصية معهم ••• ويلجأ التلفزيون عندنا الى وسائل كثيرة لعقد

« لابد من أن تكون البرامج مع الأطفال ، ذواتها برامج تستضيف أطفالاً من أي مدينة أو مدرسة أو حي أو ناد ، لينضموا في حلقة كاملة نموذج من هوابابهم وقتهم » .

بإذن : (١٩٧٤)

(١٩٧٤) (١٩٧٤)

تتقدم التلفزيون البريطاني البرامج للأطفال ابتداءً من سن الثالثة .

وتتقدم هيئة الإذاعة البريطانية خمسمئة ساعة لهم كل سنة من البرامج التلفزيونية ، وذلك برامج الأطفال ، ١٠٪ من جملة برامج القناة الأولى ، ولا تدخل ضمن هذه النسبة برامج كثيرة مخصصة أصلاً للأسرة مثل حلقات أيام الأحد التقليدية أو القصص العلمية التي تعرض يوم السبت التي يشاهدها عدد كبير من الأطفال مع أسرهم .

ونقول موفياً سبباً رئيساً قسم برامج الأطفال في هيئة الإذاعة البريطانية في تقريرها إلى حلقة اقتصاد إذاعات الدول العربية :

« . . إذا استثنينا النشرات الاخبارية أمكننا اعتبار برامج الأطفال في التلفزيون البريطاني B.B.C. كأنها صورة مصغرة لقناة تلفزيونية كاملة . فكل نوع من البرامج يمثل فيها ، فهي تجمع بين التسلية والتوعية وإثارة الخيال ، وتقديم الأفكار الجديدة لنشاط الأطفال على اختلاف أعمارهم ومستويات تحصيلهم واهتماماتهم .

وكثير من برامجنا ذو طابع تربوي بأوسع ما في هذه الكلمة من معنى ، ولكنها ليست تعليمية .

ويعرض التلفزيون أفلاماً إلى جانب برامج خاصة بألعاب الأطفال مثل (مدرسة اللعب) وبرامج رسائل الأطفال واقتراحاتهم وتعليقاتهم وأسئلتهم وبرامج للقصص والتمثيلات والأشعار والأغاني والموسيقى ، واختراعات الأطفال ورسومهم .

ونحن لا نأثر الأهل في البرامج كممثلين محترفين ، لانا لا نريد
أن نشتغل المواقف الناقصة أو نعيد بها أكثر مما ينبغي ، حتى لا نشير غير
الاهمال الآخرين الذين لا نأثر لهم في الظهور يوما في برنامج ، وحتى لا نكون
مما يات اليه الكبار ، بل نأثر استخدام فناني محترفين لهم خبرتهم في
دالة البرامج ، رانما كانت التكاليف الضخمة .

هناك برامج خاصة بالانصال السغار الذين لم يصلوا العصر الذي
يؤثر لهم لا نأثر المدارس ، ونقدم لهم حقائق سلسلة مثل « شاهد مع امك »
وبرامج الما ، تنميه الاتهاب في رياض الاطفال ، وبرامج خاصة تتضمن
دوما تنميه بقاءهم من الالها الطفل الصغير ، عن طريق المرح والتكرار ،
الروفة الابدية رانما ريسن المفاهيم الاساسية » .
في الله الاثمة :

أبرز ما يميز برامج الاطفال في تلفزيون الدانرك تخصيص ربع ساعة
يوميا لفترة انبارية للالال بدأ بتنفيذها ابتداءً من عام ١٩٦٩ موجهة الى
الادفال ما بين ١٠ - ١٢ سنة ، لتزويدهم بقدر كافٍ من الانباء ، ليكونوا
على استعداد لفهم البرنامج الاخباري الرئيس فيما بعد . والمادة التي نطفيها
الفترة الاخبارية لا تؤخذ من عالم الاطفال ، بل تغطي نفس المجالات التي
تناولها نشرة الاخبار الرئيسية في التلفزيون . ويتم انتاج الفترة الاخبارية
المخصصة للاطفال بالمشاركة بين قسم برامج الاطفال وقسم الاخبار ، وتتم
حياته الاخبار بصيغ جديدة ، ويقدم ربع هذه الفترة مصحوبة بتعليق على
الانباء وتفسير لها . كما تتبع اساليب فنية مناسبة لزيادة تقرب الاخبار
الى الاطفال .

وقد وجد ان ٥٣٪ من الاطفال في ذلك العمر يواظبون على مشاهدة
هذه الفترة الاخبارية (١٥) .

الفصل السادس

أفلام الأطفال في السينما والتلفزيون

المبحث الأول

الافلام والاطفال

تنتقل الافلام السينمائية والتلفزيونية بالاطفال الى دنيا بديلة ، وقد تكون تلك الدنيا قريبة الى دنيا الطفل بعض القرب ، وقد تكون بعيدة عنها كل البعد . . وقد يحيا الطفل تلك الحياة بعض الوقت او يحلم بها او ينفر عنها أو يخافها . وفي كل حالة من هذه الحالات يتأثر الطفل بها ، قليلا ام كثيرا ، لحظات عابرة أم عمره كله .

وحين تنتقل الافلام بالاطفال الى دنيا الواقع ، فانهم يتعرفون على الناس وعلاقاتهم وطباعهم وابداعاتهم وافكارهم وآمالهم في كل الامكنة وعبر

مختلف الازمنة * ويتعرفون الى عالم الحيوان ، وظواهر الطبيعة * * وحين تنتقل بهم الى دنيا الخيال فانها تطلق لاذهانهم ان تحلق بعيدا في الآفاق *

والسينما ليست اداة للهو الاطفال وامتاعهم فقط ، بل هي اداة فاعلة من أدوات نميتهم عقليا وعاطفيا واجتماعيا وخلقيا ، ووسيلة من وسائل ثقافتهم ، وهي فن يخدم « جمهور الاطفال » ويسهم في تأصيل كثير من القيم والمفاهيم * وعلى هذا فسينما الاطفال ليست اداة « لقتل » فراغ الاطفال ما دامت فنا رفيعا * *

وشتان بين نظرتين على مستوى العالم في هذا المجال ، الاولى ترى فيها اداة من أدوات تشكيل الطفولة تشكيلا سليما ، والثانية ترى فيها اداة للربح المادي * ويتصدر هذه الاخيرة اصحاب رؤوس الاموال والشركات التجارية في البلدان الرأسمالية الذين ينتجون افلاما للاطفال بقصد الربح المادي قبل كل شيء * وكرجمة لهاتين النظرتين تبدو سينما الاطفال في العالم الاشتراكي كفن في خدمة الجمهور وتأكيد قيم المجتمع الاشتراكي ، بينما تبدو في العالم الرأسمالي تجارة مربحة *

وقد اثبتت تجارب عديدة ان الاطفال يفضلون السينما على غيرها من الفنون^(١٦) وهذا يدعونا الى الاهتمام بهذا الفن اهتماما كبيرا ، والعمل على استخدامه كوسيلة من وسائل ثقافة الاطفال ، وبنفس الوقت ، الى العمل على حمايتهم من تأثير الافلام الضارة التي تفسد ضمائرهم واحساساتهم وتفكيرهم *

وهذا الاهتمام يعني في الاساس ، التفكير في انتاج افلام للاطفال ، ومع ان صعوبات كثيرة تقف امام انتاج مثل هذه الافلام ، الا انها لا تبرر اغفال هذا الجانب اغفالا تاما ، لانه يؤلف جزءا من قضية التناول الاشتراكي للفنون والآداب * ولا يكفي أبدا أن نعمل من اجل حجب الافلام التجارية عن أعين اطفالنا ، لان هذا ليس الا جزءا هامشيا من المشكلة *

وللفلم امكانيات ضخمة يمكن ان تعمل كلها من أجل شد الانتباه ،
ثم اضافة ال تأليفه بين الصورة والصوت والحركة فان له قدرة كبيرة في
جذب السيل السينمائية التي تستطيع ان تجعل من اذهان الاطفال واهتمامهم
تتلاقى بعيدا مع أكثر الحقائق واقعية .

وقد اهتمت باذان العالم المتقدمة بانتاج افلام الاطفال منذ سنة ١٩٢٥ م ،
حيث بدأ الاتحاد السوفيتي بانتاجها منذ عام ١٩١٩ ثم اقتبعت فرنسا اول فلم
للانفال عام ١٩٢٥ ، واليابان عام ١٩٢٤ .

وبعد الحرب العالمية الثانية لاقى انتاج افلام الاطفال رواجا ، فأقترنت
في بعض البلدان المتقدمة افلام تمثيلية وتعليمية وافلام قصيرة للاناشيد
البسائية والرسوم المتحركة والدمى .

ومن مؤسسات انتاج افلام الاطفال الكبرى في العالم مؤسسة والت
ديزني في الولايات المتحدة الامريكية ، ومؤسسة (سي سي اف اف) في
بريطانيا واستوديوهات مكسيم غوركي في الاتحاد السوفيتي .
الافلام الاجنبية :

نغزو محطات التلفزيون ودور السينما في الوطن العربي وفي الاقطار
النامية عموما ، افلام اجنبية ، وتحظى الافلام الامريكية بحصة الاسد ،
بل أن رقة الافلام الامريكية الخاصة بالاطفال تمتد الى اوربا الغربية أيضا .

وكان من نتيجة ذلك أن اشند السخط ضد تلك السيول المخربة التي
تجتاح اذهان واخيلة الاطفال ، فعملت بعض البلدان من أجل الحد منها ،
والتفكير الجدي في انتاج افلام محلية . اما بالنسبة الى بعض البلدان
الاوربية الغربية فقد بدأت بتقديم البديل ، وكمثل على ذلك ان التلفزيون
الايطالي استبدل الكارتون الامريكي ميكى ماوس أو فرايرو بفأر آخر
هو توبو جيجو ، وهو ليس رسوما متحركة كما هو الحال في ميكى ماوس

بل هو عرائس ، كما انه اعتيادي وليس خارقا ، وقد وجدت هذه الافلام كثيرا من القبول لدى الاطفال الطليان والاوربيين الغربيين

ومناطق الخطر الاول في الافلام الامريكية يكمن ، في الاساس ، في العودة الى القلم . ففي الرقعة الذي ينبغي لنا النظر فيه الى القلم بكونه اداة تسمية سلوكية وعاطفية وفنية . فان القلم الاسريكي يمثل سلعة ، الهدف منها السيطرة على الاسواق ، وهو لا يهدف الى تلك التسمية التي نسميها بل يراد به الاستيلاء على عقول الاطفال واستعسانهم ومساغرتهم ، وهذه نقطة ذات شأن ، رافقها وبعقبها الحصول على مزيد من الارباح .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان مثل تلك الافلام التي تستخدم حيلاً ومؤثرات صوتية وصورية تنير الاطفال وتجذبهم ، الا انها في نفس الوقت اداة لصرف الاطفال عن واجباتهم ، اضافة الى انها لا تقدم لهم القيم والمعايير التي نريد ، وحتى لو تضمنت جوانب ثقافية ، فقد لا تكون هي الجوانب التي نريدها لاطفالنا . وعلى ذلك ففي كثير من الاحيان تكون مثل هذه الافلام اداة لحو ما نطمح الى تنميته في اذهان اطفالنا من قيم ومعايير ومؤثرات ثقافية .

والنقطة الاخرى ، هي اننا لا يجوز لنا ان نفهم القلم على انه صناعة لذاتها ، انه ولاشك فن من الفنون . ومتى تحول القلم الى صناعة لذاتها خرج على الاطار الذي نتناوله ، باعتبار اننا نتناول ادب الاطفال الذي يشكل القلم وسيطا بين هذا الادب والاطفال .

وقد يقول قائل ان مثل هذه الافلام ، ساخرة ، جذابة ، مبهمة ، ينسابق الاطفال الى مشاهدتها . ولكن هذا المنطلق يظل واهيا ما دمنا نسعى الى فلسفة واضحة الابعاد لنقافة الطفل . وعلى هذا فان ما لا ينضوي تحت تلك التسمية ، وما قد يشوش الصورة في ذهن الطفل ، لا بد ان يعد غريبا على عالم الطفل . أما بالنسبة الى انسياق الاطفال وراء تلك الافلام وشغفهم

بمشاهدتها ، فان هذا لا يكفي وحده ، لائنا ينبغي أن نقرر بأنفسنا ابعاد ثقافة الطفل وفق الاسس النفسية والاجتماعية لاطفالنا ووفق الخططة التي نضعها لفلسفتنا * . أما الاطفال فلا يمتلكون القدرة على ذلك ، وفي كثير من الاحيان ينساق الاطفال وراء كثير مما يلحق افدح الاضرار بهم * .

واغلب الافلام الامريكية الخاصة بالاطفال - غير افلام الكارتون والدمى - تحاول تصوير جوانب مشرقة من الواقع الامريكي ، والهدف من ذلك هو فصل الاطفال في بلدان العالم الاخرى عن واقعهم وربطها بغرام الحياة الامريكية * . وواقعية هذه الافلام ليست مذهبا فنيا ، بل هي رأي سياسي واقتصادي * .

ويرنو الاطفال في العادة الى تقليد جوانب من تلك الحياة كالتقليد الذي يظهر في ملابسهم وطريقة حياتهم ، ولاشك انصناع السينما في امريكا قد نجحوا اقتصاديا في جذب الاف من الزبائن الذين اقبلوا على الصناعة الامريكية * . فالفتاة تريد ثوبا كثوب البطلة ، والفتى يريد ربطة عنق تشبه ربطة عنق البطل * . وفي حالة عدم تحقق ذلك للفتى او الفتاة ربما يؤثر في مزاجه ، ويشير مشكلات ضمن الاسرة * (١٧)

وليس هذا فقط ، بل ان كثيرا من الافلام الامريكية ، وخاصة البوليسية منها هي في واقعها افلام دعائية لشركات ومؤسسات تجارية ، حيث تظهر فيه اشكال متنوعة من السلع والمنتجات التي يسهل لها لعب الاطفال * .

ولا شك ان التقليد في الجوانب الاخلاقية والفكرية هي اخطر وقعا من التقليد في الملبس او المأكّل * .

ومن نافلة القول الاشارة الى انه حتى الافلام التي يقال عنها انها تستهدف الامتاع واشاعة المرح فقط ، هي في واقع الحال تحمل في اطوائها قيما ومفاهيم معينة واللوانا من الحياة الاجتماعية وانماطا من العلاقات ، وهذه كلها تعلق مع الفلم بشكل او باخر وبالتالي تنساب الى اذهان الاطفال * .

ولهذا نجد فلمين مختلفين لنص سينمائي واحد في حالة اتناجهما في مجتمعين مختلفين ، وكمثال على ذلك ما نجده من اختلاف بين فيلم « هاملت » البريطاني و « هملت » السوفيتي حيث عولجت نفس القصة بطريقتين مختلفتين •

واذا كنا قد ركزنا على تبيان التأثير السلبي للأفلام الأمريكية ، فإن هذا هذا لا يعني ان الأفلام الأوروبية الغربية تختلف عن الأفلام الأمريكية كثيرا ، بل هي في الغالب ، تتميز بذات الخصائص ، وان كان الفلم الأمريكي أكثر ايعالا في السعي للاستحواذ التجاري والطغيان الفكري •

ومن خلال حديثنا عن الأفلام الأمريكية والأوروبية الغربية ، قد يبدو اننا ندعو الى حجبها عن جمهور اطفالنا حجباً تاماً ، ولكننا في الواقع لاندعو الى هذه الدعوة ، لا ننا بهذا كمن يريد ان يضع الاطفال في عالم ضيق الجنبات ويعزلهم عن العالم البعيد ، ويحجب عنهم حياة الآخرين وتقاليدهم وازيائهم وموسيقاهم ورقصاتهم وهزائهم وانتصاراتهم •• هذا مع العلم ان الطفل متغوف بأداب البلاد البعيدة ويحسره دوما ان يتعرف على الناس وكيف يحيون ويفكرون في مختلف بقاع العالم ••• نحن ندعو الى انتقاء ما يصلح لاطفالنا بتحفظ شديد وفق خط فكري نختطه لثقافة الطفل •

المبحث الثاني
استجابات الاطفال
لافلام الجريمة والعنف

اكثر الدراسات والبحوث تربط بين بعض « جرائم » الاطفال وبين بعض الافلام السينمائية والتلفزيونية . وهناك دراسات تقول ان للافلام دورا مباشرا في تلك الجرائم ، واخرى تقول ان لها تأثيرا ثانويا فقط ، اذ هي تساعد على بلورة بعض الميول الاجرامية لدى الاطفال وثالثة ترى ان الافلام هي تحصين للطفولة من الانسياق نحو الجريمة .

وهنا ، لابد من الانتباه الى نقطة مهمة ، وهي اننا اذا سلنا باثر الافلام في دفع الطفل الى الجريمة ، فانه ليس بالضرورة ان تكون مضامين تلك الافلام متناولة الجريمة ، فقد نؤثر افلام بعيدة عن الجرائم الاعيادية في خلق عالم وهمي للطفل يجد نفسه فيه مهياً لاقتراف الجرم .

وهناك نظرية ترى ان الافلام الحافلة بالصور التي تمثل حياة الترف الخيالي الذي يرفل فيه ممثلو السينما ، مع ابراز حياتهم الخاصة تبعث الضجر في نفوس المراهقين الذين يعيشون في محيط فقير ويسكرهم ذلك النعيم

الخيالي ، ويزداد تأثيره مع زيادة سادته ، وقد تستردي كثرة ارتياد السينما الى السلبية للمال ، وقد يندرج في هذه هذه العجالة الرغبة في إعادة تصوير حياة الرجال الذين هم في الحياة ، وهذه الرغبة في الحياة السهلة الرغبة قد تدفع الطفل الى ارتكاب جرائم لا يراها للاقامه ، ويمكن ان يكون لافلام السينما اثار ايجابية في توعية المراهق بالاساليب الفنية التي قد يكون فيها خبر ، كما ان لافلام القتل او السرقة ، ويمكن ان يبدو ان السينما تساهم في تعليم الطفل ، انما هي تعليم على درجتين ، فهي تبدأ بتعليم القيم وتشويشها في ذهن الطفل ، من ثم تعليمه الطريقة التي يرتكب بها الجريمة ، وعن اهمية الانسجام بين النظرية كمناف محاكم الاحداث الفرنسية ، ومن بجانب اخر ، ان ما يكمل ذلك من حيث ايجاب النواحي الفنية في الفلم للمراهق ، ويقاظ ما يمر المراهق والربيات الجنسية مما قد يدفع الطفل الى الجريمة . (١٨)

وهناك نظرية اخرى ترى ان الافلام لا تحدث اثارا ضارة الا اذا كان الدافع وراء ذلك الامر ، بالمثل الذي يحيا حياة بائسة والذي لم يتهيأ له الانسجام مع الوسط الاجتماعي ، ربما يضل الامر به الى الاكتئاب النفسي او الامراض .

- ولما نهزم كل الدراسات السالبة بانظر الفلم على انحراف الطفل ، على ان ان الانحراف الاجرامي له اسرول اكثر بعدا ، وجذوره اكثر عمقا في افوار المجتمع ، بالانتماء الى عوامل تشكّلها اسرة البناح نفسه او اصدقاءه ، وكل الذي يخينه الفلم الى الطفل هو اسهامه في الانحراف ، ولا يكون تأثيره الا في الطفل المهيا للانحراف ، فمثلا يمكن للفلم ان يطلع الدافع على وسيلة واسلوب للسرقة او الضرب مثلا ، ويوجي للطفل ببعض الاندثار التي ترضي رغباته في العداء على حساب ضحية مماثلة او مشابهة للضحية التي يشاهدها في الفلم . فادا كان الفلم مثلا يوجي باستخدام الايدي او الاداة العادية لارتكاب اي اعتداء فانه من الممكن ان يقوم الطفل تحت تأثير الغضب باستخدام هذه الوسيلة متى كانت الفرصة سانحة ، وهذا

لا يحدث في كل الاحيان لان الاسرة تعلم الطفل اشياء مخالفة للعدواني ، ولكن لا يمكن القطع بان هذا لا يمكن حدوده (١٩) .

ويقول الدكتور فردريك ويرنام الذي انشأ واشرف على ادارة عدد من اهم العيادات النفسية في اميركا ، انه تبين له من مشاهداته الطبية ، انه ليس هناك ما يؤثر الرأي القائل ان الاطفال المضطربى الافكار وحدهم الذين يتأثرون بهذه البرامج ، بل ان كل طفل قابل للتأثر بها .

ويقول الدكتور رالف بانى مدير احدى عيادات بروكلين انه يرى ويستمتع ويدرس حوالي ٤٠٠ من الاحداث سنويا ، وقد تبين له ان الافلام جعلت الفتيان يحسون ان الحياة كلها مليئة بالجريمة ، ووجد انهم على علم تام بفنون الاجرام ، كما انهم يتصرفون بعنف في محيط الاسرة ويتحدون المسؤولين .

ومن جانب اخر فقد نفت دراسة قام بها عدد من اساتذة جامعة هارفارد الزعم القائل ان افلام الجريمة تعلم الاطفال ان الجريمة لا تجدي ، حيث جاء في تلك الدراسة « ان هزيمة الشرير في الثلاثين ثانية الاخيرة من البرنامج ، ليس لها الا تأثير تافه في الاطفال بالنسبة للتأثير الذي تحدثه الدقائق الكثيرة المحشوة بالجرائم العنيفة والاعمال المنافية للقانون » .

وكتب دون وارتون في مجلة عصر التلفزيون ، وهو يتحدث عن افلام الجريمة في التلفزيون الامريكى :

« لقد امضيت بضعة اسابيع جالسا امام التلفزيون خلال الساعات المخصصة للاطفال ، ورحت اراقب سير هذا الاستعراض الفاسد . واليك بعض عينات من مشاهد العنف التي رأيتها » :

« هندي احمر يربطه البعض بشدة الى خيوط تجري في اتجاهين متضادين ، ثم يطلقون عليه النار ، وهو ملقى على الارض ، لا حول له ولا قوة . سيجارة مشتعلة توشك ان توضع في عنق رجل . بطل القصة يضرب

رجلا فيوقعه على الارض ثم ينهض على قدميه ليعيد اسقاطه مرة اخرى ،
ويكرر ذلك مرة ثالثة * رجل جريح شدوا وثاقه الى شجرة ، بينما يرتفع
صوت احدهم قائلا : اتركوه للحيوانات ! »

« وشاهدت ايضا رجلا يشنقونه بسلك رفيع ، وفتاة يقتلونها بخنجر ،
وطفلا صغيرا يختطف بعنف وهو راكع يبكي فوق جثة ابيه القتل ويحاول
الهرب فيطارده هندي احمر كئيب الوجه ليقبض عليه مرة اخرى »

« واخطر من هذا كله ، انني شاهدت ومعي بالطبع بضعة ملايين من
الاطفال - طفلا لطيفا في العاشرة من عمره ، يجذب بعنف رأس رجل سقط في
« معركة » ، ليدقه مرة بعد اخرى على الارض الصلبة »

« تلك بعض عينات من الجرائم التي يقدمونها للاطفال في مدينة واحدة ،
وكلها تحاول ان تزيد من شدة تأثيرها عن طريق الموسيقى الصاخبة ،
والاضاءة المصحوبة بالظلال ، والصور المقربة للرعب ، وتعبيرات الفزع على
الوجوه ، والصراخ والبكاء والالابن »
ويقف وارتون معقبا :

« قد يزعم البعض انه ما دام لم يثبت من الاحصاءات ان اذاعة جرائم
العنف في التلفزيون ، كانت سببا في جرائم الاحداث فليس هناك ما يدعو الى
القلق ، وهذا زعم سخيف ، اذ كيف لا يكون لمثل هذه المادة التي تعرض
يوما بعد يوم اثر في اطفال لم يتم نضجهم بعد ، ويسهل ، التأثير فيهم ؟ »

وينتج الغرب مجاميع كبيرة من افلام العنف والرعب ، ففي بريطانيا مثلا
تتولى شركات عديدة انتاج مثل هذه الافلام من بينها شركة « هامر فيلمز » *
وافلام العنف والرعب تشكل اهم صادرات انكلترا الى العالم * وفي مطلع
عام ١٩٦٨ منحت ملكة بريطانيا وسام الاستحقاق لتلك الشركة لانها امنت
لانكلترا خلال ثلاث سنوات مدخولات كبيرة تصل الى نحو ٢٠ مليون
دولار *

وتدل كثير من الدراسات ان الطفل عادة يحاول التشبيه بالشخصيات التي يعرضها التلفزيون نظرا لاعتقاد كثير من الاطفال ان العالم الذي يشاهدونه على الشاشة هو مرآة صغيرة للعالم الحقيقي. كما ان عددا كبيرا من المراهقين يحاولون تقليد الادوار التي يقدمها التلفزيون لكي يلعبوها في حياتهم الواقعية ، وعندما تقدم الشاشة عنصر العنف فان هذا العنف يتسلل الى نفوس الاطفال ، ويحاولون تقليده ومحاكاته حتى يشعروا بانتمائهم الى عالم الكبار . وبهذا يكتسب الاطفال وبطريقة تدريجية غير مباشرة مجموعة من القيم الاجتماعية والاخلاقية عن طريق المتابعة التي تؤدي الى الاستجابة التي تتلاءم مع مفاهيم المجتمع المتحضر . وبالرغم من هذا فليس التلفزيون هو السبب الرئيس في نشر العنف ، بين افراد المجتمع ، لان التلفزيون يقدم برامج وسط بيئات معقدة ، تدخل في تشكيل القيم والسلوك الاخلاقي فيها عناصر وعوامل عديدة . (٣٠)

ويعتقد البعض ان عنصر العنف لا يكتسب من الافلام والاعمال الدرامية فقط ، لان مشاهد العنف موجودة في الافلام الاخبارية نفسها . مثل افلام مشاهد الحرب والمظاهرات . (٣١)

المراجع

مراجع الباب الاول « جمهور الاطفال »

الفصول ١ ، ٢ ، ٣

- ١ - فيليب يوشار - جمهور الاطفال ، ترجمة محمد انور الحناوي ، (القاهرة دار الكتاب المصري) ص ١٦ •
- ٢ - د • مصطفى فهمي - سيكولوجية الطفولة والمراهقة • (القاهرة) ص ١٥١
- ٣ - لاحظ « مناهج التربية » (بيروت) •
- ٤ - د • أحمد زكي صالح - علم النفس التربوي - الطبعة ٨ - (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥) ص ٦٧ •
- ٥ - كامل بنقسلي وخالد قوطرش ، آباء واهناء ، (دمشق) ص ١١٢
- ٦ - ولارد اولسون وجون ليولن - كيف ينمو الاطفال ، ترجمة د • محمد خليفة بركات ، سلسلة دراسات سيكولوجية « ٢٥ » • (القاهرة مكتبة النهضة ، المصرية) ص ٧٩
- ٧ - المصدر السابق ص ١١ ، ٩٨ •
- ٨ - لاحظ « التربية الاجتماعية » من سلسلة دراسات سيكولوجية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية) ص ٧
- ٩ - وينفريد وارد - مسرح الاطفال - ترجمة محمد شاهين الجوهري ص ١٤٧ (القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة)

- ١٠ — لاحظ « مشاكل الاطفال النفسية » القاهرة .
- ١١ — لاحظ « رياض الاطفال » بغداد
- ١٢ — مجلة « الشرق » مايو ١٩٥٩ .
- ١٣ — ولارد اولسون — مصدر سابق ص ٨٤
- ١٤ — ضياء الدين ابو الحب — علم النفس التربوي — بغداد ص ١٤٧
- ١٥ — د . فهمي مصطفى — مصدر سابق ص ١١٨
- ١٦ — د . ابو العزم — لغة الاطفال — دراسة مقدمة الى حلقة كتاب الطفل ومجلته عام ١٩٧٢ غير منشورة .
- ١٧ — المصدر السابق
- ١٨ — المصدر السابق .
- ١٩ — د . محمد محمود رضوان — لغة الاطفال — دراسة مقدمة الى حلقة كتاب الطفل ومجلة عام ١٩٧٢ القاهرة غير منشورة .
- ٢٠ — د . عبدالعزيز عبدالمجيد — القصة في التربية — الطبعة الخامسة ، (القاهرة دار المعارف بمصر) ص ١٦
- ٢١ — راجي عنايت « مسرح الاطفال بين الواقع والاسطورة » مجلة الطليعة السنة الثانية ابريل ١٩٦٦ القاهرة ص ٧٥ .
- ٢٢ — المصدر السابق ص ٧٥ .
- ٢٣ — لاحظ مشاكل الاطفال النفسية ص ١٠ .
- ٢٤ — لاحظ : « لماذا نخطئ العلاج » القاهرة .
- ٢٥ — راجي عنايت — مصدر سابق ص ٧٥ .
- ٢٦ — د . ابو العزم — مصدر سابق . (غير منشور) .
- ٢٧ — محمد ناصر « الاستدلال عند الاطفال » المعلم الجديد . مارت ١٩٤١ بغداد ص ٣٥٣ .
- ٢٨ — لاحظ : لماذا نخطئ العلاج ؟ .
- ٢٩ — د . ابو العزم — مصدر سابق (غير منشور) .
- ٣٠ — المصدر السابق .
- ٣١ — المصدر السابق .
- ٣٢ — د . مصطفى فهمي سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ١٠٧
- ٣٣ — لاحظ : لماذا نخطئ ص ٤٦
- ٣٤ — جريدة الجمهورية ، بغداد « المطلوب ثورة في عالم الاطفال » ص ٦ ١٩٧٣/١١/٤ .

- ٣٥ - د . رمزية الغريب - ميول الاطفال القرائية - مجلة الكتاب العربي العدد ٤٨ ، يناير ١٩٦٧ ص ٦ القاهرة .
- ٣٦ - المصدر السابق ص ٧ .
- ٣٧ - لاحظ (انت والمراهقة) ص ١٤ .
- ٣٨ - المصدر السابق ص ١٤
- ٣٩ - المصدر السابق ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .
- ٤٠ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق ص ١٦٠ .
- ٤١ - المصدر السابق ص ١٦١ .
- ٤٢ - دوجلاس توم ، توجيه المراهق ، ترجمة د جابر عبدالحميد ومحمد مصطفى الشعبيني ، (القاهرة ، مكتبة النهضة ١٩٧٥) ص ١٣٤
- ٤٣ - د . عبدالعزيز عبدالمجيد - مصدر سابق .
- ٤٤ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق . ص ٢١٥ .
- ٤٥ - المصدر السابق ص ٢٤٨ .
- ٤٦ - المصدر السابق ص ٢٧٢ .
- ٤٧ - د . عبدالعزيز عبدالمجيد - مصدر سابق . ص ١٩ .
- ٤٨ - ماريون مونرو - تنمية وعي القراءة ، ترجمة سامي ناشد (القاهرة دار المعرفة ١٩٦١) ص ١٥ ، ١٦ ، ٣٠ .
- ٤٩ - د . فائزة احمد كامل - الاثر النفسي للكتاب - دراسة مقدمة الى حلقة (كتاب الطفل ومجلته) عام ١٩٧٢ القاهرة . غير منشور .
- ٥٠ - المصدر السابق .
- ٥١ - المصدر السابق .
- ٥٢ - د . هدى براده ، والسيد العزاوي ، وآخرون « الاطفال يقرأون » الجزء الاول (القاهرة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤) ص ٥ .
- ٥٣ - لاحظ مجلة التربية الحديثة ، العدد الاول ، تشرين الاول ١٩٧١ بيروت .
- ٥٤ - حسن رشاد - المكتبات المدرسية . (القاهرة ، دار الفكر العربي) ص ١٤
- ٥٥ - ولارد اولسون وحون ليولن - مصدر سابق ص ٥٥ .
- ٥٦ - ماريون مونرو - مصدر سابق ص ٤٦ .
- ٥٧ - Unesco Courier, international Book year 1972. P. 16
- ٥٨ - Ibid. P. 16.
- ٥٩ - حسن رشاد - مصدر سابق ص ٤٦ .
- ٦٠ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق ص ٥٠ .
- ٦١ - Uniesco Courier P. 16

الباب الثاني « أدب الاطفال »

الفصول ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦

- ١ - Encyclopaedia Britannica, Volume 4. 1973.
- ٢ - محمد مكتبي « الكتاب المدرسي وسيلة ايضاح » مجلة التربية الحديثة • بيروت •
- ٣ - د • زكي نجيب محمود « الحوادث الجارية » - الاهرام ١٦/١٢/٧٦ ص ١١ •
- ٤ - Encyclopaedia Britannica, Volume 4. 1973.
- ٥ - Ibid.
- ٦ - لاحظ : اندرسن ، رائد ادب الاطفال ، عبدالله حسين • القاهرة • سلسلة : مذاهب وشخصيات •
- ٧ - Encyclopaedia Britannica, Volume 4 1973.
- ٨ - لاحظ مقدمة كتاب « حكايات من روسيا » ترجمة علي ادهم • دار المعارف بمصر •
- ٩ - لاحظ تراث الانسانية ، المجلد الاول ، العدد ١٢ ، القاهرة •
- ١٠ - المصدر السابق •
- ١١ - عبدالقادر التلمساني « افلام الكارتون هدف ثقافي وترفيهي » مجلة الطليعة ص ٧٢ السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ القاهرة ••

- ١٢ - ضياء الدين أبو الحب - علم النفس التربوي - ص ١١٥ ، بغداد .
- ١٣ - عبدالفتاح إبراهيم « مقدمات في الاجتماع » ص ١١٥ بغداد .
- ١٤ - لاحظ كتاب « طفلك وفنه » - مترجم ، ص ٢٨ .
- ١٥ - المصدر السابق ص ٥٨ ، ٦٠ .
- ١٦ - د . محمد طلعت عيسى « التربية الاخلاقية واثرها في بناء الوطن » مجلة العلوم السياسية القاهرة
- ١٧ - طفلك وفنه - مصدر سابق ص ١٩ .
- ١٨ - سائلة الفخري « التضامن عند الاطفال » ص ٢٥ بغداد - مركز البحوث التربوية والنفسية .
- ١٩ - شوبنهاور - فن الادب - اعداد بيلي سوندرز ، ترجمة شفيق مقار ص ٨٣ . (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر) .
- ٢٠ - هادي نعمان الهيتي - المحاضرة الثانية على المتدربين في دورة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون بمعهد التدريب الاذاعي - بغداد ١٩٧٢ (غير منشورة) .
- ٢١ - روز غريب « عالم الطفولة وتربية الاطفال » مجلة رسالة التربية الحديثة : بيروت .
- ٢٢ - هادي نعمان الهيتي « حول ادب الاطفال في العراق » من البحوث المقدمة الى حلقة « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ تحت اشراف المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية (غير منشور) .
- ٢٣ - عبدالقادر التلمساني - مصدر سابق ص ٧١ .
- ٢٤ - المصدر السابق ص ٧١ .
- ٢٥ - حسين مروة - دراسات ادبية - بيروت .
- ٢٦ - د . عبدالوهاب عبدالرزاق « ادب الاطفال » جريدة الثورة في ١٧/٨/١٩٧٢ بغداد .
- ٢٧ - ن كرويسكايا « عن التربية » ص ١٠٩ ، ١٣١ دمشق .
- ٢٨ - لاحظ « الطلاب في اسرائيل » من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية - دراسات فلسطينية .
- ٢٩ - لاحظ « التربية الصهيونية » ص ٦١ . القاهرة .
- ٣٠ - المصدر السابق ص ٦٠ .
- ٣١ - المصدر السابق ص ٦١ .
- ٣٢ - محمود شيت خطاب - حقيقة اسرائيل .

- ٣٢ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية العدد ٢٠ ، في ٢٦ تشرين الاول
١٩٧٤ ص ٦٨٨ ، ٦٨٩ .
34. Unesco, A world of children's books, a selective international
bibliography. Paris, 15 december 1972. P. 71.
- Ibid. — ٣٥
- Ibid. — ٣٦
- Ibid P. 72. — ٣٧
- ٣٨ - ضياء الدين ييبرس « العالم كله ضد داود الصغير » مجلة الصور ٨ مايو
١٩٧٠ .
- ٣٩ - محمود سالم « في حوار معه في جريدة بيروت » ص ٧ في ٢٠ تشرين الثاني
١٩٧٤ . بيروت .
- ٤٠ - Ulrich's International periodicals Directory, volume 2, Thirteen
Edition 1969-1970
R.R. Bowker Comany-New York, U.S.A
- ٤١ - د . عبد الوهاب محمد المسيري - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية -
القاهرة - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام . ص
١٩٧٥ ص ٣٧٦
- 47 ULRICH'S international periodicals.

الباب الثالث

مراجع الفصل الاول « فنون ادب الاطفال »

- ١ - فوزي العنتبل - الحكايات الشعبية وتنمية طاقة الابداع ، مجلة الطليعة السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ ، القاهرة ص ٥٩ .
- ٢ - هـ . دان كورين - الترويح فن وريادة - ترجمة سعيد حشمت ، والدكتور حلمى ابراهيم . القاهرة . ص ٣٧ .
- ٣ - ماريون هونرو - تنمية وعي القراءة - ترجمة سامي ناشد، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
- ٤ - لاحظ الفصل السابق عن رأي كروبسكايا المنشور في مجلة فوجاتي
- ٥ - محمد تيمور - فن القصص والمسرح - القاهرة - ص ٨٨
- ٦ - د . عبداللطيف حمزة - المدخل الى فن التحرير الصحفي - القاهرة ص ٢٩٨ .
- ٧ - د . محمد يوسف نجم - فن القصة - بيروت ص ٤٦ .
- ٨ - المصدر السابق ص ١١٣ . ولاحظ كذلك (فن كتابة القصة) بقلم حسين القناني .
- ٩ - جعفر الخليلي - القصة العراقية قديما وحديثا . (بيروت - مطبعة الانصاف ١٩٦٢) ص ١٣ .
- ١٠ - فديرش فون ديرلابن - الحكايات الخرافية - ترجمة د . نبيلة ابراهيم (القاهرة ، سلسلة الالف كتاب) ص ٨٠ ، ٨٢

- ١١ - حسان عبد السميع محسن - القصة الشعرية في الادب المصري الحديث - رسالة ماجستير (غير منشورة) ص ٢٨ ، كلية دار العلوم ١٩٧٠ القاهرة .
- ١٢ - أملي عبدالمسيح ومحمد كامل النحاس - تربية الطفل ومبادئ علم النفس - الجزء الثاني ، (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية) ص ١٤٥ .
- ١٣ - د . عبد الرحمن عيسوي (النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعية في مرحلتي الطفولة والمراهقة) مجلة عالم الفكر المجلد السابع ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، ص ١٦٩ الكويت .
- ١٤ - أملي عبدالمسيح ومحمد كامل النحاس مصدر سابق ص ١٤٥ .
- ١٥ - يعقوب الشاروني - الطفولة والبطولات القومية - مجلة الثقافة السنة الرابعة ، العدد ٣٩ ديسمبر ١٩٧٦ ص ٨٠ القاهرة .
- ١٦ - د . جورج هنري جزين - المراهقة - ترجمة ابراهيم حافظ (القاهرة لجنة البيان العربي) ص ٥٧ .
- ١٧ - د . سامي عزيز - صحافة الاطفال ، (القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٠ .
- ١٨ - حسين مروة ، مصدر سابق ص ٩٣ .
- ١٩ - د . جورج هنري جزين - مصدر سابق ص ٦٠ .
- ٢٠ - د . نجيب اسكندر ، نحو رؤية اشتراكية لعالم الطفل - الطليعة ، ص ٤٨ السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ القاهرة .
- ٢١ - د . عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - ص ٤٥ .
- ٢٢ - فوزي المعتيل - مصدر سابق ، ص ٥٨ .
- ٢٣ - احمد رشدي صالح - الفنون الشعبية - سلسلة المكتبة الثقافية ١٣٤ ص ٤٨ دار القلم ١٩٦١ .
- ٢٤ - د . زكريا ابراهيم - لماذا نضحك - الهلال . ص ٤ اغسطس ١٩٦٦ .
- ٢٥ - المصدر السابق - ص ٥ .
- ٢٦ - عبد الفنى المطري - ادبنا الضاحك - ص ٨ (بيروت دار النهار ١٩٧٠) .
- ٢٧ - محمد عفيفي - النكتة فن جميل - الهلال - اول اغسطس ١٩٦٦ .
- ٢٨ - احمد رشدي صالح - الفنون الشعبية - سلسلة المكتبة الثقافية ١٣٤ ، دار القلم ١٩٦٦ ص ٤٨ .
- ٢٩ - هادي نعمان الهيتي - حول اعادة كتابة التاريخ - مجلة الاجيال ، نقابة المعلمين في القطر المراتي ، بغداد ١٩٦٩ ص ٧٧ .
- ٣٠ - هادي نعمان الهيتي - نحو انعطاف جديد في التربية - جريدة الثورة ، ١٩٧٣/٥/٣ ص - بغداد .

- ٣١ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق ص ١٠٧
- ٣٢ - د . ليلى الدباغ - كتابة تاريخ الوطن العربي على مستوى الاطفال ، دراسة مقدمة الى « العناية بالثقافة القومية للطفل العربي » بيروت ١٩٧٠ .
- ٣٣ - شبلي العيسمي - كيف نكتب تاريخنا القومي - دمشق ، ص ٢٤٤ .
- ٣٤ - د . ليلى الدباغ - مصدر سابق
- ٣٥ - د . محمد يوسف نجم - مصدر سابق ص ١٥٢
- ٣٦ - د . ليلى الدباغ - مصدر سابق
- ٣٧ - د . محمد يوسف نجم - مصدر سابق ص ١٠٤
- ٣٨ - المصدر السابق ص ١٠٤
- ٣٩ - احمد رشدي صالح - مصدر سابق ص ٥١ .
- ٤٠ - فيليب برشار ، جمهور الاطفال - ص ٨٨ .
- ٤١ - المصدر السابق ص ٨٨ .
- ٤٢ - حامد عبدالقادر - دراسات في علم النفس الادبي - (القاهرة . لجنة البيان العربي) ، ص ٣٨ .
- ٤٣ - ماريان بيسر - التنشئة العلمية - ترجمة محمد سليمان ، (القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦) ص ٤١ .
- ٤٤ - لاحظ العمود الجهنمي ، دار التقدم ، موسكو ، ص ٥ .
- ٤٥ - السعادة في ضوء علم النفس - كتاب الهلال . ص ٢١٥ .
- ٤٦ - لاحظ العمود الجهنمي ص ٢ .
- ٤٧ - لاحظ الهلال ، اول نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ٢٨ .
- ٤٨ - ويلز - موجز تاريخ العالم ، القاهرة ، ص ٤٤٨ .
- ٤٩ - وجيه السمان - الصواريخ والاقمار الصناعية - (دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٢) ص ١٣ .
- ٥٠ - لاحظ العمود الجهنمي ص ٧ .
- ٥١ - المصدر السابق ص ٩ .
- ٥٢ - الطيب الجويلي - علم الخيال ومستقبل الانسان . تونس ، ص ١١ .
- ٥٣ - لاحظ « الاتجاهات الجديدة في القصة العلمية - ترجمة ياسر الفهد ، مجلة الثقافة ، دمشق ، ص ٤٠ » .
- ٥٤ - د . هدى برادة ، والسيد المزاولي وآخرون ، الاطفال يقرأون ، ص ٢١٤ .

- ٥٥ - د . عبد الحميد يونس - الادب الشعبي - المحاضرات العامة في جامعة القاهرة ، للعام الدراسي ٥٩ - ٦٠ . مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٠ .
- ٥٦ - د . مصطفى ماهر - الاساطير الالمانية - تراث الانسانية - العدد ٤ ، المجلد الخامس ، القاهرة ، ص ٢٨٧ .
- ٥٧ - احمد شمس الدين - الاسطورة في المسرح المصري المعاصر - رسالة دكتوراه « غير منشورة » جامعة القاهرة ١٩٧٣ .
- ٥٨ - لاحظ « الارض التي نعيش عليها » مترجم . بغداد ص ٥٨ .
- ٥٩ - احمد رشدي صالح . مصدر سابق .
- ٦٠ - فوزي العتيل - مصدر سابق ص ٥٨ .
- ٦١ - لاحظ « النار والنور » سلسلة اقراء ص ١٦٠ .
- ٦٢ - المصدر السابق ص ١٦٠ .
- ٦٣ - فتوح احمد فرج - الماثورات الشعبية للطفولة والاطفال : دراسة ميدانية في السنبلولين . رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ١٩٧٦ (غير منشورة) .
- ١٤ - عادل ابو شنيب - كان يا ما كان - دمشق ص ٩٧ .
- ٦٥ - عبد المجيد يونس - الادب الشعبي - المحاضرات العامة بجامعة القاهرة ص ٥ .
- ١٦ - عمر يوسف - الحكايات الشعبية في المجتمع الفلسطيني (رسالة ماجستير) - جامعة القاهرة ، (غير منشورة) .
- ٦٧ - ابراهيم احمد العزب شعلان - النوادر في الادب الشعبي - (رسالة دكتوراه) جامعة القاهرة ١٩٧٤ (غير منشورة) .
- ٦٨ - بوميرا نتسيفا - في مقدمة لكتاب « حكايات شعبية روسية - ترجمة غائب طعمة فرمان - دار التقدم موسكو .
- ٦٩ - هادي نعمان الهيبي - حول ادب الاطفال في العراق - من البحوث المقدمة الى حلقة « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشور) .
- ٧٠ - هادي نعمان الهيبي - المحاضرة الثالثة على المتدربين في دورة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون بمعهد التدريس الاذاعي - بغداد ، ١٩٧٢ (غير منشورة) .
- ٧١ - انظر : مصطفى ماهر - الاخوان كريم - تراث الانسانية - الجزء الثامن المجلد الثاني ، ص ٦٠٠ .

- ٧٢ - عبدالله حسين - اندرسن رائد ادب الاطفال ص ٥٥ *
- ٧٣ - لاحظ : ايسوب ، تأليف ا . د وينتيل ، ترجمة الدكتور مختار الوكيل *
- لاحظ مقدمة : القصص الحكيم للفيلسوف ايسوب ترجمة مصطفى السقا *
- ٧٤ - عبدالله حسين - مصدر سابق ص ٣٠
- ٧٥ - لاحظ مقدمة « حكايات واساطير ليونارد فنشي » شرح واعداد بروتو نارديني ، ترجمة يسرى عبدالكريم ، الهيئة العامة للكتاب * القاهرة *
- ٧٦ - احمد سامي - الحكايات الشعبية في اللادقية - (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة - (غير منشورة) *
- ٧٧ - د . نبيلة ابراهيم - اشكال التعبير الادبي ، (القاهرة دار نهضة مصر ١٩٦٦) ص ٦٠ *
- ٧٨ - شارلوت بروهلمر « الحكاية الخرافية وخيال الطفل » ترجمة د . نبيلة ابراهيم (غير مطبوع) عن « الماثورات الشعبية للطفولة والاطفال » رسالة ماجستير مشار اليها في اعلاه *
- ٧٩ - عادل ابو شنب - مصدر سابق *

مراجع

الفصل الثاني (شعر الاطفال)

- ١ - لاحظ : جاك ديلاكروز - الموسيقى والطفل - مجلة الموسيقى والمسرح ، القاهرة العدد ١٦ ، يونية ١٩٤٨ ص ٦٣٠ . لاحظ : دان كوريسن « الترويع فن وريادة » ص ٣٢٧ .
- ٢ - بتزتر « الطفل ودراسة الادب » ترجمة د . ماهر كامل . القاهرة .
- ٣ - د . جورج هنري جزين « احلام اليقظة » ترجمة ابراهيم حافظ « القاهرة ، لجنة البيان العربي » .
- ٤ - المصدر السابق ص ١٥٩ ، ١٦٠ .
- ٥ - لاحظ : « مختارات من شعر شوقي في الحيوان » - القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩ .
- ٦ - لاحظ : محمد عثمان جلال « العميون اليواظظ في الامثال والمواعظ » - القاهرة ، ١٣١٣ هـ .
- ٧ - لاحظ : ابراهيم بك العرب « اداب العرب » - : القاهرة ، مكتبة يسولاق ، ١٩١١ .
- ٨ - لاحظ : جبران النحاس « تطريب المندليب » الطبعة الثانية ١٩٥٠
- ٩ - حسين عبدالسميع محسن - مصدر سابق « رسالة ماجستير غير منشورة » .
- ١٠ - لاحظ : محمد الهراوي « سفير الاطفال للبنين » دار الكتب المصرية - ١٣٤١ هـ .
- ١١ - لاحظ : محمد الهراوي « سفير الاطفال للبنات » .
- ١٢ - لاحظ : محمد الهراوي « اغاني الاطفال » .
- ١٣ - من اجابة سليمان العيسى الى مجلة « الموقف الادبي » العدد ١١ ، اذار ٩٧٤ .
- ١٤ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق ص ١٣ .
- ١٥ - احمد نجيب - مصدر سابق ص ٩٦ .
- ١٦ - من اجابة سليمان العيسى الى « الموقف الادبي » ص ١٠١ .

مراجع

الفصل الثالث (موسيقى الاطفال واغانيهم)

- ١ - هـ - دان كورين - مصدر سابق ص ٣٢٥ -
- ٢ - المصدر السابق ص ٣٢٦
- ٣ - د - محمد احمد الحفني - اغاني الاطفال في الشرق والغرب - المجلة الموسيقية - العدد ٣٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠ -
- ٤ - سهير احمد عاشور - تربية الطفل عن طريق اللعب - صحيفة المكتبة ، ابريل ١٩٧٥ ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٥ - القاهرة -
- ٥ - عبدالعليم علي - التربية الموسيقية - الجزء الاول - مطبعة كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة ص ٢٢ -
- ٦ - سليمان جميل - الموسيقى وتربية الوجدان الاجتماعي ، مجلة الطليعة ابريل ١٩٦٦ ص ٧٨ -
- ٧ - د - مصطفى فهمي - مصدر سابق ص ٩١ -
- ٨ - جاك دالكروز - الموسيقى والطفل - المجلة الموسيقية ص ٢٤ العدد ٢٢ اكتوبر ١٩٧٥ -
- ٩ - د - سميرة احمد فهمي - تطبيق علم النفس في برامج الاذاعة والتلفزيون الموجهة الى الاطفال - دراسة مقدمة الى حلقة « برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون ، القاهرة ١٩٧١ » غير منشورة -
- ١٠ - حامد عبدالقادر - دراسات في علم النفس الادبي - القاهرة لجنة البيان العربي ص ٨٠ -

مراجع الباب الرابع

الفصل الاول والفصل الثاني

(صحافة الاطفال) و (وكتب الاطفال)

- ١ - محمد الحديدي - الادب وبنام الانسان - ص ٤٥ *
- ٢ - فريزر بوند - مدخل الى الصحافة ، ترجمة راجي صهيون - بيروت ص ٣٥٦ *
- ٣ - عبدالقواب يوسف « المسلسلات المصورة » المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، مراقبة الاداب - لجنة ثقافة الطفل - القاهرة (غير منشور) *
- 4 Encyclopaedia Britannica, volume 4, by Encyclopaedia Britannica, INC., U.S.A. 1973.
- 5 Carl Worren, Modern News Reporting, Third Edition, Harper and Row, publishers, New York and Evanston 1959 P. 13.
- 6 Dr. Harold A. Fisher "Lectures Nos 9 and 10- M. A class, Cairo University. 1975-1976.
- ٧- د - ابراهيم امام - الاعلام والاطفال - دراسة مقدمة الى حلقة « بحث كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشورة) *
- 8 ULRICH'S International periodicals P. 330,336
- 9 Dr. Harold A. Fisher "Lectures Nos 11 and 12- M.A. class Cairo University. 1975-1976.

- ١٠ - د . سامي عزيز - صحافة الاطفال ، ص ٥١ .
- ١١ - بيجوي كومان سينها - الانسان الجديد في الاتحاد السوفيتي (موسكو دار التقدم ١٩٧٥) ص ٩٤ ، ٩٥ .
- 12 ULRICH'S International periodicals P. 330,335 volume I
- ١٣ - مجلة المدار ، ٢ شباط ١٩٧٥ .
- ١٤ - د . سامي عزيز - تطور صحافة الطفل - دراسة مقدمة الى حلقة بحث « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشورة) .
- ١٥ - المصدر السابق ص ٨ .
- 16 ULRICH'S International periodicals P. 328.
- 17 Ibid P. 334
- 18 Ibid
- 19 Ibid
- 20 Ibid
- 21 Ibid
- 22 Ibid
- 23 Ibid
- 24 E.W. Hildick, A close look at Magazines and Comics. Faber and Faber LTD. London 1966 and
- 25 Urich's International periodical's volume I
- 26 Encyclopaedia Britannica, volume 4, 1973
- 27 ULRICH'S International periodicals
- 28 Ibid
- 29 Ibid
- 30 Ibid
- 31 Ibid
- ٣٢ - د . ابراهيم امام - دراسات في الفن الصحفي - القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٧١ ص ١٨٥ .
- ٣٣ - د فتح الباب عبدالحليم سعيد . د . ابراهيم ميخائيل حفظ الله « وسائل التعليم والاعلام » (القاهرة عالم الكتب - ١٩٧٦) ص ٥ .
- ٣٤ - حافظ الجمالي ، سامي الدروبي « علم النفس ونتائجه التربوية » (دمشق دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩) ص ٥٤ . ٥٥ . ٤٥ .

- ٣٥ - حسين بيكار « كتب الاطفال واغلفتها » مجلة الكتاب. العربي العدد ٤٨
يناير ١٩٧٠ القاهرة ، ص ١٤ *
- ٣٦ - د * مصطفى بدران ، و د * ابراهيم مطاوع ، ومحمد محمد عطية « الوسائل
التعليمية » ص ٣٠٠ القاهرة *
- ٣٧ - المصدر السابق ص ٣٠٠ *
- ٣٨ - هربرت ريد - التربية عن طريق الفن - ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد ،
ص ٣٥ « القاهرة ، سلسلة الالف كتاب ١٩٧٠ » *
- ٣٩ - د * احمد خيرى محمد كاظم و د * (جابر عبدالحميد جابر) الوسائل
التعليمية والمنهج ، (القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٦٦) ص ١٢٥ *
- ٤٠ - د * ابراهيم امام - دراسات في الفن الصحفي - ص ٢٤٩ *
- ٤١ - د * احمد خيرى محمد كاظم ، و د * جابر عبدالحميد جابر مصدر سابق
ص ١٢٥ *
- 42 Unesco Courier, international book year. 1972 Paris. P. 22.
- ٤٣ - جريدة الجمهورية ، افاق ١١/٤/١٩٧٣ بغداد *
- ٤٤ - كتب الاطفال السويدية - جريدة لسان الحال ٢٤/٨/١٩٧٢ بيروت *
- ٤٥ - عبدالنواب يوسف « تطور كتب الاطفال » ص ٧ (غير منشورة) *
- ٤٦ - المصدر السابق ص ٨ *
- ٤٧ - المصدر السابق ص ٨ *
- 48 Unesco Corier, P. 24.
- 49 Ibid
- ٥٠ - كمال بلاطة « من اين نبدأ » جريدة الانوار ٢٧/٦/١٩٧٤ بيروت *
- ٥١ - هدى برادة وآخرون - مصدر سابق ص ٢٣٥ *

مراجع الفصل الثالث

« مسرح الاطفال »

- ١ - د . مصطفى بدران و د . ابراهيم مطاوع ، ومحمد عطية « الوسائل التعليمية » ص ٩٢ ، (القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية) .
- ٢ - د . احمد بدران و د . ابراهيم مطاوع ، ومحمد عطية « الوسائل والمنهج » ص ٩٩ (القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٦) .
- ٣ - د . سمية احمد فهمي « الاسس السيكولوجية التي يقوم عليها مسرح الاطفال » حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ، القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية العلوم والفنون والاداب ١٩٧٣ (غير منشورة) .
- ٤ - احمد نجيب - مصدر سابق ص ١٤٢ .
- ٥ - الفريد فرج - دليل المتفرج الذكي الى المسرح ص ١١ - سلسلة كتاب الهلال ، العدد ١٧٩ فبراير ١٩٦٦ - القاهرة .
- ٦ - وينفرد وارد - مصدر سابق ص ٢٥٩ .
- ٧ - د . فائزة علي كامل « شخصية المؤلف المسرحي من كتاباته للاطفال » حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ، القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ١٩٧٣ (غير منشورة) .
- ٨ - المصدر السابق .
- ٩ - وينفريد وارد - مصدر سابق ص ١٥٣ .

- ١٠ - المصدر السابق ص ١٥٩ .
- ١١ - د - فائزة علي كامل « شخصية المؤلف المسرحي من كتاباته للأطفال » - غير منشورة .
- ١٢ - د - رشاد رشدي « درامية انطوان تشيخوف » مجلة المسرح ، العدد ٢٠ اغسطس ١٩٦٥ ص ٦ - القاهرة .
- ١٣ - وينفريد وارد ص ١٦٠ .
- ١٤ - المصدر السابق ص ١٦١ .
- ١٥ - سلوى زكو « ترجمة » - عندما تفتح نوافذ الفن امام الصغار - الجمهورية ص ٦ في ١٩٧٤/٦/٢٥ بغداد .
- ١٦ - يعقوب الشاروني « الممثل في مسرح الاطفال » مجلة الثقافة ، السنة الرابعة ، العدد ٣٧ ، اكتوبر ١٩٧٦ ص ١٠٦ .
- ١٧ - فالتين كوليسايف - « مسرح الاطفال » مجلة الشرق ، العدد الثالث ، يونية ١٩٥٧ ص ٢٤ .
- ١٨ - وينفريد وارد ، مصدر سابق ص ١٦٢ .
- ١٩ - جريدة بيروت ، مسرح الاطفال والراشدين لتعليمهم التفكير بمعنى الحياة ، ٣٠ ايلول ١٩٧١ .
- ٢٠ - الفريد فرج « المسرح والاطفال » ، مجلة الدوحة ، اكتوبر ١٩٧٦ . الدوحة - ص ١٨٠ .
- ٢١ - لاحظ مجلة الفن الاذاعي ، اتحاد الاذاعة والتلفزيون القاهرة ص ٨٦ .
- ٢٢ - لاحظ مجلة الفن الاذاعي ، العدد ٣٤ ، ص ٥٦ .
- ٢٣ - احمد نجيب « التربية المسرحية في مدارس الاطفال » حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ١٩٧٣ (غير منشور)
- ٢٤ - د - احمد موسى المتيني « تكوين الجمهور الواعي بماهية مسرح الاطفال » حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ١٩٧٣ (غير منشور) .
- ٢٥ - د - احمد خيرى محمد كاظم ، د - جابر عبدالحميد جابر ، مصدر سابق ص ١٠٥ .
- ٢٦ - هلال ابو عامر « عرائس التلفزيون » مجلة الفن الاذاعي ، ص ٩٧ اكتوبر ١٩٦٥ القاهرة

مراجع

(الفصل الخامس والفصل السادس)

- ١ - فريزر بوند - مدخل الى الصحافة - ترجمة راجي صهيون ص ٥٨ بيروت ١٩٦٤ .
- ٢ - نتيلة راشد - برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون في المانيا الديمقراطية - من حلقة برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون ، اتحاد الاذاعات ١٩٧١ (غير منشور)
- ٣ - المصدر السابق .
- ٤ - عبدالمعص صادق (ترجمة) « قضايا جديدة في البرامج الاذاعية » مجلة الفن الاذاعي ص ١٠٣ .
- ٥ - فكتور كريتوف - برامج الاطفال في راديو تلفزيون الاتحاد السوفيتي - بحث مقدم الى حلقة « برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون ، اتحاد اذاعات الدول العربية ١٩٧١ .
- ٦ - د . محمد احمد نجاتي - علم النفس في حياتنا - ، ص ٢٠ القاهرة .
- ٧ - منى جبر - برامج الاطفال في التلفزيون - رسالة ماجستير ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ جامعة القاهرة - (غير منشورة) .
- ٨ - د . حسن شحاته سعفان - التلفزيون والمجتمع ص ٩٥ (القاهرة - مطبعة دار التأليف ١٩٦١ ، ١٩٦٢) .

- ٩ - المصدر السابق ص ٩٥ .
- ١٠ - المصدر السابق ص ٩٥ .
- ١١ - المصدر السابق ص ٩٧ .
- ١٢ - ملحق « بحوث الاعلام » للدكتور سمير محمد حسين (القاهرة عالم الكتب ١٩٧٦) .
- ١٣ - عبدالمنعم حسن « عصر التلفزيون وحضارة الصورة ص ٨٨ ، سلسلة كتاب الاذاعة والتلفزيون ، القاهرة ١٩٧٢ » .
- ١٤ - نتيلة راشد « برامج الاطفال في اذاعة المائنة الديمقراطية ص ٥ (غير منشورة) » .
- ١٥ - لاحظ : ج . د . هـ . هـ لوردان ، « المشروع الدانمركي لبرنامج الاطفال الاخباري » بحث نقدم الى حلقة اتحاد اذاعات الدول العربية عن برامج الاطفال .
- ١٦ - عبدالمنعم شمس - مصدر سابق ص ١٠٥ .
- ١٧ - المصدر السابق ص ٥٣ .
- ١٨ - فيليب يوشار - مصدر سابق ص ١٧٢ ، ١٧٧ .
- ١٩ - مجلة اتحاد الاذاعات - حدود الخطر حول اطفال ٨٠٠ الف قرية مصرية ص ١٠ ، ايلول ١٩٧٠ .
- ٢٠ - منى جبر - مصدر سابق ص ص ٦٧ (غير منشور) .
- ٢١ - المصدر نفسه ص ٦٧ .

الفهرست

الفهرست

مقدمة

٥

الباب الاول

جمهور الاطفال

٩

الفصل الاول : مدلول جمهور الاطفال

١٧

الفصل الثاني : الادب ومراحل الطفولة

المبحث الاول : مرحلة الواقعية والخيال المعادود

المبحث الثاني : مرحلة الخيال المتطلق

المبحث الثالث : مرحلة البطولة

المبحث الرابع : مرحلة المثالية

٥٥

الفصل الثالث : قراءات الاطفال

المبحث الاول : الاطفال والقراءة

المبحث الثاني : تنمية ميول الاطفال القرائية

الباب الثاني

ادب الاطفال

٧١

الفصل الاول : نظرة عامة

٧٩

الفصل الثاني : الكتابة للاطفال

٨٦

الفصل الثالث : مضمون ادب الاطفال

٩٧

الفصل الرابع : اسلوب ادب الاطفال

١٠٣

الفصل الخامس : ادب الاطفال في الوطن العربي

١٠٨

الفصل السادس : ادب الاطفال في البلدان الاشتراكية

١٢١

الفصل السابع : ادب الاطفال الصهيوني

٤١١

الباب الثالث

فنون ادب الاطفال

- ١٣١ الفصل الاول : قصص الاطفال
- المبحث الاول : نظرة عامة
 - المبحث الثاني : بناء قصة الطفل
 - المبحث الثالث : قصص الحيوان
 - المبحث الرابع : قصص البطولة والمغامرة
 - المبحث الخامس : قصص الخوارق
 - المبحث السادس : القصص الفكاهية
 - المبحث السابع : القصص التاريخية
 - المبحث الثامن : القصص العلمية
 - المبحث التاسع : الاساطير
 - المبحث العاشر : الحكايات
- ٢٠٧ الفصل الثاني : شعر الاطفال
- ٢١٧ الفصل الثالث : موسيقى الاطفال واذانهم

الباب الرابع

وسائط الاطفال الى ادبهم

- ٢٢٩ الفصل الاول : صحافة الاطفال
- المبحث الاول : نظرة عامة
 - المبحث الثاني : انواع صحف الاطفال
 - المبحث الثالث : الفنون الصحفية في صحافة الاطفال
 - المبحث الرابع : اخراج صحف الاطفال
- ٢٧٠ الفصل الثاني : كتب الاطفال
- المبحث الاول : نظرة عامة
 - المبحث الثاني : كتب الاطفال الصغار
 - المبحث الثالث : كتب الاطفال في العالم

المبحث الرابع : كتب الاطفال في الوطن العربي
المبحث الخامس : شكل الكتاب
المبحث السادس : موسوعات ومعاجم ومفكرات الاطفال

٢٩٩

الفصل الثالث : مسرح الاطفال

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : مسرح الاطفال في العالم

المبحث الثالث : مسرحية ادمى

٣٣٧

الفصل الرابع : برامج الاطفال في الاذاعة

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : برامج الاطفال في العالم

٣٥٣

الفصل الخامس : برامج الاطفال في التلفزيون

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : برامج الاطفال في العالم

٣٧٦

الفصل السادس : افلام الاطفال في السينما والتلفزيون

المبحث الاول : الافلام والاطفال

المبحث الثاني : استجابات الاطفال لافلام الجريمة والعنف

٣٨٧

المراجع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٩٨٧/١٩٨٦

ISBN ٩٧٧ - ٠٢ - ١١١٤ - ٧

To: www.al-mostafa.com